جيفري أرشير

JEFFREY ARCHER

كن حذراً عندما تتمنى

BE CAREFUL WHAT YOU WISH FOR

عائلتان وحَّدهما القدر وفرّقتهما الخيانة

الجزء الرابع

مكتبة 505

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كن حذراً عندما تتمنى

BE CAREFUL WHAT YOU WISH FOR

عائلتان وحَّدهما القدر وفرّقتهما الخيانة

الجزء الرابع

مكتبة 505

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

BE CAREFUL WHAT YOU WISH FOR

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Pan Macmillan Books

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2014 by Jeffrey Archer

All rights reserved

Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2475-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٠١٩ ١٠ ٦

كن حذراً عندما تتمنى

BE CAREFUL WHAT YOU WISH FOR

عائلتان وحَّدهما القدر وفرّقتهما الخيانة

الجزء الرابع

جيفري أرشير

JEFFREY ARCHER

ترجمة

غيدا عساف

مكتبة 505

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

آل بارينغتون

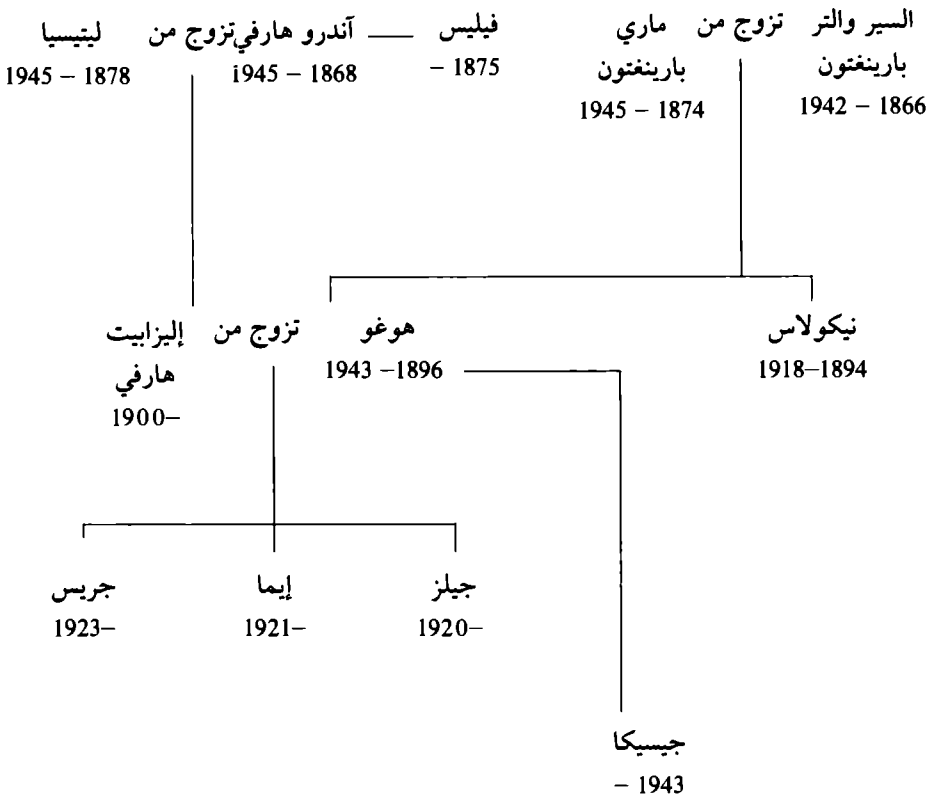

آل كليفتون

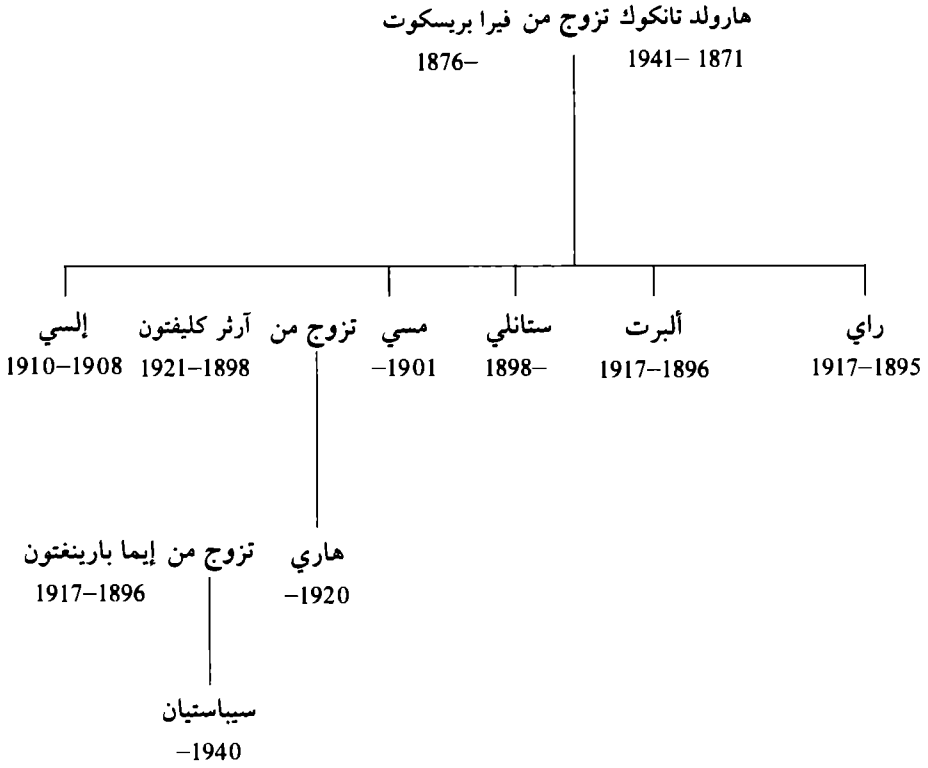
هارولد تانكوك 1871 –1941
تزوج من فيرا بريسكوت
1876–
راي
1895–1917
ألبرت
1896–1917
ستانلي
1898–
مسي
1901–
تزوج من
هاري
1920–
آرثر كليفتون
1898–1921
إلسي
1908–1910
تزوج من إيما بارينغتون
1896–1917
سيباستيان
1940–

تقديم

عندما صدمت الشاحنة المُطاردة سيارة الأم جي ودفعتها إلى الأمام، أحكم سيباستيان قبضته على مقود السيارة. هذه الصدمة جعلت لوحة أرقام التسجيل تنفصل وتطير في الهواء، عندئذ حاول سيباستيان زيادة سرعته للهرب من أمام الشاحنة المُطاردة لكن ذلك كان مستحيلاً بوجود شاحنة أخرى تعترض طريقه، لأنه عندها سيصطدم بها وسيُهرس والسيارة تحت عجلاتها.

لم تمضِ برهة قبل أن تصدم الشاحنة المُطاردة سيارة الأم جي مرة أخرى، وعندها لم يعد يفصل السيارة عن الشاحنة التي تعترض طريقها سوى قدم واحدة، عندما عاودت الشاحنة المُطاردة الصدم للمرة الثالثة سمع سيباستيان صديقه برونو يقول: «هل أنت واثق من أنك تتخذ الخيارات الصائبة الآن، سيب؟».

عندها نظر سيباستيان إلى صديقه وبدا شاحب البشرة من الرعب وهو يتشبث بكلتا يديه بلوحة مقاييس السرعة.

فأردف برونو قائلاً: «إنهم يحاولون قتلنا... بالله عليك قم بأي شيء اصرخ.. اشتم».

عندها نظر سيباستيان إلى حركة السير القادمة من الجهة المقابلة، ولاحظ كثافة السيارات وسرعتها بحث بيأس عن أي فجوة بين السيارات كي يعبر من خلالها، ولكن عندما صدمته الشاحنة للمرة الأخيرة أدرك أن لا خيار آخر أمامه.

حرّك عجلة القيادة إلى اليسار، فاندفعت السيارة فوق الفاصل العشبي،

وتابعت طريقها ودخلت في حركة المرور المقابلة، فداس سيباستيان بشدة على المكبح وتضرع أن يعبر الشارع بالعرض باتجاه الحقول قبل أن تصطدم بهما أي سيارة.

وبالفعل تمكن سائقا سيارة وفان من كبح اندفاعهما في الوقت المناسب وتجنبا الاصطدام بالأم جي، ولبرهة ظن سيباستيان أنهما نجيا، ولكنه تفاجأ بشجرة قبالته، فداس على المكابح وحرك المقود ناحية اليسار، ولكن الأوان كان قد فات، وآخر ما سمعه صراخ صديقه برونو.

هاري وإيما

1958-1957

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الأول

استيقظ هاري كليفتون على رنين هاتف انتشله من حلم، لكنه لم يستطع تذكره، ربما كان هذا الرنين جزءاً من الحلم، فتحرك بانزعاج ليجد العقارب الخضراء الفسفورية للمنبه القابع إلى جوار سريره تشير إلى الساعة 6:43 صباحاً، فابتسم لأنه أدرك من سيكون المتصل في مثل هذه الساعة. رفع سماعة الهاتف وتمتم بصوت يغالبه النعاس «صباح الخير حبيبتي»، ولكن لم يكن هناك ردّ، وللحظة تساءل هاري إن كان الفندق حوّل المكالمة إلى الغرفة الخطأ، وكان على وشك أن يعيد السماعة إلى مكانها عندما سمع نشيجاً فسأل متوجساً: «هل هذه أنتِ إيما؟».

فأتاه الردّ: «نعم».

فسألها بهدوء يخفي قلقاً: «ما الأمر؟».

«لقد مات سيباستيان».

لم ينبس هاري ببنت شفة، سيطر عليه الوجوم الآن، وأراد في مكان قصي من لا وعيه أن يصدق أنه يحلم، ولكنه في النهاية استجمع ما بقي له من شجاعة وسألها: «ماذا تقولين؟ كيف حدث هذا؟ لقد تحدثت معه بالأمس».

قالت إيما التي بالكاد استطاعت العثور على الكلمات: «لقد مات صباح اليوم».

انتصب هاري في جلسته وأصبح أكثر يقظة وتنبهاً.

أكملت إيما بين نحيبها: «في حادث سيارة».

حاول هاري أن يبقى هادئاً منتظراً أن تخبره ما حدث بالضبط.

«لقد كانا ذاهبين إلى كامبريدج معاً».

كرر هاري: «معاً».

«سيباستيان وبرونو».

«أمازال برونو حياً؟».

«نعم، إنه في مستشفى هارلو، ولكنهم لا يستطيعون الجزم بنجاته قبل مضيّ الليلة».

أزال هاري الغطاء عن جسده، ووضع قدميه على السجادة الصغيرة قرب السرير، كان يرتجف ويشعر بالإعياء وقال: «سأستقل تاكسي إلى المطار حالاً، لألحق بأول رحلة عائدة إلى لندن».

بدورها قالت إيما: «وأنا سأذهب فوراً إلى المستشفى». وصمتت. وتساءل هاري للحظة إن كانت على الطرف الآخر من الاتصال. ثم سمعها تهمس «يريدون شخصاً ما للتعرف إلى الجثة».

* * *

أعادت إيما سماعة الهاتف إلى مكانها، ولكنها استغرقت وقتاً حتى تستجمع قواها للوقوف، كانت حركتها غير متزنة، شأنها شأن بحار في عين العاصفة، واستندت إلى العديد من قطع الأثاث. فتحت باب غرفة الرسم لتجد مارسدن يقف في البهو مُنكساً رأسه. لم تعرف من قبل كبير خدمهم يبدي أي تعاطف أمام أحد أفراد الأسرة، لكنها بصعوبة أدركت أنه يمسك بعصا ليتوكأ عليها وقد بدّل الواقع القاسي للموت من قناع الالتزام الذي يكسو وجهه على الدوام.

قال بصوت مخنوق: «سيدتي لقد أعدت لكِ مابل حقيبة لليلة، وإن سمحتِ لي سأوصلك إلى المستشفى».

قالت إيما وهو يفتح لها الباب الأمامي: «شكراً لك مارسدن، هذا لطف منك».

أمسك مارسدن بذراع إيما في الطريق إلى السيارة، وكانت المرة الأولى التي يلمسها فيها. فتح لها الباب، فألقت بنفسها على المقعد الجلدي الوثير للسيارة. شغّل مارسدن المحرك، ووضع مبدل السرعة على الوضعية الأولى، فتحركت السيارة من مانور هاوس في طريقها إلى مستشفى برنسس الكساندرا في هارلو.

فجأة أدركت إيما أنها لم تتصل بأخيها وأختها لإخبارهما بما جرى. ستهاتف جريس وجيلز مساءً ليكونا على الأرجح دون صحبة فهي لا تريد نقل الخبر إليهما وهما بصحبة أحد. ثم شعرت بألم شديد في معدتها كما لو أنها طعنت. من سيخبر جيسيكا أنها لن ترى أخيها مجدداً؟ هل ستبقى الفتاة الصغيرة المبتهجة التي طالما كانت؟ من سيحوم حول سيباستيان مثل الجرو المطيع يهز ذيله من الحب المطلق؟ يجب ألا تسمع جيسيكا الأخبار من شخص آخر وهذا يعني أن على إيما العودة إلى مانور هاوس بأسرع ما يمكن.

توقف مارسدن عند محطة محلية حيث اعتاد التزود بالوقود ظهيرة كل جمعة. عندما رأى عامل المحطة السيدة كليفتون تجلس في المقعد الخلفي لسيارة الأوستين الخضراء موديل A30 ألقى عليها التحية رافعاً قبعته، لكنها لم تعره انتباهاً، فتساءل الشاب إن كان اقترف أي خطأ. ملأ الخزان، ورفع الخرطوم للتأكد من ملئه، وبمجرد إرجاعه إلى مكانه وبينما كان يعدل من قبعته، انطلق مارسدن بالسيارة من دون أن يتفوه بكلمة، ومن دون أن يعطيه الإكرامية المعتادة.

تمتم الرجل قائلاً حيث اختفت السيارة: «ما بهم اليوم يا ترى؟».

بمجرد عودة السيارة إلى الطريق، حاولت إيما استعادة بعض الكلمات التي استخدمها السيد بيتر مسؤول مكتب القبول عندما نقل إليها الخبر: «أنا آسف سيدة كليفتون لإخبارك أن ابنك لقي حتفه في حادث سير مروع». وخلاف ذلك لم يبدُ أن السيد بيتر يعرف الكثير، لكنه بعد ذلك أوضح أنه

مجرد رسول. بقيت الأسئلة تصطدم بعقل إيما «لماذا ذهب ابنها إلى كامبريدج بالسيارة، في حين أنها ابتاعت له تذكرة قطار منذ يومين فقط؟ من كان يقود سيباستيان أم برونو؟ هل كانا يقودان بسرعة كبيرة؟ هل انفجر الإطار؟ هل هناك سيارة أخرى متورطة؟ وغيرها من الأسئلة التي شكت إيما أن أحداً يعرف الإجابة عنها. بعد دقائق من اتصال المسؤول هاتفتها الشرطة لسؤالها عن أحد يستطيع زيارة المستشفى للتعرف إلى الجثة، وأخبرتهم أنها ستقوم بذلك لأن زوجها في نيويورك يقوم بجولة من أجل كتابه. لو علمت أن زوجها عائد إلى إنجلترا في اليوم التالي بالطائرة لكانت رفضت أن تتولى هذه المهمة، لكن شكراً لله أنه سيأتي بالطائرة، وسيكون إلى جانبها خلال فترة تقبل التعازي، بدل أن يستغرقه المجيء خمسة أيام بالباخرة.

خلال عبور مارسدن مدن شيبنهام، ونيوبيري، وسلوت، فكرت إيما أكثر من مرة بدون بيدرو مارتينيز، هل يمكن أن يكون له علاقة بالحادث، وهل يسعى للأخذ بثأره مما حصل قبل عدة أسابيع في ساوثمبتون؟ ولكن بما أن برونو كان الشخص الآخر الذي برفقة سيباستيان فافتراضها يبدو بعيداً عن الواقع والمنطق.

ما إن سلك مارسدن الطريق A1، حتى عادت إيما لتفكر بسيباستيان، فهذا هو الطريق الذي سلكه فلذة كبدها قبل ساعات وقضى نحبه عليه. تذكرت إيما أنه سبق لها أن قرأت أن كل شخص يمر بمأساة يفكر لو أنه يستطيع العودة قليلاً بالزمن لتغيير الأحداث لكن ما من أحد يوفق بذلك.

بينما كانت السيارة تنهب الطريق نهباً. أخذت إيما تسترجع شريط ذكرياتها مع سيباستيان منذ ولادته عندما كان هاري في المعتقل في الجانب الآخر من العالم، وخطواته الأولى في عمر الثمانية أشهر وأربعة أيام، وكلمته الأولى «المزيد»، ويومه الأولى في المدرسة عندما قفز من السيارة قبل أن

يضغط هاري المكابح، ثم بعد ذلك في مدرسة بيرشكوفت عندما أراد مدير المدرسة طرده لكنه منحه فرصة، وعندما حصل على منحة دراسية في كامبريدج وكان أمامه الكثير لتحقيقه. وأخيراً عندما أقنعها أمين سر مجلس الوزراء بمشاركة سيباستيان في خطط الحكومة لإحضار دون بيدرو مارتينيز إلى العدالة. لو رفضت طلب السيد آلان ريدماين ربما كان ابنها الوحيد على قيد الحياة، ولو...ولو...

عندما وصلا إلى ضواحي هارلو، لمحت إيما من النافذة الجانبية لوحة مرورية تشير إلى اتجاه مستشفى البرنسس ألكساندرا. حاولت التركيز على ما هو منتظر منها. وبعد بضع دقائق، عبر مارسدن من خلال مجموعة من البوابات الحديدية التي لا تغلق مطلقاً، قبل أن يعبر المدخل الرئيسي للمستشفى. ترجلت إيما من السيارة، وبدأت تتجه نحو الباب الأمامي بينما توجه مارسدن باحثاً عن مكان لركن السيارات.

أعلمت إيما الفتاة في قسم الاستقبال باسمها، فتحولت نظرة البهجة في عينيها إلى نظرة عطف.

«هل من الممكن أن تتكرمي وتنتظري لحظة سيدة كليفتون؟» قالت ذلك والتقطت الهاتف وقالت: «سأخبر السيد أوين أنك هنا».

استوضحت إيما: «السيد أوين؟».

ردت الفتاة «إنه الطبيب المناوب الذي كان متواجداً عندما أُحضر ابنك هذا الصباح».

أومأت إيما، وأخذت تسرع الخطى في الممر مستبدلة الأفكار المختلطة بالذكريات المختلطة؛ من، ولماذا، ومتى وتوقفت عندما سألتها ممرضة ترتدي أزياء أنيقة «هل أنتِ السيدة كليفتون؟» أومأت إيما.

فقالت لها: «اتبعيني من فضلك».

قادتها الممرضة عبر ممر جدرانه خضراء من دون أن تتفوه بكلمة. ولكن

مـاذا يمكـن لأي منهمـا أن تقولـه؟ وتوقفتا خـارج باب عليه لوحة كتب عليها السيد ويليام أوين، فتحت الممرضة الباب، وأفسحت المجال لدخول السيدة إيما.

جلـس خلـف المكتـب رجـل طويـل ورفيـع أصلع بوجـه وردي حزين الملامح. تسـاءلت إيما إن سـبق لهذا الوجه أن ابتسـم من قبل، قبل أن يطلب منهـا الجلـوس فـي المقعد الوحيد في الغرفة: «مسـاء الخير سـيدة كليفتون». وأضاف قائلاً: «آسف أننا نتقابل في مثل هذه الظروف».

شـعرت إيما بالأسـى تجاه الرجل المسـكين، وتسـاءلت كم مرة يضطر لقول هذه الكلمات يومياً؟ وهو بمجرد النظر إلى وجهه تدرك أنه لم يمر بما هو أفضل أبداً.

قال لها: «يؤسـفني أن أخبرك أن هناك العديد من الأعمال الورقية يجب إتمامها، ولكن قبل ذلك لا بد من القيام بالتعرف إلى الجثة».

أومأت إيما، وأخذت تنشج، وتمنت لو أنها تركت هذا الأمر على عاتق هاري كما اقترح عليها. نهض السـيد أوين من خلف مكتبه وجثا إلى جانبها وقال: «آسف جداً سيدة كليفتون».

* * *

لم يكن بمقدور هارولد أن يكون أكثر مساعدة ومراعاة، فقد حجز الناشر لهـاري مقعـداً بالدرجـة الأولـى علـى أول رحلة متجهة إلـى لندن على الأقل سيكون مرتاحاً حيث أعتقد أن هاري المسكين لن يستطيع النوم. أيقن هارولد أن الوقت غير مناسب لإعلام هاري بالأخبار الجيدة، لكنه ببساطة طلب من هاري أن يرسل إلى إيما خالص تعازيه.

عندما خرج هاري من فندق بيير بعد أربعين دقيقة، وجد سـائق هارولد يقـف علـى الرصيـف فـي انتظار إيصالـه إلى مطار أدلويلـد. جلس هاري في المقعد الخلفي من الليموزين، ولم يرغب بالتحدث إلى أي شـخص. تلقائياً

أخذ يفكر بإيما، وما تمر به. لم يستسغ فكرة تعرفها بمفردها إلى جثة ابنها، وفكّر أن الطاقم في المستشفى سيطلبون منها التريث ريثما يصل زوجها.

لم يهتم هاري، لحقيقة أنه من بين الركاب الأوائل الذين يعبرون الأطلسي دون توقف حيث إنه لا يستطيع إلا أن يفكر في ابنه وكيف كان يتطلع إلى ذهابه إلى كامبريدج لبداية عامه الجامعي الأول، وهو الذي توقع لموهبة سيباستيان اللغوية أن تقوده للانضمام إلى وزارة الخارجية أو يصبح مترجماً أو مدرساً، أو ...

عندما انطلقت الطائرة رفض هاري كأس الشمبانيا التي قدمتها له مضيفة الطيران بابتسامة، ولكن كيف لها أن تعرف أن ليس لديه شيء ليبتسم من أجله؟! وهو لم يوضح لما هو يرفض الأكل أو النوم. درّب هاري نفسه على البقاء مستيقظاً لمدة ست وثلاثين ساعة خلف خطوط العدو في الحرب من خلال الأدرينالين المفرز جراء الخوف، وكان يعرف أنه لن يستطيع النوم قبل أن يلقي على ابنه النظرة الأخيرة، وشك أن ما يبقيه يقظاً اليوم هو أدرينالين اليأس.

* * *

قاد السيد أوين إيما بصمت عبر ممر قاتم حتى توقفا خارج باب مغلق بإحكام، كتب على زجاجه المحجر كلمة واحدة بأحرف سوداء «المشرحة». دفع السيد أوين الباب ليفتحه وتنحى جانباً للسماح لإيما بالدخول. أغلق الباب خلفها بقوة. لقد جعلها التغيير المفاجئ في درجة الحرارة ترتعش، ثم استقرت عينيها على سرير مدولب في وسط الغرفة كانت الملامح الضعيفة لجسد ابنها مرئية تحت الملاءة.

كان هناك مساعد طبي يقف عند مقدمة السرير لكنه لم يتحدث.

سألها السيد أوين بلطف: «هل أنتِ مستعدة سيدة كليفتون؟».

ردت إيما بحزم «نعم». وهي تغرز أظافرها براحة يدها.

أومأ أوين برأسه، فسحب المساعد الطبي الملاءة للكشف عن وجه مشوه بالنـدوب والإصابـات، وجـه عرفته إيما فـوراً. صرخت وخرّت على ركبتيها، وبدأت في نحيب خارج عن السيطرة.

لـم يتفاجـأ السـيد أوين والمسـاعد من رد الفعـل المتوقع هذا لأم ثكلى تـرى جثـة ابنهـا للمـرة الأولـى، لكنهما صدمـا عندما قالت بهـدوء: «إنه ليس سيباستيان».

الفصل الثاني

تفاجأ هاري عندما وجد إيما تنتظره بالقرب من باب المستشفى، وتفاجأ أكثر عندما رآها تركض نحوه وقد بدت مرتاحة.

وقبل أن تصل إليه صرخت: «سيباستيان على قيد الحياة».

وعندما همّ يقول: «لكنك أخبرتني أنه...» قاطعته واحتضنته.

وأخذت تشرح: «لقد أخطأت الشرطة، فقد ظنوا أن من يقود السيارة هو مالكها، فظنوا أن برونو من كان خلف المقود».

فسألها هاري بهدوء: «هل كان سيباستيان من يقود السيارة؟».

ردت إيما بأسف «نعم».

فسألها: «أتدركين ما معنى ذلك؟».

«لا، ماذا تقصد؟».

«من المؤكد أن الشرطة أخبرت مارتينيز أن ابنه قد نجا، والآن سيكتشف أن برونو من قُتِل وليس سيباستيان».

أومأت برأسها وقالت بينما كانا يدخلان المستشفى: «يا له من رجل مسكين».

قال هاري: «ما لم...» وقبل أن يكمل الجملة سألها بهدوء: «ما وضع سيباستيان الآن؟».

«حالته حرجة للغاية، أخبرني السيد أوين أن ما من عظام سليمة في جسده، يبدو أنه سيكون نزيل المستشفى لأشهر، وقد ينتهي به الأمر مقعداً».

طوق هاري كتفي إيما بذراعه وقال بامتنان: «لا يسعنا سوى شكر الله أنه على قيد الحياة، هل سيسمحون لي برؤيته؟».

«لدقائق فقط، قد لا تستطيع التعرف إليه فهو شبه مغطى بالضمادات والجبائر».

أمسكت إيما بيد زوجها، وقادته إلى الطابق الأول، ومرا بامرأة ترتدي زياً أزرق داكناً وكانت تشرف على المرضى ولا تكف عن إعطاء الأوامر لفريقها. عرفتهما إلى نفسها، ومدت يدها لمصافحتهما قائلة: «أنا الآنسة بوديكومب». «رئيسة الممرضين». همست إيما. صافحها هاري وقال: «طاب يومك».

من دون أن تتفوه بأي كلمة، قادتهما إلى جناح الرعاية ليجدا صفين أنيقين من الأسِرة، يشغلهما المرضى. ابتعدت بوديكومب حتى وصلت إلى مريض في أقصى نهاية الغرفة، وأزالت الستارة التي تحجب سرير سيباستيان آرثر كليفتون، ثم انسحبت. حدق هاري إلى ابنه. كانت ساقه اليسرى مرفوعة ببكرة، في حين كانت الأخرى مغطاة بالجبيرة ووُضعت مسطحة على السرير، ولُف رأسه بالضمادات. حرك إحدى عينيه لينظر إلى والديه، لكن شفتيه لم تتحركا. دنا هاري لتقبيله على جبهته، ولكن سيباستيان بادره بالسؤال عن برونو.

* * *

قال كبير المفتشين ميلز: «يؤسفني استجوابكما بعد ما مررتما به، لم أكن لأفعل ذلك ما لم يكن ذلك ضرورياً».

سأل هاري: «ولمَ هو ضروري؟».

«لست مقتنعاً أن ما جرى على الطريق A1 كان حادثاً».

سأل هاري وهو ينظر إلى المفتش مباشرة وسأله: «ماذا تقصد؟».

«لا أقصد شيئاً. لقد فحص جونيس من مكتبنا السيارة ويعتقد أن ما حصل هو أحد أمرين لا ثالث لهما».

سألت إيما: «مثل ماذا؟».

قال ميلز: «في البدء سيدة كليفتون لم نستطع إيجاد سبب لعبور ابنك

للجهة الأخرى في الطريق المعاكس والمخاطرة بالاصطدام بسيارة تأتي في مواجهته».

اقترح هاري: «قد يكون هناك خطب ما في السيارة؟».

ردّ ميلز: «هذا ما فكّرنا به في البدء، ولكن بالرغم من تحطم السيارة بالكامل إلا أن أياً من إطاراتها لم ينفجر، وعامود التحكم بالإطارين كان سليماً وهذا غير مألوف في حوادث من هذا النوع».

عندها قال هاري: «هذا دليل قاطع على وجود دوافع جرمية وراء الحادث».

قال ميلز: «لا يا سيدي، هذه المعطيات غير كافية لأحول الأمر إلى النيابة العامة، لكن ظهر شاهد مع بعض الأدلة المقلقة نوعاً ما».

«ماذا كان لديه ليقوله؟».

قال ميلز وهو يراجع دفتر ملاحظاته: «أخبرتنا السيدة شاليز أنه تم تجاوزها من قبل سيارة أم جي مكشوفة السقف وكانت على وشك تجاوز ثلاث شاحنات، كانت هذه القافلة من الشاحنات على الممر الداخلي عندما انتقلت الشاحنة الأمامية إلى الممر الخارجي بالرغم من أنه لم يكن هناك أي مركبة أمامها، وهذا عنى أنه توجب على قائد سيارة الأم جي الضغط على المكابح فجأة، ثم انتقلت الشاحنة الثالثة أيضاً إلى الممر الخارجي مرة أخرى دون سبب واضح في حين حافظت الشاحنة الوسطى على سرعتها وحاصرت الشاحنات السيارة دون أي منفذ للتجاوز أو الانتقال إلى الممر الداخلي. واستطردت السيدة شاليز أن الشاحنات بقيت محاصرة للسيارة لفترة طويلة حتى عبر قائدها إلى الجهة العكسية دون سبب واضح أيضاً في مواجهة حركة المرور القادمة».

سألت إيما: «هل استطعت استجواب أي من سائقي الشاحنات؟».

«لا لم نستطع الوصول إلى أي منهم سيدة كليفتون، لا تظني أننا لم نحاول».

سأل هاري: «لكن من سيرغب بقتل شابين بريئين؟».

«كنت لأتفق معكما، سيد كليفتون، ما لم نكتشف مؤخراً أن برونو مارتينيز لم يكن ينوي في الأصل مرافقة ابنك في رحلته إلى كامبريدج».

«كيف عرفت؟».

«لأن صديقته، الآنسة ثورنتون، أبلغتنا أنها كانت تخطط للذهاب إلى السينما مع برونو في ذلك اليوم، لكنها اضطرت للإعتذار في اللحظة الأخيرة لأنها تعاني من نزلة برد». جلب كبير المفتشين قلماً من جيبه، وقلّب صفحة من مفكرته ونظر مباشرة إلى والدي سيباستيان قبل أن يسأل: «هل لدى أي منكما سبب لنعتقد أن شخصاً يريد أذية ابنكما؟».

قال هاري «لا».

قالت إيما «نعم».

الفصل الثالث

«تأكد هذه المرة من إنهاء المهمة، لا ينبغي أن يكون الأمر صعباً». هذا ما قاله دون بيدرو مارتينيز بصوت أقرب للصراخ وهو يتوجه للجلوس في كرسيه». صباح الأمس كان بوسعي التجول في المستشفى بسهولة، وأعتقد أن الأمر سيكون أسهل في الليل».

سأله كارل بشكل مباشر: «كيف تريد التخلص منه».

أجابه مارتينيز: «لتنحر رقبته، كل ما تحتاج إليه رداء أبيض وسماعة طبيب ومبضع جراح وتأكد من حدته».

أجابه كارل: «لكن ليس من الحكمة نحر رقبته فالأفضل أن نخنقه بالوسادة وندعهم يعتقدون أنه توفي نتيجة إصاباته».

«لا، أريد أن يعاني ابن كليفتون ببطءٍ وألم، في الحقيقة كلما كان أبطأ كان أفضل».

«أتفهم شعورك سيدي لكن لا نريد أن نعطي المحقق المزيد من الأسباب لإعادة تحقيقه في الأمر».

بدا مارتينيز محبطاً: «حسناً اقتله خنقاً، ولكن احرص على إطالة الأمر قدر المستطاع ليتعذب».

«هل تريدني أن أشرك دييغو ولويس في الأمر؟».

«لا، لكني أريدهما أن يحضرا الجنازة كصديقين لسيباستيان حتى يتسقطا لنا الأخبار. أريد أن أسمع أنهم يعانون بقدر ما عانيت عندما عرفت أن برونو كان القتيل».

«لكن ماذا عن...».

رن هاتف مكتب دون بيدرو فرد قائلاً: «نعم؟».

قال السكرتير: «يريد الكولونيل سكوت هوبكنز مناقشة أمر خاص وعاجل معك».

* * *

عدَّل كل من الأربعة جدول مواعيده ليكونوا في مكتب رئيس الوزراء في داونينغ ستريت بحلول الساعة التاسعة صباح اليوم التالي.

ألغى السير آلان ريدماين أمين سر المجلس موعده مع السفير الفرنسي إم شافيل الذي كان يخطط لمناقشة الآثار المحتملة لعودة شارل ديغول إلى قصر الإليزيه.

لن يحضر السير جليز بارينغتون عضو البرلمان اجتماع حكومة الظل الأسبوعي لأنه كما أوضح للسيد جايتسكيل، زعيم المعارضة، هناك أمر عائلي طارئ يستدعي غيابه.

ولن يوقع هاري كليفتون نسخاً من كتابه الأخير «*Blood is Thicker than Water*» في هاتشارد بيكاديلي. حيث إنه وقَّع المئات من النسخ مقدماً لاسترضاء المدير الذي لم يتمكن من إخفاء خيبة أمله، خاصة بعد أن علم أن هاري سيتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً يوم الأحد.

أجّلت إيما كليفتون مقابلتها مع روس بيوكانان لمناقشة أفكار رئيس مجلس الإدارة لبناء سفينة ركاب فاخرة جديدة، الذي إن حاز على دعم المجلس سيتمكن من جعل السفينة جزءاً من أسطول الشركة.

اتخذ الأربعة أماكنهم حول طاولة بيضاوية في مكتب أمين سر مجلس الوزراء.

قال جليز: «إنه لطف منكم أن تلبوا طلب الدعوة في وقت قصير وأنا متأكد أن السيد والسيدة كليفتون قلقان على حياة ابنهما التي قد تكون في خطر».

قال ريدماين: «أنا أشاركهما قلقهما واسمحا لي التعبير عن بالغ أسفي

للحادث الذي تعرض له ابنكما سيدة كليفتون، على الأقل لأنني أشعر بالذنب لما حدث، وأؤكد لكما أنني لم أتباطأ في الأمر بل تحدثت في نهاية الأسبوع إلى السيد أوين والسيد ميلز وكانا متعاونين إلى أقصى الحدود، ولا بد لي أن أتفق مع السيد ميلز على أنه ليس هناك أدلة كافية تؤكد تورط دون بيدرو مارتينيز بالحادث». نظرت إليه إيما شزراً ما جعله يضيف سريعاً «ومع ذلك الإثبات وعدم وجود شك هما أمران مختلفان تماماً؛ وبعد معرفة أن مارتينيز لم يكن يعلم أن ابنه في السيارة في ذلك الوقت فقد استنتجت أنه يود الضرب مرة أخرى مهما بدا ذلك غير منطقي».

قال هاري: «العين بالعين»

ردّ عليه أمين سر مجلس الوزراء: «قد تكون محقاً؛ من الواضح أنه لم يسامحنا لأنه يعتقد أننا سلبناه ثمانية ملايين جنيه حتى لو كان كل ذلك ادعاءات، ربما لم يدرك أن الحكومة كانت وراء العملية، وما من شك أنه يعتقد أن ابنك مسؤول شخصياً عما حدث في ساوثمبتون، وأنا آسف جداً لذلك، لأني لم أتفهم مخاوفك وأخذها على محمل الجد بالقدر الكافي في ذلك الحين».

قالت إيما: «لكن ألست أنت من يتساءل دائماً أين ومتى سيضرب مارتينيز في المرة التالية؟ والدخول والخروج متاح للجميع وبسهولة للمستشفى كما لو أنها محطة حافلات».

قال ريدماين: «لا أستطيع نفي ما تقولينه فقد اختبرت ذلك بنفسي بالأمس». تسببت جملته هذه بصمت لحظي ما سمح له بالمتابعة: «أياً يكن الأمر ثقي سيدة كليفتون أنني اتخذت كل الإجراءات اللازمة لضمان عدم تعرض ابنك لمزيد من المخاطر».

سأل جليز: «هل يمكن أن تشارك السيد والسيدة كليفتون الأسباب وراء ثقتك هذه؟».

«لا سيد جليز، لا أستطيع».

تساءلت إيما: «لماذا لا تستطيع؟».

«لأني في هذه القضية اضطررت إلى إشراك وزيري الداخلية والدفاع فضلاً عن أني ملزم بالسرية».

احتجت إيما قائلة: «أي نوع من الهراء هذا؟ حاول ألا تنسى أننا نتحدث عن حياة ابني!».

قال جايلز: «إذا أصبح أي شيء من هذا القبيل علنياً، حتى بعد خمسين عاماً، سيكون من المهم ألا يظهر أنك أو هاري على علم بتورط وزراء العرش بالأمر».

قال أمين سر مجلس الوزراء: «أنا ممتن جداً لك سيد جليز».

قال هاري: «يمكنني التغاضي عن هذه الرسائل المشفرة التي تمررانها أحدكما للآخر وكأنني لم أسمعها، ولكنني أريد التأكد أن حياة ابني ليست معرضة للخطر، لأنه إن حدث شيء آخر لسيباستيان لن يكون هناك سوى شخص آخر ألومه».

«أقبل ما تقوله سيد كليفتون، ومع ذلك أستطيع أن أؤكد لك أن مارتينيز لم يعد يشكّل تهديداً لسيباستيان أو أي فرد من أفراد عائلتك».

بدا هاري متشككاً بالرغم من أن جليز بدا مقتنعاً بما قاله السيد ريدمان، وأدرك أنه سيصبح رئيساً للحكومة قبل أن يقبل أمين السر الكشف عن سبب ثقته، وربما حينها لن يكشف.

قال السيد ريدمان: «أياً يكن الأمر لا نستطيع أن ننسى أن مارتينيز شخص عديم الضمير وغادر، ولا أشك أنه لن يألو جهداً للانتقام، ولكن طالما لم يخرق القانون ولم نثبت قيامه بذلك، فقليلة هي الأشياء التي يمكننا القيام بها».

قالت إيما: «على الأقل سنكون مستعدين هذه المرة».

* * *

عند الساعة العاشرة إلا دقيقة طرق الكولونيل سكوت هوبكنز باب المنزل رقم 44 في إيتون سكوير، بعد لحظات فتح الباب الأمامي شخص عملاق أعاق طريق قائد القوات الجوية الخاصة.

«أنا سكوت هوبكنز، ولديّ موعد مع السيد مارتينيز».

انحنى كارل انحناءة طفيفة، وفتح الباب بالقادر الكافي لدخول الضيف، وقاده عبر الردهة، قبل أن يتوقفا أمام باب طرق كارل عليه.

«تفضل».

وقف دون بيدرو خلف مكتبه وحدق إلى الكولونيل ما إن دخل الغرفة وتفحصه، فلم تكن لديه أي فكرة لماذا يريد رجل القوات الجوية الخاصة رؤيته بصورة عاجلة.

بعد أن تصافحا سأله دون بيدرو: «قهوة كولونيل أو شيء أكثر قوة؟».

«لا شكراً سيدي، فالوقت لا يزال مبكراً بالنسبة إليّ».

«حسناً، تفضل بالجلوس وأخبرني لماذا طلبت مقابلة عاجلة، فأنا على ثقة أنك تعلم ازدحام جدول أعمالي».

«أنا فقط أدرك تماماً مدى انشغالك مؤخراً، بالتالي سأدخل مباشرة في الموضوع». حاول دون بيدرو ألا يظهر أي رد فعل، وبقي مستقراً في كرسيه، واستمر في التحديق إلى كولونيل.

«ما أريده بسيط وهو التأكيد على أن سيباستيان سيحظى بحياة طويلة وآمنة».

انسدل قناع الثقة المتغطرسة عن وجه مارتينيز، وعدّل جلسته لتكون مستقيمة وقال: «ما الذي تلمّح إليه؟».

«أظنك تعرف جيداً سيد مارتينيز، أياً يكن الأمر دعني أوضح لك، أنا هناك للتأكيد على وجوب عدم تعرض أي من عائلة كليفتون للأذى».

قفز دون بيدرو من مقعده وأشار بإصبعه للكولونيل: «سيباستيان أعز أصدقاء ابني».

«ليس لدي شك في ذلك سيد مارتينيز، لكن تعليماتي لا يمكن أن تكون أكثر وضوحاً، إنني أحذرك من أن يصيب مكروه سيباستيان أو أياً من أفراد عائلته، لأنه في هذه الحالة سيكون ولداك دييغو ولويس على متن أول طائرة متجهة إلى الأرجنتين، لن يكون ذلك في مقاعد الدرجة الأولى بل في صندوقين خشبيين».

صرخ مارتينيز وضرب الطاولة بقبضته: «أتعرف من تهدد؟».

«أحد رجال عصابات أميركا الجنوبية يظن أن امتلاكه للمال وسكنه في إيتون سكوير سيجعله من النبلاء».

ضغط دون بيدرو على زر أسفل مكتبه، وبعض لحظة فتح كارل الباب وعند دخوله قال: «ألقِ بهذا الرجل خارجاً» وأشار إلى الكولونيل «حتى أتصل بمحامي».

بينما كان كارل يتجه نحو الكولونيل قال له: «صباح الخير ملازم لنسدورف، كعضو سابق في القوات الخاصة، أعتقد أنك تستطيع تقدير موقف سيدك الضعيف». فتوقف كارل.

«حسناً دعني أنصحك إن لم يتبع السيد مارتينيز تعليماتي، فإننا نخطط لترحيلك إلى بيونيس آيرس حيث يعيش حالياً كثير من زملائك السابقين؛ لا، الأمر ليس بهذه البساطة، فلدينا خطط أخرى لك، حيث ستجد كثيراً من المواطنين الذين سيكونون سعداء جداً بإعطائهم دليلاً عن دورك كأحد ضباط هيلمر الموثوق بهم، والطرق التي استخدمتها للحصول على معلومات منهم».

قال دون مارتينيز: «أنت مخادع، ولن تفلت بهذا الأمر».

قال الكولونيل وهو ينهض من مقعده متجهاً صوب النافذة: «يا لقلة معرفتك

بالبريطانيين سيد مارتينيز، اسمحا لي أن أعرض لكما عينة ممن يعيشون على هذه الجزيرة» انضم كل من مارتينيز وكارل إليه وحدقا خارج النافذة، حيث كان يقف في الجهة المقابلة ثلاثة رجال لا يود أحد أن يكونوا أعداء له.

وضّح الكولونيل: «ثلاثة من أفضل الزملاء الموثوقين أحدهم سيراقبك ليلاً نهاراً، وجل أمانيه في الحياة أن تخطو خطوة خاطئة. على اليسار النقيب هارتلي الذي للأسف طرد من دراغن غاردز لسكبه البترول على زوجته وعشيقها اللذين كانا ينامان بسلام في ذلك الوقت قبل أن يشعل الكبريت، وأقدر أنكما تدركان أنه وجد صعوبة في إيجاد عمل بعد إطلاق سراحه، لكن الأمر اختلف عندما انتشلته من حياة الشوارع والضياع ووضعت لحياته هدفاً».

ابتسم هارتلي لهم كما لو أنه يعرف أنهم يتحدثون عنه.

«في الوسط العريف كران؛ نجار يستمتع بنشر أي شيء يصل إليه سواء أكان خشباً أو عظاماً فالأمر سيان بالنسبة إليه». كان كران يحدق إليهم. «لكني أعترف أن المفضل لي هو الرقيب روبرتس، مسجل كمعتل اجتماعياً؛ غير مؤذ معظم الوقت لكن يؤسفني أنه لم يعتد الحياة المدنية بعد الحرب، وربما لا ينبغي أن يعرف أنك صنعت ثروتك من تعاونك مع النازيين وهذا ما جعلك تقابل الملازم لنسدورف. لكن النبأ السار أنني لن أشارك روبرتس هذه المعلومات ما لم تزعجني لأنه كما ترى فوالدته يهودية».

ابتعد دون بيدرو عن النافذة ليجد كارل يحدق إلى الكولونيل وبدا جلياً عليه أنه سيكون سعيداً إن خنق الكولونيل لكنه تقبل فكرة أنه ليس الوقت أو المكان المناسبين.

قال سكوت هوبكنز: «أنا سعيد للغاية أنني استحوذت على انتباهكما، وأشعر الآن بثقة أنكما ستعملان ما هو في مصلحتكما، طاب يومكما أيها السيدان، سأجد طريقي للخارج لا تتعبا نفسيكما».

الفصل الرابع

قال رئيس مجلس الإدارة «لدينا الكثير للقيام به لتغطية جدول اليوم، لذلك سأُقدر عالياً إن كانت مساهمة زملائي المديرين قصيرة ومباشرة».

لقد قدرت إيما نهج روس بيوكانان في إدارة اجتماعات مجلس الإدارة، فهو لم يبدِ أي تفضيل لمدير على آخر، ودائماً ما يصغي باهتمام لمن يطرح وجهة نظر مخالفة لرأيه، وفي بعض الأحيان يقتنع بوجهة النظر هذه، كما أنه يمتلك القدرة على تلخيص نقاش معقد مع التأكد من تقديم وجهات نظر الجميع بشكل جيد. تعرف إيما أن بعض أعضاء المجلس يظنون أن تصرفاته الأسكتلندية فظة، لكنها تعتقد أنها عملية في بعض الأوقات، وكانت تتساءل كيف كانت لتتصرف لو كانت مكانه، ولكنها سرعان ما طردت هذه الفكرة من رأسها وركزت على أهم بنود جدول الأعمال. في المساء، تدربت إيما على ما ستقوله مع هاري الذي لعب دور رئيس مجلس الإدارة.

وبمجرد أن قام فيليب وبستر، سكرتير الشركة، بقراءة محضر الاجتماع الأخير وأجاب عن الأسئلة، انتقل الرئيس إلى البند الأول على جدول الأعمال: اقتراح بعرض المجلس مناقصة لبناء أم في باكينغهام، سفينة ركاب فاخرة ستضاف إلى أسطول بارينغتون.

أعلم بيوكانان المجلس أنه يرى بجلاء ضرورة بناء هذه السفينة إذا كانت شركة بارينغتون تأمل أن تستمر واحدة من شركات النقل الرائدة. وقد وافق العديد من أعضاء المجلس على ذلك.

بمجرد أن طرح الرئيس قضيته، دعا إيما إلى تقديم وجهة نظرها، التي عرضت مخاوفها بشأن فوائد القرض المصرفي الذي تعتزم الشركة اقتراضه،

وأعلنت أنها لا ترغب بالمجازفة بمثل هذا المبلغ الكبير لتشييد سفينة فرص نجاحها في أحسن الأحوال هي 50 بالمئة.

أما السيد أنسكوت، المدير التنفيذي الذي عينه السير هوغو بارينغتون، فقال إن الوقت قد حان لدفع القارب، بينما رأى الأدميرال سمرز أن المضي قدماً في هذا المشروع يجب أن يسبقه الاستحصال على موافقة المساهمين.

ذكّر بيوكانان الأدميرال قائلاً: «نحن من في المواجهة. لذا، نحن من يجب علينا اتخاذ القرارات». تجهم الأدميرال لكنه لم يرد بأي كلمة، فقد كان صوته عند التصويت سيكون أبلغ ردّ.

استمعت إيما بإنصات إلى رأي كل عضو من أعضاء المجلس، وسريعاً ما أدركت أن المديرين منقسمون وأن واحداً أو اثنين لا يزالان مترددين، ولكنها اعتقدت أنه في حال التصويت سيكون رأي رئيس مجلس الإدارة هو المرجح.

بعد مرور ساعة على الاجتماع ظلت الآراء متباعدة، وبدا أن المديرين يجترون حججهم وهذا ما أغضب بيوكانان بوضوح، ولكن إيما كان واثقة أن القرار سيؤجل، لأن هناك أموراً أخرى يجب التداول بشأنها واتخاذ القرار.

وبالفعل قال رئيس مجلس الإدارة: «لا يمكننا مناقشة هذا الأمر لوقت أطول. لذا، أقترح أن يفكر كل عضو من الأعضاء الكرام ملياً، لأنني أرى أن مستقبل الشركة على المحك. لذا أتمنى أن نصوت في اجتماعنا القادم بعد شهر على طرح مناقصة بشأن بناء السفينة أو استبعاد الأمر برمته».

اقترحت إيما: «أو على الأقل الانتظار حتى تتبلور الأمور».

انتقل الرئيس لاستكمال باقي بنود جدول الأعمال التي كانت أقل إثارة للجدل. ومع الوقت سأل بيوكانان عما إذا كان هناك أي عمل آخر، حيث حلت أجواء أكثر هدوءاً محل الأجواء الملتهبة السابقة.

قال سكرتير الشركة: «لديّ معلومة ومن واجبي أن أطلع المجلس عليها، لا يمكننا التغافل عن أن سعر أسهمنا قد ازداد بشكل مطرد خلال الأسابيع

القليلة الماضية، وقد نتساءل لماذا؟! حيث إننا لم نقم بأي إعلان هام، ولم نعلن عن الأرباح مؤخراً، ولكن بالأمس حلت المعضلة عندما تلقيت خطاباً من مدير بنك ميدلاند يخبرني فيه أن أحد عملائه يملك سبعة ونصف بالمائة من أسهم الشركة وبالتالي سيعين وكيلاً لتمثيله في المجلس.

قالت إيما دعني أخمن: «لا يمكن أن يكون سوى الرائد اليكس فيشر».

قال رئيس مجلس الإدارة على غير عادته دون اهتمام وحرص: «أخشى ذلك».

سأل الأدميرال: «وهل هناك أي جوائز لتخمين من سيمثل؟!».

ردّ بيوكانان: «لا، لأنك ستكون مخطئاً، بالرغم من أنني أعترف أنني للوهلة الأولى ظننت أنها صديقتنا القديمة الليدي فيرجينيا فينويك ومع ذلك فإن مدير ميدلاند أكد لي أنها ليست من عملاء ميدلاند، وعندما ضغطت عليه قال بأدب أنه لن يتمكن من الكشف عن تلك المعلومات، وهي الطريقة اللبقة التي يستخدمها المصرفيون للإشارة إلى أن على المرء الاهتمام بأمور وألا يحشر نفسه في ما لا يعنيه».

قالت إيما وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة: «لا يمكنني الانتظار لمعرفة كيف سيصوت الرائد بشأن بناء السفينة باكينغهام».

قال بيوكانان: «إيما كوني متأكدة أنني لا أريد هذا النكرة أن يكون الشخص الذي يقلب الموازين بأي شكل».

لم تكن إيما قادرة على الكلام.

من الصفات المثيرة للإعجاب التي يتمتع بها الرئيس قدرته على وضع أي خلافات في وجهات النظر مهما كانت جوهرية جانباً بعد انتهاء اجتماع مجلس الإدارة.

بعدما انضم بيوكانان إلى إيما لتناول مشروب ما قبل الغداء سألها: «ما آخر أخبار سيباستيان؟».

«قالت المشرفة على حالته إنها راضية تماماً عن تقدمه، ويسعدني القول إنني أرى تحسناً ملحوظاً في كل مرة أزور فيها المستشفى، لقد أزيلت الجبيرة عن ساقه اليسرى، ولديه الآن عينان يرى فيهما كل شيء وهو يرى أن خاله جايلز هو الرجل الأفضل ليحل محل غيتسكل كزعيم لحزب العمال، ويرى أن عدادات ركن السيارات مجرد حيلة أخرى من الحكومة لتنتزع المزيد من المال الذي نكسبه بصعوبة».

قال روس: «أنا أوافقه في الرأيين، لنتمنى له الشفاء الكامل والعاجل».

«يبدو أن جرّاحه يعتقد ذلك. لقد أخبرني السيد أوين أن الجراحة الحديثة حققت تقدماً سريعاً خلال الحرب، لأن الكثير من الجنود كانوا بحاجة إليها دون وجود الوقت للحصول على آراء ثانية وثالثة. لو أن الحادث حصل قبل ثلاثين عاماً كان الأمر سينتهي بسيب على كرسي مدولب».

«أمازال يأمل في الذهاب إلى كامبريدج الفصل القادم؟»

«أعتقد ذلك، لأنه تلقى زيارة من مشرفه مؤخراً، وأخبره بأنه يمكن أن يستعيد مكانه في بيتر هاوس في سبتمبر، وأعطاه بعض الكتب للقراءة».

«أظنه سيبلي بلاء حسناً هناك».

«لطفاً منك قول هذا، لأنه مؤخراً بدأ يظهر قدراً كبيراً من الاهتمام بأمور الشركة وهذا ما فاجأني، فهو يقرأ كل محاضر جلسات مجلس الإدارة من البداية للنهاية، حتى إنه أشترى عشرة أسهم ما يعطيه الحق القانوني في تتبع كل ما نقوم به وأستطيع أن أقول لك يا روس إنه لا يخجل في التعبير عن آرائه حتى في ما يتعلق بخطة بناء السفينة المقترحة».

قال بوكانان: «لا شك أنه متأثر برأي والدته المعروف في هذا الأمر».

قالت إيما: «لا، يبدو أن شخصاً آخر يلهمه في هذا الموضوع بالتحديد». وانفجرت إيما بالضحك.

* * *

نظر هاري من النهاية البعيدة لطاولة الإفطار وترك صحيفته وقال: «لا أستطيع أن أجد أي شيء مثير للاهتمام في صحيفة التايمز هذا الصباح».

أخذت إيما رشفة من القهوة قبل العودة إلى صحيفتها الديلي اكسبريس.

«يبدو أن السيدة فيرجينيا فينويك، بدأت بإجراءات الطلاق من كونت ميلانو، ويعتقد ويليام هيكي أن فرجينيا ستحصل جراء تسوية الطلاق على حوالى 250،000 جنيه إسترليني، بالإضافة إلى شقة في لوندز سكوير، فضلاً عن عقارات في بيركشاير».

«يعد عائداً مجزياً بعد عامين من العمل المضني».

«وبالطبع ذُكر جايلز».

«هكذا يكون الحال دائماً كلما تصدرت فيرجينيا العناوين الرئيسية».

قالت: «صحيح، ولكن على نحو مغاير تماماً». وعادت إلى صحيفتها. «هناك توجه واضح لأن يكون زوج الليدي فرجينيا الأول السيد جايلز بارينغتون وزيراً في الحكومة الجديدة في حال فاز حزب العمال بالانتخابات».

«أعتقد أن ذلك مستبعد».

«أن يصبح جايلز وزيراً؟»

«لا، أقصد أنه من المستبعد أن يفوز حزب العمال بالانتخابات».

تابعت إيما: «لقد أثبت السيد جايلز أنه عضو فعال في المجلس، وقد ارتبط مؤخراً بالدكتورة غوينيث وهي على نقيض تام من فرجينيا».

قال هاري وبالعودة إلى صحيفته التايمز: «لن تحبذ فيرجينيا ذلك لكن لديها الكثير لتفعله غير ذلك الآن».

قالت إيما: «لا تكن متأكداً من ذلك، فلديّ شعور أن هذه العقربة لن تكف عن اللدغ».

* * *

كل أحد يتوجه هاري وإيما من غلوسيسترشاير إلى هارلو برفقة جيسيكا

لزيارة سيباستيان، فجيسيكا لا تفوت فرصة لرؤية أخيها الأثير، وفي كل مرة تغادر فيها إيما بوابة مانور هاوس متجهة إلى مستشفى برنسس الكساندرا لا تستطيع أن تطرد من مخيلتها ذكرى أول مرور لها على هذه الطريق، يوم كانت تظن أن ابنها قد توفي في حادث سيارة. كانت إيما شاكرة فقط لعدم محادثتها لجليز أو جريس لاطلاعهما على الأخبار ولأن جيسيكا كانت تخيم في كوانتوكس في كشافة الفتيات عندما هاتفها المشرف. فقط هاري المسكين أمضى أربعاً وعشرين ساعة يعتقد أنه لن يمتع عينيه برؤية ابنه مرة أخرى.

اعتقدت جيسيكا أن الزيارات إلى سيباستيان هي المنصة التي تستطيع من خلالها تقديم أعمالها الفنية. وبعد أن غطت كل بوصة من جبيرة سيباستيان برسومات عن العائلة والأصدقاء، انتقلت إلى جدران المستشفى. وعلقت المشرفة كل رسمة جديدة في الممر خارج الجناح، لكنها اعترفت أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تصل رسومات جيسيكا إلى الممر في الطابق الثاني. وأملت إيما أن يغادر سيباستيان المستشفى قبل أن تصل رسومات جيسيكا إلى صالة الاستقبال، وكانت دائماً ما تشعر بالحرج كلما قدمت ابنتها أحدث أعمالها إلى المشرفة.

قالت الآنسة بيديكومب: «لا داعي للحرج سيدة كليفتون يجب أن تري بعضاً من التلطيخات التي قدمت لي من الآباء الشغوفين، التي يفترض بي أن أعلقها في مكتبي. أياً يكن الأمر، عندما تصبح جيسيكا فنانة مشهورة سأبيع رسوماتها بمبالغ طائلة وأبني جناحاً جديداً بالمستشفى من العائد.

لم تكن إيما بحاجة إلى تذكير بموهبة ابنتها، فهي تعلم ما تخطط له الآنسة فيلدينغ من أجل الحصول على منحة في مدرسة سليد للفنون الجميلة، وتبدو واثقة من النتيجة.

ذات مرة أخبرتها الآنسة فيلدينغ قائلة: «إنه تحدٍّ كبير سيدة كليفتون أن تعلمي من هو أكثر موهبة منك».

عندها أجابتها إيما: «لا تخبريها بذلك رجاءً».

ردت الآنسة فيلدينغ: «الكل يعرفون ذلك، ونحن نطمح لأشياء أعظم في المستقبل، لن يتفاجأ أحد عندما تمنح مكانة في مدارس رويال الأكاديمية».

بدت جيسيكا السعيدة أنها لا تعلم بأمر موهبتها الفريدة، من بين أشياء كثيرة لا تعلمها. لقد لفتت إيما نظر هاري إن الأمر أصبح مسألة وقت قبل أن تعرف جيسيكا من هو والدها الحقيقي، واقترحت أن تعرف ذلك من أحد أفراد الأسرة وليس من شخص غريب. رفض هاري تحمل عبء شرح الأمر لجيسيكا بينما قبل جايلز وجريس القيام بذلك وإخبارها أنهما وإيما وهي إخوة من أب واحد هو السيد هوغو بارينغتون، وإخبارها عن دور والدتها في وفاة والدهم المفاجئة.

في اللحظة التي ركنت فيها إيما سيارتها الأوستين A30 في مرأب سيارات المستشفى قفزت جيسيكا، وأخذت لوحاتها تحت إبطها ولوحاً من شوكولاته كادبري بالحليب في يدها الأخرى، وركضت نحو سيباستيان. لم تعتقد إيما أن أحداً قد يحب ابنها أكثر منها، لكن إن كان هناك أحد فهي جيسيكا.

بعد دقائق من دخول إيما جناح ابنها بدت مندهشة وممتنة لوجوده على كرسي مدولب وقد غادر السرير للمرة الأولى، وفي اللحظة التي رآها دفع الكرسي نحوها وأعطاها قبلتين على وجنتيها وكانتا أول قبلتين يمنحهما إياها بعد. في تلك اللحظة تساءلت إيما متى تتوقف الأم عن تقبيل أطفالها والرجال اليافعون يبدأون بتقبيل أمهاتهم؟

بينما كانت جيسيكا تخبر أخاها عما قامت به خلال الأسبوع المنصرم، تمددت إيما على السرير تصغي بسعادة لمآثر جيسيكا للمرة الثانية. وبمجرد أن توقفت عن الحديث لبرهة بعد حديث طويل، حصل سيباستيان على فرصة للتحدث إلى والدته وقال: «أعدت قراءة محضر اجتماع المجلس الأخير هذا الصباح، أنتِ تدركين أن الرئيس سيدعو إلى التصويت في الاجتماع المقبل،

وهـذه المـرة لـن تكونـي قادرة على تجنب اتخاذ قرار بشـأن المضي قدماً في بناء باكينغهام».

لم تعلق إيما، بل نظرت إلى جيسيكا التي أخذت ترسم الرجل العجوز النائم على السرير المجاور.

قـال سيباسـتيان: «لـو كنـتُ مكانـه لتصرفت مثلـه. من تعتقدين سـيربح التصويت؟».

قالـت إيمـا: «لن يكسـب أحـد لأنه مهما كانت النتيجة سـيبقى المجلس منقسماً حتى يتضح من هوعلى صواب».

«لنتمنَّ ألا يحدث ذلك، لأن هناك مشكلة أكبر تفترض أن تعملي ورئيس مجلس الإدارة بتناغم على التصدي لها، وهي تتمثل بالرائد فيشر».

«فيشر؟».

أومأ سيباستيان: «وحده الله يعرف كيف سيصوت بشأن بناء باكينغهام».

«سيصوت فيشر تبعاً لتوجيهات دون بيدرو مارتينيز».

سأل سيباستيان: «لماذا أنت متأكدة أن دون بيدرو هو من اشترى الأسهم وليس الليدي فيرجينيا».

«وفقـاً لمـا ذكـره ويليام هيكي في الديلي اكسـبريس، فرجينيا تمر بتجربة طـلاق وتسـوية وبالتالـي يجـب أن تكـون مركزة على ما ستكسـبه من كونت ميلانو وليس على ما ستنفقه. وأياً يكن الأمر لديّ أسبابي الخاصة لاعتقادي أن مارتينز وراء عملية شراء الأسهم الأخيرة».

قال سيباستيان: «لقد توصلت للنتيجة نفسها، وذلك عندما فكرت بما قاله لـي برونـو عندمـا كنا في طريقنا إلى كامبريدج، بأن والده اجتمع مع شـخص هام وورد اسم بارينغتون خلال الاجتماع».

قالت إيما: «إن كان ما تقول صحيحاً، سيدعم فيشر رئيس مجلس الإدارة، لا لسبب إلا للحيلولة دون فوز جايلز مرة أخرى بالانتخابات».

«حتى وإن كان، لا تعتقدي أنه يريد أن تُبنى باكينغهام بسلاسة بالإضافة إلى أنه سيصطاد بالمياه العكرة متى سنحت له الفرصة للإضرار بالشركة من خلال السعي لعرقلة التمويل على المدى القصير أو تلطيخ سمعة الشركة على المدى البعيد. تذكري أن أهدافه العامة عكس أهدافك تماماً. أنت تريدين أن تنجح الشركة وهو يريدها أن تفشل».

مكتبة
t.me/t_pdf

«لماذا قد يريد ذلك؟».

«أظن أنك تعرفين الإجابة هذه أيضاً يا أمي».

انتظر سيباستيان ليرى كيف ستجيب لكنها ببساطة غيرت الموضوع: «كيف لك أن تكون حكيماً جداً فجأة؟».

أضاف سيباستيان دون توضيح: «لا داعي للتساؤل، فأنا أتلقى دروساً يومية من خبير، ومما يزيد من الاستيعاب أنني الطالب الوحيد».

«وماذا قال لك الخبير أنه يفترض بي القيام به من أجل ثني مجلس الإدارة عن التصويت لصالح بناء باكينغهام؟».

«لقد جاء بخطة تؤمن لك فوزك في التصويت في الجلسة القادمة».

«هذا غير ممكن في ظل انقسام رأي الأعضاء».

«بلى، هذا ممكن إن لعبتَ لعبة مارتينيز نفسها».

«إلى ماذا تلمح؟».

قال سيباستيان: «بما أن العائلة تمتلك 22 في المائة من أسهم الشركة، لديك الحق في تعيين عضوين آخرين في مجلس الإدارة. لذلك كل ما عليك القيام به هو اختيار الخال جليز والخالة جريس، ويمكن أن يدعماكِ عندما يتعلق الأمر بتصويت حاسم. وبهذه الطريقة لن يمر موضوع البناء».

قالت إيما «لا يمكنني القيام بذلك أبداً».

«لِمَ لا، طالما أن الأمر بالغ الأهمية؟»

«لأنه سيقوض موقف روس بيوكانان كرئيس. وإذا خسر هذا التصويت

الهام بسبب وقوف العائلة بوجهه، فما من شك أنه سيستقيل، وهذا ما سيقدم عليه وكلاء آخرون».

«لكن قد يكون ذلك العائد الأفضل للشركة على المدى البعيد».

«من الممكن، لكن علي أولاً أن أسعى للفوز بالنقاش في ذلك اليوم ولا أعتمد على تعديل التصويت من خلال اللجوء إلى الأساليب المبتذلة».

«عزيزتي، لن يقدرك أحد أكثر مني لبحثك الدائم عن الطريق الأخلاقي الأسمى، لكن عند التعامل مع أناس من أمثال مارتينيز كوني على ثقة أن الأخلاقيات تقود إلى نتيجة واحدة. لذا، إلجئي إلى الأساليب المبتذلة ونامي قريرة العين. فالرئيس ومارتينيز ومن يمثله سيلجأون إلى أحط الأساليب إن كانت ستؤمن لهم مصالحهم». وأردف بهدوء بعد صمت طويل: «أمي، عندما استيقظت للمرة الأولى بعد الحادث، وجدت دون بيدرو يقف بجانب السرير بالقرب من رأسي». ارتعدت إيما. «كان يبتسم، وقال: كيف حالك، يا صبي؟». هززت رأسي فقط، بعد ذلك أدرك أنني لست برونو. لن أنسى نظرته حينها مهما حييت». بقيت إيما صامتة. «ماما، ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لتخبريني لماذا يسعى مارتينيز للانتقام من عائلتنا؟ لأنه لم يكن من الصعب جدا فهم أنه كان يقصد أن يقتلني على طريق A1، وليس ابنه».

الفصل الخامس

قال الطبيب الشرعي أثناء فحصه للجثة عن قرب «أنت دائماً غير صبور أيها الرقيب ووريك».

فخاطبه المحقق سائلاً «لكن حضرة الطبيب يمكنك أن تخبرني على الأقل كم بقيت الجثة في الماء؟».

كان هاري يراجع الكلمات ويعدل «قد بقيت» إلى «بقيت» ومحا كلمة «فقط» عندما رن الهاتف. ترك قلمه وأجاب على الهاتف: «نعم».

«هاري، هذا أنا هارولد غوينزبرغ، تهاني لقد وصلت للمرتبة الثامنة هذا الأسبوع».

يتلقى هاري مكالمة هاتفية مساء كل خميس ليعرف المكانة التي وصل إليها في قائمة الأكثر مبيعاً لهذا الأحد. «هذا الأسبوع التاسع على التوالي في قائمة الخمسة عشر الأفضل».

كان هاري في المرتبة الرابعة في الشهر الماضي وهي أعلى مرتبة وصل إليها، على الرغم من أنه لم يخبر إيما إلا أنه يأمل بالانضمام إلى تلك المجموعة المختارة من الكُتاب البريطانيين، الأمر الذي سيجعله في القمة على ضفتي الأطلسي. كانت رواية «آخر اثنين من أسرار ويليام ووريك» رقم 1 في بريطانيا لكن تصدرها في الولايات المتحدة لا يزال بعيد المنال.

قال غوينزبرغ كما لو أنه يقرأ أفكار هاري: «أرقام المبيعات هي كل ما يهم حقاً، وعلى كل حال أنا واثق من أنك ستصعد إلى مكانة أعلى عند طرح النسخ ذات الغلاف الورقي في مارس». لم يغفل هاري عن كلمة أعلى وليس الرقم واحد، «كيف حال إيما؟».

«تحضر لخطاب (لماذا يجب على الشركة عدم بناء سفينة ركاب فاخرة في الوقت الراهن)».

قال هارولد: «لا تبدو مثل الأكثر مبيعاً بالنسبة إليّ، حسناً أخبرني كيف حال سيباستيان؟»

«يتحرك على كرسي مدولب لكن جرّاحَه أكد أن ذلك لن يدوم طويلاً وسيسمحون له بالخروج للمرة الأولى الأسبوع القادم».

«عظيم، هل يعني ذلك أنه سيعود إلى المنزل؟».

«المشرفة على حالته لم تسمح له بالسفر لمسافة طويلة كهذه بعد، لكن يمكن أن يقوم بزيارة لكامبريدج ليرى مشرفه ويتناول الشاي مع خالته».

«يبدو ذلك لي أسوأ من المدرسة، على كل حال لن يطول الأمر حتى يهرب».

«أو يُطرد، لا أدري أيهما قد يحدث أولاً».

«لم قد يطردونه؟»

«واحدة أو اثنتان من الممرضات أبدتا اهتماماً أكبر لسيباستيان في كل ميعاد لتغيير ضماداته وأخشى أن سيباستيان يجاريهما».

قال هارولد: «رقصة السبع أحجيات» فضحك هاري: «هل لا يزال يطمح أن يلتحق بكامبريدج في سبتمبر القادم؟»

«أكاد أقول نعم، لكنه تغير كثيراً بعد الحادث، لذلك لن أتفاجأ إن حدث غير ذلك».

«كيف تغير؟».

«لا أستطيع التحديد، لكنه نضج على نحو لم أتوقعه منذ عام مضى، وأظن أنني اكتشفت لماذا».

«يبدو الأمر مثيراً للاهتمام».

«إنه كذلك، سوف أطلعك على تفاصيل الأمر عندما أراك المرة القادمة

في نيويورك».

«هل عليّ أن أنتظر طوال هذه المدة؟».

«نعم، لأنها مثل كتاباتي لا أعرف ماذا سيحدث عندما أطوي الصفحة».

«حسناً أخبرني عن فتاتنا باستفاضة».

قال هاري «حتى أنت يا هارولد».

«أرجوك أن تخبر جيسيكا بأنني صادرت رسوماتها من مانور هاوس في الخريف لدراستها بجانب روي ليشتينستين».

«من هو روي ليشتينستين».

«إنه أحدث بدعة في نيويورك، لكنني لا أعتقد أنه سيدوم طويلا. أنا أرى جيسيكا أفضل منه بأشواط».

«أشك أنها قد تكون سمعت عنه».

«قبل أن أنهي المكالمة هل يمكنني أن أسال كيف يسير تقدم رواية ويليام وورويك؟».

«ستشهد تقدماً أسرع إن لم يقاطعني أحد باستمرار».

قال هارولد: «آسف، لم يخبروني أنك تكتب».

«في الحقيقة، يعاني ويليام من مشكلة عويصة، ولأكون أكثر دقة أنا الذي أعاني».

«هل يمكنني أن أساعدك؟».

«لا، لأنك الناشر ولأنني المؤلف».

قال هارولد بإصرار: «أي نوع من المشكلات؟»

«وجد جثة زوجته السابقة في قاع البحيرة، لكنه متأكد أنها قُتلت قبل أن تغرق في ماء البحيرة».

«حسناً ما هي المشكلة؟».

«مشكلتي أنا، أم ويليام ووريك؟».

«ووورويك أولاً».

«يجب عليه الانتظار أربعاً وعشرين ساعة قبل أن يضع يديه على تقرير الطبيب الشرعي».

«ومشكلتك أنت؟».

«لدي أربع وعشرون ساعة قبل أن أقرر ما يجب أن يكون في هذا التقرير».

«هل يعرف ووورويك من قتل زوجته السابقة؟».

«ليس متأكداً، حيث هناك خمسة مشتبه بهم حالياً، وكل منهم لديه دافع... وعذر أيضاً».

«لكني أفترض أنك تعرف من فعلها؟».

اعترف هاري: «لا، لا أعرف، وإن كنت لا أعرف كيف للقارئ أن يعرف».

«أليست مخاطرة؟»

«بالطبع هي كذلك، لكنها أيضاً تجعل الأمر أكثر تحدياً لكلينا أنا والقارئ».

«لا أطيق صبراً على قراءة المسوّدة الأولى».

«وأنا أيضاً».

«آسف، سأتركك ترجع إلى جثة زوجتك السابقة في البحيرة وسأحدثك مرة أخرى في ميعادنا الأسبوعي لنرى إن كنت قد وجدت من أغرقها في البحيرة».

عندما أنهى غوينزبرغ الاتصال أعاد هاري سماعة الهاتف إلى موضعها ونظر إلى الورقة أمامه وحاول أن يركز.

«حسناً، ما رأيك بيرسي؟»

«الوقت مبكر جداً لعمل تقييم دقيق، سأحتاج لإرجاعها للمعمل للقيام ببعض الاختبارات قبل أن أعطيك الحكم المرجو».

سأل ووورويك «متى يمكنني الحصول على التقرير الأولي؟»

«ويليام أنت دائماً غير صبور...».

بحث هاري، وفجأة أدرك من أرتكب الجريمة.

* * *

بالرغم من أنها لم تكن قادرة على قبول اقتراح سيباستيان للتعاون مع جايلز وجريس في المجلس للتأكد من أنها لن تخسر في التصويت الحاسم فكرت أن من واجبها إبقاء أختها وأخيها على علم بالأحداث الجارية أولاً بأول. كانت إيما فخورة بتمثيل عائلتها في المجلس بالرغم من أنها تعرف أن كلاً من شقيقيها غير مهتمين بما يحدث خلف الأبواب المغلقة لبارينغتون طالما يتلقيان أرباحهما الربع سنوية.

كان جايلز مشغولاً بمسؤولياته في مجلس العموم، وأصبح أكثر انشغالاً بعدما دعاه غيتسكيل للانضمام إلى حكومة الظل. ذلك يعني أنه نادراً ما يُرى في دائرته بالرغم من توقع حصوله على مقعد هامشي، بينما يزور في الوقت نفسه البلدان التي صوتت على ما إذا كان ينبغي السماح لبريطانيا بالانضمام إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية. بيد أن حزب العمل كان قد تقدم في استطلاعات الرأي منذ عدة أشهر، وكان جايلز يأمل أن يعين وزيراً في الحكومة التي ستشكل بعد الانتخابات. لذا كان آخر شيء يحتاجه هو أن يُصرف انتباهه إلى «مشكلة في مهب الريح».

سعد هاري وإيما عندما أعلن جليز خطبته من غونيث، ليس في العمود الاجتماعي للتايمز، لكن في حانة أوستريك في قلب دائرته.

صرّح جريف هاكينز وكيل دائرته الانتخابية: «أريد أن أراك عريساً قبل الانتخابات القادمة ولو تستطيع غونيث أن تكون حاملاً في الأسبوع الأول من الحملة سيكون أفضل».

تنهد جيلز: «يا للرومانسية».

قال جريف: «أنا لست مهتماً بالرومانسية، أنا هنا للتأكد من وجودك

فـي مجلـس العموم بعـد الانتخابات القادمة، لأنك أدرى مني بأن عدم فوزك بالانتخابات سيطيح بفرصك لتصبح وزيراً».

أراد جايلز أن يضحك لكنه يعرف أن جريف على حق.

سألت إيما التي انضمت إليهما: «هل تم تحديد الموعد؟».

«للزفاف أم للانتخابات العامة؟»

«للزفاف يا أحمق».

قال جيلز: «من الممكن أن يكون في السابع عشر في دائرة كاتب العدل في تشلسي».

«إنـه نقيـض لسـانت مارغريـت ويستمنسـتر، لكن على الأقـل أتمنى أن نحصل أنا وهاري على دعوة».

قال: «لقد طلبت من هاري أن يكون أشبيني» وأردف بابتسامة «لكني لم أقرر بشأنك».

كان مـن الممكـن أن يكـون التوقيت أفضل، لكـن الفرصة الوحيدة التي سـنحت لإيما أن ترى شـقيقتها كانت في المسـاء قبل اجتماع مجلس الإدارة الحاسم. قالت إنها كانت على اتصال بالفعل مع هؤلاء المديرين الذين كانت واثقـة مـن موقفهـم، فضلاً عن واحد أو اثنين شـعرت بأنهمـا مترددان. لكنها أرادت أن تـدع جريـس تعـرف أنهـا لا تـزال غيـر قادرة على التنبـؤ بأي اتجاه سينتهي التصويت.

كانت جريس أقل اهتماماً من جليز بشؤون الشركة. حتى أنها نسيت مرة أو مرتين قبض أرباحها الربع سنوية. وقد تم تعيينها مؤخراً مدرسة أولى في نيونهام، لذلك نادراً ما تغادر ضواحي كامبريدج.

في بعض الأحيان، استطاعت إيما إغراء شقيقتها بالقدوم إلى لندن بدعوة لحضور الأوبرا في الدار الملكية، ولكنها كانت تشترط أن تكون الدعوة لحفلة بعد الظهر وليس المساء ما يتيح لها فرصة تناول العشاء واللحاق بآخر قطار

عائد إلى كامبريدج. فكما أوضحت جريس، لا تستطيع النوم في سرير غريب، وهي التي وصفتها أمها ذات مرة بالانفتاح من ناحية والانغلاق من ناحية أخرى.

لقد لجأت إيما للإغراءات المعتادة لدعوة شقيقتها إلى لندن، وتبين أن جريس لم تستطع مقاومة إغراء مشاهدة أوبرا لوشينو فيسكونتي من فيردي دون كارلو، وبعد الأوبرا وأثناء العشاء أوضحت إيما عواقب استثمار مثل هذا المبلغ الكبير من احتياطي رأس مال الشركة في مشروع واحد. أصغت جريس لإيما بصمت وهي منهمكة في تناول سلطتها الخضراء وكانت تعلق بين الحين والآخر، ولكنها لم تتكلم قبل أن تذكر إيما اسم فيشر.

قالت جريس وفاجأت أختها: «هو أيضاً مقدم على الزواج خلال أسابيع».

«يا إلهي، من هي التي ستتزوج من هذا الخسيس».

«يبدو أنها سوزي لامبتون».

«لماذا يبدو هذا الاسم مألوفاً لي؟».

«لقد كانت في مدرسة ريد مايدز عندما كنت فتاة يافعة، لكنها أصغر منك بعامين، لذلك من غير المرجح أنك تتذكرينها».

«الاسم فقط، حسناً هذا دورك لتذكريني».

«كانت سوزي بالغة الجمال في السادسة عشرة من عمرها، وكانت تعرف ذلك. وبمجرد مرورها كان الفتيان يقفون ويحدقون إليها فاغرين أفواههم. بعد المدرسة لحقت بأول قطار متاح للذهاب إلى لندن لتضع صورها على أغلفة مجلات عارضات الأزياء الرائدة، وبمجرد وصولها إلى عالم الأزياء لم تخفِ سوزي حقيقة سعيها للحصول على زوجٍ غني».

«إن كان الأمر كذلك ففيشر ليس بالصيد المهم».

«ربما لم يكن في ذلك الوقت، ولكن الآن بعد أن أصبحت في الثلاثينات،

وخفت بريقها في الاستعراض، قد يكون وكيل المليونير الأرجنتيني فرصتها الجيدة الأخيرة».

«هل يمكن أن تكون بائسة إلى هذا الحد».

ردت جريس: «نعم، للأسف».

«لقد هُجرت مرتين، إحداهما على أعتاب المذبح. وعرفت أنها أنفقت أموالها التي أعطتها المحكمة إياها بعد فوزها بقضية خرق الوعد حتى أنها رهنت خاتم الخطوبة».

قالت إيما بهدوء: «امرأة مسكينة».

أكدت عليها جريس بقولها: «لا تقلقي على سوزي، تلك الفتاة تمتلك درجة من الدهاء التي لن تجديها في المناهج الدراسية في أي جامعة» وأضافت قبل إنهاء قهوتها «أذكرك أني لا أعرف أيهما قد أشعر بالأسف حياله، لأني لا أظن أن الارتباط سيستمر لوقت طويل». حدقت جريس إلى ساعتها وقالت: «عليّ الرحيل، لا يمكنني المخاطرة بتفويت القطار الأخير». قبلت أختها قبلتين على وجنتيها وتركت المطعم ونادت على سيارة الأجرة.

ابتسمت إيما عندما شاهدت شقيقتها تختفي في سيارة أجرة سوداء. قد لا تكون الحياة الاجتماعية أبرز نقاط قوتها، ولكنها كانت واثقة أنها لم ولن تحب امرأة أكثر منها. ما من شك أن جريس ستكون أيقونة التدريس في كامبريدج للأجيال الحالية والقادمة.

عندما طلبت إيما الفاتورة لاحظت أن شقيقتها تركت بعض الجنيهات بجانب طبقها، إنها امرأة لا تقبل أن تكون مدينة لأي شخص حتى وإن كان ذلك الشخص شقيقتها وتوأم روحها.

* * *

سلم الإشبين العريس خاتماً ذهبياً بسيطاً، وضع جايلز الخاتم في إصبع الآنسة غونيث.

صرح كاتب العدل: «الآن أعلنكما زوجاً وزوجة، يمكنك تقبيل العروس». عندها صفق كل من السيد جايلز والسيدة بارينغتون. جرى حفل الاستقبال الذي أعقب ذلك في كادوجان أرمز في طريق الكينغ. بدا جايلز عازماً على جعل الأمر يبدو واضحاً للجميع بأنه مختلف تماماً عن أول حفل زفاف له.

عندما دخلت إيما الحانة، لاحظت هاري يتحدث إلى وكيل جيلز، الذي رسم ابتسامة كبيرة على وجهه. كان جريف يشرح لهاري، قبل أن يشرب كأسه الثالثة من الشمبانيا: «يحصل المرشح المتزوج على أصوات أكثر بكثير من التي يحصل عليها المرشح المطلق».

كانت جريس تتحدث إلى العروس، التي كانت، منذ وقت ليس ببعيد، إحدى طالبات الدكتوراه لديها. غونيث ذكرتها أنها التقت جايلز للمرة الأولى في حفل لجريس أقامته للاحتفال بعيد ميلادها.

«كان عيد ميلادي مجرد عذر لهذه الحفلة بالذات»، قالت جريس دون تفسير.

حولت إيما انتباهها إلى هاري، الذي كان قد انضم للتو إلى ديكينز، مما لا شك فيه أنهما يتبادلان القصص عن تجاربهما المختلفة لكونهما أشبينيّ جيلز. لم تتذكر إيما إذا كان ألغرنون الآن أستاذا في أكسفورد؛ كان يبدو وكأنه في سن السادسة عشرة، وحتى لو لم يهذب تلك اللحية الشعثاء كان يمكن أن يبدو بنفس الهيئة.

ابتسمت إيما عندما وجدت جيسيكا تجلس على الأرض ترسم صورة على ظهر ورقة الخدمة، وحولت نظرها إلى سيباستيان الذي سُمح له بالخروج من المستشفى لحضور هذه المناسبة على أن يعود قبل الساعة السادسة مساءً. فوجدته يتحدث مع خاله بينما جايلز ينحني وينصت باهتمام لما يقوله ابن أخته، لا تحتاج لتخمين ما هو الموضوع الذي يناقشانه.

قال سيباستيان: «لكن إن خسرت إيما التصويت فلن تستطيع بارينغتون

الإعلان عن الأرباح المعتادة لها فيما بعد وبالتالي لن تحصل على الأرباح الربع سنوية المعتادة».

«هل هناك أي أخبار جيدة؟»

«نعم، إن كان روس بيوكانان محقاً بشأن العوائد التي قد يدرها عمل السفينة وبدأ في تشغيلها فيمكن لبارينغتون أن تطمح لمستقبل لامع، وأنت يمكنك أن تصبح وزيراً من دون الخوف من أن تتعايش على راتب الوزير».

«عليّ القول إنني سعيد لاهتمامك بعمل العائلة، وأتمنى أن تستمر في ذلك عند تخرجك من كامبريدج».

قال سيباستيان: «يمكنك الوثوق بذلك، لأنه لا يمكنني الانشغال سوى بمستقبل الشركة ومع الوقت يمكنني تولي منصب رئيس مجلس الإدارة».

قال جايلز بشغف يظهره للمرة الأولى: «هل تعتقد أنه يمكن لآل بارينغتون أن يتبوأوا هذا المنصب».

«قد يبدو غير محتمل، لكن تعيين الرائد فيشر مرة أخرى في المجلس يبدو أمراً غير مساعد، لأنني مقتنع بأن اهتمامه بالشركة يتعارض تماما مع اهتماماتنا. في الواقع، إذا كان دون بيدرو مارتينيز هو من عينه، فأنا لا أعتقد أن الحفاظ على الشركة يندرج ضمن مخططاتهما».

«أنا واثق أن إيما وروس بيوكانان سيحصلان على تصويت أكبر من فيشر وحتى بوجود مارتينز».

«ربما، ولكن تذكر أنهما لا يغنيان دائماً في انسجامٍ تام، ومن المؤكد أن يحاول فيشر الاستفادة من ذلك. وحتى لو أحبطا فيشر على المدى القصير، فكل ما عليه القيام به هو الانتظار بضع سنوات وكل شيء سيقع بين يديه».

قال جيلز: «إلى ماذا تلمح؟».

«ليس سراً أن روس بيوكانان يعتزم التقاعد في المستقبل القريب، علمت أنه اشترى مؤخراً منزلاً في بيركشاير يقع في مكان ملائم بالقرب من ثلاثة

ملاعب غولف ونهرين، ما يتيح له الانغماس في تسليته المفضلة. لذلك لن يطول الأمر قبل أن تبحث الشركة عن رئيس مجلس إدارة جديد».

«لكن إن كان بيوكانان يعتزم التقاعد فبالتأكيد والدتك ستكون الخيار الواضح لتحل مكانه؟ على كلٍ هي عضو من العائلة ونحن مازلنا نملك اثنين وعشرين بالمائة من الأسهم».

«لكن مع ذلك، اكتسب مارتينيز نسبة اثنين وعشرين بالمائة وربما أكثر، لأننا نعرف حقيقة أنه مازال يشتري أسهم بارينغتون متى طرحت في السوق، واعتقد أنه يمكننا التخمين من سيختار عندما يتعلق الأمر برئاسة مجلس الإدارة».

الفصل السادس

عندما دخلت إيما قاعة اجتماع المجلس صباح الجمعة، لم تكن مندهشة من وجود معظم المديرين قبلها، لأن الموت وحده كان يقبل كعذر لعدم حضور هذا الاجتماع بالتحديد، هذا ما دعاه جايلز تعليمات عليا.

كان رئيس المجلس يتحدث إلى الأدميرال سمرز، ولم يكن مفاجئاً أن يتحدث انسكوت إلى شريكه في الجولف جيم نوليز اللذين أكدا سابقاً لإيما أنهما سيدعمان رئيس المجلس عند اللجوء إلى التصويت. انضمت إيما إلى أندي دوبس وديفيد ديكسون اللذين وضحا أنهما سيدعمانها.

كان فيليب ويبستر سكرتير الشركة ومايكل كاريك المدير المالي يدرسان التخطيط الفني للسفينة الفاخرة الذي كان موجوداً على طاولة المجلس بجانب شيء ما لم تره إيما من قبل وهو نموذج مصغر لباكينغهام أم في. كان عليها أن تعترف أنه بدا مغرياً جداً والأولاد تحب الدمى.

قال أندي دوبس لإيما عندما فُتح باب المجلس ودخل العضو العاشر: «لقد بات الحسم وشيكاً».

بقي أليكس فيشر بجانب الباب، وبدا متوتراً، كالولد في يومه المدرسي الأول، يتساءل إن كان الأولاد الآخرين سيتحدثون إليه، لكن رئيس المجلس كسر الجليد وعبر القاعة لتحيته، شاهدت إيما مصافحة روس للعضو الجديد بشكل رسمي، ولم يبدُ أنه يصافح زميلاً موقراً. فعندما يتعلق الأمر بفيشر فإيما وبيوكانان متفقان على الرأي بشأنه.

عندما دقت ساعة الجد الأكبر في زاوية القاعة معلنة العاشرة، توقفت المحادثات على الفور، وأخذ المديرون مقاعدهم المخصصة حول طاولة

المجلس، وبدا فيشر مثل اللاعب في لعبة الكراسي الموسيقية الذي يبحث عن كرسي فارغ ليجلس عليه، وفي النهاية جلس بالقرب من إيما لكنه لم ينظر إليها.

قال رئيس المجلس: «صباح الخير، هل يمكنني أن افتتح الجلسة بالترحيب بالمدير الجديد السيد فيشر؟».

فقط شخص واحد قال بصوت مكتوم: «موافقون، موافقون» لكنه لم يكن يعرف فيشر من قبل.

«إنها الفترة الثانية للسيد فيشر في المجلس، لذلك هو معتاد على طقوسنا، والولاء الذي نتوقعه من أي عضو مجلس إدارة عند تمثيل هذه الشركة العظيمة».

رد فيشر قائلاً: «شكراً لك سيدي الرئيس، أود أن أعرب عن سعادتي لعودتي إلى المجلس ودعوني أؤكد لكم أنني سأقوم بما هو في مصلحة شركة بارينغتون».

قال رئيس المجلس: «إنني ممتن لسماعي هذا، أياً يكن الأمر من واجبي أن أذكرك كأي عضو جديد في المجلس بالقانون المعمول به في المجلس الذي يحظر بيع وشراء أي من أسهم الشركة من دون إشعار مبدئي بتبادل الأسهم وهذا ينطبق على سكرتير المجلس أيضاً».

شعر فيشر أنه في حال كان هذا السهم موجه إليه فقط أخطأ الهدف، لأنه ببساطة أومأ برأسه وابتسم، سجل السيد ويبستر كلمات الرئيس في محضر الجلسة، وكانت إيما على الأقل ممتنة أنها سُجلت هذه المرة.

بعد أن تمت قراءة محضر الاجتماع الأخير والموافقة عليه، قال الرئيس: «لا يمكن لأعضاء المجلس أن يغفلوا عن أن هناك بنداً واحداً فقط على جدول أعمال اجتماع اليوم. كما تعلمون جميعاً، أشعر بأن الوقت قد حان لاتخاذ قرار من شأنه أن يقرر مستقبل بارينغتون وأعتقد أنني لا أبالغ، إن

قلت إن هذا القرار سيؤثر على مستقبل واحد أو اثنين ممن يخدمان الشركة في الوقت الحاضر».

من الواضح أن العديد من المدراء تفاجأوا من ملاحظات بيوكانان الافتتاحية، وبدأوا يهمسون. فقد اعتبروا ما قاله بمثابة تهديد ضمني بأنه سيستقيل من رئاسة المجلس إن لم يكن التصويت في صالحه.

كانت مشكلة إيما أنها لم يكن لديها قنبلة ترد بها. فهي لا يمكنها التهديد بالاستقالة، لعدة أسباب، ليس أقلها عدم وجود أي فرد آخر من أفراد العائلة مهتماً بتولي مكانها في المجلس، بالرغم من أن سيباستيان قد نصحها أن تتنحى عن عضوية مجلس الإدارة إذا لم تفوز بالتصويت، ويمكن لها ولجيلز بيع أسهمهما، والتي من شأنها أن تكون لها مميزات مزدوجة لإعطاء الأسرة ربحاً سخياً، وهذا ما يلحق بمارتينيز هزيمة نكراء.

نظرت إيما إلى صورة السير والتر بارينغتون وسمعت جدها يقول: «لا تفعلي يا ابنة أي شيء قد تندمين عليه لاحقاً».

قال روس بيوكانان: «بكل ما للكلمة من معنى علينا مناقشة أمر لا يمكن تأجيله، وأتمنى أن يعبر جميع المديرين عن آراءهم دون خوف أو اعتبار لأي كان» وألقى بقنبلته الثانية «وبأخذ ذلك في الاعتبار اقترح أن تفتتح السيدة كليفتون النقاش ليس فقط لأنها من المعارضين لخطتي لبناء سفينة الركاب الجديدة في الوقت الحالي، بل لأنه يجب أن لا ننسى أنها تمثل نسبة اثنين وعشرين بالمائة من أسهم الشركة وهي حفيدة السير جوشا بارينغتون مؤسس هذه الشركة منذ مائة عام مضت».

كانت إيما تأمل أن تكون من بين الأشخاص الأخيرين الذين يدلون بدلوهم، لأنها كانت تدرك أن الرئيس هو من سيختتم النقاش، وبما أنها ستكون من أوائل المتكلمين فإن كلماتها ستفقد الكثير من تأثيرها مع انتهاء النقاشات، ولكن بالرغم من ذلك، فقد عقدت العزم على سرد حججها

محاولة إقناع الأعضاء بكل ما أوتيت من قوة.

قالت: «شكرا لك، سيدي الرئيس». ونظرت إلى أوراق ملاحظاتها «هل لي أن أبدأ بالقول إنه مهما كانت نتيجة مناقشة اليوم، فأنني أعلم أننا جميعاً نأمل أن تستمر في قيادة هذه الشركة لسنوات عديدة قادمة».

عندها سمعت كثيرين يؤيدون ما قالته، وشعرت بأنها وضعت دبوس القنبلة مرة أخرى في مكانه.

«كما ذكرنا رئيس مجلس الإدارة، فإن جدي الأكبر أسس هذه الشركة منذ أكثر من مئة عام. كان رجلاً لديه موهبة ومهارة مميزتان في إيجاد الفرصة بينما في الوقت نفسه كان قادراً على تخطي المآزق بالمهارة نفسها. أنا فقط أتمنى لو كان لدي رؤية السير جوشوا، لأنه حينها سأكون قادرة على إخبارك – وأشارت إلى الخطة الفنية– إن كانت هذه فرصة أم مأزقاً، وملاحظتي الواضحة على هذا المشروع أنه لا يجب وضع كل البيض في سلة واحدة، أنا أعتبر أن وضع كل البيض في سلة مشروع بناء هذه السفينة فيه مخاطرة كبيرة يمكن أن تجعلنا نندم لاحقاً طوال حياتنا. أنا أتوقع أن تشهد عمليات نقل الركاب بالسفن تدهوراً في القريب، وهذا ما يظهر من خلال إعلان شركتي شحن كبيرتين عن تحقيقهما خسائر هذا العام، ولهذا برأيي علاقة طردية بازدهار صناعة الطائرات. فليس من قبيل الصدفة انخفاض أعداد ركابنا عبر المحيط الأطلسي مع ارتفاع عدد ركاب الطائرات في الفترة نفسها، والحقائق بسيطة عندما يعود الأمر لرجال الأعمال فهم بالطبع يودون الوصول إلى اجتماعاتهم في أسرع وقت ممكن ومن ثم العودة إلى ديارهم بأسرع ما يمكن وهذا أمر مفهوم تماماً. قد لا نرغب في تغيير ولائنا، ولكن سيكون من الغباء تجاهل عواقبه على المدى البعيد، وأعتقد أنه يجب علينا التمسك بالعمل الذي أعطى بارينغتون شهرة عالمية؛ نقل الفحم والسيارات ومركبات الخدمة الثقيلة والصلب والمواد الغذائية وغيرها من السلع، وترك الركاب ليكونوا عالة على

الآخرين. أنا واثقة أننا إن واصلنا العمل في مجالنا الأساسي في سفن الشحن التي لديها كبائن لحوالي اثني عشر راكباً أو نحو ذلك، فإن الشركة ستنجو في هذه التحولات الاقتصادية، وستستمر في الإعلان عن أرباح سنوية معقولة، ما يمنح مساهمينا عائداً ممتازاً على استثماراتهم. أنا لا أريد أن أقامر بكل مال هذه الشركة الذي أدخره بعناية على مر السنين».

فكرت إيما وهي تقلب الصفحة أن الوقت حان لإلقاء قنبلة.

والدي، السير هوغو بارينغتون لن نجد له أي لوحة زيتية في هذه الشركة، والسبب بسيط أن إدارته لها لم تكن جيدة. ولذلك تأمل الشركة أن تكون مهارة السيد بيوكانان المبدعة سبيلاً لاستعادة الشركة مجدها وثروتها وليس النزول بها إلى الحضيض. بالنسبة إليّ، اقتراح الرئيس الأخير بشأن بناء باكينغهام يعتبر خطوة بعيدة جداً عن مساره الإداري المعتاد، وبالتالي آمل أن يرفض المجلس اقتراحه، لصالح الاستمرار في أعمالنا الأساسية، والتي خدمتنا بشكل جيد جداً في الماضي. ولذلك أدعو المجلس للتصويت ضد هذا القرار».

كانت إيما مسرورة لرؤية أن عضواً أو اثنين من كبار أعضاء المجلس اللذين كانا في السابق مترددين أصبحا واثقين الآن من الموافقة. عندما انتهت إيما من كلامها دعا بيوكانان المدراء الآخرين للمساهمة بآرائهم وبعد ساعة قدم كل واحد منهم رأيه، باستثناء اليكس فيشر الذي بقي صامتاً.

«سيد فيشر، بعد أن سمعت آراء زملائك، ربما ترغب أن تشارك أفكارك مع المجلس».

قال فيشر سيدي الرئيس: «خلال الشهر الماضي، درست المحاضر من اجتماعات مجلس الإدارة السابقة حول هذا الموضوع بالذات، وأنا واثق من شيء واحد فقط: لا يمكننا تحمل المماطلة لفترة أطول، ويجب اتخاذ قرار اليوم» انتظر فيشر توقف الهمهمات قبل أن يتابع قائلاً:

«لقد استمعت باهتمام إلى زملائي المديرين، ولا سيما السيدة كليفتون،

التي شعرت بأنها قدمت عرضاً مدروساً جيداً وناقشت بشغف كبير، وذكرتنا بعلاقة عائلتها الطويلة مع الشركة. ولكن قبل أن أقرر كيف أدلي بصوتي، يجب أن يوضح لنا الرئيس لماذا يرى أنه من الضروري المضي قدماً في بناء باكينغهام في الوقت الحاضر، وأنا لا أزال بحاجة إلى أن أقتنع بأنه أمر يستحق المخاطرة، وليس خطوة في المجهول، كما اقترحت السيدة كليفتون».

قال الأدميرال: «رجل حكيم».

تساءلت إيما للحظة إن كانت قد أخطأت بالحكم على فيشر، وأنه حقاً يكن اهتماماً بالغاً للشركة من قلبه، وبعدها تذكرت مثال سيباستيان بأن الفهود لا تغير مواضعها.

قال بيوكانان: «شكراً، لك سيد فيشر».

لم تشك إيما أنه على الرغم من كلماتها المعدة والمقدمة بشكل جيد، فإن عقل فيشر كان مبرمجاً، وأنه سوف ينفذ تعليمات مارتينيز بالحرف. غير أنها لا تزال لا تعرف ما هي تلك التعليمات.

بدأ الرئيس حديثه بالقول: «أيها السادة الأعضاء تدركون جيداً وجهة نظري حول هذا الموضوع، أعتقد أن القرار الذي سنتخذه اليوم هو جواب على هذا السؤال: هل هذه الشركة على استعداد لاتخاذ خطوة إلى الأمام، أم نحن راضون بالعمل ناقلي بضائع؟ لا يجب أن أذكركم أن كونارد أطلقت مؤخراً سفينتين جديدتين للركاب، وبي أند أو لديها كانبيرا قيد الإنشاء في بلفاست، وونيون-كاسل تضيف وندسور كاسل وترانسفال كاسل إلى أسطول جنوب أفريقيا، في حين نجلس نحن ونشاهد منافسينا ينهبوننا السيطرة على أعالي البحار. لن يكون هناك وقت أفضل لبارينغتون للدخول في أعمال الركاب عبر الأطلسي. تشير السيدة كليفتون إلى أن أعداد الركاب لدينا ينخفض، وهي على حق. ولكن هذا فقط لأن أسطولنا قديم، ولأننا لم نعد نوفر لعملائنا الخدمة الاستثنائية التي لا يمكنهم العثور عليها في مكان آخر

بأسعار أكثر تنافسية، إذا قررنا اليوم ألا نفعل شيئاً، وننتظر ببساطة اللحظة المناسبة كما اقترحت السيدة كليفتون، سيستفيد آخرون بالتأكيد من غيابنا ويتركوننا واقفين على رصيف الميناء لا نفعل شيئاً سوى التلويح كالمتفرجين، صحيح ما أشار إليه السيد فيشر أنها مخاطرة، ولكن هذا ما يكون رجال الأعمال الكبيرة أمثال السير جوشوا دائماً على استعداد للقيام به. اسمحوا لي أن أذكر أن هذا المشروع ليس مخاطرة مالية كما اقترحت السيدة كليفتون -مشيراً إلى نموذج السفينة المصغر-لأنه يمكننا أن نغطي قدراً كبيراً من نفقات بناء السفينة الرائعة من احتياطاتنا الحالية، ولن نحتاج إلى اقتراض مبالغ كبيرة من المصارف لتمويلنا، ولدي شعور أن السير جوشوا لو كان معنا لوافق أيضاً على ذلك (توقف بيوكانان ونظر حول الطاولة إلى زملائه المديرين) أعتقد أننا اليوم سنصوت على إما البقاء واقفين لا نفعل شيئاً بحيث نبقى في مكاننا بأحسن الأحوال، أو إعطاء الشركة فرصة لولوج المستقبل وتولي القيادة في عالم النقل، كما كانت قبل قرن بناء على ما تقدم أطلب من مجلس الإدارة دعم اقتراحي، والاستثمار في المستقبل».

لم تكن إيما متأكدة من مسار التصويت بالرغم من الكلمات التي أثارها الرئيس وجاءت لحظة بيوكانان لإلقاء قنبلته الثالثة.

«سأدعو سكرتير الشركة الآن للطلب من كل مدير توضيح ما إذا كان مع أو ضد الاقتراح».

افترضت إيما أنه وتماشياً مع الإجراء العادي للشركة سيكون الاقتراع سرياً، وظنت أن الإقتراع السري سيمنحها فرصة أفضل لتأمين الأغلبية. ومع ذلك، أدركت أنه إذا كان لها أن تثير اعتراضاً في هذه المرحلة المتأخرة، فإنه سيعتبر علامة على الضعف، وذلك من شأنه أن يلعب في صالح بوكانان.

استخرج السيد وبستر ورقة واحدة من ملف أمامه، وقال: «أعضاء مجلس الإدارة مدعوون للتصويت على قرار مقترح من قبل الرئيس لدعم خطته في

بناء سفينة ركاب، أم في باكينغهام، في الوقت الحاضر».

طلبت إيما إضافة الكلمات الأربع الأخيرة إلى القرار، حيث أعربت عن أملها في إقناع بعض الأعضاء الأكثر تحفظا في المجلس بتخصيص تصويتهم.

افتتح سكرتير الشركة دفتر محضر الاجتماع وقام بقراءة أسماء أعضاء مجلس الإدارة واحداً تلو الآخر.

«السيد بوكانان»

«لصالح الاقتراح» أجاب الرئيس «بدون تردد»

«السيد نولز» أجاب «مؤيد»

«السيد ديكسون» أجاب «ضد»

«السيد أنسكوت» أجاب «مؤيد»

وضعت إيما علامة إيجابية أو سلبية قبل كل اسم في القائمة وحتى الآن لم تكن هناك مفاجآت لها.

«الأدميرال سمرز» أجاب بنفس القدر من الحزم «ضد»

لم تكن إيما قادرة على تصديق ذلك لقد غيّر الأدميرال رأيه ما يعني أنه إذا كان الجميع ثابتاً على موقفه، فلا يمكن لها أن تخسر.

«السيدة كليفتون» أجابت «ضد»

«السيد دوبس» أجاب «ضد»

«السيد كاريك» كان المدير المالي متردداً وأخبر إيما أنه ضد الأمر برمته لتأكده بأن التكاليف باهظة بالرغم من تأكيدات بيوكانان، لكنه همس «مؤيد».

شتمت إيما في داخلها ووضعت علامة إيجابية بجانب اسم كاريك، وأعادت فحص قائمتها لتجد خمسة أصوات مقابل خمسة أصوات. تحول جميع الأعضاء لمواجهة عضو المجلس الجديد، الذي سيحسم التصويت.

إيما كليفتون وروس بيوكانان على وشك اكتشاف كيف سيصوت دون بيدرو مارتينيز.

دون بيدرو مارتينز

1959-1958

الفصل السابع

مكتبة
t.me/t_pdf

«بصوت واحد؟»

قال العضو المنتدب «نعم».

«حسناً، أخيراً بات شراء هذه الأسهم له منفعة استثمارية».

«ماذا تريدني أن أفعل لاحقاً؟»

«اذهب لدعم رئيس المجلس في الوقت الحالي، لأنه لن يمر وقت طويل قبل أن يحتاج إلى دعمك مرة أخرى».

«لا أظن أنني أفهم جيداً».

«لا يجدر بك أن تفهم».

نهض دون بيدرو من مكتبه، وتوجه ناحية الباب، وتبعه فيشر عندها قال: «انتهى الاجتماع».

«كيف حال الحياة الزوجية معك يا سيادة العضو».

كذب فيشر «لا يمكن أن تكون أفضل».

قال مارتينيز وهو يعطي العضو مغلفاً ناهداً: «يسرني ما أسمعه منك».

سأله فيشر: «ما هذا؟»

أجابه مارتينيز بينما كان كارل يفتح الباب الأمامي: «مكافأة بسيطة على العمل الكبير الذي أديته».

قال فيشر وهو يضع المغلف في جيب سترته الداخلي: «لكني مدين لك؟».

قال مارتينيز عندما لاحظ شخصاً يتظاهر بقراءة الديلي تايمز في الجهة المقابلة من الطريق: «أنا واثق أنك ستدفع لي بالتأكيد».

«أمازلت تريدني أن آتي إلى لندن قبل اجتماع المجلس القادم؟».

«لا، لكن عندما تعلم على من رسا عقد بناء باكينغهام اتصل بي».

أجابه: «كن على ثقة أنك أول من سيعلم». حينما ألقى على رئيسه الجديد التحية قبل سيره في اتجاه ساحة سلون. لم يتبعه الرجل الذي كان يقف في الجهة المقابلة من الطريق، ولكن بعد ذلك، عرف الكابتن هارتلي إلى أين كان يتجه. ابتسم دون بيدرو بينما كان يعود مرة أخرى إلى المنزل.

«كارل، أخبر دييغو ولويس أنني أريد رؤيتهما حالاً بوجودك».

انحنى كبير الخدم وهو يغلق الباب الأمامي ويتأكد من أنه لا يزال في صورة نموذجية كلما كان يراقبه أي شخص، عاد دون بيدرو إلى مكتبه، جلس إلى مكتبه، وابتسم وفكر في الاجتماع الذي عقد للتو. هذه المرة لن تحبط محاولته للقضاء على العائلة برمتها وليس أحد أفرادها، ولم تكن لديه النية بإخبار العضو عن الخطوة التالية. كان لديه شعور بأنه على الرغم من منافعه القليلة إلا أن قواه تخور في أول مهب لعاصفة وذلك يعطيه حدوداً لمدى قدرته للتقدم وإعطائه الثقة. لم ينتظر دون بيدرو طويلاً قبل أن يطرق الباب وينضم إليه ثلاثة من الرجال الذين يثق بهم وهما ولداه وجلسا على المقعدين على جانبي المكتب ما ذكره بغياب ابنه الأصغر بالإضافة إلى كارل الذي بقي واقفاً.

«لقد انتهى اجتماع مجلس الإدارة على أفضل ما نتمنى، فقد تقرر المضي ببناء باكينغهام بفارق صوت واحد، وكان هذا الصوت عائداً لعضونا في المجلس، ولم يعد ينقصنا سوى معرفة الحوض الذي سترسو عليه عملية البناء، وحتى نعرف لا يسعني المضي قدمنا في القسم الثاني من الخطة». تدخل دييغو وقال: «قد يكون ذلك مكلفاً، هل لديك أي فكرة كيف سنقوم بتغطية تكاليف هذه العملية بالكامل؟». رد دون بيدرو: «نعم، سأسطو على مصرف».

* * *

ذهب الكولونيل سكوت هوبكنز إلى حانة كليرنس قبل الظهيرة، وكانت على بعد مئتي ياردة من داونينغ ستريت، ويعرفها ويتردد عليها السياح. ترجل هناك، وطلب نصف كأس مزدوجة من الجين والصودا.

وضع الكولونيل فلورين على الطاولة، وأخذ الشراب، وشق طريقه إلى الجانب البعيد عن عيون المتطفلين، ووضع الشراب على طاولة صغيرة من الخشب مغطاة بحلقات من آثار أكواب البيرة والسجائر. نظر إلى ساعته، فنادراً ما يتأخر رئيسه في العمل حتى في المشكلات، كان لديه عادة الظهور في اللحظة الأخيرة، لكن ذلك لم يحدث اليوم لأن أمين سر مجلس الوزراء ترجل إلى الحانة بعد لحظات وتوجه إلى الكوة.

وقف الكولونيل وألقى عليه التحية: «صباح الخير سيدي». لم يكن يتوقع أن يناديه سيد آلان لكن ذلك بات مألوفاً جداً.

«صباح الخير بريان، أرجو أن تزودني بمعلومات جديدة، فليس لدي سوى دقائق قليلة أستطيع المكوث فيها معك».

«من الجلي أن مارتينيز وولداه دييغو ولويس وكارل يعملون كفريق واحد، ومع ذلك بعد زيارتي لمارتينيز لم يقترب أي منهم إلى مستشفى برنسس الكساندرا في هارلو أو زار بريستول».

قال السيد آلان وهو يحمل نظارته: «من الجيد معرفة ذلك، لكن هذا لا يعني أن مارتينيز لا يعمل على شيء آخر حيث إنه ليس بالرجل الذي يستسلم بسهولة».

«أنا متأكد أنك على حق سيدي، لكن عدم قدرته على الذهاب إلى بريستول لا يعني أن بريستول لن تأتي إليه».

رفع أمين سر المجلس حاجبيه

«اليكس فيشر يعمل حالياً بشكل كامل لصالح مارتينيز، لقد عاد إلى

مجلس إدارة بارينغتون وهو يزود رئيسه الجديد بالأخبار مباشرة مرة أو اثنتين أسبوعياً في لندن».

احتسى أمين السر كأسه المزدوجة من الجين بينما كان ينظر في آثار كلمات الكولونيل. أول شيء كان عليه القيام به هو شراء بعض الأسهم في بارينغتون للشحن حتى يمكنه إرسال نسخة من المحضر بعد كل اجتماع لمجلس الإدارة.

«هل من شيء آخر؟».

«نعم لقد حدد مارتينيز موعداً مع محافظ بنك إنجلترا الخميس المقبل عند الحادية عشرة».

«حسناً، نحن بصدد معرفة كم يملك من العملات فئة الخمسة جنيهات المزورة».

«لكني أعتقد أننا أحرقناها في ساوثمبتون في يونيو الماضي».

«لم نحرق سوى ما أخفاه في التمثال. لكنه كان يهرب كميات صغيرة من بيونس آيرس خلال السنوات العشر الماضية قبل أن يعرف أي منا ما ينوي عليه».

«لماذا لا يرفض المحافظ ببساطة التعامل معه في حين نعرف جميعاً أنها مزورة».

«لأن المحافظ أبله كبير، يرفض تصديق أن أي شخص يستطيع صنع نسخ متطابقة من عملته الثمينة فئة الخمسة جنيهات، لذلك مارتينيز على وشك مبادلة جميع قناديله القديمة بأخرى جديدة ولا يوجد ما يمكنني فعله في ذلك الأمر».

«يمكنني دائماً قتله».

قال السيد آلان ريدماين ولم يكن متأكداً من أن سكوت هوبكنز كان يمزح «المحافظ أم مارتينيز».

ابتسم الكولونيل ولكنه لم يمانع في أي منهما.

«لا براين لا يمكنني قتل مارتينيز حتى أجد مبرراً قانونياً، وعندما اطلعت على عقوبات التزوير لم أجد بينها التعليق على أعواد المشانق».

* * *

جلس دون بيدرو إلى مكتبه قلقاً يحرك إصبعه فوق علبة الحبر منتظراً الهاتف أن يرن.

لقد كان موعد عقد اجتماع مجلس الإدارة عند العاشرة وغالباً ما كان الاجتماع ينتهي وقت الظهيرة، وها هي الساعة أصبحت 12:20 ولم يهاتفه فيشر بالرغم من أنه زوده بمعلومات واضحة كي يتصل به فور انتهاء الاجتماع، لكنه تذكر أن كارل رجح ألا يحاول فيشر الاتصال به حتى يكون على بعد كافٍ من مقر بارينغتون ليتأكد أن أحداً من أعضاء المجلس لن يشاهده وهو يتصل.

كذلك أوصاه كارل أن يختار مكاناً لا يتردد عليه الأعضاء الآخرون، لذلك اختار فيشر حانة اللورد نيلسون ليس فقط لكونها تبعد أقل من ميل عن بارينغتون بل لأنها تقع على جانب منخفض من رصيف الميناء وكذلك هي متخصصة في المر وفي بعض الأحيان نبيذ التفاح والأهم من كل ذلك لأن هناك كابينة هاتف خارج الباب الأمامي.

«رن الهاتف في مكتب دون بيدرو، فرفع السماعة بعد الرنة الثانية، كذلك نصحه كارل ألا يعرف عن نفسه عندما يستخدم الهواتف العامة وألا يضيع أي وقت ولو قصير ويتأكد من إيصال الرسالة في خلال دقيقة».

«هارلاند، وولف بلفاست».

قال دون بيدرو «يوجد إله في السماء»

أغلق الخط، من الواضح أنه لم يناقش شيئاً في المجلس ليشعر فيشر أنه لا يستطيع الانتظار حتى يصل إلى لندن في اليوم التالي. أعاد دون بيدرو

سماعة الهاتف إلى مكانها، ونظر إلى الرجال الثلاثة على الجانب الآخر من المكتب، وكان كل منهم يعرف مهمته التالية.

* * *

«تفضل»

فتح رئيس الصرافين الباب، وتنحى جانباً ليسمح للعميل الأرجنتيني بالدخول إلى مكتب محافظ البنك، دخل مارتينيز الغرفة وهو يرتدي بذلة مزدوجة أزرار الصدر، وقميصاً أبيض وربطة عنق من الحرير، كل ذلك أشتراه من خياط في سافيل رو، وتبعه اثنان من الحراس اللذين يحملان حقيبتين معدنيتين، أولهما كان نحيلاً ويرتدي سترة سوداء وصدرية رمادية، وبنطالاً مخططاً وربطة عنق قاتمة بخطوط زرقاء شاحبة، ليذكر محافظ البنك بأنهما تعلما في نفس المدرسة.

وضع الحارسان الحقيبتين في منتصف الغرفة حيث وقف المحافظ وتقدم وصافح دون بيدرو وركز نظره على الحقائب حيث فك الضيف وثاقها وفتح غطاءها.

توجه المحافظ إلى رئيس الصرافين وقال: «سومرفيل خذ هذه النقود للعد وافحصها مرتين وإن توصل السيد مارتينيز معك لاتفاق قُصها».

أومأ رئيس الصرافين وأحد الحراس، أغلق الحقائب الثقيلة ورفعها وتبعه كل من الحارسين، ولم يتحدث المحافظ حتى تأكد من إغلاق الباب».

«هل يعنيك تناول كوب من كريم بريستول، بينما ننتظر الانتهاء من عد النقود؟».

ملأ المحافظ كأسين ومرر إحداهما إلى ضيفه وقال: «نخبك، زميلي القديم».

قال دون بيدرو محاكياً: «نخبك، زميلي القديم».

قال المحافظ بعض تناوله رشفة: «يدهشني احتفاظك بمبلغ نقدي بهذا الحجم».

«كانت النقود مخزنة في قبو في جنيف طوال الأعوام الخمسة الماضية وكانت لتبقى هناك كذلك ما لم تقرر إعادة طباعة النقود».

«لم يكن القرار قراري، بل نصحني به ذلك الأحمق الذي يتولى أمانة سر مجلس الوزراء» تمتم بذلك بين رشفات شرابه: «فهو مصر أن الألمان زوروا عملاتنا فئة الخمسة جنيهات خلال الحرب، وقلت له ببساطة لم يكن ذلك ممكناً لكنه لم يستمع، إنه يظن نفسه يعلم أكثر من بنك انجلترا، وقلت له أيضاً أنه طالما كان توقيعي على العملات الإنجليزية سيتم تقديرها بالكامل».

قال دون بيدرو وهو يضحك: «لم أتوقع أقل من ذلك».

بعد ذلك وجد الرجلان صعوبة في الاستقرار على موضوع ولكنهما اتفقا على لعبة البولو (ليس الماء) ويمبلدون، والتطلع إلى الثاني عشر من أغسطس مما أبقاهما وقتاً كافياً ليصب المحافظ كاساً آخر، ولم يستطع إخفاء شعوره بالارتياح عندما رن الهاتف على مكتبه أخيراً. وضع الزجاجة جانباً والتقط الهاتف واستمع باهتمام وقام المحافظ بانتشال قلم باركر من جيبه الداخلي وكتب رقماً وطلب من الصراف تكراره.

قال قبل أن يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها: «شكراً لك سومرفيل». وأضاف سريعاً «أنني ممتن لأخبارك أن نقودك لم تكن كما ظننتها قد تكون».

وفتح الدرج العلوي لمكتبه وأخذ دفتر شيكات وكتب «مليونان ومائة وثلاثة وأربعون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون جنيهاً فقط لا غير». ولم يقاوم وضع كلمة فقط قبل أن يوقع. ابتسم وسلم دون بيدرو الشيك الذي تفحص الرقم قبل أن يبتسم في المقابل.

لقد فضل دون بيدرو أن تكون عملات نقدية في المقابل لكن شيكاً موقعاً من محافظ بنك إنجلترا لم يكن أمراً سيئاً.

الفصل الثامن

غادر ثلاثة أشخاص المنزل رقم 44 إيتون سكوير في أوقات مختلفة من هذا الصباح، ولكن انتهى الأمر بهم جميعاً في الوجهة ذاتها.

كان لويس أول من ظهر. توجه إلى محطة ساحة سلوان التحت أرضية واستقل القطار إلى هامز ميرزسميث، حيث عبر أرصفة المحطة إلى خط بيكاديلي. لم يكن العريف كران متأخراً عنه أبداً. أما دييغو فاستقل سيارة أجرة إلى محطة قطار فيكتوريا، وصعد على متن حافلة إلى المطار، وكان ظله يتبعه لحظة بلحظة.

لقد سهل لويس ملاحقة كران له، وذلك تنفيذاً لأوامر والده، في هونسلو ويست غادر المحطة التحت أرضية واستقل سيارة أجرة إلى مطار لندن، حيث تفقد لوحة المغادرين، وتأكد أنه بقي على الرحلة ساعة وبضع دقائق. عندها توجه إلى متجر دبليو إتش سميث واشترى نسخة من مجلة بلاي بوي وحملها بيده لأنه لم يكن يحمل حقيبة ليضعها فيها، وشقّ طريقه ببطء نحو البوابة رقم خمسة.

أوصلت الحافلة دييغو إلى أمام المحطة قبل الساعة العاشرة بعدة دقائق. تفقد لوحة المغادرين أيضاً ليجد أن رحلته إلى مدريد تأجلت أربعين دقيقة. لم يكن الأمر مصادفة. مشى إلى مطعم فورتيه غريل، واشترى كوب قهوة وشطيرة لحم، وجلس في مقعد بالقرب من المدخل كي ينتبه الجميع لوجوده.

بعد دقائق من إقلاع رحلة لويس إلى نيس فتح كارل الباب الأمامي للمنزل رقم 44 وتوجه إلى شارع سلوان، حاملاً حقيبة هارودز كانت ممتلئة بالفعل. في طريقه توقف أمام واجهة متجر، لا ليتأمل المعروضات بل لكي

ينظر إلى الانعكاسات الظاهرة على الزجاج؛ حيلة قديمة لكي يتأكد المرء أن ما من أحد يتعقبه. شاهد كارل من خلال الانعكاس على الزجاج رجلاً كان يتعقبه منذ شهر. عندما وصل كارل إلى متجر هارودز، كان مدركاً أن ملاحقه على بُعد خطوات قليلة.

فتح بواب يرتدي معطفاً طويلاً أخضر اللون وقبعة طويلة الباب لكارل وحياه. كان يفتخر بقدرته على التعرف إلى الزبائن المعتادين.

في اللحظة التي دخل فيها كارل المتجر أسرع الخطى عبر قسم الخردوات، وتجاوز قسم الجلديات بأسرع مما يمكن، وكان على وشك الجري في الوقت الذي وصل فيه إلى صف المصاعد الستة. لم يكن هناك سوى باب مصعد واحد مفتوح وبدا المصعد شبه ممتلئ، لكن كارل حشر نفسه، وكاد متعقبه يلحق به، ولكن أحد الأشخاص أغلق الباب قبل أن يتمكن من الدخول. لم يستطع كارل أن يُقاوم الابتسام في وجه متعقبه بينما كان المصعد يختفي أمام ناظريه.

لم يترجل كارل حتى وصل المصعد إلى الطابق الأخير. هناك مشى بخطوات وئيدة عبر أقسام المنتجات الكهربائية والمفروشات ومتجر الكتب والمعرض الفني، وعندما وصل إلى السلالم الحجرية في الجهة الشمالية من المتجر التي نادراً ما يستخدمها أحد. استخدمها متخطياً كل درجتين معاً، ولم يتوقف عن الركض إلا عندما وصل إلى الطابق الأرضي. ثم عبر قسم الألبسة الرجالية وقسم العطور وقسم الأقلام والتجهيزات المكتبية حتى وصل إلى باب جانبي يؤدي إلى شارع هانز. عندما بلغ الرصيف، استدعى أول سيارة أُجرة متوفرة، ركب فيها وانحنى ليتوارى عن الأنظار.

قال: «مطار لندن».

انتظر حتى تجاوزت السيارة إشارتي مرور قبل أن يخاطر بالنظر من النافذة الخلفية. لم يكن هنالك أثر لمتعقبه، ما لم يكن الرقيب روبرتس راكباً

دراجة أو يقود حافلة لندن.

زار كارل هارودز كل صباح خلال الأسبوعين الماضيين، حيث كان يذهب مباشرة إلى قاعة المأكولات في الطابق الأرضي ويشتري عدة أغراض قبل أن يعود إلى إيتون سكوير. ولكن لم يفعل ذلك اليوم. بالرغم من أنه تخلص من رجل القوات الجوية الخاصة هذه المرة إلا أنه يعلم أنه لن يكون قادراً على تأدية خدعة متجر هارودز مرة ثانية. بما أنه قد يضطر للسفر إلى وجهة اليوم بشكلٍ متكرر، ولن يكون صعباً عليهم أن يكتشفوا إلى أين كان متجهاً، ولذا سيكونون في المستقبل بانتظاره حالما يترجل من الطائرة.

حين أوصلته سيارة الأجرة إلى محطة أوروبا، لم يشتر كارل نسخة من مجلة بلاي بوي ولم يحتس القهوة، بل توجه مباشرة إلى البوابة رقم 18.

* * *

وصلت طائرة لويس إلى نايس بعد بضع دقائق من إقلاع طائرة كارل. حمل لويس رزمة من الأوراق النقدية من فئة الخمسة جنيهات مخبأة في كيس، وكانت التعليمات في غاية الوضوح: استمتع بوقتك، ولا تعد إلا بعد مضي أسبوع. وكان ذلك جزءاً من خطة دون بيدرو الشاملة.

دخلت طائرة دييغو الأجواء الإسبانية متأخرة ساعة عن موعدها، ولكن بما أن موعده مع أحد أهم مستوردي اللحوم في البلاد لم يكن سيبدأ قبل الساعة الرابعة من بعد الظهر، فكان لديه متسع من الوقت. كلما سافر إلى مدريد، نزل في الفندق نفسه، وتناول الطعام في المطعم ذاته وزار الماخور ذاته. قام ظله أيضاً بحجز غرفة في الفندق نفسه وتناول الطعام في المطعم ذاته ولكنه كان يجلس وحيداً في مقهى في الجهة المقابلة للطريق الذي كان يمضي فيه دييغو عدة ساعات في لا بوينا نوتشي. شعر أن ما ينفقه لن يسر الكولونيل هوبكينز أبداً.

* * *

لـم يـزر كارل لنسـدورف بلفاسـت مـن قبـل، ولكـن بعد عدة ليـالٍ من «المشروب على حسابي» في دار واردز الإيرلندي في بيكاديلي، غادر الحانة للمرة الأخير مع أجوبة عن جميع أسئلته تقريباً. أقسم أيضاً على أنه لن يشرب كأساً أخرى من بيرة غينيس في حياته.

حين غادر المطار، استقل سيارة أجرة إلى فندق رويال ويندزور في مركز المدينة، حيث حجز غرفة لثلاث ليالٍ. أخبر موظف الاسـتقبال أنه قد يضطر للبقاء لفترة أطول، وفقاً لما ستسير عليه أعماله. حين وصل إلى غرفته، أقفل البـاب، أخـرج أغراضـه مـن حقيبة هـارودز وملأ حوض الاسـتحمام. بعدها اسـتلقى على سـريره مفكراً بخططه لهذه الأمسـية. لم يتحرك حتى رأى أنوار الشـارع تُضـاء. ثـم تفقد خريطة المدينة مـرة ثانية، لكي لا يضطر للعودة إليها قبل مغادرة الفندق.

بعد السادسـة بقليل، غادر غرفته ونزل السـلالم إلى الطابق السـفلي. لم يستخدم مصعد الفندق قط – مساحة صغيرة ومنارة أكثر من اللازم ومكشوفة تتيـح لباقـي الضيـوف أن يتذكروه. مشـى بتؤدة، ولكن ليـس أكثر من اللازم، عبر البهو وخرج إلى شـارع دونغال. بعد مئة ياردة من النظر إلى الواجهات، تأكد أن ما من أحد يتعقبه. ها هو مرة أخرى بمفرده خلف خطوط العدو. لم يسلك الطريق المباشر إلى وجهته، بل سلك الطرق الجانبية بحيث استغرقت منه النزهة التي كانت لتسـتغرق عشـرين دقيقة أقل من سـاعة بقليل. ولكنه لم يكـن علـى عجلـة مـن أمره. أخيراً، حين وصل إلى شـارع فولـز، كان بإمكانه أن يشـعر بقطـرات العـرق علـى جبينـه. علم أن الخوف سـيكون رفيقه الدائم طالما هو في الشوارع الأربعة عشر التي لا يسكنها سوى الكاثوليك. لم تكن تلك المرة الأولى في حياته التي وجد نفسـه فيها في مكانٍ قد لا يتمكن من الخروج منه حياً.

بطـول سـت أقـدام وثلاثـة بوصات، مع شـعر أشـقر كثيـف وبوزن 208

أرطال، معظمها عضلات، لم يكن من السهل على كارل التخفي. عندما كان ضابطاً في فرقة أس أس النازية كانت مواصفاته الجسدية ميزة بخلاف ما هو الوضع عليه الآن. لم يكن لديه سوى شيء واحد لصالحه وهو لكنته الألمانية. العديد من الكاثوليك الذين عاشوا في شارع فولز يكرهون الإنكليز أكثر من الألمان، مع أنهما كانا في بعض الأحيان سيان بالنسبة إليهم. في النهاية، لقد وعد هتلر بتوحيد شطري البلد عندما يفوز بالحرب. كثيراً ما تساءل كارل عن المنصب الذي كان سيعطيه إياه هيملر لو- كما أوصى- غزت ألمانيا بريطانيا ولم ترتكب الخطأ الفادح المتمثل بالالتفاف شرقاً والتوجه نحو روسيا. من المؤسف أن القائد لم يقرأ المزيد عن التاريخ. أياً يكن الأمر، لم يشك كارل في أن العديد من أولئك الذين ناصروا قضية الوحدة الإيرلندية لم يكونوا سوى لصوص ومجرمين اعتبروا حب الوطن فرصة متخفية من أجل الحصول على المال. ذلك الأمر كان مشتركاً بين الجيش الجمهوري الإيرلندي والجيش النازي.

رأى اللوحة تتمايل بسبب نسيم المساء. إن كان سيتراجع فعليه القيام بذلك الآن، لكنه لم يتردد. لن ينسى أبداً أن مارتينيز هو من ساعده على الهروب من وطنه حين أصبح الرايخستاغ في مرمى نيران الدبابات الروسية.

دفع الباب الأخضر المتقشر الذي يؤدي إلى الحانة، شعر أنه واضح مثل راهبة في مكتب مراهنات. ولكنه تقبل بالفعل عدم وجود طريقة أكثر براعة لإخبار الجيش الجمهوري الإيرلندي أنه كان في المدينة. لم يسأل عن أحد عندما دخل... لأنه لم يكن يعرف أحداً.

حين طلب كأساً من ويسكي جيمسون، بالغ كارل بلكنته الألمانية. ثم أخرج محفظته، أخرج قطعة نقود من فئة الخمسة جنيهات ووضعها على المنضدة. نظر الساقي إلى الورقة النقدية بارتياب، لم يكن متأكداً حتى أنه يملك ما يكفي من الفكة في الصندوق ليعطيه الباقي. شرب كارل الويسكي،

وطلب فوراً كأساً أخرى. كان مضطراً على الأقل أن يُظهر أنه كان يمتلك شيئاً مشتركاً معهم. أدهشه عدد الأشخاص الذين يتوقعون من الرجال ضخام الجثة أن يشربوا كثيراً. بعد كأسه الثانية جال بنظره في أرجاء الحانة، ولكن أحداً لم ينظر إليه. ما من شك أن قرابة عشرين شخصاً موجودون في الحانة، يدردشون، ويلعبون لعبة الدومينو، ويشربون، متظاهرين أنهم لم يلحظوا الفيل في الغرفة.

عند الساعة 9:30 مساءً قرع الساقي جرساً، وصرخ بأنه سيأخذ الطلب الأخير، مما تسبب بتدافع عدد من الزبائن نحو المنضدة لكي يطلبوا مشروباً آخر. ولكن مع ذلك لم يهتم أحداً بأمر كارل، أو يتحدث إليه. بقي هنالك لعدة دقائق، ولكن شيئاً لم يحدث. لذا، عقد العزم على العودة إلى الفندق وتكرار المحاولة في الغد. علم أن الأمر سيستغرق سنوات حتى يعاملوه كمواطن أصلي، هذا إن عاملوه، ولم يكن لديه سوى عدة أيام ليلتقي بأحد لم يفكر من قبل بدخول الحانة أبداً، ولكن تم إخباره قبل منتصف الليل أن كارل كان هنالك.

بينما هو عائد إلى شارع فولز، أدرك وجود عدة أزواج من الأعين تراقب كل حركة يقوم بها. بعد لحظة، تبعه رجلان، بدا عليهما أنهما ثملان. أبطأ مشيته ليتأكد من رؤية ملاحقيه للمكان الذي سيقضي فيه الليلة، لكي ينقلا هذه المعلومات إلى سلطة أعلى. مشى إلى الفندق، استدار ورآهما يتسكعان في الظلال في الجهة المقابلة من الطريق. تسلق السلالم إلى الطابق الثالث ودخل غرفته، شاعراً أنه لم يكن في وسعه القيام بأكثر من أن يعلمهم بوجوده خلال يومه الأول في المدينة. تناول كارل جميع الكعكات المجانية التي تُركت في الخزانة، والبرتقال، وتفاحة وموزة من سلة الفواكه؛ كان ذلك كافياً. حين هرب من برلين في أبريل من عام 1945، نجا بسبب شرب الماء من الأنهر الضحلة المتعكرة المياه بسبب عبور الدبابات والمركبات الثقيلة

فيهـا، وبسـبب تنـاول لحـم الأرنب النيء؛ وصل به الأمـر حتى لتناول جلدها بغضون وقت عبوره الحدود السويسـرية. لم ينم أبداً تحت سـقف، لم يمش على طريق، ولم يدخل أي بلدة أو قرية خلال الدرب الطويل والملتوي إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، حيث تم تهريبه على سفينة شحن غير نظامية ككيس من الفحم. مرت خمسـة أشـهر قبل أن ينزل عن القارب ويضع قدمه علـى أرض بوينـس آيـرس. بـدأ على الفور بالبحث عـن دون بيدرو مارتينيز، حامـلاً الأمـر الأخيـر الذي أعطاه إيـاه هيملر قبل أن ينتحر. كان مارتينيز الآن هو ضابطه الآمر.

الفصل التاسع

صباح اليوم التالي، استيقظ كارل متأخراً. علم أنه لا يجدر به التواجد في غرفة فطور فندق مليئة بالبروتستانت، لذا تناول الفطور في مقهى عند زاوية شارع ليسون، قبل أن يشق طريقه ببطء عائداً إلى شارع فولز المزدحم بالمتسوقين، الأمهات اللواتي يدفعن العربات، الأطفال الذين وُضعت في أفواههم مصاصات، والكهنة الذين يرتدون العباءات السوداء.

كان خارج حانة فولنتير قبل لحظات من فتح المالك للباب الأمامي، تذكر كارل على الفور - رجل الخمسة جنيهات - ولكنه لم يأبه لوجوده. طلب كارل كأساً من الجعة ودفع مقابلها من الفكة التي تبقت من الفطور. بقي في الحانة حتى وقت الإغلاق، مع استراحتين فقط ليريح نفسه. كان غداؤه عبارة عن كيس أزرق من مقرمشات سميث مع الملح. تناول ثلاث علب بحلول المساء المبكر، مما زاد رغبته بالشرب. أتى السكان المحليون وغادروا، ولاحظ كارل أن واحداً أو اثنين منهم لم يتوقفوا لطلب مشروب، فشعر بالمزيد من الأمل. كانوا ينظرون دون التمعن. ولكن مع مرور الساعات، لم يتحدث أحد معه أو حتى ينظر باتجاهه. بعد خمس عشرة دقيقة من نداء آخر طلب، صرخ الساقي: «حان الوقت لو سمحتم أيها السادة». شعر كارل أنه ضيع يوماً آخر. وبينما كان متجهاً نحو الباب، فكر بالخطة ب، والتي كانت تشمل تغيير الجانب والتواصل مع البروتستانت. في اللحظة التي خرج فيها إلى الرصيف، توقفت سيارة هيلمان سوداء اللون بالقرب منه. انفتح الباب الخلفي، وقبل أن يتمكن من إظهار رد فعل، أمسك به رجلان وألقيا به في المقعد الخلفي وأغلقا الباب، وانطلقت السيارة بسرعة.

نظر كارل إلى الأعلى ليرى شاباً بالتأكيد لم يكن كبيراً بما يكفي كي يدلي بصوته في الانتخابات، وكان يوجه مسدساً إلى جبهته. الشيء الوحيد الذي أقلقه هو أن الشاب كان مذعوراً أكثر منه، وكانت يرتعش بشدة لدرجة بدا أنه قد يضغط على الزناد عن طريق الخطأ. أدرك كارل أنه يستطيع تجريد الشاب من سلاحه بلحظة واحدة، ولكن لم يكن ذلك ليخدم هدفه، لم يقاوم حين قام الرجل الأكبر سناً الجالس في الجهة الأخرى بتقييد يديه خلف ظهره، ثم وضع وشاحاً على عينيه. فتشه الرجل ذاته بحثاً عن سلاح يحمله، وأخذ منه محفظته. سمعه كارل يصفر حين بدأ بعد الأوراق النقدية من فئة الخمسة جنيهات. قال كارل: «هنالك المزيد منها».

تبع ذلك جدالٌ محتدم، بلغة افترض كارل أنها لغتهم الأم. شعر أن واحداً منهم أراد قتله، ولكنه أمل أن يغرى الرجل الأكبر سناً باحتمال حصوله على بعض المال. لا بد أن المال قد فاز، لأنه لم يعد يشعر بالمسدس على جبهته.

التفت السيارة إلى اليمين، وبعد لحظات إلى اليسار. يبدو أنهم لا يعرفونه؟ علم كارل أنهم كانوا فقط يدورون حول الطريق ذاته، لأنهم لن يخاطروا بمغادرة معقلهم الكاثوليكي.

فجأة، توقفت السيارة، فُتح باب ورمي كارل في الخارج إلى الشارع. لو بقي على قيد الحياة بعد خمس دقائق، قد ينجو ليقبض راتبه التقاعدي بعد عمر طويل. أمسكه أحد ما من شعره وجذبه إلى الأعلى كي يقف. تلقى دفعة على ظهره ودخل عبر باب مفتوح. انبعثت رائحة اللحم المحروق من غرفة خلفية، لم يسل لعاب كارل لأنه يعلم أن الهدف من جلبه إلى هذا المكان لم يكن بهدف إطعامه.

جر عبر السلالم إلى غرفة كانت رائحتها كغرف النوم، ودفع ليجلس على كرسي خشبي قاسٍ. أُغلق الباب وتُرك لوحده. أما أنه ظن أنه وحده؟ افترض أنه في منزل عصابة، وأنه ربما يوجد شخص ما مسؤول، أو حتى

قائد منطقة، سيقرر الآن ما عليهم فعله به. لم يستطع التأكد من المدة التي بقي فيها منتظراً. شعر وكأنها ساعات، كل دقيقة أطول من التي سبقتها. ثم فُتح الباب فجأة على مصراعيه، وشعر بدخول ثلاثة رجال على الأقل. بدأ أحدهم بتحريك الكرسي.

قال الرجل الذي يحرك الكرسي بصوت أجش: «ماذا تريد أيها الإنكليزي؟».

أجابه كارل: «أنا لست إنكليزياً، بل ألماني».

تبع ذلك صمت طويل. «إذاً ماذا تريد أيها الألماني؟».

«لديّ عرضٌ لكم».

قال صوتٌ آخر، يبدو أصغر سناً، وشغوفاً ولكن دون سلطة: «هل تدعم الجيش الجمهوري الإيرلندي؟».

«لا أكترث البتة بالجيش الجمهوري الإيرلندي».

«حسناً لما خاطرت بحياتك لتجدنا؟».

«لأنني كما قلت، لدي عرضٌ قد تجدونه مهماً. لذا أرجو أن تحضروا شخصاً يملك سلطة اتخاذ القرار. لأنني أشك، أيها الشاب، أن أمك لا زالت تعلمك استخدام الحمام».

تلقى لكمة على فمه، تبعها تبادلٌ غاضب للآراء، عدة أصوات تتحدث في الوقت ذاته. شعر كارل بالدم وهو يسيل على ذقنه، وحضر نفسه للضربة التالية، ولكنها لم تأتِ. لا بد أن الرجل الأكبر سناً فاز. بعد دقيقة غادر الثلاثة الغرفة وأغلقوا الباب. ولكن كارل علم هذه المرة أنه لم يكن لوحده. تغطية عينيه لفترة طويلة جعلته أكثر حساسية للصوت والرائحة. مرت ساعة على الأقل قبل أن يُفتح الباب مجدداً، ودخل الغرفة رجل ينتعل حذاءً، وليس جزمة. شعر كارل أنه على بُعد عدة بوصات منه فقط.

سأله رجل بدا من صوته أنه مثقف: «ما اسمك؟»

خمن كارل أن الصوت كان لرجل يتراوح عمره بين الخامسة والثلاثين والأربعين. ابتسم. مع أنه لم يكن قادراً على رؤيته، هذا الرجل هو الذي أتى من أجل التفاوض معه.

«كارل لنسدورف».

«وما الذي أتى بك إلى هنا، سيد لنسدورف؟»

«أنا بحاجة لمساعدتك».

«كيف يمكنني مساعدتك؟».

«أنا بحاجة إلى شخصٍ يؤمن بقضيتك ويعمل في هارلاند أند وولف».

«أنا متأكد أنك تعلم أن قليلاً من الكاثوليك يمكنهم إيجاد عمل في هارلاند أند وولف. إنه مكان مغلق. أخشى أنك قطعت هذه المسافة وستعود خالي الوفاض».

«هنالك مجموعة من الكاثوليك، وأعرف أنهم اختيروا بحذر، يعملون بالكهربائيات والسباكة واللحام، وأعلم أنهم لم يختيروا إلا عندما لم يعثر على بروتستانتي يمتلك مهارتهم».

«يبدو أنك واسع الاطلاع سيد لنسدورف. ولكن حتى لو وجدنا رجلاً يدعم قضيتنا، ما الذي تتوقع منه القيام به؟».

«منحت هارلاند أند وولف للتو عقداً من شركة بارينغتون للشحن – «

«لبناء سفينة فخمة تدعى باكينغهام».

قال كارل: «الآن أصبحت أنت واسع الاطلاع».

قال صوت الرجل المثقف: «بالكاد، نشرت صورة لتصميم السفينة المقترحة على الصفحة الأولى في كلتا صحيفتينا المحليتين في اليوم الذي تلى توقيع العقد. إذن، سيد لنسدورف، أخبرني بشيء لا أعلمه».

«سيبدأ العمل على السفينة في وقتٍ ما من الشهر القادم، مع موعد تسليم لشركة بارينغتون في الخامس عشر من شهر مارس عام 1962».

«وما الذي تأمل منا القيام به؟ تسريع العمل أم إبطاؤه؟»

«إيقافه».

«ليست مهمة سهلة، بوجود الكثير من الأعين المراقبة».

«سنجعل الأمر يستحق العناء».

قال صاحب الصوت الأجش: «لماذا؟»

«لنقل فقط أنني أمثل شركة منافسة ترغب برؤية بارينغتون في ضائقة مالية».

سأل الرجل ذو الصوت المثقف: «وكيف سنكسب المال؟».

«من خلال النتائج، ينص العقد على أن بناء السفينة سيتم على ثماني مراحل، مع تواريخ محددة لكل مرحلة. على سبيل المثال، وقع الطرفان على أن تنتهي المرحلة الأولى قبل الأول من ديسمبر من هذا العام على أبعد تقدير. أقترح أن ندفع لكم ألف جنيه لكل يوم يتم تأخير المرحلة فيه. ولذلك إن تم تأخيرها لعام، سندفع لكم ثلاثمئة وخمسة وستين ألفاً».

«أعلم كم يومٌ هنالك في العام، سيد لنسدورف. إن كنا سنوافق على عرضك، نتوقع أن نتلقى دفعة «نية حسنة» مقدماً».

سأله كارل: «كم تبلغ؟» وشعر أنه مساوٍ لنده للمرة الأولى.

تهامس رجلان. قال الرجل ذو الصوت المثقف: «أعتقد أن دفعة مقدمة من عشرين ألفاً ستساعدنا على الاقتناع بأنك جدي».

«أعطني تفاصيل حسابك في البنك، وسأحول المبلغ كاملاً غداً صباحاً».

قال الصوت المثقف: «سنبقى على تواصل، ولكن ليس قبل أن نفكر ملياً بعرضك».

«ولكنكم لا تعلمون أين أعيش».

«المنزل رقم 44 إيتون سكوير تشيلسي، سيد لنسدورف». كان دور كارل ليصمت. «وإن وافقنا على مساعدتك، سيد لنسدورف، تأكد من عدم

ارتكابك للخطأ الشائع بالتقليل من قدر الإيرلنديين، كما فعل الإنكليز لألف عامٍ تقريباً».

* * *

«هل فقد أثر لنسدورف؟»

«تمكن من الهرب من الرقيب روبرتس في هارودز».

قال أمين سر مجلس الوزراء: «أتمنى أحياناً لو بوسعي الهرب عندما أتسوق مع زوجتي، وماذا عن لويس وديبغو مارتينيز؟ هل هربا أيضاً؟»

«لا ولكن اتضح أنهما ليسا سوى تضليل لإشغالنا بينما يهرب لنسدورف».

«كم المدة التي اختفى فيها لنسدورف عن أعينكم؟»

«ثلاثة أيام. عاد إلى إيتون سكوير الجمعة قبل الظهر».

«لا يمكن أن يكون قد سافر لمسافة بعيدة جداً خلال هذا الوقت. لو كنت رجلاً يراهن، أشكّ أنني سأحصل على الكثير من الفرص في بلفاست، لو تذكرنا أنه قضى عدة ليالٍ خلال الشهر الماضي وهو يشرب جعة غينيس في دار وارد الإيرلندي في بيكاديلي».

قال سكوت هوبكينز: «وبلفاست هي المكان الذين يبنون فيه سفينة باكينغهام. ولكنني لم أكتشف تماماً ما الذي يخطط له مارتينيز».

«ولا أنا، ولكن يمكنني أن أخبرك أنه قام مؤخراً بإيداع مليوني جنيه في فرع سانت جيمس من بنك ميدلاند، وبدأ مباشرةً بشراء المزيد من أسهم بارينغتون. لن يمر كثير من الوقت قبل أن يعين مديراً جديداً عضواً في مجلس إدارة بارينغتون للشحن».

«ربما يخطط للاستيلاء على الشركة».

«وبالنسبة للسيدة كليفتون، تبدو فكرة أن يدير مارتينيز أعمال العائلة مهينة بما فيه الكفاية».

«ولكن قد يخسر مارتينيز ثروة إن حاول فعل هذا».

«أشـك فـي ذلـك. لا بـد أن الرجل لديه خطة للطـوارئ بالفعل، ولكنني لا أعرف ما هي».

«هل هنالك ما يمكننا فعله؟».

«ليس الكثير، سوى الجلوس والانتظار، وأن نأمل أن يرتكب أحدٌ منهم خطأً». أنهى أمين سر المجلس مشروبه قبل أن يكمل، «في مثل هذه الأوقات أتمنى لو كنت مولوداً في روسيا. بحلول هذا الوقت لكنت سأكون مدير لجنة أمن الدولة، ولم أكن لأضطر لتضييع وقتي باتباع الأنظمة».

الفصل العاشر

قال رئيس المجلس: «ليس ذلك ذنب أحد».

قالت إيما: «ربما، ولكن يبدو أننا ننتقل من مصيبة غير قابلة للتفسير إلى أخرى»، بدأت بالقراءة بصوتٍ عالٍ من اللائحة الطويلة أمامها. «حريق في خليج التحميل يوقف عملية البناء لعدة أيام؛ مرجل تنقطع حباله بينما يتم تفريغه وينتهي الأمر به في قاع الميناء؛ حالة تسمم غذائي نتج عنها إرسال ثلاثة وسبعين كهربائياً وسباكاً ولحاماً إلى منازلهم؛ هجمة من هرة متوحشة...»

سأل الرائد فيشر: «ماذا تقصد، أيها الرئيس؟»

رد بيوكانان: «إننا متأخرون كثيراً عن الجدول، ليس هنالك أمل بإتمام المرحلة الأولى بحلول نهاية العام. إن استمر الأمر على هذه الحال، نملك القليل من الأمل في الحفاظ على جدولنا الزمني الأصلي».

سأل الأدميرال: «وما هي العواقب المالية الناتجة عن الفشل في التسليم قبل الموعد النهائي؟»

قام مايكل كاريك، المدير المالي للشركة، بتفقد الأرقام. «حتى الآن، تجاوزنا الحد بحوالي 312.000 جنيه».

سأل دوبس: «هل يمكننا أن نغطي التكاليف من احتياطاتنا، أم سنضطر للاستدانة قصيرة الأجل؟»

قال كاريك: «لدينا أكثر من اللازم لتغطية النقص الأولي في حساب رأس مالنا، ولكن علينا القيام بكل ما نستطيع من أجل التعويض عن الوقت الضائع خلال الأشهر القادمة».

كتبت إيما على اللوح أمامها «كل ما نستطيع».

قال الرئيس: «ربما سيكون من الحكمة في ظل الظروف الراهنة أن نؤجل أي إعلان عن موعد الإطلاق المحدد، يبدو الأمر وكأننا سنضطر لنعيد النظر في توقعاتنا الأصلية، بالنسبة للتوقيت والمصاريف المالية».

قال نولز: «عندما كنت نائب رئيس مجلس الإدارة في بي أند أو، هل سبق ومررت بسلسلة من المشاكل كهذه؟ أو ما نختبره الآن غير اعتيادي؟»

اعترف بيوكانان: «إنه أمرٌ مذهل، في الواقع لم أمر بما يشبه هذا من قبل، في كل عملية بناء عدد من العوائق والمفاجآت، ولكن الأمور تهدأ على المدى الطويل».

مكتبة
t.me/t_pdf

«هل تغطي بوليصة تأميننا أياً من هذه المشاكل؟»

قال ديكسون: «استطعنا أن نقدم بعض المطالبات، ولكن دائماً ما تقوم شركات التأمين بوضع حدود، وفي حالة أو حالتين تجاوزنا تلك الحدود بالفعل».

قالت إيما: «ولكن من المؤكد أن هارلاند أند وولف تتحمل مسؤولية بعض هذه التأخيرات، لذا يمكننا طلب البنود الجزائية المتعلقة بذلك في العقد».

قال الرئيس: «أتمنى لو كان الأمر بتلك السهولة سيدة كليفتون، ولكن هارلاند أند وولف تطعن بكل واحدة من مطالباتنا، ويقولون إنهم لم يكونوا مسؤولين بشكل مباشر عن أي من التأخيرات. تحول الأمر إلى ساحة معركة للمحامين، وهذا يكلفنا مزيداً من المال».

«هل ترى نمطاً يتشكل، أيها الرئيس؟»

«أنا لست متأكداً مما تقترحه، أيها الأدميرال».

«معدات كهربائية معطلة من شركة تتمتع بثقة عالية في ليفربول، مرجل انتهى به الأمر في الميناء حيث كان يتم تفريغه من سفينة غلاسكوبية، يتعرض فريقنا للتسمم الغذائي ولكن لا ينتشر ذلك في أي قسم آخر من الساحة مع

أن الجميع تناول الطعام من متعهد الطعام نفسه في بلفاست؟»

«ما الذي تقترحه، أيها الأدميرال؟»

«هنالك أكثر من اللازم من المصادفات برأيي، وتحدث كلها في الوقت ذاته الذي بدأ فيه الجيش الجمهوري الإيرلندي بالتأهب».

اقترح نولز: «هذا استنتاج مروع».

اعترف الأدميرال: «قد أكون أمعنت التفكير أكثر من اللازم بالمسألة، ولكنني ولدت في كاونتي مايو لأب بروتستانتي وأم من الكاثوليك، فربما نتج ذلك عن بيئتي».

جالت إيما بعينها على الطاولة فرأت فيشر يدوّن الملاحظات بعصبية، ولكنه وضع قلمه جانباً في اللحظة التي لاحظها منتبهة. علمت أن فيشر لم يكن كاثوليكياً، ولا دون بيدرو مارتينيز، والذي كانت عقيدته الوحيدة الاهتمام بالذات. في النهاية، كان مستعداً لبيع الأسلحة للألمان خلال الحرب، حسناً ما الذي يمنعه من التعامل مع الجيش الجمهوري الإيرلندي إن كان ذلك يخدم قضيته؟

قال الرئيس وبدا غير مقتنع: «لنأمل أن أكون قادراً على تقديم تقرير أكثر إيجابية في لقائنا التالي الشهر القادم».

بعد أن انتهى الاجتماع، تفاجأت إيما برؤية فيشر يغادر القاعة بسرعة دون التحدث مع أي أحد؛ هل هي إحدى صدف الأدميرال أيضاً؟

سأل بيوكانان: «هل يمكنني التحدث معك، إيما؟»

قالت إيما: «سأعود بعد لحظات أيها الرئيس». قبل أن تتبع فيشر إلى الرواق لتلمحه يختفي على السلالم. لِمَ لم يستقل المصعد؟ استقلته وضغطت الزر المكتوب عليه حرف G. حين فُتحت الأبواب في الطابق الأرضي، لم تخرج على الفور، بل راقبت فيشر يدفع الباب الدوار ويشق طريقه خارج المبنى. بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الباب، كان فيشر يصعد سيارته.

بقيت داخل المبنى وراقبته وهو يقود نحو البوابة الأمامية.

تفاجأت أنه التف يساراً نحو الأرصفة السفلية وليس يميناً باتجاه بريستول.

دفعت إيما الباب وهرعت نحو سيارتها. حين وصلت إلى البوابة الأمامية، نظرت إلى اليسار ولمحت سيارة الرائد من بعيد. كانت على وشك اللحاق به حين مرت من أمامها شاحنة. بدأت بالشتم، التفت لليسار واختبأت خلفها. وابل من السيارات القادمة بالاتجاه المعاكس منعها من تجاوز الشاحنة. كانت قد قطعت نصف ميل حين رأت سيارة فيشر مركونة أمام حانة لورد نيلسون. بينما كانت تقترب، رأت الرائد واقفاً في كابينة هاتف عمومي خارج الحانة، يقوم بطلب رقم.

بقيت خلف الشاحنة، واستمرت بالقيادة حتى لم يعد في وسعها رؤية الهاتف العمومي في مرآتها الخلفية. ثم التفت وعادت أدراجها ببطء، حتى تراءى لها الهاتف العمومي. ركنت سيارتها عند الناصية، ولكنها تركت المحرك قيد العمل. لم يمر وقت طويل قبل أن يخرج الرائد من كابينة الهاتف، وعاد لسيارته وقادها بعيداً. لم تلحقه حتى اختفى. في النهاية، كانت تعلم تماماً إلى أين كان متجهاً.

بينما قادت إيما عائدةً عبر بوابة حوض بناء السفن بعد عدة دقائق، لم تتفاجأ من رؤية سيارة الرائد مركونة في مكانها المعتاد. استقلت المصعد إلى الطابق الرابع وذهبت مباشرة إلى غرفة تناول الطعام. كان عددٌ من المديرين، ومن ضمنهم فيشر، واقفين عند طاولة جانبية طويلة، يسكبون طعاماً من البوفيه.

التقطت إيما طبقاً وانضمت إليهم، قبل الجلوس بالقرب من الرئيس.

«أردت التحدث، روس؟»

«نعم، هنالك أمرٌ علينا مناقشته بشكلٍ طارئ».

قالت إيما عندما جلس فيشر مقابلها: «ليس الآن».

* * *

«مـن الأفضـل أن يكـون هذا مهمـاً أيها الكولونيل، لأننـي غادرت لتوي اجتماعاً مع القائد».

«لدى مارتينيز سائق جديد».

قال أمين سر المجلس: «و؟».

«كان رجل الرشى الخاص بليام دوهرتي».

«قائد الجيش الجمهوري الإيرلندي في بلفاست؟»

«بذاته».

قال السير آلان وهو يحمل قلم رصاص: «ما هو اسمه؟»

«كيفن رافرتي، المعروف بلقب الأصابع الأربعة».

«لماذا؟»

«أحد الجنود البريطانيين تجاوز الحد أثناء التحقيق، بحسب ما علمت».

«إذن ستحتاج رجلاً آخر في فريقك».

* * *

قال بيوكانان: «لم أحتسِ الشاي في قاعة بالم كورت من قبل».

وضحت إيما: «حماتي، ميسي هولكومب، كانت تعمل في فندق رويال، ولكـن فـي تلك الأيام، لم تسـمح لهـاري ولا لي بدخول المبنى، كانت تقول إن ذلك لا ينم عن احترافية»

قال روس: «امرأة أخرى سابقة لعصرها».

قالـت إيمـا: «لا يمكنـك تخيل الأمر، ولكنني سـأتحدث عن ميسـي في وقت آخر. أولاً، أريد أن أعتذر لأنني لم أرغب بالتكلم وقت الغداء، أو على الأقل ليس أمام فيشر الذي قد يسترق السمع».

«بالطبع أنت لا تظنين أن له علاقة بمشاكلنا الحالية؟».

«ليس بشكل مباشر. في الواقع كنت قد بدأت بالاعتقاد أنه ازداد مسؤولية، حتى هذا الصباح».

«ولكن لا يمكنه أن يكون أكثر دعماً خلال اجتماعات المجلس».

«أوافقك الرأي. لم أكتشف حتى هذا الصباح لمن ولائه الحقيقي».

قال روس: «أنا مشوش».

«هل تذكر أنك طلبت مني التحدث في نهاية الاجتماع، ولكنني اضطررت للمغادرة؟»

«نعم، ولكن ما علاقة فيشر بذلك؟»

«تبعته، واكتشفت أنه غادر ليجري مكالمة هاتفية».

«كما فعل واحد أو اثنان من المديرين الآخرين من دون شك».

«من دون شك، ولكنهم أجروا مكالماتهم في المبنى. فيشر غادر المبنى، وقاد سيارته باتجاه الأرصفة، وأجرى مكالمته من هاتف عمومي خارج حانة تدعى لورد نيلسون».

«لا يمكنني القول إنني أعرفها».

«هذا على الأغلب السبب وراء اختياره لها. استغرقت المكالمة أقل من عدة دقائق، ثم عاد إلى بارينغتون وقت الغداء، قبل أن يلحظ أحدٌ غيابه».

«أتساءل لما اعتقد أنه من الضروري أن يكون متحفظاً بشأن هوية من اتصل به؟».

«بسبب شيءٍ قاله الأدميرال، مما عنى أنه على فيشر أن يخبر ولي نعمته على الحال، ولم يكن يستطيع المخاطرة بأن يسمعه أحد».

«من المؤكد أنك لا تشكين بأن فيشر متعاون مع الجيش الجمهوري الإيرلندي بأي شكل؟».

«فيشر، لا، ولكن دون بيدرو مارتينيز، نعم».

«دون بيدرو من؟».

«أعتقد أن الوقت قد حان لكي أخبرك عن الرجل الذين يمثله الرائد فيشر، كيف التقى به ابني سيباستيان، وأهمية تمثال للنحات رودان يدعى المفكر. لعلك تفهم حينها ما الذي يواجهنا».

* * *

صعد ثلاثة رجال على متن عبّارة هيشام المتجهة إلى بلفاست في وقتٍ لاحق من تلك الأمسية. حمل أحدهم حقيبة طقم معدات، وأحدهم الآخر حقيبة والأخير لم يحمل شيئاً. لم يكونوا أصدقاءً، ولا حتى معارف. في الواقع، ما جمعهم فقط هو مهاراتهم الخاصة ومعتقداتهم.

كانت الرحلة إلى بلفاست تستغرق عادةً ثماني ساعات، وأثناء ذلك الوقت، يحاول معظم الركاب الحصول على بعض النوم؛ ولكن ليس هؤلاء الثلاثة. ساروا إلى الحانة، اشتروا ثلاث كؤوس من الجعة، وهو شيء من الأشياء القليلة المشتركة بينهم، ووجدوا بعض المقاعد على سطح المركب.

اتفقوا على أن الوقت الأفضل لتنفيذ المهمة هو حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، حين يكون معظم الركاب نائمين، أو ثملين أو متعبين أكثر من قدرتهم على الاكتراث. في الساعة المحددة، ترك واحدٌ منهم المجموعة، قفز فوق سلسلة عليها لوحة تحذير «للطاقم فقط»، ونزل مصدراً ضجيجاً إلى قبو البضائع. وجد نفسه محاطاً بصناديق خشبية كبيرة، ولكن لم يصعب عليه إيجاد الصناديق الأربعة التي كان يبحث عنها. في النهاية، كان مطبوعاً عليها اسم هارلاند أند وولف. بمساعدة مطرقة ذات مخلب، أزال جميع المسامير الموجودة على جوانب الصناديق، 116 مسماراً. بعد خمس وأربعين دقيقة، انضم مجدداً لرفاقه وأخبرهم أن كل شيء كان جاهزاً. دون كلمة أخرى، شق زميلاه طريقهما إلى قبو البضائع.

الرجل الأضخم من بين الرجلين، والذي بدا بسبب أذنيه الكبيرتين وأنفه المكسور مثل ملاكمٍ متقاعد، ربما لأنه كان كذلك، قام بإزالة المسامير من

الصندوق الأول، ثم أزال الألواح الخشبية ليكشف لوحة كهربائية تتألف من الآلاف من الأسلاك الحمراء والخضراء والزرقاء. كانت مصممة من أجل جسر أم في باكينغهام، وكانت من أجل السماح للكابتن بالبقاء على اتصال مع كل قسم من السفينة، من المحرك إلى مطبخ السفينة. استغرق الأمر من مجموعة من المهندسين الكهربائيين المختصين خمسة أشهر لبناء هذه الآلة المذهلة. لكن الأمر لم يستغرق الأمر من طالب شاب في جامعة كوين في بلفاست يدرس الدكتوراه في الفيزياء ويحمل كماشتين سوى خمس وعشرين دقيقة لتفكيكها. ابتعد خطوةً لكي يتأمل عمله، ولكن للحظة فقط قبل أن يقوم الملاكم بدفع الألواح من جانب الصندوق إلى مكانها. بعد التأكد من أنهما لا يزالان لوحدهما، بدأ بالعمل على الصندوق الثاني.

كان يحتوي على مروحتين برونزيتين تمت صياغتهما بشكلٍ جميل من قبل فريق من الحرفيين في دورهام. تطلب الأمر منهم ستة أسابيع لإتمامهما، وكانوا فخورين بعملهم النهائي. قام المتخرج بفتح حقيبته، جلب قنينة من حمض النتريك، فتح الغطاء وصب ما فيها ببطء في أخاديد المروحتين. حين سيتم فتح الصناديق هذا الصباح ستبدو المروحتان وكأنهما جاهزتان لساحة الخردة، وليس للتركيب.

تشوق طالب الدكتوراه الشاب لرؤية محتويات الصندوق الثالث أكثر من أي شيء، وحين قام رفيقه القوي بإزالة جانبه لكشف الجائزة، لم يخب ظنه. كان حاسوب رولكس الملاحي الأول من نوعه، وسيظهر في جميع المواد التسويقية لبارينغتون، التي ستفسر للركاب المحتملين الباحثين عن السلامة لما عليهم ترك كل الشركات الأخرى واختيار سفينة باكينغهام. استغرق منه الأمر اثنتي عشرة دقيقة لتحويل هذه القطعة الفنية من مميزة إلى غير صالحة.

احتوى الصندوق الأخير على دولاب سفينة مذهل مصنوع من خشب السنديان والنحاس مبني في دورسيت، والذي سيكون أي قبطان فخوراً

بوجوده خلف جسره. ابتسم الشاب. بينما كان يمر الوقت ولم يخدم الدولاب أي هدف بعدها، تركه بحالته الرائعة.

ما إن أعاد زميله اللوح الخشبي الأخير، عاد الاثنان إلى السطح العلوي.

لو كان أحدٌ ما غير محظوظ كفاية ليزعجهما خلال الساعة الماضية، لكان اكتشف لماذا كان الملاكم السابق يلقب «بالمدمر».

سرعان ما ظهرا مجدداً، نزل زميلهما على السلم اللولبي. لم يعد الوقت لصالحه. بمساعدة منديل ومطرقة، أعاد بحذر كل واحد من المسامير الـ 116 إلى مكانه. كان يعمل على الصندوق الأخير حين سمع بوق السفينة يصدح مرتين.

حين رست العبارة على ضفة دونغال كوي في بلفاست، ترجل الرجال الثلاثة من السفينة بفاصل زمني مدته ربع ساعة، دون أن يعرفوا أسماء بعضهم مدركين أنهم لن يلتقوا مجدداً.

الفصل الحادي عشر

قال دون بيدرو: «دعني أؤكد لك أيها الرائد، أنه ما من ظرف سيحملني على التعامل مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، إنهم ليسوا سوى مجموعة من اللصوص القتلة، وكلما اقترب وقت دخولهم سجن كروملين رود كان ذلك أفضل لنا جميعاً».

قال فيشر: «أنا مسرور لسماع هذا، لأنني لو ظننت أنك تبرم صفقات مع هؤلاء المجرمين من وراء ظهري، كنت لأستقيل على الفور».

احتج مارتينيز: «وهذا آخر شيءٍ أريد منك القيام به، لا تنسَ، أراك الرئيس القادم لمجلس إدارة بارينغتون، وربما ليس في المستقبل البعيد».

«لا أظن أن بيوكانان سيتقاعد عما قريب».

«سيتقاعد عما قريب إن اعتقد أن عليه الاستقالة».

«ولِمَ قد يفعل، في حين وقع لتوه على أهم برنامج استثمار في تاريخ الشركة؟»

«أو أكبر مهزلة. لأنه إن اتضح أن هذا الاستثمار قرار غير حكيم، بعد أن وضع سمعته على المحك ليضمن دعم المجلس له، لن يبقى هنالك أحد ليُلام سوى الرجل الذي اقترح الأمر، هذا إن تذكرنا أن عائلة بارينغتون عارضت الأمر برمته منذ البداية».

«ممكن. ولكن يجب أن يكون الوضع أسوأ من ذلك بكثير ليفكر بالاستقالة».

قال مارتينيز: «كيف يمكن للوضع أن يكون أكثر سوءاً؟». ودفع نسخة من صحيفة ديلي تلغراف على مكتبه. حدق فيشر إلى العنوان الرئيسي: تعتقد

الشـرطة أن الجيـش الجمهـوري الإيرلنـدي وراء عمليـة التخريـب في عبارة هيشـام. «تسـبب هذا بتأخير بناء سـفينة باكينغهام سـتة أشهر أخرى، ولا تنسَ أن كل هذا يحصل في ظل إدارة بيوكانان. ما هو الأمر المتبقي الذي سيجري بشكلٍ خاطئ قبل أن يفكر بالاستقالة؟ يمكنني أن أقول لك، إن انخفض سعر السهم أكثر من ذلك، سيتم طرده قبل أن تتسنى له الفرصة ليستقيل. لذا عليك التفكير بشكلٍ جدي بأخذ مكانه. ربما لن تسنح لك فرصة أخرى كهذه».

«حتـى لـو غـادر بيوكانـان، فالخيار الواضح لاسـتبداله سـيكون السـيدة كليفتون. أسسـت عائلتها الشـركة، ولا يزالون يملكون اثنين وعشـرين بالمئة من الأسهم، وهي محبوبة من قبل زملائها من المديرين».

«ليس لدي شك أنها المفضلة، ولكن من المعروف عن المفضلين أنهم ينهـارون عنـد أول عقبـة. لـذا أقتـرح أن تسـتمر بدعم الرئيـس الحالي بولاء، لأنه قد ينتهي به الأمر بسـبب التصويت». نهض مارتينيز من مكانه. «أتأسـف لتـركك، ولكـن لـديّ موعد في البنك لمناقشـة الموضوع ذاته. اتصل بي هذا المساء. قد يكون لديّ خبر مهم لك بحلول ذلك الوقت».

* * *

حين صعد مارتينيز في المقعد الخلفي لسيارة الرولز رويس خاصته وقاد السـائق باتجـاه ازدحـام الصباح، قال: «صباح الخيـر كيفن. قام رجالك بعملٍ ممتاز على عبارة هيشـام. أتمنى فقط لو كان في وسـعي رؤية وجوههم حين فتحت الصناديق في شركة هارلاند أند وولف. لذا ما الذي خططت له تالياً؟».

«لا شيء، حتى تدفع لنا المئة ألف المتبقية».

«سيحل الأمر هذا الصباح. في الواقع، إنه أحد أسباب زيارتي للبنك».

قال رافرتي: «أنا مسرور لسماع هذا، سيكون الأمر مؤسفاً لو فقدت أحد أبنائك على الفور بعد موت برونو المفجع».

صرخ مارتينيز: «لا تهددني!».

قال رافرتي: «لم يكن تهديداً» وتوقف عند الإشارة التالية. «وفقط لأنني أحبك سأدعك تقرر من من أبنائك تريد نجاته».

غاص مارتينيز في مقعده ولم يفتح فمه مجدداً بينما تابعت السيارة طريقها، قبل التوقف أخيراً خارج بنك ميدلاند في سانت جيمس.

كلما صعد مارتينيز درج البنك شعر وكأنه يدخل عالماً آخر، عالماً قدر له أن لا ينتمي إليه. كان على وشك الإمساك بقبضة الباب، حين انفتح وخرج شاب.

«صباح الخير سيد مارتينيز. السيد ليدبوري متشوق لرؤيتك». دون كلمة أخرى، قاد أحد أهم عملاء البنك مباشرةً إلى مكتب المدير.

قال المدير بينما دخل دون بيدرو الغرفة: «صباح الخير، مارتينيز، إنه طقس لطيف بالنسبة إلى هذه الفترة من العام».

استغرق من مارتينيز بعض الوقت ليتقبل أنه حين يقوم رجل إنكليزي بحذف كلمة «السيد» ويناديك بكنيتك فقط يعني بذلك إطراءً، لأنهم يعاملونك على أنك مساوٍ لهم. ولكنهم لن يعتبروك صديقاً لهم إلا حتى ينادوك باسمك الأول.

قال مارتينيز: «صباح الخير، ليدبوري»، ولكنه لم يكن متأكداً مما يتوجب عليه قوله رداً على هوس الرجل الإنكليزي بالطقس.

«هل يمكنني أن أقدم لك القهوة؟».

«لا، شكراً لك، لدي موعدٌ عند الساعة الثانية عشرة».

«بالطبع. لقد استمررنا بشراء أسهم بارينغتون كما طلبت منا. كما تعلم، أصبحت الآن تملك اثنين وعشرين بالمئة من أسهم الشركة، يحقّ لك أن تعين مديرين إضافيين لينضما إلى الرائد فيشر في المجلس. ولكن، عليّ أن أنبهك أنه حين تصل حصتك إلى خمس وعشرين بالمئة، سيكون على البنك بحسب القانون أن يعلم سوق البورصة أنك تنوي المناقصة للاستيلاء على الشركة بأكملها».

قال مارتينيز: «هذا آخر شيءٍ أود فعله، اثنان وعشرون فاصل خمسة بالمئة تكفي من أجل هدفي».

«ممتاز، كل ما أطلبه هو اسم المديرين الجديدين اللذين اخترتهما لتمثيلك في مجلس بارينغتون».

سحب مارتينيز مغلفاً من جيبٍ داخلي وأعطاه لمدير البنك. فتحه ليدبوري، أخرج ورقة المرشحين وتفحص الاسمين.

مع أنه كان متفاجئاً إلا أنه لم يعلق. كل ما قاله كان: «كمدير البنك الخاص بك، عليّ أن أضيف أنني آمل ألا تشكل النكسات المؤسفة التي تعرضت لها بارينغتون مؤخراً، مشكلة بالنسبة لك على المدى الطويل».

«لم أكن واثقاً في حياتي أكثر مما أنا واثق بمستقبل الشركة».

«أنا مسرورٌ لسماع هذا، لأن شراء هذا العدد الكبير من الأسهم تسبب بتحسن كبير في رأس مالك. علينا أن نأمل ألا ينخفض السعر أكثر من هذا».

«أعتقد أنك ستجد أن الشركة ستقوم بإعلانٍ قريباً سيرضي المساهمين وذا سيتي».

«هذه حقاً أخبارٌ جيدة. هل هنالك ما يمكنني فعله أيضاً من أجلك في الوقت الحالي؟».

قال مارتينيز: «نعم، أريد منك أن تحول مئة ألف جنيه إلى حسابٍ في زيوريخ».

* * *

«يؤسفني أن أعلم المجلس أنني قررت الاستقالة من منصبي كرئيسٍ للمجلس».

كانت ردة الفعل الفورية لزملاء بيوكانان الصدمة وعدم التصديق، تبعها على الفور احتجاجٌ من الجميع تقريباً. بقي أحد المديرين صامتاً: الوحيد الذي لم يكن متفاجئاً بالإعلان. كان جلياً أن كل عضو تقريباً من المجلس

لم يرد أن يستسلم بيوكانان. انتظر الرئيس لكي يهدأ الجميع قبل أن يكمل.

قال: «أنا متأثر بولائكم، ولكن من واجبي أن أخبركم أن أحد المساهمين المهمين قد وضح تماماً أنني فقدت ثقته»، وشدد على كلمة ثقته، «ذكرني، وبشكلٍ صحيح تماماً، أنني وضعت سلطتي الكاملة وراء بناء سفينة باكينغهام، والذي كان برأيه سوء تقدير، وفعلاً عديم المسؤولية. لقد فوتنا بالفعل اثنين من مواعيد انتهائنا، والتكلفة حالياً تجاوزت الميزانية بثمانية عشرة بالمئة».

قال الأدميرال: «كل تلك أسباب إضافية لكي تبقى مشرفاً على السفينة، يجب أن يكون الربان الشخص الأخير الذي يترك السفينة حين يكون هنالك عاصفة».

قال بيوكانان: «في تلك الحالة أعتقد أن أملنا الوحيد متجسد في تركي للسفينة أيها العميد». انحنى رأس أو اثنان، وخشيت إيما أنه لا يوجد ما تقوله ليغير رأي بيوكانان. أكمل: «من خلال خبرتي كلما يكون هنالك ظروف مثل التي نشهدها الآن، تبحث ذا سيتي عن قيادة جديدة لحل المشكلة، وحلها بسرعة».

نظر روس إلى الأعلى، إلى زملائه، وأكمل: «أنا مضطر للقول إنني لا أعتقد أن عليكم البحث عن أي أحد غير المدراء الحاليين لإيجاد الشخص المناسب لأخذ منصبي».

اقترح آنسكوت: «ربما إذا عيّنا السيدة كليفتون والرائد معاً نائبين للرئيس، قد يهدئ ذلك أعصاب رؤسائنا الذين يعملون في سكوير مايل».

«أخشى أنهم سيرون ذلك كما هو، آنسكوت، ترضية قصيرة الأمد. إن احتاجت بارينغتون في المستقبل لاقتراض المزيد من المال، على رئيسك الجديد أن يذهب إلى البنك دون خشية، بل بثقة كاملة، أهم كلمة في قاموس ذا سيتي».

«هل سيساعد الأمر يا روس» – تلك المرة الأولى التي تنادي فيها إيما

الرئيس باسمه المسيحي خلال اجتماع للمجلس – «إن وضحت أن عائلتي تثق بإدارتك بشكل كامل وتتمنى أن تبقى رئيس المجلس؟».

«سأكون متأثراً بالطبع، ولكن ذا سيتي لن تتأثر، وستنظر إلى الأمر على أنه لفتة لا أكثر. بالرغم من أنني على المستوى الشخصي يا إيما أكثر من ممتن لدعمك».

تدخل فيشر: «ويمكنك أن تعتمد على دعمي دوماً. سأدعمك حتى النهاية».

«هذه المشكلة أيها الرائد. إن لم أغادر، سيتضح أن تلك النهاية، نهاية هذه الشركة العظيمة كما نعرفها، وهذ شيءٌ لا يمكنني التعايش معه».

جال الرئيس بعينيه حول الطاولة باحثاً عن شخص آخر يرغب بتقديم رأيه، ولكن بدوا الآن جميعاً متقبلين أن الأمر قد حسم.

«بعد الساعة الخامسة من ظهيرة هذا اليوم، سأعلن أنني، ولأسباب شخصية، قررت الاستقالة من منصبي رئيساً لمجلس إدارة بارينغتون للشحن. ولكن، بعد موافقتكم، سأبقى مسؤولاً عن أعمال الشركة اليومية حتى يتم تعيين رئيس جديد».

لم يعترض أحد. انتهى الاجتماع بعد عدة دقائق، ولم تتفاجأ إيما لرؤية فيشر يغادر غرفة الاجتماع على الفور. عاد بعد عشرين دقيقة لينضم لزملائه وقت الغداء.

* * *

قال مارتينيز: «عليك لعب ورقتك الرابحة الوحيدة» بعد أن أخبره فيشر تفاصيل ما حصل في اجتماع المجلس.

«وما هي هذه؟».

«أنت رجل، وليس هنالك شركة واحدة في البلد تتولى أنثى رئاسة مجلس إدارتها».

ذكره فيشر: «لدى إيما كليفتون عادة في كسر القوالب».

«ربما، ولكن هل يمكنك أن تفكر أن أياً من زملائك المديرين سيتقبلون فكرة رئيسة مجلس أنثى؟»

«لا ولكن – »

«ولكن؟»

«أعلم أن نولز وآنسكوت قد صوتا ضد السماح للنساء بالدخول إلى دار نادي ويفيرن رويال للغولف في أيام المباريات».

«حسناً، وضح لهما كم أنت معجب بموقفهما الرزين، وأنك كنت لتقوم بالأمر عينه لو كنت عضواً في النادي».

قال الرائد: «لقد فعلت، أنا عضو بالفعل».

«حسناً، لقد حصلنا على صوتين، ماذا عن الأدميرال؟ في النهاية هو عازب».

«احتمال. أذكر أنه اعترض في البداية حين وضع اسمها كعضو في المجلس».

«صوت ثالث محتمل».

«ولكن حتى لو دعموني، لا يزال هنالك ثلاثة أصوات فقط، وأنا شبه متأكد أن المديرين الأربعة الباقين سيدعمون السيدة كليفتون».

«لا تنسَ، سأعين مديرين جديدين في اليوم السابق لعقد الاجتماع. سيمنحك هذا ستة أصوات، أكثر مما يكفي لإبقاء كفة الميزان تميل لصالحك».

«ليس إن احتل أفراد عائلة بارينغتون كل الأماكن المتبقية في المجلس. سأحتاج حينها لصوت أخير كي أضمن الفوز، لأنه إن كانت النتيجة تعادل، ـ متأكد أن بيوكانان سيعطي صوته الأخير للسيدة كليفتون».

«حسناً علينا أن نجد مديراً آخراً قبل الخميس القادم».

صمت الرجلان، حتى قال مارتينيز: «هل يمكنك التفكير بأحد لديه القليل

من المال الإضافي، دون أن تنسى أن الأسهم رخيصة الثمن حالياً، ولن يقبل تحت أية ظروف أن تكون السيدة كليفتون رئيسة مجلس بارينغتون القادمة؟»

قال فيشر دون تردد: «نعم، أعلم أحداً يكره إيما كليفتون حتى أكثر منك، وقد حصل مؤخراً على تسوية طلاق كبيرة».

الفصل الثاني عشر

قال روس بيوكانان: «صباح الخير، وأهلاً بكم في هذا الاجتماع العام الاستثنائي. هنالك أمرٌ وحيد على جدول أعمال اليوم، تعيين رئيس مجلس إدارة جديد لشركة بارينغتون للشحن. أرغب بالقول أولاً أنه شرفني تولي رئاسة هذا المجلس طوال السنوات الخمس الماضية، وأنا حزينٌ للغاية لتركي هذا المنصب. ولكن لأسباب لا أريد إعادتها مجدداً، أشعر أن هذا هو الوقت المناسب لأتنازل وأسمح لأحدٍ آخر بأخذ مكاني.

أكمل: «مسؤوليتي الأولى، هي تقديم المساهمين هؤلاء الذين انضموا إلينا اليوم والذين يحق لهم التصويت في هذا الاجتماع العام الاستثنائي، كما هو محدد في النظام الأساسي للشركة. إن واحداً أو اثنين من الجالسين على هذه الطاولة مألوفان بالنسبة إلى المجلس، بينما هنالك آخرون قد لا يكونون معروفين. على يميني السيد ديفيد ديكسون، الرئيس التنفيذي للشركة وعلى يساري السيد فيليب ويبستر، سكرتير الشركة. على يساره مديرنا المالي السيد مايكل كاريك. يجلس بقربه الأدميرال سمرز، ثم السيدة كليفتون، السيد آنسكوت، السيد نولز، الرائد فيشر والسيد دوبس، جميعهم مديرين غير تنفيذيين. واليوم ينضم إلينا بصفة شخصية أو من خلال ممثلين للشركات التي تملك حصة كبيرة من الأسهم في بارينغتون، السيد بيتر مايناردد والسيدة سوزان فيشر، اللذان تم ترشيحهما من قبل الرائد فيشر، بما أنه الآن يمثل اثنين وعشرين فاصلة خمسة بالمئة من الشركة». ابتسم مايناردد، وأخفضت سوزان فيشر رأسها وتوردت وجنتاها حين التفت الجميع لينظر إليها.

«يمثل عائلة بارينغتون وحصتهم البالغة اثنين وعشرين بالمئة السيد جايلز بارينغتون وشقيقته، الدكتورة جريس بارينغتون. الشخصان الباقيان الحاضران واللذان يحققان الشروط القانونية اللازمة للتصويت في هذه المناسبة هما الليدي فيرجينيا فينويك» - ربتت فيرجينيا على ظهر فيشر، لم تترك مجالاً للشك لدى أحد بخصوص من كانت ستدعم - «و - » تفقد الرئيس ملاحظاته - «السيد سيدريك هاردكاسل، الذي يمثل بنك فارثينغز، والذي يملك حالياً حصة تبلغ سبعة فاصلة خمسة بالمئة من أسهم الشركة».

التفت كل من كان جالساً إلى الطاولة لرؤية الشخص الوحيد الذي لم يلتق به أيٌّ منهم من قبل. كان يرتدي بذلة مؤلفة من ثلاث قطع، وقميص أبيض وربطة عنق حريرية زرقاء اللون مربوطة بشكل مرتب. كان طوله لا يتجاوز الخمس أقدام، وكان أصلع تماماً تقريباً عدا شبه دائرة من الشعر الرمادي الذي كان يصل بالكاد إلى أذنيه. ولكنه كان يضع نظارة مدببة وسميكة على عينيه، وكان من المستحيل تقريباً تخمين عمره. خمسون؟ ستون؟ ربما حتى سبعون؟ نزع السيد هاردكاسل نظارته ليكشف عينيه الرماديتين الحادتين، وشعرت إيما أنها متأكدة أنها رأته من قبل، ولكن لم تتذكر أين.

كان كل ما قاله: «صباح الخير، حضرة الرئيس»، ولكن كشفت هذه الكلمات الأربع عن المقاطعة التي كان قادماً منها.

قال بيوكانان: «دعونا ننتقل إلى الأعمال التي لدينا، بحلول الموعد النهائي الذي كان السادسة من مساء أمس، وضع مرشحان اسميهما ليشغلا منصب رئيس المجلس المحتمل: السيدة إيما كليفتون، والتي اقترحها السير جايلز بارينغتون، ومؤيدة من قبل الدكتورة جريس بارينغتون، والرائد فيشر، الذي اقترحه السيد آنسكوت والمؤيد من قبل السيد نولز. سيطلع المرشحان الآن المجلس عن تطلعاتهما بالنسبة إلى مستقبل الشركة. أطلب من الرائد فيشر أن يبدأ الإجراءات». انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

لم يتحرك فيشر من مكانه. «أشعر أنه من اللباقة أن أدع السيدة تتحدث أولاً» قالها وهو يبتسم ابتسامة لطيفة لإيما.

ردت إيما: «كم هذا لطيفٌ منك أيها الرائد، ولكن أنا مسرورة باتباع قرار رئيس المجلس وأود لو تبدأ أولاً».

بدا فيشر مضطرباً قليلاً، ولكنه عاد للحالة الطبيعية على الفور. قلّب ملاحظاته، نهض من مكانه ونظر نظرة طويلة حول الطاولة، قبل أن يبدأ بالكلام.

«السيد رئيس المجلس، أعضاء المجلس. أعتبر أن ترشيحي لأكون رئيساً لمجلس إدارة شركة بارينغتون للشحن شرفٌ كبير. كرجلٍ ولد وتربى في بريستول، كنت أعلم عن هذه الشركة العظيمة طوال حياتي، أعلم عن تاريخها، تقاليدها، وسمعتها أيضاً، والتي أصبحت جزءاً من إرث بريستول البحري العظيم. كان السيد جوشوا بارينغتون رجلاً أسطورياً، وكذلك السيد والتر، الذي تشرفت بمعرفته» – بدت إيما متفاجئة، ما لم يعني بكلمة «معرفة» جدها أنه التقى به في أحد خطاباته في المدارس قبل ثلاثين عام – «كان مسؤولاً عن شهرة الشركة وعن بناء سمعتها كواحدة من مؤسسات الشحن الرائدة، ليس فقط في البلاد بل حول العالم أيضاً. ولكن يؤسفني القول إن هذه لم تعد الحال، جزئياً لأن ابن السير والتر، السير هوغو، لم يكن جديراً بمنصبه، وبالرغم من أن رئيس مجلسنا الحالي قام بالكثير من أجل استعادة سمعة الشركة، إلا أن عدداً من الأمور التي حدثت مؤخراً، والخارجة عن إرادته، أدت إلى فقدانه ثقة بعض كبار المساهمين. ما عليكم اتخاذ قرار بشأنه اليوم، أصدقائي المديرين» قال ذلك وجال بنظر حول الطاولة «هو بخصوص الشخص الأفضل تأهيلاً من أجل حل مشكلة افتقار الثقة. في الوضع الراهن، أشعر أنه عليّ أن أذكر مؤهلاتي حين يتعلق الأمر بخوض هذه المنافسة. خدمت وطني كملازم شاب في معركة طبرق، والتي وصفها مونتغمري

كواحدة من أكثر المعارك دموية في التاريخ. كنت محظوظاً بما فيه الكفاية للنجاة من هذا الهجوم حين كنت على أرض المعركة.

وضع جايلز رأسه بين يديه. سيكون مسروراً لو أخبر المجلس بما حصل حقاً حين ظهر العدو في شمال أفريقيا، ولكن علم أن ذلك لن يدعم قضية شقيقته.

قال فيشر: «كانت معركتي التالية حين واجهت السيد جايلز بارينغتون كمرشح محافظ في الانتخابات العامة الأخيرة» وشدد على كلمة «المحافظ» لأنه شعر أنه من غير المرجح أن أي أحد آخر ممن على الطاولة، عدا جايلز، قد صوت للعمال، «حيث خسرت بفارق عدد قليل من الأصوات، وذلك بعد إعادة الإحصاء ثلاث مرات»، هذه المرة، ابتسم لجايلز. أراد جايلز أن ينهض ويمسح تلك الابتسامة عن وجه فيشر، ولكنه تمكن بطريقةٍ ما من السيطرة على نفسه.

«لذلك أعتقد أنني أستطيع أن أقول عن قناعة أنني اختبرت الفوز والخسارة، واقتبس من كيبلينغ قوله إنني تعاملت مع الأمرين بالطريقة نفسها».

أكمل: «والآن، اسمحوا لي أن أتطرق لبعض المشاكل التي تواجهها شركتنا القديرة في الوقت الحالي. وأشدد على عبارة في الوقت الحالي. قبل عامٍ اتخذنا قراراً هاماً، وأود أن أذكّر المجلس أنني في ذلك الوقت دعمت اقتراح رئيس المجلس كلياً من أجل بناء سفينة باكينغهام. ولكن، منذ ذلك الوقت، حصلت سلسلة من الكوارث، بعضها غير متوقع، وبعضها كان علينا توقعها، وتسبب ذلك في تأخرنا عن الجدول الزمني. كنتيجة لذلك، وللمرة الأولى في تاريخ الشركة، كنا مضطرين للجوء إلى البنوك من أجل الاقتراض حتى نتمكن من تخطي الظروف الصعبة. إن كنت رئيساً منتخباً للمجلس، اسمحوا لي أن أخبركم عن التغييرات الثلاثة التي سأبدأها على الفور. أولاً، سأدعو السيدة كليفتون لتكون نائبة رئيس المجلس، كي تكون ذا سيتي متيقنة

أن عائلة بارينغتون لا تزال ملتزمة كلياً بمستقبل الشركة، كما كانت على مدى أكثر من قرن».

سُمعت عدة تأييدات من حول الطاولة، وابتسم فيشر لإيما للمرة الثانية منذ أن انضم للمجلس. كان جايلز معجباً بوقاحة الرجل، لأنه علم غالباً أن إيما لن تفكر برد الإطراء، لأنها كانت تعتقد أن فيشر مسؤول عن مشاكل الشركة الحالية، ومن المؤكد أنها لن تقبل أن تكون نائباً له.

أكمل فيشر: «ثانياً، سأسافر إلى بلفاست صباح الغد، وأجلس مع السيد فريدريك ريبيك، رئيس مجلس شركة هارلاند أند وولف، وأبدأ بإعادة التفاوض حول عقدنا، مشيراً إلى أن شركته رفضت بشكل مستمر تحمل مسؤولية أي من النكسات المؤسفة التي حصلت أثناء بناء سفينة باكينغهام. وثالثاً، سأستعين بأفضل الشركات الأمنية من أجل حماية أي معدات يتم إرسالها إلى بلفاست من أجل بارينغتون، بحيث لن تتكرر حادثة التخريب التي حصلت على عبارة هيشام مجدداً. في الوقت ذاته، سأزيل بوليصات التأمين الجديدة التي لا تتضمن صفحات من البنود الجزائية مطبوعة بالخط الصغير. وأخيراً، أود أن أضيف أنني سأكون محظوظاً كثيراً إن أصبحت رئيساً لمجلسكم، وسأبدأ بالعمل ظهيرة هذا اليوم ولن أرتاح حتى يتم إطلاق سفينة باكينغهام في البحار، وتدر للشركة عائدات جيدة في استثمارها».

جلس فيشر بعد جولة من التصفيق الحار، والكثير من الابتسامات وإيماءات التأييد. حتى قبل أن ينتهي التصفيق، أدركت إيما أنها ارتكبت خطأً تكتيكياً حين سمحت لندها بالبدء أولاً. لقد غطى معظم النقاط التي أرادت التحدث عنها، وسيبدو الآن في أفضل الأحوال أنها توافق على ما قال وفي أسوأ الأحوال أنها لا تملك أفكاراً خاصة بها. تتذكر بوضوح كيف قام جايلز بالاستهزاء بالرجل ذاته في صالة كولستون خلال حملة الانتخابات الأخيرة. ولكن كان رجلاً جديداً حين دخل إلى دار بارينغتون هذا الصباح، ونظرة

واحدة إلى شقيقها أكدت لها أنه قد تفاجأ أيضاً.

قال رئيس المجلس: «السيدة كليفتون، ربما ترغبين الآن بمشاركة أفكارك مع المجلس؟».

نهضت إيما ووقفت بينما رفعت لها جريس إبهامها متمنية لها النجاح، ما أشعرها وكأنها عبدة مسيحية على وشك أن تُرمى للأسود.

«سيدي رئيس المجلس، دعني أبدأ بالقول إنك ترى مرشحاً غير متحمس اليوم أمامك، لأنني لو كان لي الخيار لكنت بقيت في منصبك كرئيسٍ لمجلس إدارة هذه الشركة. لم أفكر بالأمر حتى قررت أنك لا تملك خياراً بديلاً سوى التنحي عن منصبك من أجل أن أكمل تقاليد عائلتي المرتبط بالشركة منذ وقتٍ طويل. أود البدء بالقول إن بعض الأعضاء يعتقدون أن العقبة الأكبر التي تحول دون تولي المنصب هو جنسي».

تسبب قولها هذا بالضحك، بعض تلك الضحكات كانت متوترة، ولكن بدت سوزان فيشر متعاطفة معها.

أكملت إيما: «أنا أعاني من كوني امرأة في عالم الرجال، وبصراحة، ليس هنالك ما في وسعي القيام به بشأن ذلك. أقدّر أن الأمر يتطلب مجلساً شجاعاً كي يعين امرأةً رئيسة لشركة بارينغتون، وخصوصاً تحت الظروف الصعبة التي نواجهها الآن. ولكن في النهاية، الشجاعة والابتكار هما تماماً الأمران اللذان تحتاجهما الشركة في الوقت الحالي. تقف شركة بارينغتون عند مفترق طرق، وأياً كان من ستختارونه اليوم سيضطر لاختيار الطريق الذي سنسلكه. كما تعلمون، حين قرر المجلس العام الماضي أنه يجب علينا البدء ببناء باكينغهام، عارضت الفكرة، وصوّت وفقاً لذلك. ولذا من المنصف أن أعلم المجلس ما رأيي بالنسبة إلى تلك القضية. برأيي، لا يمكننا التفكير بالتراجع، لأن ذلك سيكون مهيناً للشركة ووصفة للضياع. اتخذ المجلس قراره بنية حسنة، وندين للمساهمين في شركتنا ألا نهرب ونلوم الآخرين، بل أن نفعل بدلاً من ذلك

كل ما في وسعنا من أجل التعويض عن الوقت الضائع، وأن نضمن النجاح على المدى الطويل».

نظرت إيما إلى الأسفل إلى مجموعة من الملاحظات التي كررت تقريباً كل ما قاله ندها. تابعت وهي تأمل أن يتغلب حماسها الطبيعي وطاقتها على حقيقة أن زملائها يسمعون نفس الأفكار والآراء تُعاد للمرة الثانية. بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى السطر الأخير من خطابها، شعرت باهتمام المجلس يتلاشى. حذرها جايلز من أن شيئاً ما غير متوقع قد يحصل خلال اليوم، وقد حصل حقاً. كانت لعبة فيشر قوية.

«السيد رئيس المجلس، هل يمكنني أن أختتم بالقول إنه سيكون شرفاً كبيراً لي كفرد من عائلة بارينغتون أن يُسمح لي بالانضمام لأسلافي وترؤس المجلس، وتحديداً في وقت تواجه الشركة فيه هذه المشاكل الكبيرة. أعلم أنني وبمساعدتك أستطيع التغلب على هذه المصاعب وأستطيع استرجاع سمعة بارينغتون الحسنة التي تتجلى في تفوقها ونزاهتها المالية».

جلست إيما وهي تشعر أن بطاقة تقريرها سيُكتب عليها «كان يمكن أن تكون أفضل».

لا بد أن كل الأشخاص الجالسين على الطاولة تقريباً قد قرروا مسبقاً إلى صالح من سيصوتون قبل بدء الاجتماع.

حين انتهى المرشحان من خطابيهما، كان دور أعضاء المجلس لكي يقدموا آرائهم. أراد معظمهم أن يعبروا عن آرائهم، ولكن لم يكن هنالك الكثير من التبصر أو الأصالة خلال الساعة القادمة، وبالرغم من رفضها الإجابة عن السؤال: «هل ستعينين الرائد فيشر نائباً لك؟»، إلا أن إيما كانت تشعر أن النتيجة ستكون التعادل. كان ذلك حتى تحدثت الليدي فرجينيا.

قالت بصوت كهديل الحمام، مع رفرفة الجفون: «أرغب أن أقول ملاحظة واحدة، سيدي الرئيس، لا أعتقد أن النساء خلقن على الأرض ليصبحن

رئيسات مجالس، أو للإحاطة بقادة الاتحاد التجاري، أو بناء سفن فاخرة أو لأن يضطررن لجمع مبالغ طائلة من البنوك في مدينة لندن. مع أنني معجبة بالسيدة كليفتون، آمل أن تقبل بعرض الرائد الكريم بأن تكون نائباً له. أتيت إلى هنا بذهن منفتح، مستعدةً من أجل أن أمنحها فوائد الشك، ولكن للأسف لم تكن وفق توقعاتي».

كانت إيما معجبة بجرأة فيرجينيا. من المؤكد أنها حفظت كل كلمة قالتها قبل وقتٍ طويلٍ من دخولها الغرفة، وتدربت على الوقفات الدرامية، ومع ذلك تمكنت بطريقة ما من ترك انطباع أنها لم تنوِ التدخل حتى اللحظة الأخيرة حين لم يترك لها خيار سوى أن تقول بعض الملاحظات دون تحضير. لا يمكن لإيما سوى أن تتساءل كم من أولئك الجالسين حول الطاولة قد خدعوا. بالتأكيد لم يكن بينهم جايلز، الذي بدا وكأنه قد يخنق طليقته.

بقي شخصان لم يقدما رأيهما بحلول الوقت الذي عادت فيه الليدي فيرجينيا إلى مقعدها. قال رئيس المجلس بلباقته المعهودة: «قبل أن أبدأ التصويت، أتساءل إن كانت السيدة فيشر أو السيد هاردكاسل يرغبان بالمشاركة؟».

قالت سوزان فيشر: «لا شكراً لك أيها الرئيس»، ثم أخفضت رأسها مجدداً. نظر رئيس المجلس باتجاه السيد هاردكاسل.

رد هاردكاسل: «من اللطيف منك أن تسأل أيها الرئيس، أرغب بالقول إنني استمعت بانتباه لجميع المشاركات، وتحديداً لمشاركتي المرشحين، وأنني، مثل الليدي فيرجينيا قررت من أريد دعمه».

ابتسم فيشر للرجل القادم من يوركشاير.

قال رئيس المجلس: «شكراً سيد هاردكاسل، ما لم يكن هنالك أحدٍ آخر يرغب بتقديم مشاركة إضافية، فقد حان الوقت لكي يبدأ أعضاء المجلس بالتصويت». توقف للحظات، ولكن لم يتحدث أحد. «سيقوم سكرتير الشركة

الآن بذكر الأسماء. أرجو أن تعلموه أياً من المرشحين ستدعمون».

قال ويبستر: «سأبدأ بالمديرين التنفيذيين، قبل أن أدعو بقية المجلس للتصويت، سيد بيوكانان؟»

قال بيوكانان: «لن أدعم أياً من المرشحين، ولكن إن كانت النتيجة تعادلاً، سأقوم بذلك، فهو من حقي كرئيس للمجلس أن أصوت لصالح من أعتقد أنه الأمثل ليكون خلفاً لي».

قضى روس عدة ليالٍ دون نوم وهو يصارع فكرة من يجب أن يكون خليفته، وقرر في النهاية أن ذلك الشخص هو إيما. ولكن خطاب فيشر الرنان، ورد إيما الواهن، حملاه على إعادة التفكير. لم يستطع إرغام نفسه على التصويت لفيشر، لذا قرر أن يمتنع، ويسمح لزملائه بصنع القرار. مع ذلك، إن كانت نتيجة التصويت التعادل، فسيضطر لدعم فيشر دون حماس.

لم تستطع إيما أن تخفي صدمتها وخيبة أملها بسبب قرار روس عدم التصويت. ابتسم فيشر ورسم خطاً فوق اسم رئيس المجلس، والذي كان حتى ذلك الوقت في العمود المخصص لكليفتون.

«السيد ديكسون؟».

قال الرئيس التنفيذي دون تردد: «السيدة كليفتون».

«السيد كاريك؟»

قال المدير المالي: «الرائد فيشر».

«السيد آنسكوت؟»

«الرائد فيشر». خاب أمل إيما لكنها لم تكن متفاجئة، لأنها علمت أن ذلك عنى أن نولز سيصوت ضدها أيضاً.

«السير جايلز بارينغتون؟»

«السيدة كليفتون».

«السيدة إيما كليفتون؟»

قالت إيما: «لن أصوت أيها الرئيس، سأمتنع».

أومأ فيشر برأسه موافقاً.

«السيد دوبس؟»

«السيدة كليفتون».

«الليدي فيرجينيا فينويك؟»

«الرائد فيشر».

قال فيشر: «سأصوت لنفسي، إنه حقي». وابتسم لإيما من الجهة المقابلة من الطاولة.

كم مرة تمنى سيباستيان من أمه ألا تمتنع عن التصويت، وكأنه كان متأكداً أنه لا توجد أي فرصة بأن يتصرف فيشر كرجل نبيل.

«السيدة فيشر؟»

نظرت سوزان إلى الأعلى إلى رئيس المجلس وترددت للحظة ثم همست بتوتر: «السيدة كليفتون».

استدار أليكس ونظر إلى زوجته مصعوقاً. ولكن هذه المرة لم تخفض سوزان رأسها. بدلاً من ذلك، نظرت إلى إيما وابتسمت. بدت إيما متفاجئة بالقدر ذاته، وضعت إشارة بقرب اسم سوزان.

«السيد نولز؟»

قال دون تردد: «الرائد فيشر».

تفقدت إيما العلامات والأسماء المشطوبة على دفترها.

كان فيشر متفوقاً بستة أصوات مقابل خمسة.

قال سكرتير الشركة: «الأدميرال سمرز؟»

كان هنالك صمت بدا لإيما غير نهائي ولكنه كان في الواقع مجرد لحظات.

قال في النهاية: «السيدة كليفتون»، لهثت إيما. انحنى الرجل الكبير إلى

الأمام وقال: «لم أكن متأكداً من فيشر أبداً، وحين صوت لنفسه، علمت أنني كنت محقاً منذ البداية».

لم تكن إيما متأكدة إن كان عليها الضحك أو تقبيله، ولكن قاطع سكرتير الشركة أفكارها. «السيد هاردكاسل؟» مجدداً، وجه جميع من كانوا في الغرفة تركيزهم إلى الرجل الوحيد الذي لم يعلم أحد شيئاً عنه. «هل يمكنك أن تتكرم وتخبرنا قرارك سيدي؟» تجهم فيشر. لو صوتت سوزان له، سيكون صوت هاردكاسل عديم الجدوى، ولكن كان واثقاً أن الرجل القادم من يوركشاير سيدعمه.

أخرج سيدريك هاردكاسل منديلاً من جيبه العلوي، نزع نظارته ومسحها قبل أن يتحدث. «سأمتنع، وأسمح لرئيس المجلس بالتصويت، فهو يعرف المرشحين أكثر مني، ليقرر من هو الشخص المناسب ليكون خليفته».

* * *

دفعت سوزان فيشر كرسيها للخلف وانسلت بهدوء خارج قاعة المجلس بينما جلس رئيس المجلس المنتخب الجديد في مكانها على رأس الطاولة.

كل شيءٍ سار على ما يرام حتى الآن. ولكن، علمت سوزان أن الساعة التالية ستكون أساسية إن كانت تأمل بإكمال خطتها. لم يعلق أليكس حتى حين عرضت عليه توصيله إلى الاجتماع ذاك الصباح لكي يركز على خطابه. ما لم تخبره إياه هو أنها لن توصله في طريق العودة.

تقبلت سوزان منذ فترة من الزمن أن زواجهما كان زائفاً، ولم تستطع التذكر حتى متى كانت آخر مرة مارسا فيها الغرام. كانت تتساءل دوماً لم تزوجته في الأساس. تذكير أمها المستمر لم يساعد: «إن لم تكوني حذرة، ستصبحين عانساً». مع ذلك كانت تنوي الآن أن تسوي الأمور برمتها.

* * *

لم يستطع أليكس فيشر أن يركز على خطاب القبول الذي ألقته إيما، لأنه

كان يحاول أن يكتشف كيف سيفسر لدون بيدرو أن زوجته صوتت ضده.

إقترح مارتينيز في الأصل أن يمثله دييغو ولويس في المجلس، ولكن أقنعه اليكس أنه إن كان هنالك أمرٌ واحد يروع المديرين أكثر من فكرة رئيسة مجلس أنثى، فكان ذلك استيلاء أجنبي على الشركة.

قرر أنه سيخبر دون بيدرو ببساطة أن إيما فازت بالتصويت، وألا يذكر حقيقة أن زوجته لم تدعمه. لم يكترث بالتفكير بما قد يحصل إن قرأ دون بيدرو ذا مينتس.

* * *

ركنت سوزان فيشر السيارة خارج أركاديا مانشنز، فتحت الباب الأمامي بمفتاحها، استقلت المصعد إلى الطابق الثالث ودخلت إلى الشقة. مشت بسرعة إلى غرفة النوم، ركعت وأخرجت حقيبتين من تحت السرير. ثم بدأت بتفريغ إحدى الخزائن من ست فساتين، بدلتين، عدة تنانير وثوب سهرة تساءلت إن كانت سترتديه مجدداً. ثم قامت بفتح خزانة الدروج واحداً تلو الآخر، وأخرجت جواربها وملابسها الداخلية وبلوزاتها وكنزاتها والتي ملأت تقريباً الحقيبة الأولى.

حين نهضت، انجذبت عيناها إلى لوحة من الألوان المائية لمنطقة ليك كان أليكس قد دفع مقابلها أكثر بقليل من قيمتها حين كانا في شهر عسلهما. كانت مسرورة حين اكتشفت أنها تتسع تماماً في القسم السفلي من الحقيبة الثانية. ثم سارت إلى الحمام وجمعت كل أغراضها عن المنضدة، وثوب استحمام وعدة مناشف، وحشرتهما في كل مساحة فارغة متبقية في الحقيبة الثانية.

لم يكن هنالك الكثير مما تحتاجه في المطبخ، سوى طقم مائدة من ويدجوود وهدية زفاف من والدة أليكس. لفت كل قطعة بعناية بصفحات من صحيفة ديلي تلغراف، ووضعتها في أكياس تسوق وجدتها تحت المغسلة.

تركت مجموعة الشاي الخضراء المملة التي لم تحبها أبداً، ولكن معظمها

كان متصدعاً، ولم يعد هنالك مساحة متبقية في الحقيبة الثانية. صرخت: «يا إلهي»، حين أدركت أنه كان هنالك أكثر من ذلك بكثير من الأشياء التي أرادت أخذها ولكن كانت الحقيبتان ممتلئتين بالفعل.

مشت سوزان إلى الحمام مجدداً، وقفت على كرسي وأنزلت صندوق أليكس القديم من أعلى الخزانة. جرته إلى الرواق، فكت أحزمته وأكملت مهمتها. في غرفة الرسم كان هنالك رف موقد عليه ساعة محمولة ادعى أليكس أنها كانت من موروثات العائلة وثلاث صور في إطارات مصنوعة من الفضة. أزالت الصور منها ومزقتها وأخذت الأطر فقط. كانت ترغب بأخذ التلفاز، ولكن كان كبيراً للغاية وأياً يكن الأمر، لن تقبل به أمها.

* * *

عندما أنهى سكرتير الشركة الاجتماع، لم ينضم أليكس إلى زملائه من المديرين لتناول الغداء. غادر غرفة المجلس على الفور دون التحدث مع أحد، وتبعه بيتر ماينارد. أُعطي أليكس مغلفين من قبل دون بيدرو، يحتوي كل منهما ألف جنيه. لن تحصل زوجته بالتأكيد على الخمسمئة التي وعدها بها. حين أصبحا في المصعد، أخرج أليكس أحد المغلفين من جيبه.

قال: «أنت نفذت على الأقل مهمتك من الصفقة» وأعطاه المغلف.

قال ماينارد ممتناً: «شكراً لك». ووضع المال في جيبه. أضاف حين فتح باب المصعد في الطابق الأرضي: «ولكن ما حصل لسوزان؟». لم يرد أليكس. حين غادر الرجلان دار بارينغتون، لم يكن أليكس متفاجئاً لعدم رؤية سيارته في مكانها المعتاد، ولكنه كان محتاراً حين رأى سيارة أخرى لم يعرفها في مساحة الركن خاصته.

كان شابٌ يحمل حقيبة غلادستون واقفاً بالقرب من الباب الأمامي من السيارة. في اللحظة التي رأى فيها أليكس، بدأ السير باتجاهه.

* * *

في النهاية، كانت سوزان مرهقةً من الجهد الذي بذلته، فدخلت مكتب أليكس دون القرع على الباب، ولم تكن تتوقع أنها ستجد شيئاً قيماً لتضيفه إلى غنائمها: وجدت إطارين إضافيين، واحداً من الفضة والآخر جلدي، وفتاحة رسائل فضية كانت قد أهدته إياها بمناسبة عيد الميلاد. ولكنها كانت مطلية فقط بالفضة، قررت أنه يمكنه الاحتفاظ بها.

كان الوقت ينفد واعتقدت أنه لم يبقَ الكثير قبل أن يعود أليكس، ولكن حين كانت على وشك المغادرة، لمحت ظرفاً سميكاً كُتب عليه اسمها. مزقته لتفتحه ولم تصدق عينيها. كان يحوي الخمسمئة جنيه التي وعدها بها أليكس إن حضرت اجتماع المجلس وصوتت لصالحه. لقد نفذت مهمتها من الصفقة، حسناً، نصفها، وضعت المال في حقيبتها، وابتسمت للمرة الأولى ذلك اليوم.

أغلقت سوزان باب المكتب وتفقدت الشقة للمرة الأخيرة. لقد نسيت شيئاً ما، ولكن ما هو؟ أوه نعم، بالطبع. هرعت عائدةً إلى الغرفة، فتحت الخزانة الصغيرة وابتسمت للمرة الثانية حين رأت صفوف الأحذية الكثيرة المتبقية من أيام مهنتها كعارضة أزياء. تأنّت وهي تضعها كلها في الصندوق. حين كانت على وشك إغلاق الخزانة الصغيرة، لمحت صفاً مرتباً من الأحذية الرجالية الجلدية السوداء والبنية، وجميعها ملمعة وكأنها ستظهر في عرض. علمت أنها كانت مصدراً لفخر أليكس وسروره. كانت كلها مصنوعة يدوياً على يد لوب من سانت جيمس وكما كان يذكرها دوماً، ستبقى على حالها حتى لو بعد عمر من الاستخدام.

أخذت سوزان الفردة اليسرى من كل زوج من الأحذية ووضعتها في صندوق اليكس القديم. كما أخذت الفردة اليمنى من شبشب، واليمنى من جزمة ويلينغتون واليمنى من حذاءٍ رياضي، قبل أن تجلس على غطاء الصندوق وتغلق الحزامات.

جرت أخيراً الصندوق، وحقيبتين وكيسي تسوق إلى الرواق وأغلقت باب منزلٍ لن تعود إليه يوماً.

* * *

مكتبة
t.me/t_pdf

«الرائد أليكس فيشر؟»

«نعم».

أعطاه الشاب ظرفاً طويلاً ذا لونٍ برتقالي وقال: «لدي تعليمات بإعطائك هذا، سيدي». دون كلمة أخرى، التف، مشى إلى سيارته وقاد بعيداً. انتهى اللقاء بأكمله في أقل من دقيقة.

فتح أليكس المرتبك الظرف بشكلٍ متوتر وأخرج وثيقةً مؤلفة من عدة صفحات. حين رأى الكلمات الموجودة على الغلاف، طلب طلاق: السيدة سوزان فيشر والرائد أليكس فيشر، شعر أن ساقيه خدرتان وتشبّث بذراع ماينارد ليقف.

«ما المشكلة يا رجل؟».

سيدريك هاردكاسل

1959

الفصل الثالث عشر

في رحلة العودة إلى لندن على متن القطار، فكر سيدريك هاردكاسل مجدداً بأنه سينتهي به الأمر جالساً في اجتماع مجلس شركة شحن في بريستول. بدأ ذلك كله حين كسر ساقه.

لمدة ما يقارب الخمس سنوات، عاش سيدريك حياة، حتى كاهنه المحلي سيصفها بأنها حياةً طاهرة.

خلال ذلك الوقت، كوّن سمعة بأنه مستقيم ونزيه ويملك حكماً سليماً.

بعد ترك مدرسة هادرزفيلد بعمر الخامسة عشرة، انضم سيدريك إلى والده في بنك فارثينغز، حيث لا يمكنك أن تفتح حساباً إلا إن كنت قد ولدت وتربيت في يوركشاير. تبنى كل موظف من يومه الأول كمتدرب لدى البنك فلسفته الجوهرية: اهتموا بالبنسات والجنيهات ستهتم بنفسها.

بعمر الثانية والثلاثين، عُيّن سيدريك كأصغر مدير لفرع في تاريخ البنك، وكان والده لا يزال موظف كوّة، تقاعد في الوقت المناسب كيلا ينادي ابنه بـ«سيدي».

كان سيدريك مدعواً لينضم إلى مجلس فارثينغز قبل أسابيع من عيد ميلاده الأربعين، وافترض الجميع أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يقوم بتوسيع بنك المقاطعة الصغير، ومثل ديك ويتينغتون، عمدة مدينة لندن؛ ولكن لم يكن سيدريك كذلك. لقد كان، في النهاية، أولاً وأخيراً من يوركشاير. تزوج من يريل، فتاة من باتلي، التي حملت بابنهما أرنولد، في عطلة في سكاربورو وأنجبته في نايتلي. أن يكون المرء مولوداً في البلاد شرطٌ أساسي للانضمام إلى البنك.

حين توفي بيرت إنتويسل، رئيس مجلس فارثينغز، جراء سكتة قلبية عن عمر ناهز الثالثة والستين، لم يتطلب الأمر عملية تصويت لاختيار من سيخلفه.

بعد الحرب، أصبح بنك فارثينغز من البنوك التي كانت تُذكر كثيراً في الصفحات الاقتصادية للصحف الوطنية على أنها «مستعدة ليستحوذ عليها». ولكن كان لدى سيدريك مخططات أخرى، وبالرغم من وجود عدة طلبات من مؤسسات أكبر، تم رفضها جميعاً دون مناقشة، بدأ رئيس المجلس الجديد بتطوير البنك وفتح فروع جديدة، بحيث أصبح البنك بعد عدة سنوات هو من سيستحوذ على غيره وليس العكس. لمدة ثلاثة عقود، أنفق سيدريك كل الأموال الزائدة، مكافآت وإيرادات، واشترى حصصاً في البنك، بحيث لم يعد بحلول عيد ميلاده الستين رئيساً للمجلس فقط بل أصبح المساهم الأكبر مع واحد وخمسين بالمئة من فارثينغز.

بعمر الستين، حين يفكر معظم الرجال بالتقاعد، كان سيدريك مسؤولاً عن أحد عشر فرعاً في يوركشاير وكان موجوداً في مدينة لندن، ولم يكن بالطبع يبحث عن أي أحدٍ ليخلفه كرئيسٍ للمجلس.

لو كان لديه خيبة أمل وحيدة في الحياة، فستكون ابنه أرنولد. كان طالباً جيداً في مدرسة ليدز، ولكن تمرد بعدها، قبل مقعداً في جامعة أوكسفورد بدلاً من المنحة التي عُرضت عليه في جامعة ليد. والأسوأ أن الفتى لم يرد أن ينضم إلى أبيه، بل فضّل أن يتدرب ليصبح محامياً في المحاكم العليا في لندن.

عنى هذا أن سيدريك لم يملك أحداً ليسلمه البنك. للمرة الأولى في حياته، فكر بعرض الاستحواذ الذي قدمه بنك ميدلاند. عرضوا عليه مبلغاً من المال سيتيح له أن يقضي بقية حياته يلعب الغولف في كوستا ديل سول، يلبس الشبشب، ويشرب وينام في سريره حتى الساعة العاشرة. ولكن ما بدا أن أحداً لا يفهمه في سيدريك هاردكاسل سوى يريل هو أن الخدمات المصرفية لم تكن عمله فقط، بل كانت هوايته، ولطالما كان يملك الحصة الأكبر من

أسـهم فارثينغز، الغولف والشبشـب والمشـروب يمكنها أن تنتظر لعدة أعوام إضافيـة. أخبـر زوجتـه أنـه يفضـل أن يموت على مكتبه بـدل أن يموت بعمر الثمانين في ملعب غولف.

كمـا اتضـح لاحقـاً، كاد أن يتوفـى في طريق العودة إلى يوركشـاير ذات ليلة. ولكن حتى سـيدريك لم يسـتطع أن يتوقع كم سـتتغير حياته حين أصبح جزءاً من حادث سير في شارع A1 في وقتٍ متأخر من ليلة جمعة. كان منهكاً بعد حضور سلسلة من اللقاءات المطولة في مكتب رئيس البنك في ذا سيتي ويجـب أن يبقـى فـي شـقته فـي لنـدن لليلة. ولكـن فضل دوماً أن يسـافر إلى هادرزفيلـد وقضـاء عطلـة نهايـة الأسـبوع مع يريل. غط في النـوم وهو يقود، ويتذكر بعدها أنه اسـتيقظ في مستشـفى وكلتا رجليه ملفوفتين بالضماد؛ وهو العامل المشترك الوحيد بينه وبين الشاب في السرير الذي بجانبه.

سيباسـتيان كليفتون كان يمثل كل شـيءٍ يعارضه سـيدريك. كان جنوبياً متزمتـاً، غيـر محتـرم، افتقر الانضباط، كان لديه آراء عن كل شـيء، والأسـوأ من ذلك، بدا أنه يتوقع أن تكون الحياة مسرورة لأنه يحياها.

سـأل سـيدريك المشـرفة على الفور إن كان بإمكانه أن ينتقل إلى جناح آخر. رفضت السيدة بوديكومب طلبه، ولكن أشارت إلى أنه كان يوجد غرفتان خاصتان متوفرتان. بقي سيدريك مكانه، ولم يضيع الأشياء الثمينة.

أثناء الأسـابيع التي تلت حبسـه، لم يعد سـيدريك متأكداً أياً منهم كان لـه تأثيـر أكبـر على الآخـر. في البداية، أسـئلة الفتى اللانهائيـة عن الخدمات المصرفيـة أتلفـت أعصابـه، حتى استسـلم فـي النهاية وأصبـح على نحو غير حماسي أستاذه الوصي. حين سألت المشرفة، كان مضطراً للاعتراف أن الفتى لم يكن ذكياً للغاية فقط، بل لم يكن يحتاج أن يشرح له الأمر مرتين.

قالت بشكل استفزازي: «ألست مسروراً أنني لم أنقلك؟»

قال سيدريك: «حسناً لم أكن لأبتعد كثيراً».

كان هنالك مكافأتان إضافيتان لكونه أستاذ سيباستيان. استمتع سيدريك بالزيارات الأسبوعية من قبل والدته وشقيقته؛ ولكلتيهما مشاكل خاصة بهما. لم يتطلب منه الأمر الكثير من الوقت حتى يكتشف أنه من المستحيل أن تكون جيسيكا ابنة السيدة كليفتون، وحين أخبره سيباستيان في النهاية القصة الكاملة، كل ما قاله كان: «حان الوقت ليخبرها أحدٌ ما».

أصبح أيضاً جلياً لسيدريك أن السيدة كليفتون كانت تمر بمأزقٍ ما في أعمال عائلتها. في كل مرة كانت تزور فيها ابنها في المشفى كان يستدير ويتظاهر بالنوم، بينما استمع، بعد موافقة سيباستيان لكل كلمة قالاها.

كانت جيسيكا تأتي عادةً إلى جانب سريره لكي تتمكن من رسم عارضها الجديد، ما عنى أنه كان على سيدريك أن يبقي عينيه مغلقتين.

ساعدت الزيارات المتباعدة لوالد سيباستيان هاري كليفتون، وخاله جايلز وخالته جريس سيدريك على تخيل أحجية ملونة كانت تتجمع قطعها رويداً رويداً. لم يكن من الصعب اكتشاف ما كان مارتينيز وفيشر يخططان له، حتى لو لم يكن متأكداً مما حفزهما، كان ذلك جزئياً لأن سيباستيان لم يكن يعرف إجابة السؤال ذاك. ولكن، بالنسبة إلى التصويت على إذا ما كان عليهم البدء ببناء سفينة باكينغهام، شعر سيدريك أن إحساس السيدة كليفتون، أو ما تدعوه النساء بالحدس، قد يكون صحيحاً. بعد تفحص قوانين الشركة الداخلية، نصح سيباستيان أن تتحكم والدته بإثنين وعشرين بالمئة من أسهم الشركة، حيث كان يحق لها أن تُمثّل من قبل ثلاثة مديرين في مجلس الشركة، والذي يجب أن يكون أكثر من كافٍ لإيقاف العرض المطروح. لم تأخذ السيدة كليفتون بهذه النصيحة، وخسرت التصويت بفارق صوت واحد.

في اليوم التالي اشترى سيدريك عشرة أسهمٍ في شركة بارينغتون للشحن، بحيث تتبع المداولات المعتادة للمجلس. تطلب الأمر من سيدريك بضعة أسابيع ليكتشف أن فيشر كان يحضّر نفسه ليكون رئيس المجلس التالي. إن

تشارك كل من روس بيوكانان والسيدة كليفتون نقطة ضعفٍ مشتركة، وهي إيمانهما المتأصل بأن كل الناس يعملون وفقاً لمعاييرهم الأخلاقية. كان الأمر المؤسف أن الرائد فيشر لم يمتلك معايير، ودون بيدرو مارتينيز لم يمتلك أخلاقاً.

كان سيدريك يتفحص دوماً صحيفتي فايننشال تايمز وإيكونوميست باحثاً عن معلومات حول السبب وراء انخفاض سعر أسهم شركة بارينغتون. بحسب اقتراح إحدى المقالات في ديلي إكسبرس، إن كان الجيش الجمهوري الإيرلندي مرتبطاً بالقضية، لا بد أن مارتينيز هو عامل الربط. ما لم يفهمه سيدريك هو: لم كان فيشر مستعداً للتدخل بالمسألة. هل احتاج المال إلى هذه الدرجة؟ حضّر لائحة من الأسئلة من أجل سيباستيان كي يطرحها على أمه في زياراتها الأسبوعية، ولم يمر كثير من الوقت حتى أصبح يملك معلومات كافية عن الأعمال اليومية لشركة بارينغتون للشحن مثله مثل أي عضو في المجلس.

بحلول الوقت الذي تعافى فيه سيدريك تماماً، كان من الملائم أن يتم تسجيل خروجه من المستشفى ويعود إلى العمل، اتخذ قرارين. سيشتري البنك 7،5 بالمئة من شركة بارينغتون للشحن، الحد الأدنى للمساهمة الذي يتيح له الحصول على مكان في المجلس والقدرة على التصويت في مسألة من سيكون رئيس مجلس إدارة الشركة التالي. حين اتصل بوكيل أسهمه في اليوم التالي، كان متفاجئاً ليكتشف كم من الناس أيضاً كانوا يقومون بشراء أسهمٍ في بارينغتون، وبدا الأمر جلياً أنهم كانوا يملكون الهدف نفسه. عنى هذا أن الأمر انتهى بدفع سيدريك لمبلغٍ من المال يزيد قليلاً عن المبلغ الذي توقعه، وبالرغم من أن هذا كان مختلفاً عن مهنته المعتادة، كان عليه الاتفاق مع يريل، كان يستمتع بوقته كثيراً.

بعد قضائه عدة أشهرٍ كمراقب، لم يطق الانتظار حتى يتعرف إلى روس

بيوكانان والسيدة كليفتون والرائد فيشر والأدميرال سمرز. ولكن، اتضح أن قراراً آخر قد اتخذه كان واسع النفوذ أكثر.

قبل أن يتم تسجيل خروج سيدريك من المستشفى، زار سيباستيان أحد مشرفيه من كامبردج. وضح السيد بادجيت تماماً أنه لو كان الأمر يعود إليه، لكان قد أخذ مكانه في بيترهاوس في شهر سبتمبر القادم.

كانت إحدى أوائل الرسائل التي كتبها سيدريك بعد عودته إلى مكتبه في ذا سيتي تتضمن عرضاً لسيباستيان يشمل عملاً خلال العطل في بنك فارثينغز قبل أن يذهب إلى كامبردج.

* * *

خرج روس بيوكانان من سيارة الأجرة قبل دقائق من موعده مع رئيس مجلس فارثينغز. كان المساعد الشخصي للسيد هاردكاسل ينتظره في الرواق الأمامي من 127 شارع ثريدنيدل، الذي رافقه إلى مكتب رئيس المجلس في الطابق الخامس. نهض سيدريك من خلف مكتبه عندما دخل بيوكانان الغرفة. صافح يد ضيفه بحرارة، وقاده إلى واحدة من الكراسي المريحة بالقرب من المدفأة. اكتشف الرجل القادم من يوركشاير والرجل الإسكوتلندي على الفور أنهما امتلكا الكثير من النقاط المشتركة، مثل اهتمامهما المشترك بمستقبل شركة بارينغتون للشحن.

قال سيدريك: «لاحظت أن سعر السهم قد ارتفع قليلاً مؤخراً، حسناً ربما بدأت الأمور تستقر».

«يبدو أن الجيش الجمهوري الإيرلندي فقد الاهتمام بالاعتداء على الشركة في كل فرصة ممكنة، مما يبدو أنه أمن راحة البال لإيما».

«ربما توقف من يدفع لهم عن الدفع. في النهاية، لا بد أن مارتينيز استثمر قدراً كبيراً من المال في شراء اثنين وعشرين فاصلة خمسة بالمئة من أسهم الشركة، ليفشل في النهاية في انتخاب رئيس المجلس القادم».

«إن كان ذلك ما حصل، لماذا لا يبيع حصته ويستسلم؟».

«لأنه من الجلي أن مارتينيز رجلٌ عنيد يرفض الاعتراف بالهزيمة، وأعتقد تماماً أنه ليس من الأشخاص الذين ينحشرون في الزاوية ويلعقون جروحهم. علينا أن نقبل أنه ببساطة ينتظر الفرصة المناسبة. ولكن الفرصة المناسبة ليفعل ماذا؟»

قال روس: «لا أعلم. إن الرجل أحجية، من المستحيل سبر غورها. كل ما أعرفه هو أنه حين يتعلق الأمر بعائلتي بارينغتون وكليفتون فلا بد أنه مسألة شخصية».

«لا يفاجئني ذلك، ولكن قد يكون السبب في سقوطه في النهاية. عليه تذكر قول المافيا: حين يؤول المطاف إلى قتل عدو، على الأمر أن يكون عبارة عن أعمال دوماً، وليس مسألة شخصية».

«لم أظنك رجل مافيا».

«لا تخدع نفسك، روس، كانت يوركشاير تعج بالمافيا قبل زمنٍ طويل من إبحار الإيطاليين إلى نيويورك. نحن لا نقتل أعدائنا، بل فقط لا نسمح لهم عبور حدود البلاد». ابتسم روس. فتابع سيدريك بصوتٍ جاد: «كلما ألتقي برجلٍ فاسقٍ مثل مارتينيز، أحاول أن أتخيل نفسي في مكانه وأكتشف ما يخطط لتحقيقه. ولكن في حالة مارتينيز، أنا أفوّت أمراً ما. إنني آمل أن تساعدني في إيجاد القطع الضائعة».

اعترف روس: «لا أعلم القصة الكاملة، ولكن ما أخبرتني إياه إيما كليفتون يستحق أن يكون رواية لهاري كليفتون».

قال سيدريك: «كل هذا من الحبكات؟»، حيث كان جالساً في كرسيه ولم يقاطع مجدداً حتى أخبره روس كل شيءٍ كان يعلمه عن مزادٍ علني في سوثبي، وتمثال لرودين احتوى ثمانية ملايين جنيه من النقود المزورة، وتدهور سيارة في A1 لم يتم تفسيره على نحو كافٍ.

اختتم روس: «ربما أقدم مارتينيز على انسحاب تكتيكي، ولكني لست مقتنعاً أنه غادر أرض المعركة».

اقترح سيدريك: «ربما إن عملنا سويةً، قد أكون قادراً على دعم السيدة كليفتون وعلى السماح لها بالبدء باستعادة ثروات الشركة وسمعتها».

سأل بيوكانان: «ما الذي تفكر به؟»

«حسناً في البداية، كنت آمل أن توافق على الانضمام لمجلس فارثينغز كمدير غير تنفيذي».

«أنا أشعر بالإطراء».

«ليس عليك ذلك. ستقدم للبنك خبرة كبيرة في العديد من المجالات، مثل الشحن. ومن المؤكد أنه ليس هنالك أحدٌ أكثر كفاءة لمراقبة استثماراتنا في بارينغتون. لم لا تفكر بالأمر وتخبرني حين تتخذ قراراً؟».

قال بيوكانان: «ليس عليّ التفكير بالأمر. سأتشرف بالانضمام إلى مجلسكم. لطالما أكننت الكثير من الاحترام لفارثينغز. إن مبدأ اهتم بأمر البنسات وستهتم الجنيهات بأمر نفسها هو فلسفة لن أذكر أسماء المؤسسات التي تستفيد منها». ابتسم سيدريك، وأضاف بيوكانان: «أياً يكن الأمر، اخذ بالاعتبار أعمال بارينغتون غير المنتهية».

قال سيدريك وهو ينهض: «وأنا أيضاً»، مشى وضغط زراً تحت مكتبه. «هل ترغب بالانضمام لنا على الغداء في رولز؟ بحيث يمكنك أن توضح السبب وراء تغييرك لرأيك في اللحظة الأخيرة ومنحك صوتك الحاسم للسيدة كليفتون، في حين كان من الواضح أنك أردت في الأصل دعم فيشر».

كان بيوكانان مصدوماً ودخل في حالة صمتٍ قاطعها قرعٌ على الباب. نظر إلى الأعلى ليرى الشاب الذي التقى به في الرواق الأمامي. «روس، لا أعتقد أنك التقيت مساعدي الشخصي».

الفصل الرابع عشر

وقف الجميع حين دخل السيد هاردكاسل إلى الغرفة. استغرق الأمر من سيباستيان بعض الوقت لكي يعتاد على الثقة التي أكنّها العاملون في فارثينغز لرئيس مجلسهم بوضوح. ولكن بعد أن تنام في السرير المجاور لسرير رجل لمدة أشهر، وتراه دون أن يحلق ذقنه، مرتدياً ملابس النوم ويتبول في قنينة ويشخر، من الصعب أن تخشاه، بالرغم من أنه خلال الأيام الأولى من لقائهما الأول، بدأ سيباستيان باحترام المصرفي من هادرزفيلد.

لوح السيد هاردكاسل بيده لهم وجلس في مكانه على رأس الطاولة.

بدأ وهو ينظر إلى زملائه: «صباح الخير أيها الرجال النبلاء، لقد عقدت هذا الاجتماع لأنه عُرض على البنك فرصة استثنائية، إن تعاملنا معها على نحوٍ صحيح، قد تفتح باباً جديداً من الإيرادات التي ستفيد فارثينغز على مدى العديد من السنوات».

لقد حصل على انتباه الفريق.

«تواصل مع البنك مؤخراً مؤسس ورئيس مجلس شركة الهندسة اليابانية سوني إنترناشيونال، والذي يأمل أن يحصل على قرض محدد مسبق وقصير الأمد تبلغ قيمته عشرة ملايين جنيه».

توقف سيدريك للحظة لكي يدرس تعابير وجوه المديرين التنفيذيين الأربعة عشر الجالسين حول الطاولة. تعددت التعابير من قرف واضح إلى «فرصة مثيرة» وكل شيء بينهما. لكن سيدريك حضّر القسم التالي من عرضه بحذرٍ شديد.

«انتهت الحرب منذ أربعة عشر عاماً. ولكن قد لا يزال البعض منكم

يشعر، كما وضح رئيس تحرير ديلي ميرور هذا الصباح، أننا يجب أن لا نتعامل قطعاً مع «تجار الحرب الأوغاد». ولكن، من الممكن أن واحداً أو اثنين منكم قد لاحظا النجاح الذي حصده ويستمينستر حين وقّع صفقة شراكة مع بنك دويتشه لبناء مصنع مرسيدس جديد في دورتموند. إن الفرصة التي أمامنا فرصةٌ مماثلة. أود التوقف للحظة، وأريد أن أطلب من كل منكم تخيل حال الأعمال بعد خمسة عشر عاماً. لا اليوم، ولا قبل خمسة عشر عاماً بالتأكيد. هل سنستمر بإظهار نفس التحيزات، أم أننا سننتقل إلى اتباع نظام جديد يتقبل وجود جيل جديد من اليابانيين الذين يجب ألا نحكم عليهم بسبب الماضي. إن كان هنالك في الغرفة أي شخصٍ يشعر أنه غير قادر حتى على التفكير بالعمل مع اليابانيين لأن ذلك سيفتح جروحاً مؤلمة، الآن هو الوقت المناسب ليوضح موقفه، لأننا من دون دعمكم الصادق، لن نأمل بالنجاح في هذا المكان. كانت المرة الأخيرة التي تفوهت بها بهذه الكلمات، من بين أسنان تكزّ، في عام 1947، حين سمحت في النهاية لشخصٍ من لانكستر بفتح حسابٍ في فارثينغز».

موجة الضحك التي انطلقت بعد ذلك ساعدت في تخفيف التوتر، ولكن لم يشك سيدريك في أنه سيتعرض مع ذلك للمعارضة من قبل بعض كبار موظفيه، وأن بعضاً من عملائه المتحفظين قد يفكرون حتى في نقل حساباتهم إلى بنوك أخرى.

أكمل: «الآن، كل ما في وسعي إخباركم إياه هو أن رئيس مجلس سوني إنترناشيونال واثنين من مديري شركته ينوون زيارة لندن خلال ستة أسابيع. لقد وضحوا تماماً أننا لسنا البنك الوحيد الذين يتواصلون معه، ولكن أعلموني في الوقت ذاته أننا في الوقت الحالي خيارهم المفضل».

سأل أدريان سلوان، رئيس مكتب تحويل العملات: «لماذا فكرت سوني بنا أيها الرئيس، في حين أن هنالك عدة بنوك أخرى أكبر تتخصص بهذا المجال؟»

«قد لا تصدق الأمر أدريان، ولكن كنت في العام الماضي في مقابلة مع صحيفة إيكونوميست، وفي الصورة التي التقطت في منزلي في هادرزفيلد، كان هنالك راديو سوني ظاهر في الخلفية. بمثل هذه الأهواء تُخلق الثروات».

قال سيباستيان: «تقتبس من جون كينيث غالبريث».

تلى ذلك جولة من التصفيق من واحد أو اثنين من الفريق ممن لم يكونوا عادةً ليقاطعوا الرئيس، ما تسبب في شيء قلما يحصل لسيباستيان، احمرت وجنتاه.

قال رئيس المجلس: «من الجيد أن نعلم أننا نملك شخصاً مثقفاً واحداً على الأقل في الغرفة، بعد هذه الملاحظة، لنعد إلى العمل. إن كان أحدٌ ما يرغب بمناقشة هذه المسألة بشكلٍ خاص، ليس عليكم أن تأخذوا موعداً، تعالوا فقط لرؤيتي».

بعد أن عاد سيدريك إلى مكتبه، تبعه سيباستيان على الفور، واعتذر مباشرةً لقوله الملاحظة تلك ومقاطعته.

«لا داعٍ لذلك سيب. في الواقع، ساعدت في تهدئة الجو، وفي الوقت ذاته رفعت مكانتك لدى كبار الموظفين. لنأمل أن يتسبب ذلك في تشجيع واحد أو اثنين آخرين على التحدي في المستقبل. ولكن لننتقل إلى المسائل الهامة. لدي شيءٌ أريدك أن تقوم به».

قال سيباستيان: «وأخيراً» حيث كان منهكاً من مرافقة العملاء القيمين في المصعد صعوداً ونزولاً، لينغلق الباب في وجهه لحظة دخولهم مكتب رئيس المجلس».

«كم لغة تتحدث؟»

«خمس لغات إن كانت الإنكليزية من بينهم. ولكني لا أتقن العبرية تماماً».

«إذن لديك خمسة أسابيع لكي تتعلم اليابانية على أكمل وجه».

«من سيقرر إن نجحت في ذلك؟».

«رئيس مجلس إدارة سوني إنترناشيونال».

«آه، إذن ليس عليّ أن أتوتر».

«أخبرتني جيسيكا أنك كنت في عطلة مع العائلة في توسكاني، وتحدثت الإيطالية خلال ثلاثة أسابيع».

قال سيباستيان: «تحدث اللغة ليس كإتقانها، أي، تميل أختي إلى المبالغة»، نظر إلى لوحة سيدريك في السرير في مشفى برنسس الكساندرا، كانت اللوحة تدعى، بورتريه رجل يحتضر».

قال سيدريك: «ليس في بالي مرشحٌ آخر»، أعطاه إعلاناً. «توفر جامعة لندن حالياً ثلاث دورات لتعلم اليابانية – للمبتدئين ومتوسطي المستوى والمتقدمين. لذا ستتمكن من قضاء أسبوعين في كل منها». ضحك سيدريك بعدما قال ذلك. بدأ الهاتف الموجود على مكتب رئيس المجلس بالرنين. رفع السماعة، أنصت للحظات وقال: «جيكوب، شكراً لك لمعاودة الاتصال بي. أحتاج للتحدث معك حول مشروع المنجم البوليفي، لأنني أعلم أنك الخبير المالي الرئيسي....»

غادر سيباستيان الغرفة، وأغلق الباب بهدوءٍ خلفه.

قال البروفسور مارش وهو ينظر إلى الصفوف الطويلة من الأوجه المترقبة: «إن البروتوكول هو المفتاح الأساسي لفهم العقلية اليابانية، كل جزء منها مهم لإتقان اللغة».

* * *

اكتشف سيباستيان على الفور أن دروس المبتدئين والمستوى المتوسط والمتقدم كانت تقام في أوقات مختلفة من النهار، ما جعل حضوره خمسين درساً كل أسبوع أمراً مستحيلاً. عنى هذا، بالإضافة إلى الساعات التي كرسها لقراءة عدد كبير من الكتب، والمسجلة مع عشرات الشرائط، أنه لن يملك

وقتا كافياً للأكل أو النوم.

أصبح البروفسور مارش معتاداً على رؤية الشاب ذاته جالساً في الصف الأمامي من محاضراته، يكتب الملاحظات بحماس.

قال البروفسور: «لنبدأ بالتحية، من المهم أن نفهم أن التحية عند اليابانيين تكشف عن أكثر بكثير مما تفعل المصافحة لدى البريطانيين. ليس هنالك درجات مختلفة للمصافحة، أكثر من أن تكون قوية أو ضعيفة، وكنتيجة لذلك، لا تكشف المصافحة عن موقع أي من المشاركين الاجتماعي. ولكن بالنسبة إلى اليابانيين، هنالك شيفرة كاملة في التحية. بدايةً من القمة، لا ينحني الإمبراطور لأحد. إن كنت ستلتقي أحداً من درجتك الاجتماعية، تومئان كلاكما برأسيكما...» هز البروفسور رأسه هزة تشرح الأمر. «ولكن على سبيل المثال، إن كان لدى رئيس مجلس شركة اجتماع مع مديره العام، رئيس المجلس يومئ برأسه قليلاً بينما المدير العام ينحني له، من الخصر نزولاً. إن التقى أحد العمال برئيس المجلس، ينحني للأسفل كثيراً، بحيث لا تلتقي عيونهما، وقد لا يعترف رئيس المجلس بوجوده حتى يمر بالقرب منه».

قال سيباستيان بعد أن عاد لاحقاً ظهيرة ذاك اليوم إلى البنك: «حسناً، إن كنت يابانياً وكنت أنت رئيس المجلس، عليّ الانحناء للأسفل كثيراً لأظهر لك أنني أعرف مكانتي».

قال سيدريك: «يأمل البعض ذلك».

قال سيباستيان متجاهلاً التعليق: «وأنت، تومئ برأسك أو ببساطة تمر وتتجاوزني. لذلك حين ترى السيد موريتا للمرة الأولى، بما أن الاجتماع سيتم في بلادك، عليك أن تسمح له بأن يومئ أولاً ثم ترد له الإيماء، ثم تتبادلان بطاقات العمل. إن أردت أن تثير إعجابه حقاً، يجب أن تكون بطاقتك بالإنكليزية من جهة وباليابانية من الجهة الأخرى. حين سيقدم السيد موريتا مديره العام، سينحني للأسفل وعليك أن تومئ برأسك فقط من جديد. وحين

يقدم الشخص الثالث في مجموعته، سينحني للأسفل أكثر حتى، بينما أنت تومئ برأسك فقط مجدداً».

«إذن عليّ أن أستمر بالإيماء برأسي. هل هنالك من عليّ الانحناء له؟».

«الإمبراطور فحسب، ولا أعتقد أنه يبحث عن قرضٍ قصير الأمد في الوقت الحالي. سيرى السيد موريتا أنك تراه في مرتبة أعلى من زملائه والأمر المهم أيضاً هو أن زملاءه سيقدرون الاحترام الذي أظهرته لرئيس مجلسهم».

قال سيدريك: «أعتقد أن هذه الفلسفة بأكملها يجب أن تطبّق في فارثينغز على الفور».

أكمل سيباستيان: «ثم هنالك الآداب الصعبة حين ستتناولون الطعام سوية، في المطعم، يجب أولاً أن يطلب السيد موريتا وأن يُقدّم الطعام له أولاً، ولكن لا يمكنه البدء بوجبته قبل أن تبدأ. لا يمكن لزملائه أن يبدؤوا قبله، ولكن عليهم أن ينتهوا قبله تماماً».

«فقط تخيل لو كنت في حفل عشاء لستة عشر شخصاً، وكنت أقل الموجودين درجةً...»

قال سيباستيان: «ستصاب بسوء الهضم، أياً يكن الأمر، في نهاية الوجبة، لن يغادر السيد موريتا الطاولة حتى تنهض وتطلب منه الانضمام إليك».

«ماذا عن النساء؟»

قال سيباستيان: «أرض ألغام، لا يفهم اليابانيون لم يقف الرجال الإنكليز حين تدخل امرأة الغرفة، ويسمحون للنساء بالحصول على الخدمة أولاً، ولا يرفعون شوكتهم وسكينهم حتى تفعل زوجاتهم».

«هل تقترح أنه قد يكون من الأفضل أن أترك يريل في هادرزفيلد؟»

«قد يكون هذا حكيماً في الظروف الراهنة».

«وماذا سيحصل إن انضممت إلينا لتناول العشاء، سيب؟»

«سيكون عليّ أن أطلب آخراً وأحصل على الخدمة آخراً، وأبدأ وجبتي

آخراً وأغادر الطاولة آخراً».

قال سيدريك: «مرة أولى أيضاً، بالمناسبة، متى تعلمت كل هذا؟»

قال سيباستيان: «هذا الصباح».

* * *

كان سيباستيان ليترك دروس المبتدئين بحلول نهاية الأسبوع الأول لو لم يتشتت تفكيره.

حاول أن يركز على ما كان البروفسور مارش يقوله، ولكنه وجد نفسه في كثير من الأحيان ينظر إلى الخلف في اتجاهها. بالرغم من أنها كانت أكبر بكثير من سيباستيان، بعمر الثلاثين أو ربما الخامسة والثلاثين، إلا أنها كانت جذابة للغاية، وأكد له رفاقه في البنك أن النساء اللواتي كن يعملن في ذا سيتي كن يفضلن الرجال الأصغر سناً.

استدار سيباستيان مجدداً ونظر باتجاهها، ولكنها كانت تركز على كل كلمة كان يقولها البروفسور، أم هل كانت فقط تدعي أنها صعبة المنال؟ لم يكن هنالك سوى طريقة واحدة ليكتشف.

أخيراً، حين انتهت المحاضرة. تبعها إلى خارج الرواق، واكتشف أنها كانت جذابة أيضاً من الخلف. كشفت تنورتها عن ساقين نحيلتين كان مسروراً للحاق بهما إلى حانة الطلاب. ازدادت ثقته حين سارت مباشرة نحو المنضدة وأخرج الساقي فوراً قنينة من النبيذ الأبيض.

جلس سيباستيان على المقعد بالقرب منها. «كأس من الشاردونيه للسيدة وجعة لي».

ابتسمت.

قال الساقي: «حالاً».

«اسمي سيب».

ردت: «أنا إيمي». فاجأته لهجتها الأمريكية. هل كان على وشك أن

يكتشف إن كانت الفتيات الأمريكيات سهلات المنال كما ادعى زملاؤه في البنك؟

سأل سيباستيان: «حسناً ما الذي تفعلينه حين لا تدرسين اليابانية؟» بينما وضع الساقي مشروبين على المنضدة.

«حسابكم أربعة شلنات».

أعطى سيباستيان الساقي قطعتين نقديتين وقال: «احتفظ بالفكة».

قالت: «لقد تقاعدت للتو من عملي كمضيفة طيران».

فكر سيباستيان، لا يمكن لهذا أن يصبح أفضل من ذلك. «ما الذي جعلك تفعلين ذلك؟»

«إنهم دوماً يبحثون عن موظفاتٍ أصغر سناً».

«ولكن من المستحيل أن تكوني أكبر بيومٍ من خمسة وعشرين سنة».

قال قبل أن تحتسي رشفة من نبيذها: «أتمنى ذلك، وما الذي تفعله أنت؟»

«أنا مصرفي تاجر».

«يبدو هذا مثيراً».

قال سيباستيان: «بالطبع، عقدت في وقتٍ سابق اليوم صفقة مع جيكوب روثشايلد لشراء منجم قصدير في بوليفيا».

«واو هذا يجعل من عالمي يبدو مملاً. حسناً، لِمَ تتعلم اليابانية؟»

«رئيس مكتب الشرق الأقصى حصل على ترقية للتو، وأنا على لائحة المرشحين لعمله».

«ألست صغيراً قليلاً على منصبٍ فيه هذه الدرجة من المسؤولية؟»

قال سيباستيان: «عالم البنوك لعبة الشباب» بينما أنهت كأسها. «هل يمكنني أن أطلب لك كأساً أخرى؟»

«لا شكراً لك، من الأفضل أن أعود للمنزل إن أردت ألا يتركني البروفسور غداً في الخارج».

«لِمَ لا آتي معك، ونراجع سويةً؟».

قالت: «يبدو الأمر مغرياً، ولكنها تمطر، لذا سنحتاج لسيارة أجرة».

قال وهو يبتسم لها ابتسامة ودودة: «دعي الأمر لي».

ركض سيباستيان إلى خارج الحانة، تطلب منه العثور على سيارة أجرة بعض الوقت، ولكن حين تمكن أخيراً من إيقاف واحدة، تمنى ألا يكون منزلها بعيداً، لأنه لم يتبقّ معه سوى القليل من الفكة. وجدها واقفة خلف الباب الزجاجي ولوح بيده لها.

«إلى أين أيها السيد؟».

قال سيباستيان: «لست متأكداً، لا أعلم أين تعيش السيدة» وغمز السائق. التفت ليرى إيمي تركض نحو سيارة الأجرة وفتح الباب الخلفي على الفور كي لا تتبلل. جلست على المقعد وكان على وشك الانضمام إليها حين سمع صوتاً خلفه يقول: «شكرا لك، كليفتون. من الرائع أن تجد سيارة أجرة لزوجتي في هذا الطقس السيئ». أضاف البروفسور: «أراك غداً» وأغلق باب السيارة.

الفصل الخامس عشر

قال سيدريك وأومأ برأسه إيماءة ذكية: «صباح الخير سيد موريتا. أنا مسرورٌ لرؤيتك».

قال بجرأة: «وأنا مسرور لرؤيتك، سيد هاردكاسل، هل تسمح لي أن أقدم مديري العام، السيد يوياما؟» تقدم بدوره إلى الأمام وانحنى باحترام. أومأ سيدريك برأسه مجدداً. «وسكرتيري الشخصي السيد أونو» الذي انحنى أكثر حتى، ولكن مجدداً، أومأ سيدريك فقط.

قال سيدريك: «تفضل بالجلوس سيد موريتا»، ثم انتظر ضيوفه حتى جلسوا قبل أن يجلس هو في مكانه خلف مكتبه. «أرجو أن رحلتكم كانت مريحة؟»

«نعم شكراً لك، تمكنت من النوم لعدة ساعات بين هونغ كونغ ولندن، وكان لطيفاً منك أن ترسل لي سيارة مع مساعدك الشخصي للقائنا في المطار».

«من دواعي سروري. وهل فندقكم مريح؟».

«مريح كثيراً، شكراً لك، ومناسب جداً لذا سيتي».

«أنا مسرورٌ لسماع هذا. إذن هل نبدأ بأعمالنا؟».

قال سيباستيان وقفز: «لا لا لا! لا يفكر أي رجل نبيل بمناقشة الأعمال قبل أن يُعرض عليه الشاي. في طوكيو، تتم تأدية مراسم الشاي من قبل جيشا ويمكن أن تستمر لثلاثين دقيقة أو أكثر، يعتمد ذلك على طبقة الشخص. بالطبع يمكنه رفض القرض، ولكنه يتوقع منك أن تعرض عليه ذلك».

قال سيدريك: «لقد نسيت، إنها حماقة لن أكررها. شكراً للسماء أنك ستكون موجوداً لإنقاذي وقعت فيها».

قال سيباستيان: «ولكن لن أتمكن من ذلك، سأكون جالساً في الجزء الخلفي من الغرفة مع السيد أونو. سنسجل ملاحظات عن محادثتكما، ولن يفكر أي منا بمقاطعة رئيسه».

«حسناً، متى يمكنني أن أتحدث معه عن الأعمال؟»

«ليس قبل أن يحتسي السيد موريتا الرشفة الأولى من كأسه الثاني من الشاي».

«ولكن أثناء محادثة ما قبل الأعمال، هل يجدر بي أن أذكر زوجتي وعائلتي؟»

«ليس إن لم يقم بفتح الموضوع أولاً. لقد أمضى أحد عشر عاماً متزوجاً من يوشيكو، وهي ترافقه عادةً في الرحلات إلى خارج البلاد».

«هل لديهما أولاد؟».

«لديه ثلاثة أطفال يافعون: صبيان: هيديو بعمر السادسة وماساو بعمر الرابعة وبنت ناوكو بعمر سنتين فقط».

«هل يسمح لي أن أخبره أن ابني...؟»

«فقط إن فتح موضوع أولاده أولاً، ولا أظن أنه سيفعل».

قال سيدريك: «أفهم ذلك، أو أعتقد أني أفعل. هل تعتقد أن رؤساء مجالس البنوك الأخرى سيتكبدون هذا العناء؟»

«من الأفضل أن يفعلوا، إن كانوا يريدون العقد هذا كما تريده أنت».

«أنا ممتن كثيراً، سيب. إذن كيف تجري الأمور في دروس اليابانية؟»

«كان تجري بشكل جيد حتى جعلت من نفسي أضحوكة وحاولت أن ألاطف زوجة البروفسور».

لم يستطع سيدريك التوقف عن الضحك حين أخبره سيباستيان ما حصل في الأمسية السابقة. «قلت مبللاً؟».

«إلى أبعد الحدود. لا أعلم ما قصتي مع النساء. يبدو أنني لا أملك نفس

عامل الجذب الذي يملكه باقي الشبان في البنك».

قال سيدريك: «سأخبرك عن باقي الشبان، حين يشربون عدة كؤوس، يمكنهم أن يجعلوك تصدق أنهم يعطون جيمس بوند دروساً. ويمكنني أن أخبرك أن ذلك مجرد كلام».

«هل واجهت نفس المشكلة حين كنت في سني؟».

قال سيدريك: «بالطبع لا، لكني التقيت بيريل حين كنت في السادسة من عمري، ولم أنظر إلى امرأة أخرى منذ ذلك الوقت».

قال سيباستيان: «السادسة؟ أنت أسوأ من أمي. وقعت في غرام والدي حين كانت في العاشرة من العمر، وبعد ذلك لم تسنح أي فرصة للرجل المسكين».

اعترف سيدريك: «وأنا كذلك. كما ترى، كانت يريل مراقبة الحليب في مدرسة هادرزفيلد الابتدائية، وإن أردت ثلثاً إضافياً من اللتر... كانت متسلطة للغاية، ولا تزال كذلك إن فكرت بالأمر. ولكن لم أرد أي شخص آخر».

«ولم تنظر إلى النساء الأخريات أبداً؟».

«نظرت، نعم، ولكن هذا كل ما في الأمر. إن وجدت الذهب، لِمَ البحث عن النحاس؟».

ابتسم سيباستيان. «إذن كيف أعرف إن وجدت الذهب؟».

«ستعلم يا بني. صدقني. ستعلم».

قضى سيباستيان الأسبوعين الأخيرين قبل الموعد المقرر لوصول طائرة السيد موريتا إلى مطار لندن وهو يحضر كل محاضرة للسيد مارش، ولم ينظر مرة أخرى إلى زوجته. في الأمسية، كان يعود إلى منزل خاله جايلز في ساحة سميث، وبعد عشاءٍ خفيف، بعد أن ترك الشوكة والسكين وأصبح يستخدم أعواد الأكل، كان يعود إلى غرفته ليقرأ ويستمع للموسيقى وينحني بشكلٍ متكرر أمام مرآة بالطول الكامل.

في الليلة التي سبقت اليوم الموعود، شعر أنه مستعد، أو نصف مستعد بالأحرى.

بدأ جايلز يعتاد على انحناء سيباستيان كل صباح بعد دخوله غرفة الفطور.

قال سيباستيان: «وعليك أن ترد عليّ بإيماءة رأس، وإلا لا أستطيع الجلوس».

قال جيلز: «بدأت أستمتع بهذا»، حين دخلت غوينيث للانضمام إليهما.

قال: «صباح الخير عزيزتي»، ونهض الرجلان من مكانيهما.

قالت غوينيث: «هنالك سيارة سمارت ديملر مركونة في الخارج أمام الباب الرئيسي» وجلست مقابل جايلز.

«نعم، ستأخذني إلى مطار لندن لاستقبال السيد موريتا».

«آه بالطبع، اليوم هو اليوم الكبير».

قال سيباستيان: «نعم بالتأكيد». أنهى عصير البرتقال خاصته ونهض وركض إلى الرواق ونظر نظرة أخيرة في المرآة.

قالت غوينيث: «أعجبني القميص»، وضعت الزبدة على قطعة من الخبز المحمص، «ولكن ربطة العنق تبدو قديمة المظهر قليلاً. أعتقد أن ربطة العنق الزرقاء الحريرية التي وضعتها في عرسنا ستكون مناسبة أكثر».

قال سيباستيان: «أنتِ محقة». وهرع على الفور إلى الطابق العلوي واختفى في غرفته.

قال جايلز: «حظاً موفقاً». بينما كان ينزل مسرعاً على السلالم.

صرخ سيباستيان من فوق كتفه وهو متجه خارج المنزل: «شكراً لك».

كان سائق السيد هاردكاسل واقفاً بالقرب من الباب الخلفي من سيارة الديملر.

«أعتقد أنني سأنضم إليك في المقدمة، توم، لأنني سأجلس هنالك في طريق العودة».

قال توم: «كما تشاء» وجلس خلف المقود.

قال سيباستيان: «أخبرني»، والتفت السيارة إلى اليمين خارج ساحة سميث واتجهت نحو السد، «حين كنت شاباً...»

«على مهلك يا فتى، أنا فقط بعمر الرابعة والثلاثين».

«عفواً. سأحاول مرة أخرى. حين كنت عازباً، كم امرأة قمت معها، أنت تعلم ما أقصد، قبل أن تتزوج؟»

قال توم: «المضاجعة؟»

احمرّ وجه سيباستيان ولكنه تمكن من قول: «نعم».

«أتواجه مشاكل مع السيدات؟».

«نعم قليلاً».

«لست أنوي الإجابة عن هذا السؤال سيدي، لأن ذلك سيجرمني». ضحك سيباستيان. «ولكن ليس العدد الذي كنت أتمناه، وليس العدد الذي قلته لرفاقي».

ضحك سيباستيان مجدداً: «وكيف هي حياة المتزوج؟».

«مليئة بالتعرجات مثل تاور بريدج. لماذا فتحت هذا الموضوع سيب؟» سأله توم بينما كانا يمران بالقرب من محكمة إيرلز. «هل وجدت أحداً ما يعجبك؟».

«أتمنى ذلك، لا. أنا فقط عديم الجدوى حين يتعلق الأمر بالنساء. يبدو أنني أخرب الأمر كلما التقيت بفتاة تعجبني. أتمكن بطريقة ما من إرسال جميع الإشارات الخاطئة».

«وهذا ليس أمراً ذكياً حين يسير كل شيء لصالحك أليس كذلك؟».

«ماذا تعني؟».

«أنت شاب وسيم، ذو أنفٍ مدبب، حصلت على تعليم جيد، وتتحدث بطريقة لبقة، وعائلتك جيدة، ما الذي تحتاجه أكثر من ذلك؟».

«ولكني مفلس».

«ممكن، ولكن لديك إمكانيات، والفتيات يحببن الإمكانيات. يظنن أنهنّ قادرت على استغلالها، واستخدامها لمصلحتهن. لذا صدقني، لن تواجه أي مشاكل من تلك الناحية. متى تبدأ، لن تنظر إلى الخلف أبداً».

«إنك ثروة مهدورة يا توم، كان يجب أن تكون فيلسوفاً».

«لا، هذا من شأنك، لست أنا من يملك مكاناً محجوزاً في كامبردج. دعني أخبرك، لو سنحت لي الفرصة، لتبادلت الأماكن معك».

فكرة لم تخطر من قبل في بال سيباستيان.

«لو سمحت لي بالقول، أنا لست أتذمر. لدي عمل جيد، السيد هاردكاسل رجل رائع، ولينـدا جيدة. ولكن لو انطلقت كانطلاقتك إلى الحياة لم أكن لأكون سائقاً، هذا أمر مؤكد».

«ما كنت لتصبح؟»

«كنت سأمتلك أسطولاً من السيارات اليوم، وستدعوني أنت بكلمة سيدي».

شعر سيباستيان فجأة بالذنب. لم يكن مبالياً بكثير من الأشياء، لم يفكر أبداً بما يحصل في حياة الآخرين، أو كم كانوا يعتقدون أنه محظوظ. بقي صامتاً لبقية الرحلة، بعد أن اكتشف بطريقة مؤلمة أن الولادة هي ورقة اليانصيب الأولى في الحياة.

كسر توم حاجز الصمت حين التف خارجاً من طريق غريت ويست.

«هل صحيحٌ أننا سنقل ثلاثة يابانيين؟»

«كن مؤدباً، إننا سنقل ثلاثة رجال نبلاء يابانيين».

«لا تفهمني بشكل خاطئ، ليس لدي شيءٌ ضد الأوغاد الصفر الصغار. إن تحدثنا بشكلٍ منطقي، السبب الوحيد الذي ذهبوا إلى الحرب من أجله كان بسبب أوامرهم».

قال سيباستيان: «أنت مؤرخ أيضاً». بينما توقفت السيارة خارج مدخل المطار. «افتح الصندوق وأدر المحرك حين تراني مرة ثانية، توم، لأن هؤلاء الرجال الثلاثة مهمين كثيراً للسيد هاردكاسل».

قال توم: «سأكون هنا مترقباً حتى أنني تدربت على تحيتي، ألم أفعل؟».

قال سيباستيان وهو يضحك: «ستنحني كثيراً للأسفل في حالتك».

* * *

بالرغم من أن لوحة الوافدين أظهرت أن الطائرة كانت على الموعد، إلا أن سيباستيان كان مبكراً بساعة. جلب قهوة دافئة من مقهى صغير ومزدحم، أخذ نسخة من صحيفة ديلي ميل، وقرأ عن القردين اللذين أُرسلا إلى الفضاء من قبل الأمريكيين وعادا بسلام إلى الأرض. ذهب إلى المرحاض مرتين وتفقد ربطة عنقه في المرآة ثلاث مرات – كانت غوينيث محقة – ومشى جيئةً وذهاباً في مكان اللقاء مرات عديدة وهو يتدرب: «صباح الخير سيد موريتا، أهلاً بك في إنكلترا» في اليابانية وبعدها انحناءة منخفضة.

أعلن صوت متزمت صدر من مكبر الصوت: «رحلة الخطوط اليابانية رقم 1027 من طوكيو وصلت للتو».

اختار سيباستيان على الفور مكاناً خارج بوابة الوافدين حيث سيحصل من هنالك على إطلالة جيدة على الركاب وهم خارجون من الجوازات. ما لم يتوقعه هو عدد رجال الأعمال اليابانيين الكبير الذي خرج من الرحلة 1027، ولم يكن يملك أي فكرة عن مظهر السيد موريتا أو زملائه.

في كل مرة كان يخرج فيها ثلاثة ركاب من البوابة سويةً كان ينحني على الفور ويقدم نفسه. تمكن من إيجادهم في المرة الرابعة، ولكنه أصبح مضطرباً كثيراً لدرجة أنه قال خطابه الصغير بالإنكليزية.

«صباح الخير سيد موريتا، أهلاً بك في إنكلترا» ثم انحنى للأسفل. «أنا مساعد السيد هاردكاسل الشخصي، ولدي سيارة تنتظر لنقلك إلى سافوي».

قال السيد موريتا: «شكراً لك»، وكشف على الفور أن إنكليزيته كانت أفضل من يابانية سيباستيان بكثير.

«إنه من اللطيف جداً أن يتكبد السيد هاردكاسل هذا العناء».

حين لم يحاول موريتا أن يقدّم زميليه، قام سيباستيان بإرشادهما إلى الخارج على الفور، شعر بالراحة حين رأى توم واقفاً مترقباً بالقرب من باب السيارة المفتوح.

قال توم: «صباح الخير سيدي» وانحنى إلى الأسفل، ولكن السيد موريتا وزملاءه استقلوا السيارة دون الاعتراف بوجوده.

جلس سيباستيان في المقعد الأمامي، وانضمت السيارة إلى حركة السير البطيئة المتجهة نحو لندن. بقي صامتاً أثناء الرحلة إلى سافوي، بينما تحدث السيد موريتا بصوت منخفض مع زميليه بلغتهم الأم. بعد أربعين دقيقة، توقفت سيارة ديملر خارج الفندق. أسرع ثلاثة حمالين إلى خلف السيارة وبدأوا بإنزال الأمتعة.

حين خرج السيد موريتا إلى الرصيف، انحنى سيباستيان للأسفل وقال بالإنكليزية: «سأعود عند الساعة الحادية عشرة والنصف سيدي، لكي تصل في الوقت المناسب من أجل لقائك مع السيد هاردكاستل عند الساعة الثانية عشرة».

أومأ السيد موريتا برأسه بينما خرج مدير الفندق وقال: «أهلا بك مجدداً في سافوي موريتا سان» وانحنى إلى الأسفل.

لم يعد سيباستيان إلى السيارة حتى اختفى السيد موريتا خلف باب الفندق الدوار. «علينا أن نعود إلى المكتب، وبأسرع ما يمكن».

قال توم دون أن يتزحزح: «ولكن تعليماتي تقول أن أبقى في مكاني، في حال احتاج السيد موريتا لسيارة».

قال سيباستيان: «لا أكترث لما هي تعليماتك، سنعود إلى المكتب الآن، تحرك».

قال توم: «فلتتحمل مسؤولية ذلك» قبل أن يذهب للطرف الخاطئ من الطريق ويخرج إلى ذا ستراند.

بعد اثنين وعشرين دقيقة، توقفا أمام فارثينغز.

قال سيباستيان: «استدر بالسيارة وأبقِ المحرك قيد العمل، سأعود بأسرع ما يمكن». خرج من السيارة، ركض إلى المبنى واتجه إلى أقرب مصعد، حين وصل إلى الطابق الخامس، هرع في الرواق ومش إلى مكتب رئيس المجلس دون القرع على الباب. استدار أدريان سلوان، ولم يخف عدم موافقته على مقاطعة اجتماعه مع رئيس المجلس بهذا الشكل المفاجئ.

قال سيدريك: «ظننت أنني أعطيتك تعليمات لتبقى في سافوي».

«حصل أمرٌ ما أيها الرئيس، ولدي فقط بضع دقائق لأخبرك».

بدا سلوان غير راضٍ حين طلب منه هاردكاسل المغادرة والعودة بعد بضع دقائق.

سأل سيباستيان حين انغلق الباب: «إذن ما الخطب؟»

«لدى السيد موريتا موعد مع بنك ويستمنيستر عند الساعة الثالثة من ظهر اليوم، وموعد آخر مع باركليز عند الساعة العاشرة من صباح الغد. ومستشاروه قلقون من أن فارثينغز لم يمنح الكثير من القروض للشركات من قبل، وعليك أن تقنعهم أنك قادر على تدبر أمر قضية بهذا الحجم. بالمناسبة، إنهم يعلمون كل شيء عنك، بما في ذلك أنك تركت الدراسة بعمر الخامسة عشرة».

قال سيدريك: «حسناً، يمكنه أن يقرأ باللغة الإنكليزية، ولكن كيف اكتشفت بقية المعلومات، لأنني لا أعتقد أنهم قالوها على العلن».

«لم يفعلوا، ولكن ليس لديهم أية فكرة أنني أتحدث اليابانية».

قال سيدريك: «لنبقي الأمر على هذه الحال، قد يكون الأمر مفيداً لاحقاً. ولكن في الوقت الحالي، عليك أن تعود إلى سافوي وأن تبقى حذقاً».

قال سيباستيان وهو متجه نحو الباب: «أمرٌ آخر، إنها ليست المرة الأولى

التي يقيم فيها السيد موريتا في فندق سافوي. في الواقع، حيّاه مدير الفندق وكأنه كان من الضيوف المعتادين. وتذكرت للتو، إنهم يأملون الحصول على ثلاث بطاقات لحضور مسرحية ماي فير ليدي، ولكن تم إخبارهم أنها نفدت جميعاً».

حمل رئيس المجلس سماعة الهاتف وقال: «جدْ المسرح الذي تُعرض فيه مسرحية ماي فير ليدي واتصل بشباك التذاكر وضعه على الخط».

هرع سيباستيان إلى خارج الغرفة وعبر الرواق، آملاً أن يكون المصعد في الطابق العلوي. لم يكن كذلك، وبدا أنه يستغرق الدهر في الوصول. حين ظهر أخيراً، توقف في كل طابق بطريقه نزولاً. خرج خارج المبنى واستقل السيارة، تفقد ساعته وقال: «لدينا ست وعشرون دقيقة لنكون أمام فندق سافوي».

لم يكن سيباستيان يتذكر يوماً تحرك فيه المرور بهذا البطء الشديد. بدا الأمر وكأن كل إشارة كانت تتحول للون الأحمر حين يقتربون منها. ولِمَ كانت ممرات المشاة مزدحمة لهذه الدرجة في هذا الوقت من الصباح؟

التف توم إلى سافوي بليس في الساعة الحادية عشرة وسبع وعشرين دقيقة، ليجد أسطولاً من سيارات الليموزين التي يخرج منها الركاب أمام الفندق. لم يكن لدى سيباستيان الكثير من الوقت، لذا، مع كلمات البروفسور ترن في أذنيه، «اليابانيون لا يتأخرون أبداً على اجتماع ويعتبرونها إهانة إن فشلت في الوصول على الموعد»، خرج من السيارة وبدأ بالركض في الشارع نحو الفندق.

لِمَ لم أستخدم هاتف الفندق، كان يسأل نفسه قبل وقتٍ طويل من وصوله إلى المدخل. ولكن كان الأوان قد فات للقلق بشأن ذلك. ركض متجاوزاً البواب، واندفع عبر الباب الدوار دافعاً سيدةً إلى الخارج بسرعة أكبر بكثير مما كانت تنوي.

نظر إلى الأعلى إلى ساعة البهو: 11:29. مشى بسرعة إلى المصاعد،

تفقد ربطة عنقه في المرآة وأخذ نفساً عميقاً. رنت الساعة مرتين، وانفتحت أبواب المصعد وخرج منه السيد موريتا وزميلاه. حيا سيباستيان بابتسامة، ثم افترض أن الفتى كان واقفاً هناك على مدى الساعة الماضية.

الفصل السادس عشر

مكتبة
t.me/t_pdf

فتح سيباستيان الباب ليسمح للسيد موريتا وزميليه بالدخول إلى مكتب رئيس المجلس. حين سار سيدريك نحوهم ليحييهم، شعر أنه طويل للمرة الأولى في حياته. كان على وشك الانحناء حين مد السيد موريتا يده.

قال سيدريك: «أنا مسرورٌ لرؤيتك» وتصافحا وتحضر لينحني مجدداً، ولكن موريتا استدار وقال: «اسمح لي أن أقدم لك مديري العام السيد يوياما». تقدم إلى الأمام وصافح يد سيدريك أيضاً. كان رئيس المجلس سيصافح السيد أونو أيضاً لو لم يكن يحمل صندوقاً كبيراً بكلتا يديه.

قال سيدريك محاولاً العودة إلى المخطط: «تفضلوا بالجلوس».

قال موريتا: «شكراً لك، ولكن أولاً، من التقاليد اليابانية المشرفة أن نتبادل الهدايا مع صديقٍ جديد».

تقدم السكرتير الخاص إلى الأمام وأعطى الصندوق للسيد موريتا الذي مرره بدوره لسيدريك.

قال سيدريك: «كم هذا لطيف». وبدا محرجاً للغاية حين بقي ضيوفه الثلاثة واقفين. منتظرين منه أن يفتح الهدية.

أخذ وقته، أزال أولاً الشريط الأزرق المربوط على شكل عقدة، ثم الورق الذهبي، في حين كان يفكر بشيء ما يستطيع أن يعطيه لموريتا في المقابل.

هل سيضطر لأن يضحي بمنحوتة هنري مور خاصته؟ نظر إلى سيباستيان، نظرة فيها أمل أكثر من التوقع، ولكنه كان يبدو محرجاً بالدرجة ذاتها. لا بد أن تقليد تبادل الهدايا قد ذُكر في أحد الدروس التي فوّتها.

أزال سيدريك الغطاء عن الصندوق، ولهث حين رفع بعناية مزهرية جميلة ورقيقة باللونين الفيروزي والأسود. أما سيباستيان الذي كان واقفاً في القسم الخلفي من الغرفة فانحنى إلى الأمام ولكن لم يقل شيئاً.

قال سيدريك: «إنها ساحرة». أزال وعاءً من الزهور من على مكتبه ووضع المزهرية الجميلة مكانه. «كلما زرتني في المستقبل يا سيد موريتا، ستجد دوماً مزهريتك على مكتبي».

قال موريتا: «يشرفني ذلك كثيراً»، وانحنى للمرة الأولى.

خطا سيباستيان خطوة أخرى نحو الأمام، حتى لم يعد بينه وبين السيد موريتا سوى مسافة قدم. ثم استدار ليواجه رئيس المجلس.

«هل تسمح لي أن أسأل ضيفنا المشرف سؤالاً، سيدي؟»

قال سيدريك: «بالطبع» على أمل أنه سيتم إنقاذه.

«هل يمكنني أن أعرف اسم صانع المزهرية، موريتا سان؟»

ابتسم السيد موريتا ورد: «شوجي هامادا».

«إنه لشرفٌ كبير أن نستلم هدية مصنوعة من قبل أحد كنوز أمتك الأحياء. لو كان رئيس المجلس يعلم، لكان قد قدم هدية مماثلة من قبل واحد من أفضل صانعي المزهريات الإنكليز، والذي قد كتب كتاباً عن أعمال السيد هامادا». أثبتت كل ساعات الثرثرة مع جيسيكا أنها مفيدة.

قال موريتا: «السيد بيرنارد ليتش، أنا محظوظ لامتلاكي ثلاثة من قطعه في مجموعتي».

«ولكن، هديتنا، التي انتقاها رئيس مجلسنا، بالرغم من أنها ليست بنفس القيمة المادية، ولكنها تعبر عن روح الصداقة ذاتها».

ابتسم سيدريك. لم يطق الانتظار حتى يعرف ما كانت هديته.

«حصل رئيس المجلس على ثلاث بطاقات لحضور مسرحية ماي فير ليدي في مسرح رويال، في دوري لين. بعد إذنكم، سأقلكم من فندقكم

عند الساعة السابعة، وأرافقكم إلى المسرح، حيث تُرفع الستائر عند الساعة السابعة والنصف».

قال السيد موريتا، لا يمكن للمرء أن يفكر بهدية أكثر روعة». استدار نحو سيدريك وأضاف: «أشعر بالإطراء من كرمك اللطيف».

انحنى سيدريك، ولكن أدرك أن هذا لم يكن الوقت المناسب من أجل أن يعلم سيباستيان أنه اتصل بالفعل بالمسرح وعلم أن جميع البطاقات مباعة على مدى الأسبوعين القادمين. أخبره صوتٌ ضعيف: «يمكنك دوماً أن تنضم لطابور الإعادة» وهذا تماماً ما كان سيفعله سيباستيان لبقية اليوم.

قال سيدريك محاولاً تدارك الأمر: «تفضل بالجلوس سيد موريتا، هل ترغب ببعض الشاي».

«لا شكراً لك، ولكن إن أمكن، كوب من القهوة».

فكر سيدريك بأسف بأنواع الشاي الستة القادمة من الهند وسيلان ومالايا والتي انتقاها من كاروادين في وقتٍ سابق من الأسبوع، والتي رُفضت جميعاً بجملة واحدة. ضغط زراً على هاتفه، وصلى أن تكون سكرتيرته ممن يحتسون القهوة.

«بعض القهوة لو سمحت، آنسة كلاو. آمل أن تكون رحلتكم مريحة». قال بعد أن أغلق السماعة.

«لقد كان هنالك الكثير من الوقفات. أتطلع قدماً إلى اليوم الذي سنتمكن فيه من السفر من طوكيو إلى لندن دون توقف».

قال سيدريك: «يا لها من فكرة، وآمل أن يكون فندقكم مريحاً؟».

«لا أقيم سوى في فندق سافوي، إنه مناسب كثيراً للمدينة».

قال سيدريك: «نعم بالطبع» وشعر أنه مخطئ مجدداً.

انحنى السيد موريتا على الأمام، ونظر إلى الصورة الموضوعة على مكتب سيدريك وقال: «زوجتك وابنك؟»

قال سيدريك: «نعم» غير واثق إن كان عليه المتابعة.

«زوجتك مراقبة حليب، وابنك يعمل في التحكم بالجودة».

قال سيدريك بلا حول ولا قوة: «نعم».

قال موريتا: «أبناي» وأخرج محفظة من جيبه الداخلي وأخرج صورتين وضعهما على المكتب أمام سيدريك. «هيديو وماساو يدرسان في المدرسة في طوكيو».

تفحص سيدريك الصورتين، وأدرك أن الوقت قد حان لكي يشارك بالحديث. «وزوجتك؟»

«لم تتمكن السيدة موريتا من زيارة لندن هذه المرة، لأن ابنتنا الصغيرة ناوكو مصابة بالحصبة».

قال سيدريك: «أنا متأسف» وصدر قرعاً خفيفاً على الباب. دخلت الآنسة كلاو حاملة صينية من القهوة والبسكويت. كان سيدريك على وشك ارتشاف رشفته الأولى، وتساءل عما عليه التحدث عنه لاحقاً، حين اقترح موريتا: «ربما قد حان الوقت لنناقش الأعمال؟».

ردّ سيدريك: «نعم بالطبع» وضع كوب قهوته جانباً. فتح ملفاً على مكتبه وذكّر نفسه بالنقاط البارزة التي أشار إليها في الليلة السابقة. «أرغب أن أقول من البداية، سيد موريتا، أن القروض القصيرة الأمد ليست المجال الذي بنى فيه فارثينغز سمعته. ولكن، بما أننا نأمل أن نبني صداقة طويلة الأمد مع شركتكم الكبيرة، آمل أنك ستمنحنا الفرصة لنثبت أنفسنا». أومأ موريتا برأسه.

«سأذكر أن المبلغ الذي تطلبونه هو عشرة ملايين جنيه، مع قسيمة تسديد قصيرة الأمد لمدة خمس سنوات، وبعد دراسة أرقام تدفقكم المالي الأخيرة، وبتقييم سعر الصرف الحالي للين، نفكر بنسبة واقعية...»

بعد أن عاد سيدريك إلى مجال راحته، استرخى للمرة الأولى. بعد أربعين دقيقة، قدم أفكاره وأجاب على كل سؤال طرحه السيد موريتا. شعر

سيباستيان أن رئيسه قام بعمل ممتاز.

«هل يمكنني أن أقترح عليك أن تبدأ بالعقد يا سيد هاردكاسل؟ كنت متأكداً أنك الرجل المناسب لهذا العمل قبل وقتٍ طويل من مغادرتي طوكيو. بعد عرضك التقديمي، أنا مقتنع أكثر. لدي موعدان مع بنكين آخرين، ولكن هذا فقط لكي أؤكد للمساهمين في شركتي أنني أفكر ببدائل. أهتم بأمر الرين، وسيهتم الين بنفسه».

ضحك الرجلان.

قال سيدريك: «إن كنت تملك الوقت، هل ترغب بالانضمام إليّ على الغداء؟ افتتح مطعمٌ ياباني مؤخراً في المدينة، وحصل على نقد ممتاز، لذا فكرت -».

«ويمكنك أن تفكر مرة ثانية، سيد هاردكاسل، لأنني لم أسافر مسافة ستة آلاف ميل باحثاً عن مطعم ياباني. لا، سآخذك إلى رولز، وسنستمتع بلحم البقر المشوي وبودينغ يوركشاير، مناسب لرجل من هادرزفيلد على ما أظن». انفجر الرجلان بالضحك مجدداً.

حين غادروا المكتب بعد بضع دقائق، تأخر سيدريك وهمس في أذن سيباستيان، «تفكير صائب ولكن لا يوجد بطاقات متوفرة لعرض الليلة من مسرحية ماي فير ليدي، سيكون عليك أن تقضي بقية اليوم في طابور الإعادة. لنأمل فقط ألا تمطر، وإلا ستتبلل مجدداً». قال ذلك قبل الانضمام للسيد موريتا في الرواق.

انحنى سيباستيان بشكلٍ منخفض بينما دخل سيدريك وضيوفه المصعد واختفوا ونزلوا إلى الطابق الأرضي. بقي في الطابق الخامس لدقائق إضافية ولكن لم يطلب المصعد حتى تأكد من أنهم أصبحوا في طريقهم إلى المطعم.

حين غادر سيباستيان البنك، أوقف سيارة أجرة. قال: «مسرح رويال في دروري لين»، وحين توقفوا خارج المسرح بعد عشرين دقيقة، كان أول ما

لاحظه هو طول الطابور المخصص للبطاقات المعادة. دفع لسائق الأجرة، ومشى إلى المسرح واتجه مباشرة نحو شباك التذاكر.

قال متضرعاً: «لا أعتقد أن لديكم ثلاث بطاقات لعرض الليلة؟»

قالت المرأة الجالسة في الكوة: «اعتقادك صحيح يا عزيزي، يمكنك بالطبع أن تنضم لطابور البطاقات المعادة، ولكن بصراحة لن يدخل الكثير منهم قبل عيد الميلاد. على أحدٍ ما أن يتوفى لتتوفر البطاقات المعادة قبل العرض».

«لا يهمني كم يكلف ذلك».

«هذا ما يقوله الجميع يا عزيزي. لدينا أناس في الطابور يدعون أن اليوم عيد ميلادهم الواحد والعشرين، وأن اليوم عيد زواجهم الخمسين... كان أحدهم يائساً لدرجة أنه طلب مني الزواج».

خرج سيباستيان من المسرح ووقف على الرصيف. نظر نظرة أخيرة إلى الطابور، والذي بدا أنه ازداد طولاً خلال الدقائق الماضية، وحاول أن يفكر بما يمكنه القيام به تالياً.

ثم تذكر شيئاً ما كان قد قرأه في إحدى روايات والده. قرر أن يكتشف إن كانت الأمور ستجري معه كما جرت مع ويليام وورويك.

ركض نزولاً نحو ذا ستراند، متفادياً حركة المرور المزدحمة وقت الظهيرة، وصل إلى سافوي بعد بضع دقائق. توجه مباشرة نحو المكتب الأمامي وسأل موظفة الاستقبال عن اسم الحمال الرئيسي.

ردت: «ألبرت سوثغيت».

شكرها سيباستيان ومشى نحو مكتب خدمة البواب وكأنه ضيف.

سأل الحمال: «هل ألبرت هنا؟»

«أعتقد أنه غادر لتناول الغداء سيدي، ولكن سأتفقد». اختفى الرجل في غرفة خلفية.

«ألبرت، هنالك رجلٌ يسأل عنك».

لم يضطر سيباستيان للانتظار كثيراً قبل أن يظهر رجلٌ أكبر سناً يرتدي معطفاً أزرق طويلاً مزيناً بضفائر ذهبية على الأكمام، وأزرار ذهبية وصفين من ميداليات الحملات، تعرف على واحدة منها. رمق سيباستيان بنظرة حذرة وسأل: «كيف يمكنني مساعدتك؟»

قال سيباستيان وهو يتساءل إن كان عليه المخاطرة: «لدي مشكلة، عمي، السير جايلز بارينغتون، أخبرني ذات مرة أنني إن كنت مقيماً في سافوي واحتجت أي شيء فعلي التحدث مع ألبرت».

«الرجل النبيل الذي حصل على صليب عسكري في طبرق؟»

قال سيباستيان متفاجئاً: «نعم».

«لم ينجُ الكثيرون من ذلك. معركة رهيبة. كيف يمكنني المساعدة؟».

«يحتاج السيد جايلز ثلاث بطاقات لحضور مسرحية ماي فير ليدي».

«متى؟»

«الليلة».

«لا بد أنك تمزح».

«لا يهمه كم يكلف الأمر».

«انتظر قليلاً، سأرى ما يمكنني فعله».

شاهد سيباستيان ألبرت وهو يخرج من الفندق، ويعبر الشارع ويختفي في اتجاه مسرح رويال. مشى في البهو جيئةً وذهاباً، ينظر مترقباً إلى ذا ستراند، ولكن مرت نصف ساعة قبل أن يظهر البواب مجدداً، حاملاً ظرفاً. مشى إلى الفندق وأعطى الظرف لسيباستيان.

«ثلاث مقاعد في الصف F، المقاعد المتوسطة».

«مذهل، بكم أدين لك؟»

«لا شيء».

قال سيباستيان: «لم أفهم».

«طلب مدير الشباك أن يتذكر السيد جايلز شقيقه، الرقيب هاريس، الذي قُتل في طبرق».

شعر سيباستيان بالخزي.

* * *

«أحسنت، سيب، لقد أنقذت اليوم. الآن تبقت لديك مهمة أخيرة لليوم وهي أن تضمن بقاء سيارة ديملر خارج فندق سافوي حتى نعلم أن السيد موريتا وزميليه قد ناموا بأمان في أسرتهم».

«ولكن لا يبعد الفندق عن المسرح سوى بضعة ياردات».

«قد يكون ذلك طريقاً طويلاً إن كان الجو ماطراً، يجب أن تتعلم درسك بعد لقائك القصير مع زوجة البروفسور مارش. إن لم نتكبد هذا العناء، تأكد من أن أحداً ما آخر قد يفعل».

* * *

نزل سيباستيان من السيارة ودخل فندق سافوي عند الساعة 6:30 مساءً. سار نحو المصعد وانتظر بصبر. بعد السابعة بقليل، ظهر السيد موريتا وزميلاه. انحنى سيباستيان للأسفل وأعطاهم ظرفاً يحوي ثلاث بطاقات.

قال السيد موريتا: «شكراً أيها الشاب». عبروا البهو، وخرجوا من الفندق من الباب الدوار.

قال سيباستيان بينما قام توم بفتح الباب الخلفي من سيارة ديملر: «ستأخذكم سيارة رئيس المجلس إلى مسرح رويال».

قال موريتا: «لا شكراً لك، سيكون المشي مفيداً لنا».

دون أي كلمة أخرى، انطلق الرجال الثلاثة باتجاه المسرح. انحنى سيباستيان إلى الأسفل مجدداً، قبل الانضمام لتوم في المقعد الأمامي من السيارة.

قال توم: «لِمَ لا تذهب إلى المنزل؟ ليس هنالك حاجة لوجودك، وإن

بدأ المطر بالهطول سأقود إلى المسرح وأقلهم».

«ولكن قد يرغبون بالذهاب لتناول العشاء بعد العرض، أو إلى نادٍ ليلي. هل تعرف أية نوادٍ ليلية؟».

«يعتمد ذلك على ما يبحثون عنه».

«ليس ذلك، بحسب ظني. ولكن أياً يكن الأمر، سأبقى هنا، وأقتبس عبارة السيد هاردكاسل، نضمن أنهم ناموا بأمان في أسرتهم».

لم تهطل الأمطار، ولا حتى قطرة، وبحلول الساعة العاشرة عرف سيباستيان كل شيء عن حياة توم، بما في ذلك مدرسته، وأين تم تعيينه في الحرب، وأين عمل قبل أن يصبح سائق السيد هاردكاسل. كان توم يتحدث عن رغبة زوجته في الذهاب إلى ماربيلا في عطلتهم القادمة، حين قال سيباستيان: «يا إلهي» وانزلق لأسفل المقعد متوارياً عن الأنظار حين مر رجلان أنيقان أمام السيارة متجهين نحو الفندق.

«ما الذي تفعله؟»

«أتجنب شخصاً كنت آمل ألا أراه أبداً مجدداً».

قال توم: «يبدو أن الستائر قد أسدلت» بينما بدأت حشود حضور المسرح الذين كانوا يثرثرون بالخروج إلى ذا ستراند. بعد دقائق، رأى سيباستيان الرجال الثلاثة يشقون طريقهم عائدين إلى الفندق. قبل أن يصل السيد موريتا مباشرةً إلى المدخل، خرج سيباستيان من السيارة وانحنى للأسفل.

«آمل أن تكون قد استمتعت بالعرض، موريتا سان».

رد موريتا: «لقد كان رائعاً، لم أضحك لهذه الدرجة منذ سنين، وكانت الموسيقى رائعة. سأشكر السيد هاردكاسل شخصياً حين أراه غداً، أرجو أن تعود إلى المنزل سيد كليفتون، لأنني لن أحتاج السيارة مجدداً الليلة. آسف لأنني أبقيتك ساهراً إلى وقت متأخر في العمل».

قال سيباستيان: «من دواعي سروري، موريتا سان».

بقي على الرصيف وشاهدهم يدخلون الفندق، يعبرون البهو ويتجهون نحو صف المصاعد. بدأ قلبه بالتسارع حين رأى رجلين يتقدمان للأمام، وينحنيان ويصافحان السيد موريتا، بقي سيباستيان ثابتاً في مكانه. تحدث الرجلان مع موريتا لدقائق. ثم أرسل زميليه بعيداً ورافق الرجلين إلى الحانة الأمريكية. أراد سيباستيان بشدة أن يدخل الفندق ويلقي نظرة أقرب، ولكنه علم أنه لا يمكنه المخاطرة بذلك. بدلاً من ذلك، عاد دون حماس إلى السيارة.

سأل توم: «هل أنت على ما يرام؟ أنت شاحب كورقة».

«متى يخلد السيد هاردكاسل إلى الفراش؟».

«في الساعة الحادية عشرة، الحادية عشرة ونصف. ولكن يمكنك دوماً أن تعرف إن كان مستيقظاً، لأن نور مكتبه يكون مضاءً».

تفقد سيباستيان ساعته. 10:43. «إذن لنذهب ونكتشف إن كان مستيقظاً».

قاد توم السيارة وخرج من شارع ذا ستراند، عبر من ساحة ترافالغار، ومر بالقرب من مركز التسوق إلى زاوية حديقة هايد، ووصل إلى خارج مبنى 37 كادوغان بليس بعد الساعة الحادية عشرة بقليل. كانت مصابيح المكتب مضاءة. لا شك أن رئيس المجلس كان يتفحص العقد للمرة الثالثة والذي كان ينتظر أن يوقعه اليابانيون في الصباح. خرج سيباستيان ببطء من السيارة، صعد السلالم وقرع الباب الأمامي. بعد لحظات أنير مصبح الرواق وفتح سيدريك الباب.

«أنا آسف لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر أيها الرئيس، ولكن لدينا مشكلة».

الفصل السابع عشر

قال سيدريك: «أول شيءٍ عليك القيام به هو إخبار خالك بالحقيقة، وأعني الحقيقة الكاملة».

«سأخبره كل شيء حين أعود مساء اليوم».

«من المهم أن يعرف السيد جايلز ما فعلته مستخدماً اسمه، لأنه سيرغب بالكتابة للسيد هاريس من مسرح رويال وشكره، ولبواب فندق سافوي».

«ألبرت ساوثغيت».

«وعليك أن تكتب لهما أيضاً وتشكرهما».

«نعم بالطبع، وأعتذر مجدداً سيدي. أشعر أنني خذلتك، لأن التمرين بأكمله كان تضييعاً لوقتك».

«هذه الخبرات نادراً ما تكون تضييعاً للوقت. كلما تجهز نفسك من أجل عقدٍ جديد، حتى إن لم تنجح في ذلك، تتعلم في كل مرة تقريباً أمراً يساعدك ويحضرك للعقد التالي».

«ما الذي تعلمته؟»

«اليابانية كبداية، عدا شيء أو شيئين عن نفسك أنا متأكد أنك ستستفيد منهما في المستقبل».

«ولكن مقدار الوقت الذي قضيته أنت وكبار موظفيك على هذا المشروع... والكثير من مال البنك».

«لن يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لباركليز أو ويستمنيستر. إن حصلت على معدل ناجح في واحد من أصل خمسة من هذه المشاريع، يعتبر ذلك جيداً في السياق». رن الهاتف على المكتب حين كان يتحدث. حمل السماعة وقال

بعد لحظة: «نعم، أرسله إلى الداخل».

«هل أغادر سيدي؟»

«لا، ابقَ مكانك. أفضل أن تلتقي ابني». انفتح الباب، ودخل شاب يبدو أنه من سلالة سيدريك هاردكاسل: ربما أطول ببوصة، ولكن يملك الابتسامة الدافئة ذاتها، عريض المنكبين وشبه أصلع، ولكن مع شبه دائرة أسمك من الشعر تحيط برأسه من الأذن للأذن، مما جعله يبدو كراهب من القرن السابع عشر. وكما كان سيباستيان على وشك أن يكتشف، فقد كان يملك الذهن الثاقب ذاته.

«صباح الخير بابا، أنا مسرور لرؤيتك» ونفس اللكنة اليوركشارية.

«أرنولد، هذا سيباستيان كليفتون، هو من يساعدني في مفاوضات سوني».

قال سيباستيان: «تشرفت بمعرفتك سيدي». وتصافحا.

«أنا معجبٌ كثيراً بـ ...»

«... بكتب والدي؟».

«لا، لا يمكنني القول إنني قرأتها. لدي ما يكفي من التحقيقات في الصباح دون الحاجة لأقرأ عنها ليلاً».

«أمي إذن، المرأة الأولى التي تعين رئيسة مجلس إدارة في شركة أسهمها مدرجة بالبورصة؟».

قال: «كلا، أقصد شقيقتك جيسيكا. يا لها من موهبة» وأشار إلى اللوحة التي تصور والده على الجدار. «إذن ما الذي تفعله هي الآن؟».

«التحقت بسليد في بلومزبوري، وهي على وشك البدء بعامها الأول».

«إذن أنا أشعر بالأسف من أجل أولئك الحمقى في دفعتها».

«لماذا؟».

قال أرنولد: «لن يحبوها أو يكرهوها، لأنهم على وشك الاكتشاف أنهم ليسوا بمنزلتها. ولكن لنعد إلى القضايا الأكثر دنيوية». والتفت نحو والده.

«حضرت ثلاث نسخ من العقد، كما اتفق الطرفان، وحين توقعونها، لديك تسعون يوماً لجمع القرض الذي يساوي عشرة ملايين ومدته خمس سنوات بمعدل اثنين وربع بالمئة. والربع هو أجرك من أجل العملية التجارية. عليّ أن أذكر أيضاً...».

قال سيدريك: «لا تعذب نفسك، لأنني أملك شعوراً بأننا لن نتابع هذا».

«ولكن حين تحدثت معك الليلة الماضية يا أبي بدوت متفائلاً».

قال سيدريك: «لنقل فقط أن الظروف تغيرت منذ ذلك الوقت، لنترك الأمر عند ذلك».

قال أرنولد: «أنا متأسف لسماعي هذا». جمع العقود وكان على وشك إعادتها إلى حقيبته، ورأى ذلك للمرة الأولى.

قال: «لم أعتقد أنك من المعجبين بالفن، بابا، ولكن هذا رائع للغاية» وحمل بحذر المزهرية اليابانية من على مكتب والده. تفحص القطعة عن قرب قبل أن ينظر إلى أسفلها. «لقد صنعها أحد مبدعي اليابان الذي يعتبر كنزاً وطنياً».

قال سيدريك: «ولست أنت كذلك أيضاً».

قال سيباستيان: «شوجي هامادا».

«أين وجدتها؟»

قال سيدريك: «لم أفعل، إنها هدية من السيد موريتا».

قال أرنولد: «حسناً إذاً لم تخرج من هذه الصفقة خالي الأيدي» وسمعوا قرعاً على الباب.

قال سيدريك: «تفضل»، متسائلاً من قد يكون... انفتح الباب ودخل توم.

قال رئيس المجلس: «ظننت أنني طلبت منك أن تبقى أمام فندق سافوي».

«ليس هنالك جدوى لذلك سيدي. كنت أنتظر خارج الفندق عند الساعة التاسعة والنصف كما تقول التعليمات، ولكن لم يظهر السيد موريتا. وبما

أنـه رجـل نبيـل لا يتأخـر أبـداً، قررت أن أتكلم مع البـواب، الذي أخبرني أن الضيـوف اليابانيـون الثلاثة سـجلوا الخروج وغادروا الفندق في سـيارة أجرة بعد التاسعة بقليل».

سيدريك: «لم أعتقد أن ذلك ممكن».

«لا بد أنني بدأت بفقدان قدراتي».

قال أرنولد: «لم يمكنك أن تكسبهم جميعاً بابا، كما تذكرني دوماً».

رد والده: «يبدو أن المحامين يكسبون حتى عندما يخسرون».

قال أرنولد: «سأخبرك ما الذي سأفعله، سأتخلى عن رسومي الكبيرة التي لم تدفعها بعد، مقابل هذه الحلية الصغيرة وغير الهامة».

«اغرب عن وجهي».

«ثم سـأنطلق في طريقي، بما أنه من الواضح أنني لا أملك الكثير لفعله هنا».

كان أرنولد يضع العقود في حقيبته من نوع غلادستون حين انفتح الباب، ودخل السيد موريتا وزميلاه، في الوقت نفسه الذي بدأت فيه أجراس الكنيسة تُقرع في ساحة مايل إحدى عشرة مرة.

كانت أولى كلمات السيد موريتا بينما كان يصافح سيدريك: «أرجو أنني لم أتأخر».

قال سيدريك: «أتيت على الوقت».

قال موريتا وهو ينظر إلى أرنولد: «وأنت، لا بد أنك الابن الذي لا يستحق والداً رائعاً».

قال أرنولد وهما يتصافحان: «هذا أنا سيدي».

«هل حضّرت العقود؟»

«فعلت يا سيدي».

«كل مـا تحتاجـه هـو توقيعـي، ثم يمكن لوالدك أن يباشـر عمله». أخرج

أرنولد العقود مجدداً من حقيبة غلادستون خاصته ووضعها على المكتب.

«قبل أن أوقع، لدي هدية لصديقي الجديد، سيباستيان كليفتون، وهذا السبب وراء اضطراري لمغادرة الفندق مبكراً هذا الصباح».

تقدم السيد أونو وأعطى صندوقاً صغيراً للسيد موريتا، والذي أعطاه بدوره لسيباستيان.

«ليس دوماً فتى جيد، لكن كما يقول البريطانيون، قلبه في المكان المناسب».

لم يقل سيباستيان شيئاً وهو يفك الرباط الأحمر ويزيل الورق الفضي قبل فتح غطاء الصندوق.

أخرج مزهرية صغيرة ملونة باللونين الخمري والأصفر. لم يستطع أن يبعد ناظريه عنها.

سأل أرنولد: «ألا تبحثون عن محامٍ؟».

«فقط إن علمت اسم صانع المزهرية من دون النظر إلى القاعدة».

أعطى سيباستيان المزهرية لأرنولد، الذي أخذ وقته وهو يتأمل تداخل اللون الأحمر مع الأصفر، خالقاً ضربات برتقالية، قبل أن يقدم رأيه: «بيرنارد ليتش؟»

قال موريتا: «للابن فائدة إذاً».

ضحك الرجلان، وأعاد أرنولد القطعة الرائعة لسيباستيان، الذي قال: «لا أعلم كيف عليّ أن أشكرك سيدي».

«ولكن حين تفعل، تأكد من أن تقدم خطابك بلغتي الأصلية».

تفاجأ سيباستيان، كان على وشك أن يوقع المزهرية. «لست متأكداً من أني أفهم قصدك سيدي».

«بالطبع تفعل، وإن فشلت بالرد باليابانية، سأضطر لتقديم هذه المزهرية لابن سيدريك».

انتظر الجميع من سيباستيان التكلم: «آريغاتو غوزال ماسو. تايهيني كوي ديسو. إيشو تايسيتسوني إيتاشيماسو».

«مثير للإعجاب حقاً. بحاجة لبعض الانتباه للتفاصيل الدقيقة، ليس كعمل شقيقتك، ولكنه مثير للإعجاب بنفس الطريقة».

«ولكن كيف اكتشفت يا موريتا سان أنني أتحدث لغتك في حين لم أقل أي كلمة يابانية في وجودك؟».

قال سيدريك: «ثلاث بطاقات لحضور مسرحية ماي فير ليدي ستكون رهاني».

«السيد هاردكاسل رجل داهية، وهذا السبب وراء اختياري له ليمثلني في الأساس».

كرر سيباستيان: «ولكن كيف؟».

قال موريتا: «كانت البطاقات مصادفة غير منطقية، فكر بالأمر سيباستيان بينما أباشر بتوقيع العقد». أخرج قلماً من جيبه العلوي وأعطاه لسيدريك. «عليك أن توقع أولاً، وإلا لن تبارك الآلهة اتحادنا».

شاهد موريتا سيدريك وهو يوقع العقود الثلاثة، قبل إضافة توقيعه الخاص. انحنى الرجلان ثم تصافحا.

قال موريتا: «عليّ أن أسرع إلى المطار وأستقل الطائرة إلى باريس. إن الفرنسيين يتسببون بالكثير من المشاكل لي».

سأل أرنولد: «أي نوع من المشاكل؟».

«لا شيء يمكنك مساعدتي به للأسف. لديّ أربعون جهاز راديو في مستودع مغلق. ترفض الجمارك الفرنسية السماح لي بتوزيعها على موردي حتى يتم فتح كل صندوق والتفتيش فيه. حالياً، يمكنهم تدبر أمر اثنين كل يوم. الفكرة هي في إيقافي لأطول فترة ممكنة، بحيث يتمكن الصناع الفرنسيون من بيع منتجهم الرديء للزبائن غير الصبورين. ولكن لدي خطة لهزمهم».

قال أرنولد: «أنا متشوق لسماعها».

«بسيطة حقاً. سأبني مصنعاً في فرنسا، وأوظف المحليين وأدعهم يوزعون منتجي الممتاز دون الحاجة للتعامل مع مسؤولي الجمارك».

«سيكتشف الفرنسيون ما تحاول فعله».

«أنا متأكد أنهم سيفعلون، ولكنني بحلول ذلك الوقت سيكون الجميع مثل سيدريك وسيرغبون بوجود راديو سوني في غرفتهم الرئيسية. لا يمكنني أن أفوت طائرتي، ولكن أولاً أرغب بالتكلم على انفراد مع شريكي الجديد». صافح أرنولد يد موريتا قبل أن يغادر الغرفة مع سيباستيان. قال موريتا: «سيدريك» وجلس على المقعد الواقع على الجهة الأخرى من مكتب الرئيس. «هل التقيت برجلٍ يدعى دون بيدرو مارتينيز من قبل؟ أتى لرؤيتي بعد المسرحية البارحة، مع الرائد فيشر».

«أعرف مارتينيز من سمعته فقط. ولكن التقيت بالرائد فيشر، الذي يمثله في مجلس شركة بارينغتون للشحن، حيث أعمل أيضاً كمدير».

«برأيي أن مارتينيز شخصٌ قذر، وفيشر ضعيف، وأعتقد أنه يعتمد على مال مارتينيز ليبقى ذا اكتفاء ذاتي».

«اكتشفت هذا بعد لقاء واحد فقط؟»

«لا، بعد عشرين عاماً من التعامل مع رجال مثلهما. ولكن هذا الرجل ذكي ومراوغ، وعليك ألا تستهين به. أعتقد أنه بالنسبة لمارتينيز، حتى الحياة مجرد سلعة رخيصة».

«أنا ممتن لما قلته، آكيو، وممتن أكثر لقلقك».

«هل لي أن أطلب طلباً صغيراً في المقابل قبل أن أغادر إلى باريس؟»

«أي شيء».

«أرغب أن يبقى سيباستيان صلة الوصل بين شركتينا. أعتقد أن ذلك سيوفر الكثير من الوقت والعناء».

قال سيدريك: «أتمنى لو كان بإمكاني أن أحقق ذلك من أجلك، ولكن الشاب سيغادر إلى كامبردج في سبتمبر».

«هل ذهبت إلى الجامعة، سيدريك؟».

«لا، تركت الدراسة بعمر الخامسة عشرة، وبعد عطلة لمدة عدة أسابيع، انضممت إلى والدي في البنك».

أومأ موريتا برأسه. «ليس الجميع مصممين للذهاب إلى الجامعة، وبعض الناس تعيقهم الخبرة. أعتقد أن سيباستيان قد وجد صنعته المثالية، وبوجودك كمرشد له، من الممكن أن تكون قد وجدت الشخص المناسب لأخذ مكانك في النهاية».

قال سيدريك: «إنه شاب للغاية».

«وملكتكم كذلك أيضاً، وتربعت على العرش حين كانت بعمر الخامسة والعشرين. سيدريك، نحن نعيش في عالم جريء جديد».

جيلز بارينغتون

1963

الفصل الثامن عشر

سأله هاري: «هل أنت متأكد من أنك تريد قيادة المعارضة؟»

قال جايلز: «كلا لست متأكداً، أريد أن أكون رئيس الوزراء، ولكن عليّ أن ألقي تعويذة في المعارضة قبل أن أتوقع الحصول على مفاتيح تن داونينغ ستريت».

قالت إيما: «قد تكون حافظت على مقعدك خلال الانتخابات الماضية، ولكن حزبك خسر الانتخابات العامة بأغلبية ساحقة. أنا أتساءل إن كان حزب العمل قادراً على الفوز بانتخابات أخرى. يبدو أنه قُدر لهم أن يكونوا حزب المعارضة».

قال جايلز: «أعلم أن الأمر قد يبدو كذلك الآن، ولكني مقتنع أنه بحلول وقت الانتخابات القادمة، سيملّ المصوتون ويفكرون بأن الوقت قد حان للتغيير».

قالت جريس: «وبالتأكيد لم تساعد قضية بروفومو».

«من يستطيع أن يقرر من سيكون قائد الحزب القادم؟»

قال جايلز: «سؤال جيد، سياستيان، فقط زملائي المنتخبين في مجلس العموم والبالغ عددهم 258».

مكتبة
t.me/t_pdf

قال هاري: «هذا عدد قليل من الناخبين».

«صحيح ولكن معظمهم سيقومون بسبر جمهور الناخبين خاصتهم لمعرفة رتبة من، وملف من الذي سيفضل أن يقود الحزب، وحين يأتي الأمر للأعضاء المنتمين للاتحاد العمالي، سيصوتون للرجل المدعوم من قبل اتحادهم. لذا فإن أي أعضاء في اتحاد الشحن من دوائر انتخابية مثل تينيسايد وبلفاست وغلاسغو وكلايدزديل وليفربول سيفضلونني».

رددت إيما: «الرجل؟ هل يعني هذا أنه من بين 258 عضواً من حزب العمل في البرلمان، لا يوجد ولا امرأة واحدة تأمل بقيادة الحزب؟».

«قد تقرر باربرا كاسل الانضمام للوائح، ولكن بصراحة ليس لديها فرصة، ولكن لنواجه الأمر، إيما، هنالك نساء جالسات في مقاعد حزب العمل أكثر من أولئك الموجودين في الجانب المحافظ. لذا، إن كان هناك حظ لامرأة في الوصول إلى داونينغ ستريت، أراهن على أنها ستكون اشتراكية».

«ولكن لماذا يريد أحد أن يكون قائداً لحزب العمل؟ لا بد أنه واحد من الأعمال الأقل حصولاً على المديح في البلاد بأكملها».

قال جايلز: «وفي الوقت ذاته، واحد من أكثرها إثارة للاهتمام، كم من الناس تُتاح لهم الفرصة لصنع تغيير، لتحسين حياة الناس، وترك إرث للجيل القادم؟ لا تنسي، لقد ولدت والملعقة الفضية في فمي كما يقول المثل، إذاً ربما حان الوقد لأرد الجميل».

قالت إيما: «واو، سأصوت لك».

قال هاري: «بالطبع، كلنا ندعمك، ولكن لست متأكداً من أن هنالك الكثير لنفعله من أجل التأثير على أعضاء البرلمان الـ 257 الذين لم نلتق بهم من قبل، لأنه عليّ أن أحذر كل واحد من الجالسين على هذه الطاولة مرة أخرى أنكم يجب أن تتوقعوا أن تدخل الصحافة إلى حياتكم الخاصة. قد تشعرون أنكم لن تتحملوا المزيد من ذلك ولن ألومكم إن لم تتحملوا».

قالت جريس: «طالما نحن متفقون تماماً، ولا نقول شيئاً سوى أننا مسرورون لأن جايلز قائد حزبه لأننا نعلم أنه الرجل المناسب للمهمة ونحن واثقون من فوزه، لا بد أنهم سيملون بعدها ويبتعدون؟».

قال جايلز: «حينها تماماً سيبدؤون بالنبش عن شيء جديد، ولذا إن أراد أي منكم أن يعترف بوجود مشكلة أكبر من مجرد بطاقة مخالفة للسرعة، فالآن فرصتكم».

قال هاري: «أنا آمل أن يحصل كتابي التالي على المركز الأول في لائحة أفضل المبيعات في نيويورك تايمز، لذا ربما عليّ أن أحذركم أن ويليام ووريك سيضطر لخوض علاقة مع زوجة الحاكم الكبير. إن اعتقدت أن ذلك سيؤثر على فرصك، جايلز، أستطيع أن أؤجل النشر إلى ما بعد الانتخابات». ضحك الجميع.

قالت إيما: «بصراحة يا عزيزي، على ويليام ووريك أن يخوض علاقة مع زوجة عمدة نيويورك، لأن ذلك سيمنحك فرصة أفضل بكثير في الوصول إلى المركز الأول في الولايات المتحدة».

قال هاري: «ليست فكرة سيئة».

قالت إيما: «لنتحدث بجدية الآن، ربما هذه هي اللحظة المناسبة لأخبركم أن شركة بارينغتون على وشك الغرق، ولن تصبح الأمور أسهل على مدى الأشهر الاثني عشر التالية».

سأل جايلز: «كم الوضع سيئ؟».

«إننا نعاني من تأخير تزيد مدته عن السنة في ما يتعلق بجدول بناء باكينغهام، ومع أننا لم نواجه أي نكسات كبرى مؤخراً، إلا أن الشركة اضطرت لاقتراض مبالغ كبيرة من البنوك. إن ظهر أن قيمة سحبنا تجاوزت قيمة الأصول، قد تطالب البنوك بقروضها، وقد نغرق أكثر. هذا السيناريو الأسوأ، ولكنه مستبعد».

«ومتى قد يحصل هذا؟»

قالت إيما: «ليس في المستقبل القريب، إلا إذا اعتقد فيشر أن نشر غسيلنا الوسخ على الملأ يصب في مصلحته».

قال سيباستيان: «لكن مارتينيز لن يسمح له بفعل ذلك وهو أحد كبار المساهمين في الشركة».

«ولكن لا يعني ذلك أنه سيبقى في الكواليس يشاهد، إن قررت أن تجازف».

قالت جريس: «أوافق على ما قلت، وهو ليس الشخص الوحيد الذي يمكنني التفكير به والذي سيكون سعيداً إن أخفقت».

سأل جايلز: «ما الذي تفكرون فيه؟».

«الليدي فيرجينيا فينويك كبداية. تلك المرأة ستكون سعيدة لتذكر كل عضو من البرلمان تلتقي به أنك مطلق، وأنك تركتها من أجل امرأة أخرى».

«لا تعرف فيرجينيا سوى توريس، لقد كان هناك رئيس وزراء مطلّق» أضاف جايلز، ممسكاً بيد غوينيث: «وأنا الآن متزوج من هذه المرأة وسعيد».

قال هاري: «بصراحة، أعتقد أن عليك أن تقلق من مارتينيز أكثر من فيرجينيا، من الواضح أنه يبحث عن أي عذر لإيذاء عائلتنا، كما اكتشف سيباستيان عندما ذهب في البداية للعمل في فارثينغز. جايلز، أنت جائزة أكبر بكثير من سيب، لذا أراهن أن مارتينيز سيفعل كل ما في وسعه ليضمن ألا تصبح رئيساً للوزراء».

قال جايلز: «إن قررت أن أترشح، لا أستطيع أن أقضي بقية حياتي وأنا أتلفت حولي متسائلاً ما الذي يخطط له مارتينيز. حالياً، عليّ أن أركز على بعض الأنداد الأقرب».

سأل هاري: «من هو ندك الأكبر؟»

«هارولد ويلسون المفضل لدى الكتاب».

قال سيباستيان: «يريده السيد هاردكاسل أن يفوز».

سأل جايلز: «لِمَ ذلك بحق السماء؟»

قال سيباستيان: «لا علاقة للسماء بالأمر، وهو أقرب بكثير إلى الوطن. كلاهما قد ولد في هادرزفيلد».

تنهد جايلز: «إن أمراً سخيفاً كهذا قد يجعل المرء يدعمك أو يعارضك».

قالت إيما: «ربما يملك هارولد بعض الهياكل العظمية في خزانته والتي قد تثير اهتمام الصحافة».

قال جايلز: «لا أعلم بوجود شيءٍ كهذا، إلا إن تضمن الأمر الحصول على المركز الأول في أوكسفورد والنجاح الساحق في امتحان الخدمة المدنية».

قال هاري: «ولكنه لم يقاتل في الحرب».

«إذاً قد يكون صليب العسكرية خاصتك مفيداً».

«حصل دينيس هيلي على صليب العسكرية أيضاً وهو مرشح».

قال هاري: «إنه أذكى من أن يقود حزب العمال».

قالت جريس: «لن تكون تلك مشكلتك بالتأكيد، جايلز». ابتسم جايلز لشقيقته ابتسامة ساخرة وضحكت العائلة بأكملها.

«يمكنني أن أفكر بمشكلة واحدة قد يواجهها جايلز...»، نظروا جميعاً إلى غوينيث التي كانت مستمعة طوال الوقت. قالت: «أنا الشخص الغريب الوحيد في هذه الغرفة، شخص قد تزوج أحد أفراد العائلة، حسناً ربما يمكنني رؤية الأمور من منظور آخر».

قالت إيما: «هذا ما يجعل رأيك الأهم، إذن لا تترددي بإعلامنا بما يقلقك».

قالت غوينيث مترددة: «إن فعلت، أعتقد أن ذلك سيفتح جرحاً قديماً».

قال جايلز ممسكاً بيدها: «لا تدعي ذلك يحول دون إخبارنا بما تفكرين».

«هنالك فردٌ آخر من عائلتك، ليس في هذه الغرفة، وهو برأيي قنبلة موقوتة». تبع ذلك صمت طويل قبل أن تقول جريس: «أنت محقة يا غوينيث، لأنه إن علم صحفي بحقيقة أن الفتاة الصغيرة التي تبناها هاري وإيما هي الأخت غير الشقيقة لجايلز وخالة سيباستيان وأن أمها قد قتلت والدها بعد أن سرق مجوهراتها وهجرها، ستزدهر الصحافة».

قالت إيما بصوت منخفض: «وانتحرت أمها من بعدها، لا تنسي ذلك».

قالت جريس: «أقل ما يمكنك فعله هو إخبار العثة المسكينة الحقيقة، في النهاية هي الآن في ذا سليد، وتملك حياة خاصة بها، لذا لن يكون من

الصعب على الصحافة إيجادها، وإن فعلوا قبل أن تخبرها...».

قال هاري: «الأمر ليس بتلك السهولة، كما نعلم جميعاً جيداً، تعاني جيسيكا من نوبات من الاكتئاب، وبالرغم من موهبتها الأكيدة، هي عادةً ما تفقد الثقة بنفسها. وهي على بضعة أسابيع من امتحانات منتصف الفصل، ليس الوقت الحالي مناسباً».

قرر جايلز ألا يذكر صهره أنه حذره أولاً قبل أكثر من عقد أنه لن يكون هنالك وقت مناسب.

تبرع سيباستيان: «يمكنني أن أتحدث معها دوماً».

قال هاري بحزم: «كلا، إن كان أحدٌ ما سيفعل ذلك فيجب أن يكون أنا».

قال جايلز: «أرجو أن تخبرني حين تفعل» وأضاف: «هل هنالك أي مفاجآت عليّ أن أتحضر من أجلها؟» تبع ذلك صمت طويل قبل أن يكمل. «حسناً شكراً ولكم لوقتكم. سأخبركم بقراري النهائي قبل نهاية الأسبوع. عليّ أن أترككم الآن، لأنني مضطر للعودة إلى الدار. حيث يوجد الناخبون. إن قررت أن أترشح، لن تروني كثيراً خلال الأسابيع القليلة القادمة، سأكون أدير الأمور، وألقي خطابات، وأزور دوائر انتخابية بعيدة وأمضي أمسياتي التي أكون حراً فيها وأنا أشتري المشروبات لأعضاء حزب العمال في حانة آني».

قال هاري: «حانة آني؟».

«أكثر حانة مشهورة في مجلس العموم، ويتردد عليها أعضاء حزب العمال، إذن هذا المكان الذي سأنطلق إليه الآن».

قال هاري: «حظاً موفقاً».

نهض أفراد العائلة في الوقت نفسه وصفقوا له وهو يغادر الغرفة.

* * *

«هل يملك فرصة للفوز؟»

قال فيشر: «نعم بالطبع، إن شعبيته كبيرة بين أعضاء الدوائر الانتخابية،

ولكن هارولد ويلسون هو المفضل لدى الأعضاء الثابتين، إنهم الذين يحق لهم التصويت».

«إذن لنتبرع بسخاء لصندوق حملته، أو حتى نقداً إن اضطر الأمر».

قال فيشر: «هذا آخر شيءٍ علينا القيام به».

سأل دييغو: «لماذا؟».

«لأنه سيعيده».

سأل دون بيدرو: «لمَ قد يفعل ذلك؟».

«لأنه ليس أرجنتينياً، وإن اكتشفت الصحافة أنه يوجد أجنبي يدعم حملة ويلسون، لن يخسر فقط، بل سيضطر للانسحاب من الحياة السياسية. في الواقع، لن يعيد المال فقط، بل سيعلن عن ذلك أمام العامة».

«كيف يمكنك الفوز بالانتخابات وأنت لا تملك المال؟».

«لن تحتاج لقدر كبير من المال إن كان جمهور ناخبيك يبلغ فقط 258 عضواً في البرلمان، ومعظمهم قضوا وقتهم في نفس المبنى. قد تضطر لشراء بعض الطوابع، ولإجراء بعض المكالمات الهاتفية، وأن تتحمل جولة المشروبات في حانة آني، وثم عليك أن تبقى على تواصل مع كل ناخبيك تقريباً».

سأل لويس: «إذن إن لم نكن قادرين على مساعدة ويلسون على الفوز، ما الذي يمكننا القيام به حتى نضمن خسارة عائلة بارينغتون؟».

قال دييغو: «إن كان هنالك 258 ناخباً، لا بد أننا سنكون قادرين على رشوة بعضهم».

قال فيشر: «ولكن ليس عن طريق المال، الشيء الوحيد الذي يهتم به كثيرون هو الترقية».

كرر دون بيدرو: «الترقية؟ ما هذا بحق الجحيم؟».

«بالنسبة للأعضاء من الشباب، قد يلمح مرشح إلى أنهم مرشحون لعمل

في مكتب رئيسي، وبالنسبة للأعضاء الأكبر سناً والذين سيتقاعدون خلال الانتخابات العامة التالية، قد يكون الاقتراح أن خبرتهم وحكمتهم ستكون مفيدة كثيراً في مجلس اللوردات. وبالنسبة إلى أولئك الذين لا يملكون فرصة في المنصب، ولكن سيكونون موجودين خلال الانتخابات القادمة، قائد الحزب دوماً يملك وظائف شاغرة. كنت أعرف أحد الأعضاء الذي لم يكن يرغب بشيء أكثر من أن يصبح رئيس لجنة إطعام مجلس العموم لأنه أراد أن ينتقي نوع النبيذ الموجود على القائمة».

اقترح دييغو: «حسناً، إن لم نكن قادرين على إعطاء ويلسون أي مال، أو أن نرشو الناخبين، أقل ما يمكننا القيام به هو نشر الأشياء السيئة التي نعلمها عن عائلة بارينغتون».

قال فيشر: «ليس هنالك جدوى من ذلك، حيث ستكون الصحافة سعيدة لفعل ذلك دون مساعدتنا».

«سيملون بعد عدة أيام، ما لم نكتشف شيئاً جديداً ليبقوا مهتمين. لا، علينا أن نفكر بشيءٍ سيصل للعناوين الرئيسية حتماً، وفي الوقت ذاته، نطيح به بضربة واحدة».

قال دون بيدرو: «يبدو أنك فكرت بالأمر ملياً أيها الرائد».

قال فيشر: «عليّ أن أعترف أن ذلك صحيح» وبدا مسروراً من نفسه. «وأعتقد أنني قد اكتشفت أمراً ما سيغرق عائلة بارينغتون وأخيراً».

«إذن قل ما هو».

«هنالك أمرٌ وحيد لا يمكن أن يتعافى منه السياسي أبداً. ولكن إن أردت أن أدبر مكيدة لعائلة بارينغتون، سأحتاج لفريقٍ صغير، ويجب أن يكون التوقيت مثالياً».

الفصل التاسع عشر

قرر جريف هاسكينز، وكيل حزب العمال الخاص ببريستول للموانئ، أنه سيقلع عن الشراب إن كان جايلز يملك أي فرصة في أن يصبح قائداً للحزب. كان جريف دوماً يترك الكحول لمدة شهر قبل أي انتخابات، ويبدأ بالشرب لمدة شهر على الأقل بعدها، يعتمد ذلك على فوزهم أو خسارتهم. وبما أن عضو بريستول للموانئ قد عاد بأمان إلى المقاعد الخضر مع أغلبية متزايدة، فقد شعر أنه يحق له الاستمتاع بليلة من الحرية.

لم يكن الوقت مناسباً حين اتصل جايلز بوكيله في الصباح التالي لجولة المشروب التي قام بها لإخباره أنه سيترشح ليكون قائداً. حينها كان جريف يعاني من آثار المشروب، اتصل مرة أخرى بعد ساعة ليتأكد أنه قد سمع ما قاله العضو بشكل صحيح. لقد فعل. اتصل جريف على الفور بسكرتيره بيني الذي كان في إجازة في كورنويل، والآنسة باريش، زميلته الأكثر خبرة في الحزب، والتي قالت إنها ضجرة حتى الموت ولن تكون مسرورة إلا أثناء الحملات الانتخابية.

أخبر الاثنين أن ينتظراه على المنصة رقم سبعة في محطة تيمبل ميدز عند الساعة الرابعة والنصف من ظهيرة ذلك اليوم إن أرادا أن يعملا لحساب رئيس الوزراء المقبل.

عند الساعة الخامسة، كانوا ثلاثتهم في عربة من الدرجة الثالثة على متن القطار الذاهب إلى بادينغتون. بحلول ظهيرة اليوم التالي، أعد جريف مكتباً في مجلس العموم، ومكتباً آخر في منزل جايلز في ساحة سميث. لا يزال بحاجة لتوظيف متطوع أخير لفريقه.

أخبر سيباستيان جريف أنه سيكون مسروراً بإلغائه إجازته التي تبلغ مدتها أسبوعين لكي يساعد خاله جايلز بالفوز بالانتخابات، ووافق سيدريك على تمديدها لتصبح شهراً، حيث سيستفيد الفتى من الخبرة، بالرغم من أن السيد جايلز كان خياره الثاني.

كانت مهمة سيباستيان الأولى هي صنع جدول بجميع أعضاء البرلمان الـ 258 الذين يحق لهم التصويت، ثم إضافة إشارة بجانب كل اسم لتوضيح لأي فئة كانوا ينتمون: حمراء للأعضاء المؤكد تصويتهم لجايلز، وزرقاء للأعضاء المؤكد تصويتهم لمرشح آخر، وخضراء أمام الأعضاء غير المعروفة توجهاتهم بعد وهم الأكثر أهمية.

بالرغم من أن فكرة صنع جدول كانت فكرة سيباستيان، إلا أن جيسيكا هي من أنتج العمل النهائي.

بعد الإحصاء الأول، كان هارولد ويلسون يملك 86 ناخباً مؤكداً، جورج براون 57، جايلز 54، وجيمس كالاغان 19 مع فئة غير المحدد التي بلغت 42. اكتشف جايلز أن مهمته المباشرة كانت التخلص من كالاغان ومن ثم الإطاحة ببراون، لأنه إن انسحب عضو بيلبر، حسب جريف فإن معظم الأصوات ستكون لصالحهم.

بعد أسبوع من تعداد الأصوات، كان جلياً أنه لم يكن بين جايلز وبراون سوى نقطة مئوية في المركز الثاني، مع أن ويلسون برز في المقدمة، اتفق جميع النقاد السياسيين على أنه إن انسحب أي من براون أو بارينغتون فستكون المنافسة محتدمة.

لم يتوقف جريف أبداً عن التجول بين مكاتب المسؤولين، حيث قام بسرور بترتيب لقاءات مع المرشح لأي عضوٍ ادعى أنه لم يقرر بعد. بقي عددٌ منهم حتى اللحظة الأخيرة، وكأنهم لم يحظوا بما يكفي من الاهتمام طوال حياتهم، وكانوا متحمسين كثيراً لكي يكونوا وراء الرابح. لم تتوقف

الآنسة باريش عن استخدام الهاتف، وأصبح سيباستيان أعين وآذان جايلز، جارياً بشكلٍ مستمر بين مجلس العموم وساحة سميث، مبقياً الجميع على اطلاع بآخر الأحداث.

ألقى جايلز ثلاثة وعشرين خطاباً خلال الأسبوع الأول من الحملة، ولكن نادراً ما كانت تصل إلى صحف اليوم التالي ولا يكتب عنها سوى فقرة، ولم يظهر على الصفحة الأولى. عندما لم يبق سوى أسبوعين على النهاية، بدأ الأمر يبدو وكأن فوز ويلسون محتم، قرر جايلز أن الوقت قد حان للخروج عن الرسالة الرئيسية والمخاطرة. حتى جريف تفاجأ برد فعل الصحافة في اليوم التالي، حين تصدر جايلز كل الصحف، بما في ذلك صحيفة ديلي تلغراف.

قال جايلز أمام جمهورٍ من قادة الاتحاد العمالي: «هنالك عدد كبير من الناس في هذه البلاد ممن لا يرغبون بالعمل ليوم واحد، إن كان أحد الأشخاص سليماً جسدياً وصحياً ورفض ثلاث وظائف على مدى ستة أشهر، يجب أن يفقد بشكل أوتوماتيكي راتب البطالة خاصته».

لم يتم الترحيب بهذه الكلمات بتصفيق حار، وكانت ردة الفعل الأولى لزملائه في المجلس غير مرجوة؛ كان التعبير الذي ردده أنداده أنه «أطلق النار على قدمه». ولكن بعد مرور الأيام، بدأ المزيد والمزيد من الصحفيين باقتراح أن حزب العمال قد وجد أخيراً قائداً محتملاً يعيش في العالم الحقيقي، ويرغب لحزبه أن يسود، بدلاً من أن يحكم عليه بالمعارضة الأبدية.

عاد كل واحد من أعضاء البرلمان وحزب العمال الـ 258 إلى دوائرهم الانتخابية في عطلة نهاية الأسبوع، واكتشفوا على الفور موجة تجري لصالح عضو بريستول. أكد ذلك استطلاع رأي يوم الاثنين، وأصبح الفارق بين بارينغتون وويلسون بضع نقاط، مع براون في المركز الثالث وجيمس كالاغان في المركز الرابع. يوم الثلاثاء، انسحب كالاغان من السباق، وأخبر داعميه أنه سيصوت لصالح بارينغتون.

حين حدث سيباستيان الجدول الجداري تلك الأمسية، كان لدى ويلسون 122 صوتا وجايلز 107 مع 29 صوتاً غير محدد.

تطلب الأمر من جريف والآنسة باريش أربع وعشرين ساعة فقط ليكتشفوا من الأعضاء الـ 29 الذين لم يحسموا أمرهم بعد لسببٍ أو لآخر. كان من بينهم أعضاء مجموعة فابيان المهمة، الذين شكلوا 11 صوتاً حاسماً. قام طوني كروسلاند، رئيس مجلس المجموعة، بطلب لقاء خاص مع كل من المرشحين المتقدمين، معلناً بذلك أنه كان متحمساً ليعرف آرائهم حول أوروبا.

شعر جايلز أن لقاءه مع كروسلاند قد جرى على ما يرام، ولكن كلما تفقد الجدول، كان يجد ويلسون لا يزال في المقدمة. إلا أن الصحافة بدأت بكتابة «متعادلان» في عناوينها حين دخلت المنافسة أسبوعها الأخير. علم جايلز أنه سيحتاج لضربة حظ كبيرة للإطاحة بويلسون في الأيام الأخيرة المتبقية. أتت تلك الضربة على شكل برقية تم إيصالها إلى مكتبه يوم الاثنين من آخر أسبوعٍ من الحملة.

قام مجتمع الاقتصاد الأوروبي بدعوة جايلز ليلقي الخطاب الرئيسي في مؤتمره السنوي في بروكسل، قبل ثلاثة أيام فقط من الانتخابات. لم تذكر الدعوة أن شارل ديغول قد استقال.

قال جريف: «هذه فرصتك، ليس فقط لكي تتألق على مسرح العالمية- بل أيضاً لكي تحصل على دعم أصوات مجموعة فابيان الأحد عشر وهي ستشكل فرقاً كبيراً». كان الموضوع المختار للخطاب هو «هل بريطانيا مستعدة للانضمام للسوق المشتركة؟» وعلم جايلز تماماً موقفه اتجاه المسألة.

«ولكن متى سأجد الوقت لكي أكتب خطاباً هاماً كهذا؟»

«بعد خلود آخر عضو من حزب العمال إلى النوم، وقبل أن يستيقظ أولهم في الصباح التالي».

كان جايلز يضحك، ولكنه علم أن جريف جاد.

«ومتى سأنام؟».

«في الطائرة خلال العودة من بروكسل».

* * *

اقترح جريف أن يرافق سيباستيان جايلز إلى بروكسل، بينما يبقى هو والآنسة باريش في ويستمينستر، يراقبان من لم يقرروا بعد.

قال جريف: «تقلع طيارتك من مطار لندن عند الساعة الثانية وعشرين دقيقة، ولكن لا تنسَ أن بروكسل تسبقنا بساعة، لذا لن تصل قبل الرابعة وعشر دقائق، ما سيمنحك أكثر مما تحتاج من الوقت للوصول إلى المؤتمر».

سأل جايلز: «ألا يمكنني أخذ وقت للاستراحة؟ خطابي عند الساعة السادسة».

«أعلم، ولكن لا يمكنني أن أتركك تتسكع دون جدوى في المطار إلا إن كان مليئاً بالأعضاء الذين لم يتخذوا قراراً بعد. الآن، الجلسة التي ستخطب فيها قد تستمر لحوالي الساعة، لذا سينتهي الأمر حوالي الساعة السابعة، في الوقت المناسب لتستقل رحلة الساعة الثامنة وأربعين دقيقة إلى لندن، حيث سيكون فرق التوقيت مفيداً لك. استقل سيارة أجرة حالما تصل، لأنني أريد أن تعود إلى مجلس العموم في وقت مناقشة مشروع قانون المعاشات التقاعدية».

«حسناً ما الذي تتوقع مني القيام به الآن؟».

«ابدأ بخطابك. كل شيءٍ يعتمد عليه».

* * *

أمضى جايلز كل دقيقة من وقت فراغه وهو يطور وينقح خطابه، ويعرض على فريقه وداعميه الأساسيين مسودات أولية وحين ألقاه للمرة الأولى في منزله في ساحة سميث بعد منتصف الليل بقليل أمام جمهورٍ مؤلف من شخص واحد، قال جريف أنه راضٍ عنه كثيراً. يا له من مدح.

«سأعطي غدا صباحاً نسخاً للصحافة. سيمنحهم هذا أكثر مما يحتاجونه من الوقت من أجل تحضير العناوين الرئيسية ومقالات معمقة لصحف الصباح التالي. وأعتقد أنه سيكون من الحكيم أن ندع طوني كروسلاند يرى مسودة أولية، بحيث يشعر أنه في دائرة الثقة. أما بالنسبة إلى الصحفيين الكسالى الذين سيقرؤون الخطاب على عجل، قمت بإبراز المقطع الذي يرجح استخدامه في العناوين».

قلّب جايلز صفحات خطابه حتى وصل إلى المقطع الذي أبرزه جريف. لا آمل أن أرى بريطانيا تخوض حرباً أوروبية أخرى. أُريقت دماء خيرة الشباب القادمين من العديد من الأمم على الأراضي الأوروبية، وليس فقط خلال الخمسين عاماً التي مضت، بل على مدى الألف عام الماضية. علينا سوية أن نحرص على أن نرى الحروب في أوروبا إلا في صفحات كتب التاريخ، حيث يمكن لأبنائنا وأحفادنا أن يقرؤوا عن أخطائنا، ولا يكرروها.

سأل جايلز: «لم ذلك المقطع بالتحديد؟»

«لأن بعض الصحف لن تقوم فقط بطبعه حرفياً، بل أيضاً لن تتردد في الإشارة إلى أن ندك لم ير في حياته طلقة تم إطلاقها بهدف الأذية».

كان جايلز مسروراً حين استلم في الصباح التالي ملاحظة مكتوبة من طوني كروسلاند، ذكر فيها أنه استمتع كثيراً بالخطاب، وتطلع قدماً لرؤية رد فعل الصحافة في الصباح التالي.

حين استقل جايلز الطائرة المغادرة إلى بروكسل لاحقاً في ظهيرة ذاك اليوم، آمن للمرة الأولى أنه قد يكون حقاً القائد التالي لحزب العمال.

الفصل العشرون

حين وصلت الطائرة إلى مطار بروكسل، تفاجأ جايلز لرؤية السير جون نيكولز، السفير البريطاني، واقفاً في نهاية السلم بالقرب من سيارة رولز رويس.

قال السفير: «لقد قرأت خطابك، سيد جايلز». بينما كانت السيارة تنقلهما إلى خارج المطار في حين لم يصل أي راكب آخر حتى إلى كوة جواز السفر، «وبالرغم من أنه لا يسمح للدبلوماسيين أن يدلوا برأيهم، إلا أنني مرغم على القول إنني وجدته خطاباً لطيفاً. مع أنني غير متأكد مما سيكون رأي حزبك به».

«أنا آمل حقاً أن يملك أحد عشر شخصاً منهم الرأي ذاته».

قال السير جون: «آه، إنهم من توجه لهم الخطاب، كيف لم أعرف ذلك».

مفاجأة جايلز الثانية كانت عندما توقفوا خارج البرلمان الأوروبي، وتم استقباله من قبل حشد كبير من المسؤولين والصحفيين والمصورين، كلهم ينتظرون أن يحيوه. قفز سيباستيان من المقعد الأمامي وفتح الباب الخلفي لجايلز، كان هذا شيئاً لم يفعله من قبل.

تقدم رئيس البرلمان الأوروبي، غيتانو مارتينو، وصافح جايلز، قبل أن يقدمه لفريقه. في طريقهم إلى قاعة المؤتمرات، التقى جايلز عدداً من الشخصيات السياسية الأوربية الرائدة، وتمنى كل منهم له الحظ – ولم يكونوا يقصدون الخطاب.

قال الرئيس بعد أن صعدوا على خشبة المسرح: «أرجو منك الانتظار هنا، سأقول بعض الملاحظات الافتتاحية، ثم أسلمك المنبر».

راجع جايلز خطابه للمرة الأخيرة على متن الطائرة، وقام بتعديل أو

تعديلين صغيرين، وحين أعاده لسيباستيان كان قد حفظه تقريباً. اختلس جايلز النظر من شق في الستائر السوداء الطويلة ليرى ألفاً من الرواد الأوروبيين منتظرين ليسمعوا آراء خاله. خطابه الأخير في بريستول أثناء حملة الانتخابات العامة حضره جمهور مؤلف من سبعة وثلاثين شخصاً، بما فيهم جريف وغوينيث وبيني والآنسة باريش وكلب الآنسة باريش.

وقف جايلز متوتراً بينما أصغى للسيد مارتينو وهو يصفه بأنه واحد من أولئك السياسيين القلائل الذين لم يقولوا فقط ما في بالهم بل أيضاً لم يسمحوا لآخر استطلاع رأي بالتحكم بمعنوياتهم. كاد جليز يسمع جريف يقول. «حسناً، حسناً» بنبرة رافضة.

«نحن على وشك سماع خطاب السيد جايلز بارينغتون الذي ربما يكون رئيس وزراء بريطانيا القادم».

ظهر سيباستيان بالقرب من جايلز، أعطاه الخطاب وهمس: «حظاً موفقاً سيدي». توجه جايلز إلى وسط المسرح في ظل وابل من التصفيق. على مدى الأعوام، اعتاد على لمعان آلات تصوير المصورين المتحمسين وحتى على طنين آلات التصوير التلفزيونية، ولكنه لم يختبر من قبل شيئاً كهذا. وضع خطابه على المنبر، أخذ خطوة للوراء وانتظر الجمهور حتى يهدأ.

بدأ جايلز: «هنالك فقط بضع لحظاتٍ في التاريخ، ترسم قدر الأمة، ولا شك بأن لحظة قرار بريطانيا في طلب عضوية السوق المشتركة إحدى تلك اللحظات. بالطبع، ستستمر المملكة المتحدة بلعب دور على المسرح العالمي، ولكن يجب أن يكون ذلك الدور دوراً واقعياً، دوراً يتوافق مع حقيقة أننا لم نعد إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس. أعتقد أن الوقت قد حان بالنسبة إلى بريطانيا كي تقبل تحدي الدور الجديد إلى جانب الشركاء الجدد، الذين يعملون سوية كأصدقاء، مع ترك العداوات السابقة للتاريخ. لا أريد يوماً أن أرى بريطانيا منخرطة في حرب أوروبية أخرى. أُريقت دماء خيرة الشباب

القادمين من العديد من الأمم على الأراضي الأوروبية، وليس فقط خلال الخمسين عاماً التي مضت، بل على مدى الألف عام الماضية. علينا سوية أن نحرص على أن لا نرى الحروب في أوروبا إلا في صفحات كتب التاريخ، حيث يمكن لأبنائنا وأحفادنا أن يقرؤوا عن أخطائنا، ولا يكرروها».

مع كل جولة من التصفيق، بدا جايلز أكثر راحة، وعندما حان وقت ختام خطبته، كانت الغرفة بأكملها تحت سحره.

«حين كنت طفلاً، قام وينستون تشرتشل، أوروبي أصيل، بزيارة مدرستي في بريستول لتقديم الجوائز، لم أربح واحدة، وهذا هو الشيء الوحيد المشترك بيني وبين هذا الرجل العظيم» – قابل هذا ضحك صاخب – «ولكن بسبب خطابه ذلك اليوم دخلت عالم السياسة، وبسبب خبرتي في الحرب انضممت لحزب العمال. قال السير وينستون هذه الكلمات: 'تواجه أمتنا اليوم لحظة أخرى من تلك اللحظات العظيمة في التاريخ والتي يطلب فيها مجدداً من الشعب البريطاني أن يقرر مصير العالم الحر'. قد أكون أنا والسير وينستون ننتمي إلى حزبين مختلفين، ولكننا نتفق على هذا دون شك». نظر جايلز إلى الأعلى إلى الحشد المجتمع، وارتفع صوته مع كل جملة.

«قد نكون هنا اليوم في هذه القاعة من أمم مختلفة، ولكن حان الوقت لكي نعمل سويةً ككيان واحد، ليس تبعاً لمصالحنا الأنانية، بل لمصلحة الأجيال التي لم تولد بعد. دعوني أنهي خطابي بقولي، مهما كان ما يخبئه لي المستقبل، يمكنكم أن تتأكدوا أنني سأكرس نفسي من أجل هذه القضية». خطى جايلز خطوة للوراء بينما نهض كل من كان جالساً في القاعة، ومضت عدة دقائق قبل أن يُسمح له بمغادرة المسرح، وحتى حينها كان محاطاً بالبرلمانيين والمسؤولين ومتمني الحظ الجيد بينما سار مغادراً.

قال سيباستيان: «أمامنا ساعة قبل العودة إلى المطار» محاولاً أن يبدو هادئاً. «هل تريد مني القيام بشيء ما؟»

قال جايلز أثناء مصافحة الأيدي وشكر الناس لأمنياتهم الطيبة: «جد هاتفاً كي نتمكن من الاتصال بجريف، واكتشف إن كان هنالك رد فعل مبكر على الخطاب في الوطن. أريد أن أتأكد أن كل هذا ليس مجرد سراب».

وبعد أن وقع على سجل الزوار، وتلك أيضاً سابقة. قال سيباستيان: «فندق بالاس في الجهة المقابلة من الشارع، يمكننا الاتصال بالمكتب من هناك». أومأ جايلز برأسه، بينما تابع تقدمه البطيء. مرت عشرون دقيقة أخرى حتى عاد إلى درج البرلمان وودع الرئيس.

عبر كل من جايلز وسيباستيان الجادة العريضة بسرعة ووصلا إلى هدوء فندق بالاس النسبي. أعطى سيباستيان الرقم لموظفة الاستقبال التي طلبت لندن وحين سمعت صوتاً على الطرف الآخر من الخط قالت: «سأدعك تكلمه سيدي». تلقف جايلز سماعة الهاتف ليرحب به صوت جريف. قال: «لقد كنت لتوي أتابع أخبار الساعة السادسة على قناة بي بي سي، أنت القصة الرئيسية. لم يتوقف الهاتف عن الرنين هناك كثيرون يريدون مقابلتك. حين تصل إلى لندن ستكون هنالك سيارة تنتظرك في المطار لتقلك مباشرة إلى ITV، حيث ستقوم ساندي غال بإجراء مقابلة معك في أخبار الليلة، ولكن لا تتأخر هناك لأن قناة بي بي سي تريدك أن تتكلم مع ريتشارد ديمبلبي في برنامج بانوراما الساعة 10:30. أين أنت الآن؟»

«أنا على وشك الانطلاق إلى المطار».

«هذا ممتاز، اتصل بي لحظة وصولك».

أنهى جايلز المكالمة وابتسم لسيباستيان. «سنحتاج سيارة أجرة».

قال سيباستيان: «لا أعتقد ذلك، وصلت سيارة السفير للتو وهي مركونة في الخارج تنتظرنا لتعود بنا إلى المطار».

بينما سار الرجلان عبر ردهة الفندق، مد رجلٌ يده وقال: «تهاني سيد جايلز، أداء مذهل. لنأمل أن تميل الكفة لصالحك».

قال جايلز الذي كان يرى السفير واقفاً بالقرب من السيارة: «شكراً لك».

«اسمي بيير بوشارد. أنا نائب رئيس المجتمع الاقتصادي الأوروبي».

قال جايلز: «بالطبع» وتوقف ليصافحه. «مسيو بوشارد، أنا أعلم بشأن كل العمل الدؤوب الذي قدمته لمساعدة بريطانيا في طلبها للحصول على عضوية كاملة في المجتمع الاقتصادي الأوروبي».

قال بوشارد: «أنا ممتن، هل يمكنك أن تمنحني لحظة من وقتك لأناقشك بمسألة خاصة؟».

نظر جايلز إلى سيباستيان الذي نظر إلى ساعته.

«عشر دقائق لا أكثر، سأذهب لإخبار السفير».

قال بوشارد وهو يقود جايلز إلى الحانة: «أعتقد أنك تعرف صديقي طوني كروسلاند».

«نعم، لقد أعطيته نسخة مسبقة عن خطابي البارحة».

سأل بوشارد بينما دخلا الحانة: «أنا متأكد أنه أعجب به. إنه يتضمن كل ما يؤمن به مجتمع فابيان. ما الذي ترغب بشربه؟»

«بيرة واحدة مع الكثير من الماء». أومأ بوشارد للساقي وقال: «سآخذ نفس المشروب».

جلس جايلز على المقعد العالي، نظر حوله ووجد مجموعة من الصحفيين السياسيين جالسين في الزاوية، يتفقدون نسخهم. واحد منهم لمس جبهته كتحية. ابتسم جايلز.

قال بوشارد: «الأمر الأهم الذي عليك فهمه هو أن دي غول سيفعل أي شيء ليمنع بريطانيا من أن تصبح عضواً في السوق المشتركة».

قال جايلز وهو يحمل كأسه: «على جثتي إن كنت أذكر كلماته».

«لنأمل أننا لن نحتاج للانتظار حتى ذلك الحين».

«يبدو الأمر وكأن الجنرال لم يسامح البريطانيين لأنهم لم يفوزوا

الحرب».

قال بوشارد قبل أن يشرب كأسه: «نخبك».

قال جايلز: «نخبك».

«عليك ألا تنسى أن دي غول يملك مشاكله الخاصة، ليس فقط ...».

فجأة شعر جايلز وكأنه سيغمى عليه. أمسك المنضدة، محاولاً أن يثبت نفسه، ولكن بدت الغرفة وكأنها تدور في دوامة. أوقع كأسه وانزلق عن المقعد وانهار على الأرض.

قال بوشارد حين ركع بقربه: «صديقي العزيز، هل أنت بخير؟» نظر إلى الأعلى بينما أتى رجل كان جالساً في زاوية الغرفة لينضم إليهما.

قال: «أنا طبيب». وركع وفك ربطة عنق جايلز وياقته. وضع إصبعين على عنق جايلز وقال بسرعة للساقي: «اتصل بسيارة إسعاف، إنه يعاني من نوبة قلبية».

أسرع صحفي أو صحفيان إلى المشرب. بدأ واحد منهم بتسجيل ملاحظات بينما حمل الساقي السماعة بسرعة وطلب ثلاثة أرقام.

قال صوت: «نعم».

«إننا بحاجة لسيارة إسعاف على الفور، أحد زبائننا تعرض لنوبة قلبية». وقف بوشارد وقال: «دكتور» مخاطباً الرجل الراكع بالقرب من جايلز. «سأخرج وأنتظر سيارة الإسعاف، وأعلمهم أين عليهم الذهاب».

سأل أحد الصحفيون: «هل تعرف اسم هذا الرجل؟» وخرج بوشارد من الغرفة.

قال الساقي: «لا أملك أدنى فكرة».

هرع أول مصور إلى الحانة بعد دقائق من وصول سيارة الإسعاف، واضطر جايلز ليواجه أضواء الكاميرات مرة أخرى، مع أنه لم يكن واعياً لذلك. حين انتشرت الأخبار، قام عدة صحفيين آخرين كانوا في المؤتمر

يملؤون تقاريرهم حول ردة الفعل الإيجابية اتجاه خطاب سير جايلز بارينغتون بترك هواتفهم للإسراع إلى فندق بالاس.

كان سيباستيان يدردش مع السفير حين سمع صفارة الإسعاف، ولكن لم يعر الأمر اهتماماً حتى توقفت سيارة الإسعاف خارج الفندق ونزل منها رجلا إسعاف مهندمان وأسرعا إلى الداخل دافعين حمالة.

بدأ سير جون: «أنت لا تعتقد...»، ولكن كان سيباستيان قد بدأ فعلاً بالركض على السلالم ليدخل الفندق. توقف حين رأى رجال الإسعاف يدفعون الحمالة باتجاهه. تطلب الأمر نظرة واحدة إلى المصاب لتتحقق أسوأ مخاوفه. حين وضعوا الحمالة في سيارة الإسعاف، قفز سيباستيان للداخل وصرخ: «إنه رئيسي». واحد من رجلي الإسعاف أومأ برأسه بينما أغلق الآخر الباب وتبعهم السير جون بسيارته الرولز رويس.

حين وصل إلى المستشفى قدم نفسه وسأل موظفة الاستقبال في المكتب الأمامي إن كانت تتم معاينة السيد جايلز بارينغتون من قبل طبيب.

«نعم سيدي، سيتم إخراجه من غرفة الطوارئ من قبل الطبيب كليربيرت. لو سمحت تفضل بالجلوس. أنا متأكدة أنه سيأتي لطمأنتك حين ينهي فحصه».

* * *

شغل جريف التلفاز مجدداً ليشاهد أخبار الساعة السابعة على قناة بي بي سي، آملاً أن تكون القصة الرئيسية لا زالت تدور حول جايلز.

كان جايلز لا يزال القصة الرئيسية، ولكن تطلب من جريف بعض الوقت ليتقبل من كان الرجل المحمول على الحمالة. انهار في كرسيه. لقد كان في مجال السياسة لوقتٍ طويل ويدرك لذلك أن السيد جايلز بارينغتون لم يعد مرشحاً ليقود حزب العمال.

* * *

قام رجلٌ كان قد أمضى ليلته في الغرفة رقم 437 من فندق بالاس بتسليم

مفتاحه لمكتب الاستقبال، سجل الخروج ودفع فاتورته نقداً. استقل سيارة أجرة إلى المطار، وبعد ساعة استقل الطائرة العائدة إلى لندن، والتي حجز على متنها السيد جايلز. بعد الوصول إلى مطار لندن انتظر دوره للحصول على سيارة أجرة، وحين وصل دوره في الطابور، ركب في المقعد الخلفي وقال: «44 ساحة إيتون».

قال الدكتور كليربيرت بعد أن فحص المريض للمرة الثانية: «أنا محتار أيها السفير، لا أستطيع إيجاد أي مشكلة في قلب السيد جايلز. في الواقع إنه بحالة ممتازة بالنسبة إلى رجلٍ في عمره. ولكن سأتأكد حين تصلني كل النتائج من المختبر، ما يعني أنني سأبقيه لليلة هنا كي نتأكد».

* * *

هيمن جايلز على الصفحات الأولى من الصحف الوطنية في الصباح التالي، كما كان جريف يأمل أن يحصل.

ولكن تم استبدال العناوين الرئيسية للنسخ الأولى على الفور والتي كانت متعادلان (ذا إكسبرس)، توقفت كل الرهانات (ذا ميرور)، ولادة رجل دولة جديد؟ (ذا تايمز). لخصت الصفحة الأولى من ذا ديلي ميل الأمر باقتضاب: نوبة قلبية تنهي فرصة بارينغتون في قيادة حزب العمال.

* * *

تضمنت صحف يوم الأحد مقالات مطولة عن القائد الجديد للمعارضة.

صورة لهارولد ويلسون بعمر الثامنة، واقفاً خارج تن داونينغ ستريت مرتدياً ملابس الأحد الجديدة وقبعة مدببة تصدرت معظم الصحف.

* * *

سافر جايلز عائداً إلى لندن صباح الاثنين، حيث رافقه كل من غوينيث وسيباستيان.

حين وصلت الطائرة إلى مطار لندن، لم يكن هنالك حتى مصور واحد

ليرحب به؛ أصبح طي النسيان.

قادت غوينيث السيارة إلى ساحة سميث.

سأل جريف: «ما الذي أوصاكم الطبيب بفعله فور وصولكم إلى المنزل؟»

قال جايلز: «لم يوصِ بشيء، لا يزال يحاول أن يكتشف لماذا كنت في المستشفى بالأصل».

* * *

كان سيباستيان من نبه عمه بوجود مقالة في الصفحة الحادية عشرة من صحيفة ذا تايمز كُتبت من قبل واحد من الصحفيين الذين كانوا في حانة فندق بالاس حين انهار جايلز، قرر ماثيو كاسل أن يبقى في بروكسل لعدة أيام لكي يقوم بالمزيد من الأبحاث، حيث لم يكن مقتنعاً تماماً أن السيد جايلز قد عانى من نوبة قلبية، بالرغم من أنه قد رأى الأمر بأكمله يحصل أمام عينيه.

كان تقريره: أولاً، بيير بوشارد، نائب رئيس المجتمع الاقتصادي الأوروبي، لم يكن في بروكسل ليسمع خطاب السيد جايلز ذاك اليوم، لأنه كان في جنازة صديق قديم في مارسي؛ ثانياً، الساقي الذي اتصل بسيارة الإسعاف طلب ثلاثة أرقام فقط، ولم ينجح في قول العنوان الذي عليهم القدوم إليه لأي كان على الطرف الآخر من السماعة؛ لم يكن في سجلات مستشفى سانت جان أي اتصال وارد عن الحاجة لسيارة إسعاف من فندق بالاس، ولم يتمكن من التعرف إلى رجلي الإسعاف اللذين قاما بدفع السيد جايلز على حمالة؛ رابعاً، الرجل الذي غادر الحانة ليستقبل سيارة الإسعاف لم يعد قط، ولم يدفع أحد ثمن المشروبين؛ خامساً، الرجل الذي كان في الحانة وادعى أنه طبيباً وقال أن السيد جايلز عانى من نوبة قلبية لم يُشاهد منذ ذلك الحين؛ وسادساً، لم يأت الساقي إلى العمل في اليوم التي.

ربما لم يكن هذا سوى سلسلة من المصادفات، اقترح الصحفي، ولكن

إن لم تكن كذلك، هل سيحظى حزب العمال الآن بقائد جديد؟

* * *

عاد جريف إلى بريستول في الصباح التالي، وكان الأمر كما أنه لن تحصل انتخابات لعامٍ آخر، أمضى الشهر التالي يشرب بجنون.

جيسيكا كليفتون

1964

الفصل الواحد والعشرون

قالت إيما وهي تنظر إلى اللوحة عن كثب: «هل من المفترض أن أفهم ما تمثله هذه اللوحة؟».

قال سيب: «ليس هنالك ما عليك فهمه ماما، لقد ضيّعت المغزى».

«حسناً ما هو المغزى، لأنني أذكر أن جيسيكا اعتادت أن ترسم أناساً أعرفهم».

«لقد تجاوزت تلك المرحلة ماما. إنها تدخل الآن في مرحلة التجريد».

«أخشى أنها تبدو بالنسبة إليّ كاللطخات».

«هذا لأنك لا تنظرين إليها بعقل منفتح. إنها لا تريد بعد الآن أن تصبح ككونستابل أو تورنر».

«حسناً من تريد أن تكون؟».

«جيسيكا كليفتون».

قال هاري وهو ينظر إلى اللطخة الأولى عن قرب: «حتى لو كنت محقاً سيب، اعترف جميع الفنانين، حتى بيكاسو بالتأثر بالعوامل الخارجية. إذن ما الذي تأثرت جيسيكا به؟».

«بيتر بليك، فرانسيس بيكون، وهي تحب فناناً أمريكياً يدعى روثكو».

اعترفت إيما: «لا أعرف أياً منهم، وعلى الأغلب لم يسمعوا هم أيضاً بإيديث إيفانز، جوان سوثرلاند أو إيفيلين واو، الذين تحبانهما».

قال هاري: «يمتلك هارولد غوينزبورغ لوحة لروثكو في مكتبه، أخبرني أنها كلفته عشرة آلاف دولار، حيث ذكرته بأن ذلك كان أكثر من راتبي الأخير».

قال سيباستيان: «لا يتوجب عليك التفكير بهذه الطريقة، إن قيمة العمل

الفني هو ما يدفعه أحد ما مقابله، إن كان ذلك صحيحاً بالنسبة إلى كتابك، لم لا يكون الأمر صحيحاً كذلك بالنسبة إلى لوحة؟».

قالت إيما: «موقف مصرفي، لن أذكرك بما قاله أوسكار وايلد عن موضوع السعر والقيمة، خشية أن تظنني عتيقة الأفكار».

ردّ سيباستيان: «لستِ قديمة الأفكار ماما» وطوقها بذراعه. ابتسمت إيما: «أنتِ من أيام ما قبل التاريخ بشكلٍ إيجابي».

احتجت إيما: «أعترف بعمر الأربعين». ونظرت للأعلى إلى ابنها، الذي لم يتمكن من التوقف عن الضحك.

سألت: «ولكن هل هذا حقاً أفضل ما في وسع جيسيكا القيام به؟» وأعادت تركيزها إلى اللوحة.

«إنه عمل تخرجها، والذي سيحدد إن كانت ستحصل على مكان للخريجين في مدارس رويال الأكاديمية في شهر سبتمبر القادم. وقد تجني منه بعض المال».

سأل هاري: «هل هذه اللوحات للبيع؟».

«نعم. معرض الخريجين هو الفرصة الأولى للفنانين اليافعين كي يعرضوا أعمالهم على العامة».

قال هاري: «أتساءل من قد يشتري هذه الأشياء» وجال بنظره في أرجاء القاعة، التي كانت جدرانها مغطاة باللوحات الزيتية ولوحات الألوان المائية والرسوم.

قالت إيما: «الآباء المخرفون على ما أظن، إذن على كل واحد منا أن يشتري إحدى لوحات جيسيكا، بما فيه أنت يا سيب».

«ليس عليك أن تقنعيني ماما، سأعود الساعة السابعة عندما يبدأ العرض، مع دفتر شيكاتي. اخترت بالفعل اللوحة التي أريدها: اللطخة».

«هذا من لطفك».

«أنت فقط لا تفهمينها ماما».

سألت إيما متجاهلة ابنها وهي تنظر في أرجاء الصالة: «إذن أين هي بيكاسو العصر الحديث؟».

«على الأغلب مع حبيبها».

قال هاري: «لم أعلم أنها تمتلك حبيباً».

«أعتقد أنها تأمل أن تعرفكم عليه الليلة».

قال هاري: «وما الذي يفعله هذا الحبيب؟»

«إنه فنان أيضاً».

سألت إيما: «هل هو أكبر أم أصغر سناً من جيسيكا؟».

«إنه بعمرها، بنفس الصف».

قال هاري: «كم هذا مضحك».

«هل يملك اسماً؟»

«كليف بينغهام».

«وهل التقيته؟».

«نعم، إنهما نادراً ما يفترقان، وأعلم أنه يطلب منها الزواج مرة على الأقل كل أسبوع».

قالت إيما: «ولكنها صغيرة جداً على التفكير بالزواج».

«ليس عليك أنت تكوني عبقرية يا أمي لتكتشفي أنك في الثالثة والأربعين من عمرك وأنا بعمر الرابعة والعشرين، لا بد أنك كنت بعمر التاسعة عشرة حين أنجبتني».

«ولكن تلك الأيام كانت مختلفة».

«أتساءل إن كان الجد والتر موافقاً على ذلك وقتها».

قالت إيما: «نعم كان موافقاً» وأمسكت بذراع هاري.

«كان جدك يحب والدك».

قال سيباستيان: «وستحبين كليف. إنه شاب لطيف حقاً، وليس ذنبه أنه ليس بفنان جيد، يمكنك التأكد من ذلك بنفسك». وقاد والديه في الصالة ليتفقدا أعمال كليف.

حدق هاري إلى اللوحة الشخصية لبعض الوقت قبل أن يقول رأيه. «يمكنني أن أرى لماذا تظن أن جيسيكا فنانة رائعة، لأنني لا أصدق أن أحداً ما قد يشتري هذه».

«لحسن الحظ، والداه ثريان، لذا لن يشكل ذلك مشكلة».

«ولكن بما أن جيسيكا لا تهتم بالمال، ولا يبدو أنه يملك أي موهبة، إذن ما هو عامل الإعجاب؟».

«بما أن كل أنثى تقريباً في الكلية قامت برسم كليف في مرحلة ما على مدى الأعوام الثلاثة الماضية، من الواضح أن جيسيكا ليست الوحيدة التي تعتقد أنه وسيم».

قالت إيما وهي تنظر إلى اللوحة الشخصية عن قرب: «ليس إن كان يبدو كهذا».

ضحك سيباستيان: «انتظرا لترياه قبل أن تحكما عليه. مع أنه من واجبي أن أحذرك ماما، بالنسبة إلى معاييرك قد تظنينه غير منظم قليلاً، وحتى مبهماً. ولكن كما نعلم جميعاً، ترغب جيسيكا بالاعتناء بكل ضائع تلتقي به، ربما لأنها هي بحد ذاتها يتيمة».

«هل يعلم كليف أنها متبناة؟»

قال سيباستيان: «بالطبع، لا تخفي جيسيكا ذلك. إنها تخبر كل من يسأل. في كلية الفنون تلك ميزة إضافية، أو حتى وسام شرف».

همست إيما: «وهل يعيشان سوية؟».

«كلاهما طالب في الفنون أمي، لذا أعتقد أن ذلك ممكن». ضحك هاري وبدت إيما متفاجئة.

«قد يفاجئك الأمر أمي، ولكن جيس بعمر الحادية والعشرين، وهي جميلة وموهوبة، ويمكنني أن أخبرك أن كليف ليس الشاب الوحيد الذي يعتقد أنها مميزة قليلاً».

قالت إيما: «أنا متشوقة للتعرف إليه».

«إن كنا لا نريد التأخر عن حفل توزيع الجوائز علينا الذهاب وتبديل ملابسنا».

«بما أن الموضوع مفتوح أمي، أرجو ألا تأتي هذه الأمسية وأنت تبدين كرئيس مجلس شركة بارينغتون للشحن، وأنك على وشك ترؤس اجتماعاً للمجلس، لأن ذلك سيحرج جيسيكا».

«ولكنني بالفعل رئيسة مجلس إدارة بارينغتون».

«ليس اليوم ماما. اليوم أنت والدة جيسيكا. لذا إن كنت تمتلكين بنطال جينز، من المفضل أن يكون قديماً وباهتاً، سيكون ارتداؤه أمراً رائعاً».

«ولكني لا أمتلك بنطال جينز، قديماً أو مهترئاً».

«إذن ارتدي شيئاً كنت تفكرين بالتبرع به».

قالت إيما: «ماذا عن ملابس الزراعة خاصتي؟». دون أن تخفي سخريتها.

«مثالية. وأقدم كنزة يمكنك إيجادها، يفضل أن تكون مثقوبة عند الكمين».

«وماذا تعتقد أنه يجب على والدك أن يرتدي لهذه المناسبة؟».

قال سيباستيان: «تلك مشكلة والدي. إنه يبدو دوماً ككاتب مشرد وليس لديه عمل، لذا سينسجم مع الأمر بشكل جيد».

«سأذكرك يا سيباستيان أن والدك واحد من أكثر الكتاب المحترمين...».

«ماما، أحبكما كلاكما وأنا معجب بكما. ولكن الليلة خاصة بجيسيكا، لذا أرجو ألا تفسداها».

قال هاري: «إنه محق، كنت أقلق من القبعة التي ستضعها أمي في يوم الخطاب أكثر من قلقي حيال فوزي بجائزة اللغة اللاتينية».

«ولكنك أخبرتني يا أبي أن السيد ديكنز كان دوماً يفوز بجائزة اللغة اللاتينية». قال هاري: «هذا صحيح، ربما كنا أنا وديكنز وخالك جايلز في الصف ذاته، ولكن كما هو الأمر بالنسبة إلى جيسيكا، كان ديكنز في شعبة أخرى».

* * *

«خالي جايلز، أرغب أن أقدم لك حبيبي، كليف بينغهام».

قال جايلز: «مرحبا كليف». حيث أزال ربطة عنقه وفك أزرار قميصه خلال لحظات من دخوله الصالة.

قال كليف وهما يتصافحان: «أنت عضو البرلمان المخضرم ذاك، أليس كذلك؟»

ضاع جايلز بين الكلمات حين نظر للأعلى إلى الشاب الذي كان يرتدي قميصاً أصفر منقطاً مفتوح من الأعلى مع ياقة كبيرة متهدلة وبنطال جينز ضيقاً. ولكن شعره الأشعث الجميل، وعيناه الزرقاوان وابتسامته الجذابة وضحت له لماذا لم تكن جيسيكا الفتاة الوحيدة في الصالة التي لم تتوقف عن النظر باتجاه كليف.

قالت جيسيكا: «إنه الأعظم» وعانقت خالها، «ويجب أن يكون قائد حزب العمال».

قال جايلز: «الآن جيسيكا، قبل أن أقرر أي من لوحاتك... «.

قال كليف: «لقد فات الأوان، ولكن ما زال ممكناً أن تأخذ واحدة من لوحاتي».

«لكني أريد إحدى لوحات جيسيكا كليفتون لأضيفها إلى مجموعتي».

«إذن سيخيب ظنك. افتتح العرض الساعة السابعة، وتم شراء جميع لوحات جيسيكا في دقائق».

قال جايلز: «لا أعلم إن كان عليّ أن أبتهج بسبب تفوقك جيسيكا أو أن

أشتم نفسي لأنني لم آت في وقتٍ أبكر». وعانق ابنة اخته مرة ثانية. «تهاني».

«شكراً لك، ولكن عليك أن تلقي نظرة على أعمال كليف، إنها جيدة».

قال: «ولذلك لم أبع أي لوحة. الحقيقة هي أنه حتى عائلتي لم تشتري واحدة بعد». في تلك الأثناء دخل كل من إيما وهاري وسيباستيان الصالة، وأتوا على الفور للانضمام إليهم.

لم ير جايلز شقيقته من قبل مرتدية شيئاً غير رائج، ولكن بدت هذه الأمسية وكأنها خرجت من قبو معدات الزراعة. بدا هاري محترماً مقارنة بها. وهل يعقل أن يكون هنالك ثقوب في بلوزتها؟ إن الملابس هي أحد أسلحة المرأة القليلة، هذا ما أخبرته إياه إيما ذات مرة. ولكن ليس الليلة... ثم اكتشف السبب. همس: «فتاة جيدة».

قدم سيباستيان والديه لكليف، واعترفت إيما أنه لا يشبه اللوحة الشخصية على الإطلاق.

مثير، كانت تلك الكلمة الأولى التي تتوارد للذهن، حتى ولو كانت مصافحته رخوة قليلاً. وجهت انتباهها إلى لوحات جيسيكا.

«هل كل تلك العلامات الحمراء تعني...؟».

قال كليف: «مباعة، ولكن كما قلت للسيد جايلز من قبل، ستجدون أنني لا أعاني من تلك المشكلة».

«حسناً هل هنالك أي من لوحات جيسيكا متبقية للبيع؟»

قال سيباستيان: «ولا واحدة، حذرتك أمي».

كان أحد ما يقرع كأساً في الجهة الأخرى من الغرفة. نظروا جميعاً ليجدوا رجلاً ملتحياً جالساً في كرسي مدولب يحاول أن يجذب انتباه الجميع. كان يرتدي ملابس رثة مؤلفة من سترة بنية قطنية وبنطال أخضر. ابتسم للحشد المتجمع.

بدأ: «سيداتي وسادتي، هل يمكنكم أن تعيروني انتباهكم للحظات»

توقف الجميع عن الكلام واستداروا ليواجهوا المتحدث. «مساء الخير وأهلا بكم في معرض مدرسة كليد للفنون الجميلة السنوي. اسمي هو روسكين سبير، وكرئيس لجنة الحكام، مهمتي الأولى هي الإعلان عن الفائز عن كل فئة: الرسم، الألوان المائية والألوان الزيتية. للمرة الأولى في تاريخ سليد، نفس الطالب حصل على المركز الأول في الفئات الثلاث».

كانت إيما متشوقة لتكتشف من هذا الفنان الشاب المذهل، لكي تقارن عمله بعمل جيسيكا.

«بصراحة، لن يتفاجأ أحد، إلا الفائزة ذاتها، الطالبة النجمة في المدرسة لهذا العام هي جيسيكا كليفتون».

تألقت جيسيكا بمشاعر الفخر حين صفق لها كل من كان في الصالة، بينما أومأت جيسيكا ببساطة برأسها للأسفل وتمسكت بكليف. لم يعلم أحد سوى سيباستيان بما كانت تمر به. شياطينها، هذا الاسم الذي كانت تستخدمه.

لم تتوقف جيسيكا عن الثرثرة كلما كانا يفترقان، ولكن في اللحظة التي أصبحت فيها محط الأنظار، عادت مثل سلحفاة إلى قوقعتها، آملة ألا يلحظها أحد.

«لو سمحت جيسيكا بالقدوم، لكي أقدم لها الشيك الذي تبلغ قيمته ثلاثين جنيهاً وكأس مونينغز». نكزها كليف نكزة صغيرة، وصفق الجميع حين شقت طريقها بتؤدة إلى رئيس الحكام، احمرت وجنتاها مع كل خطوة خطتها. حين سلمها السيد سبير الشيك والكأس، بدا أمرٌ واحد واضحاً: لن يكون هنالك خطاب شكر. أسرعت جيسيكا عائدة لتنضم لكليف، الذي بدا مسروراً وكأنه ربح الجائزة.

«يمكنني أيضاً أن أعلن أنه سيعرض على جيسيكا مكان في مدارس رويال أكاديمي في سبتمبر لتبدأ بعملها بعد التخرج، وأنا أعلم أن زملائي هنالك متشوقون لكي تنضم إلينا».

همست إيما لسيباستيان بينما استدارت لترى ابنتها ممسكة بيد كليف: «آمل ألا يلعب هذا الافتتان بعقلها».

«لا تخافي من ذلك ماما، ربما هي الشخص الوحيد في الغرفة الذي لا يدرك مقدار موهبتها».

في تلك اللحظة، ظهر رجل أنيق يرتدي ربطة عنق حريرية حمراء على شكل فراشة وبذلة ذات سترة بالقرب من إيما.

«دعوني أقدم نفسي، سيدة كليفتون» ابتسمت إيما للرجل الغريب، متسائلة إن كان والد كليف. «اسمي جوليان أغنيو. أنا تاجر لوحات وأرغب أن أعبر عن تقديري الكبير لعمل ابنتك».

«كم هذا لطيف منك سيد أغنيو. هل تمكنت من شراء إحدى لوحات جيسيكا؟»

«اشتريتها كلها يا سيدة كليفتون. آخر مرة فعلت أمراً كهذا كانت من أجل فنان شاب يدعى ديفيد هوكني». لم ترغب إيما بالاعتراف بأنها لم تسمع قط بديفيد هوكني، وكان سيباستيان يعرفه فقط لأن سيدريك كان يملك ست لوحات له معلقة على جدار مكتبه، ولكن في النهاية كان هوكني من يوركشاير.

لم يكن سيباستيان منتبهاً تماماً إلى السيد أغنيو، لأن ذهنه كان في مكان آخر.

سأل هاري: «إذن هل يعني هذا أننا سنحصل على فرصة لشراء إحدى لوحات ابنتي؟».

قال أغنيو: «بالتأكيد، لأنني أخطط لإقامة معرض لفنانة واحدة لأعمال جيسيكا في الربيع المقبل، حيث آمل أن تكون قد رسمت عدة لوحات أخرى. بالطبع، سأرسل لك وللسيدة كليفتون دعوة لليلة الافتتاح».

قال هاري: «شكراً لك، ولن نتأخر هذه المرة».

انحنى السيد أغنيو انحناءة صغيرة تحيةً، ثم اتجه نحو الباب دون أي

كلمة أخرى، من الواضح أنه لم يكن مهتماً بأي من الفنانين الآخرين الذين ملأت أعمالهم الجدران. نظرت إيما إلى سيباستيان، لتراه يحدق إلى السيد أغنيو وهو يسير. ثم رأت المرأة الشابة بالقرب من التاجر، وفهمت لماذا كان ابنها مستغرباً.

«أغلق فمك سيب». بدا سيباستيان محرجاً. تجربة نادرة تمتعت بها إيما.

اقترح هاري: «حسناً، أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب لنلقي نظرة على لوحات كليف، ما قد يمنحنا فرصة أيضاً للقاء والديه».

قال سيباستيان: «لم يتكبدا حتى عناء القدوم، أخبرتني جيس أنهما لا يأتيان أبداً لرؤية أعماله».

قال هاري: «كم هذا غريب».

قال إيما: «كم هذا حزين».

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

الفصل الثاني والعشرون

قال كليف: «أنا معجبٌ بوالديك، وخالك جايلز شخصٌ مميز. كنت سأصوت له لو أن أهلي يوافقون على ذلك».

«لِمَ لا يوافقون؟».

«كلاهما محافظ أصيل. لن تسمح أمي بوجود اشتراكي في المنزل».

«أنا متأسفة لأنهما لم يأتيا إلى المعرض. لو حضرا لكانا فخورين بك كثيراً».

«لا أعتقد ذلك، أمي لم توافق تماماً على دراستي في كلية الفنون أساساً. كانت تريد مني الذهاب إلى كامبردج أو أوكسفورد، ولم تتقبل أنني لم أكن بذلك المستوى».

«لن يتقبلاني على الأرجح».

استدار كليف وقال: «كيف لهما ألا يتقبلاكِ؟ أنت طالبة سليد التي حصلت على أكبر عدد من الجوائز في كل تاريخها، على عكسي، عُرض عليك مكان في أكاديمية رويال. والدك كاتب مشهور، والدتك رئيسة مجلس إدارة شركة عامة، وخالك في مجلس الظل المعارض. بينما والدي رئيس مجلس شركة معجون السمك، يأمل أن يكون الشريف القائد التالي للينكولنشاير، وهذا كله لأن جدي صنع ثروته ببيع معجون السمك».

قالت جيسيكا: «ولكنك على الأقل تعرف من هو جدك» وأراحت رأسها على كتفه. «هاري وإيما ليسا والديّ الحقيقيين، مع أنهما لطالما عاملاني وكأنني ابنتهما، وربما لأنني أشبه إيما يفترض معظم الناس أنها أمي. سيب أفضل أخ ممكن أن تتمناه أي فتاة. ولكن في الواقع أنا يتيمة ولا أعرف من

هما والداي الحقيقيان».

«هل سبق وحاولت أن تكتشفي ذلك؟».

«نعم، وتم إخباري أن سياسة الدكتور بارناردو الصارمة تنص على عدم الإفشاء عن أية معلومات حول هوية الوالدين الحقيقيين دون إذنهما».

«لماذا لا تسألين خالك جايلز؟ إن كان أحدٌ ما يعلم فهو جايلز».

«حتى لو كان كذلك، أليس من الممكن أن يكون لدى عائلتي أسبابها الخاصة لعدم إخباري؟».

«ربما قتل والدك في الحرب وبقي في أرض المعركة بعد أن أدى قسطه للعلى، وتوفيت والدتك من شدة الحزن».

«وأنت، كليف بينغهام، عبارة عن رومانسي بائس، وعليك التوقف عن قراءة قصص بيغلز وأن تجرب رواية أول كوايت أون ذا ويسترن فرونت».

«حين ستصبحين فنانة مشهورة، هل ستدعين نفسك باسم جيسيكا كليفتون أم جيسيكا بينغهام؟».

«هل تطلب مني الزواج مجدداً كليف؟ لأن هذه هي المرة الثالثة هذا الأسبوع».

«لقد لاحظتِ، نعم أنا أطلب يدك، وكنت آمل أن ترافقيني إلى لينكولنشاير في عطلة نهاية الأسبوع لتتعرفي إلى والدي. لكي نجعل الأمر رسمياً».

قالت جيسيكا: «يسرني ذلك». وعانقته.

قال كليف: «ولكن عليّ أن أزور شخصاً قبل أن تأتي إلى لينكولنشاير، لذا لا تحزمي أمتعتك الآن».

* * *

«شكراً لك لمقابلتي بعد وقتٍ قصيرٍ جداً سيدي».

كان هاري منبهراً. بدا بجلاء أن الشاب مر بكثير من الأمور الصعبة. أتى على الموعد، وكان يرتدي سترة وربطة عنق، ولمع حذاءه وكأنه كان في

مهرجان. من الواضح أنه كان متوتراً كثيراً، لذا حاول هاري أن يهدئه.

«ذكرت رسالتك أنك بحاجة لرؤيتي من أجل مسألة هامة، لذا لا بد أن الأمر واحدٌ من شيئين».

قال كليف: «الأمر بسيط جداً سيدي، أرغب أن أحصل على موافقتك لأنني أطلب يد ابنتك للزواج».

مكتبة
t.me/t_pdf

«كم هذا قديم الطراز».

«ليس أكثر مما تتوقعه جيسيكا مني».

«ألا تعتقد أنكما لا تزالان صغيرين على التفكير بالزواج؟ ربما يجدر بكما أن تنتظرا، على الأقل حتى تتخرج جيسيكا من أكاديمية رويال».

«مع كل احترامي سيدي، أخبرني سيباستيان أنني بعمرٍ أكبر من عمرك حين تقدمت للسيدة كليفتون».

«صحيح، ولكن كان ذلك في زمن الحرب».

«آمل ألا يكون عليّ الذهاب إلى الحرب يا سيدي، فقط لكي أثبت لك كم أحب ابنتك».

ضحك هاري: «حسناً، أعتقد أنه بما أني عمك المستقبلي، عليّ أن أسألك ما هي مخططاتك المستقبلية. أخبرتني جيسيكا أنه لم يُعرض عليك مكان في مدارس أكاديمية رويال».

«أنا متأكد أن ذلك لم يفاجئك سيدي».

ابتسم هاري: «إذن ما الذي تفعله منذ أن غادرت كلية سليد؟»

«إنني أعمل في شركة إعلانية، كورتيس بيل أند غيتي، في قسم التصميم».

«هل الراتب جيد؟».

«كلا سيدي، إن راتبي يبلغ أربعمئة جنيه في السنة، ولكن يزيد والدي على ذلك بمصروف مقداره ألف جنيه، كما أن والديّ منحاني شقة في تشيلسي كهدية لعيد ميلادي الواحد والعشرين. لذا سنملك أكثر من اللازم».

«أنت تدرك أن الرسم كان وسيكون على الدوام حب جيسيكا الأول، ولن تسمح لشيء في الوقوف في وجه مسيرتها المهنية، هذا ما أدركته العائلة منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه إلى حياتنا».

«أنا أيضاً أدرك ذلك سيدي، وسأفعل كل ما في وسعي لأضمن أن تحقق طموحها هذا. سيكون الأمر جنونياً إن لم أساعدها، نظراً لموهبتها الكبيرة».

قال هاري: «أنا سعيدٌ لأنك تشعر بذلك، ولكن بغض النظر عن موهبتها العظيمة، هنالك عدم ثقة فيها ستضطر أحياناً للتعامل معها بعطف وتفهم».

«أنا أدرك ذلك أيضاً سيدي، وهو أمر أستمتع بالقيام به من أجلها. يشعرني ذلك بأنني شخص مميز».

«هل يمكنني أن أسأل ما هو رأي والديك بزواجك من ابنتي؟».

«إن أمي من أكبر معجبيك، وهي معجبة بزوجتك أيضاً».

«ولكن هل يعلمان أننا لسنا والدي جيسيكا؟».

«نعم، ولكن أبي يقول إن ذلك ليس ذنبها».

«وأخبرتهما أنك تريد الزواج من جيسيكا؟».

«لا سيدي، ولكننا سنذهب إلى لوث في عطلة نهاية الأسبوع القادمة، وأنوي أن أفعل ذلك حينها، مع أنني أعتقد أن ذلك لن يفاجئهما».

«إذن كل ما تبقى من دوري هنا هو أن أتمنى لكما السعادة سوية. فليس هنالك فتاة أكثر لطفاً ومحبة في العالم. ولكن ربما هذا شعور كل أب».

«أنا أدرك تماماً أنني لن أكون في مستواها، ولكن أقسم إنني لن أخذلها يوماً».

قال هاري: «أنا متأكدٌ أنك لن تفعل، ولكن عليّ أن أحذرك أن هنالك جانباً آخر للمسألة. إنها شابة حساسة، إن فقدت ثقتها يوماً ما، ستفقدها».

«لن أفعل أي شيءٍ قد يؤدي لذلك، صدقني».

«أنا متأكد أنك تعني ذلك. إذن لماذا لا تتصل بي إن وافقت».

قال كليف بينما نهض هاري من كرسيه: «سأفعل ذلك بالتأكيد، إن لم تسمع مني خبراً بحلول ليلة الأحد، سيعني ذلك أنها رفضتني مجدداً».

قال هاري: «مجدداً؟».

اعترف كليف: «نعم لقد عرضت على جيسيكا الزواج عدة مرات بالفعل، ورفضتني. أشعر أنها قلقة إزاء أمرٍ ما ولا تود التحدث عنه. أظن أن لا علاقة لي بالأمر، كنت آمل أن تنورني بما تعلم عن ذلك».

تردد هاري لبعض الوقت قبل أن يقول: «سأتناول الغداء مع جيسيكا غداً، لذا هل لي أن أقترح أن تتكلم معها قبل أن تسافرا إلى لينكولنشاير، وقبل أن تخبر والديك بالتأكيد».

«إن كنت تشعر أن هذا ضروري يا سيدي سأفعل بالتأكيد».

قال هاري بينما دخلت زوجته الغرفة: «أعتقد أن ذلك سيكون حكيماً نظراً للوضع الراهن».

سألت إيما: «هل أفهم من ذلك أنه علينا أن نقول تهانينا؟» ما جعل هاري يفكر إن كانت تستمع لمحادثتهما. «إن كان ذلك صحيحاً، لا يمكن أن أكون أسعد».

«ليس تماماً سيدة كليفتون. ولكن لنأمل أن يصبح الأمر رسمياً بحلول عطلة نهاية الأسبوع. إن حصل ذلك، سأحاول أن أثبت جدارتي للحصول على ثقتك وثقة السيدة كليفتون». استدار نحو هاري مجدداً وأضاف: «شكراً لك لمقابلتي سيدي».

تصافح الرجلان.

قال هاري: «قُدْ بحذر» وكأنه يتحدث مع ابنه الحقيقي.

وقف هاري مع إيما بالقرب من النافذة وشاهدا كليف يستقل سيارته.

«إذن هل قررت أخيراً أن تخبر جيسيكا بهوية والدها الحقيقي؟».

قال هاري: «لم يترك لي كليف خياراً». واختفت السيارة في الطريق بعد أن اجتازت بوابة مانور هاوس. «الله وحده يعلم كيف ستكون ردة فعل الشاب حين يكتشف الحقيقة».

قالت إيما: «أنا قلقة أكثر حيال ردة فعل جيسيكا».

الفصل الثالث والعشرون

قالت جيسيكا: «أكره A1، إنه يعيد لي دائماً ذكريات سيئة».

سأل كليف وهو يتجاوز شاحنة: «ألم يعرفوا ما الذي حصل حقاً يومها؟».

نظرت جيسيكا إلى يسارها ثم نظرت إلى الخلف. «ما الذي تفعلينه؟».

قالت: «أتأكد فقط، كان تقرير الطبيب الشرعي أنه موت ناتج عن حادث. ولكني أعلم أن سيب لا يزال يلوم نفسه على موت برونو».

«ولكن هذا ليس عادلاً، كما نعلم كلانا».

قالت جيسيكا: «قل هذا لسيب».

سأل كليف ليغير الموضوع: «إلى أين أخذك والدك لتناول الغداء البارحة؟».

«اضطررت لإلغاء الموعد في اللحظة الأخيرة. أراد أستاذي أن يناقشني حيال أي لوحة عليّ المشاركة بها في معرض أكاديمية رويال الصيفي. لذا سيأخذني والدي لتناول الغداء يوم الاثنين، مع أنني أعترف أنه بدا خائب الأمل».

«ربما كان هنالك موضوع محدد أراد التحدث معك حوله».

«ما من شيء لا يستطيع الانتظار حتى يوم الاثنين».

«حسناً، أي لوحة اخترتِ مع أستاذك؟».

«سموغ تو».

«اختيار رائع».

«يبدو الأستاذ واثقاً من أن أكاديمية رويال ستأخذها».

«أكانت تلك اللوحة التي رأيتها معلقة على الجدار في الشقة قبل أن نغادر؟»

«نعم. كنت أنوي أن أعطيها لوالدتك كهدية في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن لسوء الحظ يجب أن تكون جميع المشاركات في المعرض موجودة بحلول الخميس القادم».

«ستكون فخورة لرؤية لوحة كنتها المستقبلية معلقة في أكاديمية رويال».

«يتم تقديم أكثر من عشرة آلاف لوحة لأكاديمية رويال كل عام، ولا يتم اختيار سوى المئات القليلة منها، لذا لا تبدأ بإرسال الدعوات». نظرت جيسيكا إلى اليسار مجدداً حين مر كليف بالقرب من شاحنة أخرى. «هل يعلم والداك أننا قادمان في عطلة نهاية الأسبوع؟».

«لقد لمحت تلميحاً واضحاً، مثل، أريد أن أعرفكما على الفتاة التي سأمضي بقية حياتي معها».

«ولكن ماذا لو لم أعجبهما؟».

«سيحبانك، ومن يهتم إن لم يفعلا؟ لا يمكن أن أحبك أكثر مما أفعل الآن».

قالت جيسيكا ومالت لكي تقبله على وجنته: «أنت لطيف جداً، ولكن يهمني الأمر إن لم يكن والداك متأكدين. في النهاية، أنت ابنهما الوحيد، لذا هما مضطران ليكونا حريصين وحتى متوترين».

«لا شيء يوتر أمي، ولن يحتاج والدي للمزيد من الإقناع بعد أن يلتقي بك».

«أتمنى لو كنت أملك ثقة أمك بنفسها».

«لا يمكنها إلا أن تكون كذلك، عزيزتي. درست في مدرسة رويدين، حيث لا يعلمونك سوى كيف تصبحين زوجة أحد الأرستقراطيين، وانتهى بها الأمر زوجة ملك معجون السمك، وستكون متحمسة لفكرة أن ترتبط عائلتك بعائلتنا».

«هل يهتم والدك بمثل هذه الأمور؟».

«أبداً، يدعوه عمال المعمل باسم بوب، ولا توافق أمي على ذلك. وهو رئيس كل شيء في مساحة شعاعها عشرين ميلاً من المنزل، من نادي لاوث سنوكر إلى مجتمع كليثوربس كورال، والرجل المسكين مصاب بعمى الألوان وطرش النغمات».

قالت جيسيكا بينما غادر كليف A1 وبدأ باتباع لوحات ميبلثورب: «لا أطيق الانتظار للتعرف إليه».

بالرغم من أن كليف تابع الكلام، إلا أنه شعر أن جيسيكا كانت تزداد توتراً مع كل ميل يقطعانه، في اللحظة التي دخلا فيها بوابة ميبلثورب توقفت عن الكلام تماماً.

قالت جيسيكا في النهاية: «يا إلهي» وهما يعبران طريقاً عريضاً مزيناً بأشجار الدردار الأنيقة والطويلة على الجانبين وعلى مد النظر. «لم تخبرني أنك تعيش في قلعة».

«لم يشترِ والدي العقار إلا لأنه كان مملوكاً من قبل إيرل ميبلثورب، الذي حاول أن يخرب أعمال جدي في مطلع القرن، ولكنني أعتقد أيضاً أنه أراد أن يثير إعجاب أمي».

قالت جيسيكا: «حسناً لقد أثار إعجابي» بينما ظهر أمامهما قصر على النمط البالاديني مؤلف من ثلاثة طوابق.

«نعم، أعترف أنه على المرء أن يبيع بضعة مرطبانات من معجون السمك قبل أن يشتري مكاناً كهذا».

ضحكت جيسيكا، ولكنها توقفت عن الضحك حين انفتح الباب الأمامي وظهر رئيس خدم، وتبعه خادمان هرعا على السلالم ليفتحا الصندوق وينزلا أمتعتهما.

فتح كليف باب السيارة لأجلها، ولكنها لم تتحرك، أمسك يدها وساعدها

على تسلق الدرج وأدخلها من باب المنزل الأمامي، ليجدا السيد والسيدة بينغهام ينتظران في الرواق.

كادت جيسيكا تفقد توازنها حين رأت والدة كليف للمرة الأولى؛ أنيقة جداً ومترفة وواثقة من نفسها. تقدمت السيدة بينغهام لترحب بها مع ابتسامة لطيفة.

قالت بحماس وهي تقبل جيسيكا على وجنتيها: «من الرائع أن ألتقي بك أخيراً، أخبرنا كليف الكثير عنك».

صافحها والد كليف بحرارة: «عليّ الاعتراف، لم يبالغ كليف، إنك جميلة مثل اللوحات».

انفجر كليف بالضحك: «آمل ألا يكون ذلك صحيحاً أبي، آخر لوحات جيسيكا تدعى سموغ تو».

أمسكت جيسيكا يد كليف بينما قادهما المضيفان إلى قاعة الاستقبال، ولم تبدأ بالاسترخاء إلا حين رأت صورة شخصية لكليف، كانت قد رسمتها بمناسبة عيد ميلادها بعد فترة قصيرة من لقائهما، كانت معلقة فوق رف المدفأة.

«آمل أنك سترسمين لوحة لي يوماً ما».

«لم تعد جيسيكا تفعل ذلك والدي».

«سأكون مسرورة بذلك، سيد بينغهام».

حين جلست جيسيكا على الأريكة بالقرب من كليف، انفتح باب قاعة الاستقبال، وظهر رئيس الخدم مجدداً، وتبعته خادمة تحمل صينية فضية كبيرة مع إبريق شاي من الفضة وصحنين كبيرين من الشطائر.

قال رئيس الخدم: «خيار وبندورة وجبنة، سيدتي».

همس كليف: «ولكن دون معجون السمك».

تناولت جيسيكا بتوتر كل ما عُرض عليها، بينما تحدثت السيدة بينغهام

عن حياتها المزدحمة وعن عدم امتلاكها لحظة من وقت الفراغ.

لم تلحظ حين بدأت جيسيكا برسم والد كليف على المنديل، نوت أن تكملها في غرفة النوم حين تكون لوحدها.

أكملت السيدة بينغهام قبل أن تعرض على جيسيكا شطيرة أخرى: «سنتناول عشاءً هادئاً اليوم، العائلة فقط، ولكن خططت لعشاء احتفالي غداً... فقط بضعة أصدقاء يتوقون للقائك».

«شكراً لتكبدك كل هذا العناء سيدة بينغهام».

«أرجو أن تدعوني بريسكيلا. لا نهتم بالرسميات في هذا المنزل».

قال السيد بينغهام بينما أعطاها قطعة من كعكة فيكتوريا: «ويدعوني أصدقائي بوب».

بحلول الوقت الذي تم فيه إرشاد جيسيكا إلى غرفتها بعد ساعة، تساءلت لماذا كانت قلقة. ولكن حين رأت ملابسها خارج الحقائب ومعلقة في الخزانة بدأت الذعر.

«ما هي المشكلة، جيس؟»

«يمكنني أن أتدبر أمري وأرتدي ملابس مناسبة للعشاء هذه الأمسية، ولكن لم أجلب شيئاً مناسباً لحفلة العشاء غداً».

«لن أقلق إزاء الأمر لو كنت مكانك، لأنني أملك حدساً بأن أمي ستأخذك للتسوق غداً صباحاً».

«ولكن لا يمكنني أن أدعها تشتري لي شيئاً في حين لم أجلب لها هدية».

«صدقيني، هي فقط تريد التباهي بك، وستستمتع بالأمر أكثر منك بكثير. فقط فكري بالأمر على أنه صندوق من معجون السمك».

ضحكت جيسيكا، وحين حان وقت ذهابهما إلى الطابق العلوي بعد العشاء، كانت مسترخية لدرجة أنها كانت تثرثر بسعادة.

قال كليف وهو يتبعها إلى غرفة النوم: «لم يكن هذا سيئاً أليس كذلك؟».

قالت: «كان رائعاً، أحب والدك كثيراً، وتكبدت والدتك الكثير من العناء لتجعلني أشعر وكأنني في منزلي».

«هل نمتِ من قبل في تخت رباعي الأعمدة؟» وعانقها.

ردت جيسيكا: «كلا لم أفعل». ودفعته بعيداً.

«وأين ستنام؟»

«في الغرفة المجاورة، ولكن هنالك باب بين الغرفتين، لأن خليلة الإيرل كانت تنام في هذه الغرفة، لذا سأنضم إليك لاحقاً».

قالت جيسيكا بسخرية: «كلا لن تفعل، ولكن أعجبتني فكرة أن أكون خليلة الإيرل».

قال كليف وركع على ركبته: «مستحيل، ستكونين راضية بكونك السيدة بينغهام، أميرة معجون السمك».

«أنت لا تطلب الزواج مني مجدداً، كليف؟».

«جيسيكا كليفتون، أنا أعشقك، وأريد أن أمضي بقية حياتي معك، وآمل أن تمنحيني شرف أن تكوني زوجتي».

قالت جيسيكا: «بالطبع سأفعل» وركعت على ركبتيها وعانقته.

«يمكنك أن ترددي وتفكري بالأمر للحظة».

«لم أكن أفكر بأي شيء آخر على مدى الأشهر الستة الماضية».

«ولكنني ظننت...»

«لم تكن أنت السبب أبداً يا سخيف، أحبك كثيراً. ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«حين تكون يتيماً، لا بد أن تتساءل...».

«أنت سخيفة أحياناً، جيس، لقد وقعت في غرامك، ولا يهمني من هما والداك أو من كانا. الآن اتركيني، لأنني أملك مفاجأة لك».

حررت جيسيكا خطيبها، الذي أخرج علبة حمراء جلدية من جيبه

الداخلي. فتحتها، وانفجرت بالضحك حين رأت مرطباناً من معجون سمك بينغهام.

المعجون الذي تناوله حتى الصيادون.

اقترح: «ربما عليك أن تنظري إلى الداخل».

فتحت الغطاء، وأدخلت إصبعاً في المعجون. قالت: «يا للقرف»، ثم أخرجت خاتم خطوبة فيكتورياً مزيناً بأحجار الياقوت الأزرق والألماس. «أراهن أنك لا تجد هذه الخواتم في كل مرطبان. إنه جميل للغاية».

قالت ذلك بعد أن لعقته كي ينظف.

«كان لجدتي. كانت بيتسي فتاة محلية في غريمسبي تزوجها جدي حين كان يعمل في سفينة صيد، قبل فترة طويلة من أن يصبح ثرياً».

حدقت جيسيكا إلى الخاتم وقالت: «إنه كثير جداً عليّ».

«لم تكن بيتسي لتظن ذلك».

«ولكن ماذا عن والدتك؟ كيف ستشعر حين تراه؟».

قال كليف: «إنها فكرتها، لذا لننزل ونخبرهما آخر الأنباء».

قال جيسيكا: «ليس الآن». وطوقته بذراعيها.

الفصل الرابع والعشرون

بعد الفطور في اليوم التالي، أخذ كليف خطيبته في نزهة حول أراضي قلعة ميبلثورب، ولكنهما لم يتمكنا إلا من رؤية الحديقة والبحيرة، قبل أن تقوم والدة كليف بأخذ جيسيكا للتسوق في لاوث.

قال كليف: «تذكري، حين تتوترين، فكري بالأمر على أنه مجرد مطربان آخر من معجون السمك»، بينما كانت تصعد إلى المقعد الخلفي من السيارة بالقرب من بريسكيلا.

بحلول الوقت الذي عادتا فيه إلى ميبلثورب لتناول الغداء، كانت جيسيكا محملة بالأكياس والصناديق، التي احتوت على ثوبين، وشال من الكشمير، وزوج من الأحذية وحقيبة سوداء صغيرة مسائية.

وضحّت بريسكيلا: «من أجل العشاء الليلة».

لم يكن في وسع جيسيكا سوى التساؤل كم صندوق من معجون السمك عليهم بيعه ليغطي كل تلك الفواتير. في الواقع، كانت ممتنة كثيراً لكرم بريسكيلا، ولكن حين أصبحا وحدهما في الغرفة، أخبرت كليف بحزم: «هذا ليس أسلوب عيش أود الانغماس فيه لمدة تطول عن عدة أيام».

بعد الغداء، أمسك كليف يدها وقادها في جولة حول الأراضي المحيطة بالملكية، ليعيدها في الوقت المناسب من أجل احتساء شاي الظهيرة.

سألت جيسيكا: «هل يتوقف والداك عن تناول الطعام؟ لا أعلم كيف تتمكن والدتك من البقاء رشيقة».

«إنها لا تأكل، هي تعلق على الأشياء فقط، ألم تلحظي؟».

قالت بريسكيلا بعد أن قُدم الشاي: «هل نباشر بمراجعة لائحة المدعوين

على العشاء؟ أسقف غريمسبي وزوجته مورين». نظرت إلى الأعلى «بالطبع نأمل أن يؤدي الأسقف المراسم».

سأل بوب: «أية مراسم عزيزتي؟» وغمز جيسيكا.

قالت بريسكيلا: «أرجو ألا تدعوني بعزيزتي، إنه شائع للغاية». ثم أكملت لائحة المدعوين: «عمدة لاوث، المستشار بات سميث. مع أنني لا أوافق على اختصار الأسماء المسيحية. حين سيصبح زوجي الشريف القائد للمقاطعة العام المقبل، سأصر على دعوة الجميع له باسم روبرت. وأخيراً، صديقتي في المدرسة سابقاً، الليدي فيرجينيا فينويك، ابنة إيرل فينويك. لقد انطلقنا كسيدات إلى المجتمع في العام نفسه كما تعلمون».

أمسكت جيسيكا بيد كليف لتوقف نفسها من الارتجاف.

لم تقل أي كلمة أخرى حتى أصبحا في أمان غرفتها.

سأل كليف: «ماذا هنالك جيس؟».

«ألا تدرك والدتك أن ليدي فيرجينيا هي طليقة خالي جايلز؟»

«بالطبع تعلم. ولكن كان هذا قبل زمن طويل. من يكترث؟ في الواقع أنا مصدوم لأنك تتذكرينها».

«التقيتها مرة واحدة، يوم جنازة جدتي إليزابيث، والأمر الوحيد الذي أتذكره هو أنها أصرت على أن أدعوها الليدي فيرجينيا».

قال كليف: «ما زالت تصرع على ذلك» محاولاً أن يلطف الجو. «ولكنني أعتقد أنك ستجدينها قد أصبحت أكثر لطافة بقليل على مدى الأعوام، مع أنني أعترف أنها تحفز أسوأ خصال أمي. أنا أعلم تماماً أن والدي لا يطيقها، لذا لا تتفاجئي إن حاول التهرب كلما كانتا سوية».

قالت جيسيكا: «يعجبني والدك».

«وهو يحبك».

«لماذا تقول هذا؟».

«في الواقع، عليّ أن أعترف أنه قال بالفعل الجملة الشهيرة: ‹لو كنت أصغر بعشرين عاماً لكنت حصلت عليها›».

«كم هذا لطيف منه».

«إنها ليست لطافة، لقد عنى ذلك».

قالت جيسيكا: «من الأفضل أن أبدأ بتغيير ملابسي، وإلا ستتأخر على العشاء. أنا لست متأكدة أياً من الثوبين عليّ أن أرتدي» غادر كليف غرفتها. جربت ارتداء الاثنين، وحدقت إلى المرآة لوقتٍ طويل، ولكن لم تتخذ قراراً إلا حين أتى كليف ليطلب منها مساعدته بربطة عنقه التي على شكل فراشة.

سألت فاقدة الأمل: «أياً من الثوبين عليّ أن أرتدي؟».

قال كليف قبل أن يعود إلى غرفته: «الثوب الأزرق».

نظرت إلى نفسها مجدداً في المرآة، وتساءلت هل هناك مناسبة أخرى سترتدي فيها أي واحدٍ منهما. بالطبع لن تكون تلك المناسبة حفلة طلاب الفنون.

قال كليف حين ظهرت في النهاية من الحمام: «تبدين ساحرة! يا له من ثوب!».

قالت جيسيكا: «انتقته والدتك». والتفت حول نفسها.

«من الأفضل أن ننطلق. أعتقد أنني سمعت صوت سيارة في المدخل».

حملت جيسيكا شال الكشمير، ووضعته على كتفيها وألقت نظرة أخيرة في المرآة قبل أن ينزلا السلالم متشابكي الأيدي.

دخلا قاعة الاستقبال في الوقت نفسه الذي قرع فيه الباب الأمامي.

قالت بريسكيلا: «أوه، تبدين مذهلة بهذا الثوب، والشال مثالي. ألا توافقني الرأي روبرت؟».

«نعم، بالفعل تبدو مثالية يا عزيزتي».

عبست بريسكيلا حين فتح رئيس الخدم الباب وأعلن قدوم: «أسقف غريمسبي والسيدة هادلي».

قالت بريسكيلا: «سيدي، شكراً لك للانضمام إلينا. دعني أقدم لك الآنسة جيسيكا كليفتون، والتي أصبحت لتوها خطيبة ابني».

قال الأسقف: «إن كليف محظوظ» وكل ما كانت جيسيكا تفكر به هو رغبتها برسمه وهو يرتدي معطفه الأسود الطويل الجليل، والقميص الأرجواني الكهنوتي والياقة البيضاء الجميلة.

بعد عدة دقائق، ظهر عمدة لاوث.

أصرت بريسكيلا على تقديمه على أنه المستشار باتريك سميث. حين غادرت بريسكيلا الصالة لتحيي ضيفها الأخير، همس العمدة لجيسيكا: «فقط أمي وبريسكيلا تدعواني باسم باتريك. آمل أن تدعوني أنت باسم بات».

ثم سمعت جيسيكا صوتاً يستحيل عليها نسيانه.

«عزيزتي بريسكيلا، لم أرك منذ وقتٍ طويل».

وافقتها بريسكيلا: «وقت طويل جداً عزيزتي».

قالت فيرجينيا: «لا يسافر المرء إلى الشمال بالقدر الكافي، هنالك الكثير لدينا للتحدث عنه» بينما رافقت مضيفتها إلى غرفة الاستقبال.

بعد أن قدمت بريسكيلا فيرجينيا للأسقف والعمدة، قادتها عبر الغرفة للقاء جيسيكا. «واسمحي لي أن أقدم لك الآنسة جيسيكا كليفتون، التي أصبحت لتوها خطيبة كليف».

«مساء الخير ليدي فيرجينيا، أعتقد أنك لا تتذكرينني».

قالت: «كيف لي أن أنسى، مع أنك على الأغلب كنت بعمر السابعة أو الثامنة فقط حينها. كم تغيرت»، وخطت خطوة للخلف. «لقد تحولت امرأة جميلة. أتعرفين، تذكرينني كثيراً بوالدتك». لم تعلم جيسيكا ما عليها قوله، ولكن لم يكن ذلك مهماً. «وسمعت أخباراً رائعة عن عملك في كلية سليد. لا بد أن والديك فخوران».

بعد وقتٍ من الزمن، بعد وقتٍ طويل، بدأت جيسيكا تتساءل كيف عرفت

الليدي فيرجينيا عن أعمالها. ولكنها كانت منشغلة بسماع تعليقات «يا لهذا الفستان الجميل»، و«كم هو ساحر الخاتم»، و«كم كليف رجل محظوظ».

قال كليف وهما ذاهبان إلى غرفة الطعام متشابكا الأيدي: «حقيقة أخرى انكشفت».

لم تكن جيسيكا مقتنعة تماماً، ارتاح بالها حين وجدت مقعدها بين العمدة والأسقف، بينما جلست الليدي فيرجينيا على يمين السيد بينغهام، على الطرف الآخر من الطاولة، بعيدة بما يكفي كيلا تضطر جيسيكا للتحدث معها. بعد أن تمت إزالة الوجبة الرئيسية – كان هنالك خدم أكثر من الضيوف – قرع السيد بينغهام كأسه بملعقة ونهض من مقعده على رأس الطاولة.

بدأ كلامه: «نحن اليوم نرحب بفردٍ جديدٍ في عائلتنا، شابة مميزة جداً شرفت ابني بموافقتها على الزواج منه. أصدقائي الأعزاء» رفع كأسه «نخب جيسيكا وكليف».

نهض الجميع من أماكنهم وكرروا الكلمات: «جيسيكا وكليف» وحتى فيرجينيا رفعت كأسها. تساءلت جيسيكا إن كان بإمكان المرء أن يكون أكثر سعادة.

بعد أن تم احتساء المزيد من الشمبانيا في غرفة الاستقبال بعد العشاء، اعتذر الأسقف، حيث وضّح أنه يجب عليه أن يترأس طقوس الصلاة في الصباح، وأن عليه أن يراجع موعظته مرة أخيرة. رافقته بريسكيلا وزوجته إلى الباب الأمامي، ثم بعد عدة دقائق، شكر العمدة مضيفه ومضيفته وهنأ مجدداً الزوج السعيد.

قالت جيسيكا: «ليلة سعيدة، بات». حياها العمدة بابتسامة قبل أن يغادر.

حين غادر العمدة، عاد السيد بينغهام إلى غرفة الاستقبال وقال لزوجته: «سأذهب لآخذ الكلاب في نزهتها المسائية، لذا سأترككما وحدكما. أعتقد أنه يوجد الكثير من الأخبار التي عليكم التحدث عنها، لأنكما لم تتقابلا منذ

وقتٍ طويل».

قال كليف: «أعتقد أن ذلك تلميح لنا كي نغادر أيضاً». وتمنى لأمه والليدي فيرجينيا ليلة هانئة، قبل أن يرافق جيسيكا إلى الأعلى إلى غرفتها.

قال كليف حين أغلق باب الغرفة: «يا له من انتصار، حتى الليدي فيرجينيا كانت مهزومة. اسمحي لي أن أقول إنك تبدين ساحرة بهذا الفستان».

قالت جيسيكا: «كله بفضل سخاء والدتك» وألقت نظرة أخرى على نفسها مجدداً في المرآة الطويلة.

«ولا تنسي معجون السمك الخاص بجدي».

«ولكن أين الشال الجميل الذي أعطتني إياه والدتك؟» بحثت جيسيكا في الغرفة. «لا بد أنني تركته في غرفة الاستقبال. سأنزل وآخذه».

«ألا يمكن أن ينتظر الأمر للصباح؟»

قالت جيسيكا: «طبعاً لا، يجب ألا أدعه يغيب عن ناظري».

«فقط لا تبدئي بالتحدث معهما، لأنه لا بد أنهما تقومان بالتخطيط للتفاصيل الصغيرة في عرسنا».

قالت جيسيكا: «سيستغرق الأمر دقيقة». وغادرت الغرفة وهي تهمهم لوحدها. نزلت السلالم وكانت على بعد خطوات من باب غرفة الاستقبال الذي كان مفتوحاً جزئياً، حين سمعت كلمة «قاتل» وتجمدت في مكانها.

«قال الطبيب الشرعي أن سبب الموت كان قضاء وقدراً، بالرغم من أنهم وجدوا جثة السير هوغو في بركة من الدماء، وكان هنالك فتاحة رسائل بارزة من عنقه».

«وتقولين إن هنالك سبباً للتصديق بأن السير هوغو بارينغتون كان والدها؟».

«من دون شك. وبصراحة، كان في موته شيءٌ من الراحة للعائلة، لأنه كان على وشك الذهاب إلى المحكمة بتهمة الاحتيال. لو حصل ذلك، لكانت

الشركة قد تدمرت بالتأكيد».

«لم أعلم ذلك على الإطلاق».

«وهذه ليست القصة بأكملها عزيزتي، لأن والدة جيسيكا أقدمت على الانتحار بعدها كي لا تتهم بقتل السير هوغو».

«لا يمكنني أن أصدق ذلك. تبدو فتاة محترمة للغاية».

«أخشى أن الأمر ليس أفضل من ناحية طرف كليفتون من العائلة. كانت والدة هاري كليفتون عاهرة معروفة، لذا لم يكن متأكداً من كان والده الحقيقي. في الظروف العادية لم أكن لأذكر أياً من هذا» أكملت فيرجينيا «ولكنك لست بحاجة لفضيحة في هذا الوقت بالذات».

سألت بريسكيلا: «في هذا الوقت بالذات؟»

«نعم، علمت من مصدر موثوق أن رئيس الوزراء يفكر بمنح روبرت لقب النبيل، ما يعني بالطبع أنك ستصبحين ليدي بينغهام».

فكرت بريسكيلا بذلك للحظات قبل أن تقول: «هل تعتقدين أن جيسيكا تعرف حقيقة والديها؟ لم يقل كليف شيئاً يتعلق بفضيحة».

«بالطبع هي تعلم، ولكنها لم ترد أبداً أن تخبرك أو تخبر كليف. الفتاة الوقحة كانت تأمل أن تحصل على خاتم ذهبي حول إصبعها قبل أن يصبح أي من هذا علنياً. ألم تلحظي كيف كانت تتلاعب بروبرت؟ لم يكن وعدها بأن ترسمه سوى جزء من مخططها».

كبتت جيسيكا دموعها وهرعت إلى الأعلى مجدداً.

سأل كليف: «ما المسألة بحق السماء؟» بينما ركضت إلى غرفتها.

قالت وهي تبكي: «قامت الليدي فيرجينيا بإخبار والدتك أنني ابنة قاتلة... قامت بقتل أبي، وأن جدتي كانت عاهرة وأنني فقط أريد أن أحصل على أموالك».

ضمها كليف بين ذراعيه، وحاول أن يهدئها، ولكنها كانت غير قابلة

للمواساة. قال: «دعي الأمر لي»، وتركها وارتدى معطفه. «سأذهب لأقول لأمي أنني لا أهتم بما تقوله الليدي فيرجينيا، لأنه لا يوجد ما قد يوقفني عن الزواج بك».

ضمها مرة أخرى وخرج من الغرفة ونزل على السلالم ودخل غرفة الاستقبال.

سأل: «ما هذه الأكاذيب التي تلفقينها عن خطيبتي؟» ونظر إلى عينيها مباشرة.

ردت فيرجينيا بهدوء: «إنها الحقيقة، ظننت أن من الأفضل أن تعرف أمك بذلك قبل أن تتزوج، بدلاً من أن تعرف بعد فوات الأوان».

«ولكن كيف لك أن تقولي إن والدة جيسيكا كانت قاتلة...».

«ليس من الصعب التأكد من الأمر».

«وأن جدتها كانت عاهرة؟»

«أخشى أن ذلك أمر معروف في بريستول».

قال كليف: «لا يهمني الأمر، أنا أعشق جيسيكا ولا تهمني العواقب، لأنني سأقول لك يا ليدي فيرجينيا أنه لا يمكنك إيقافي عن الزواج بها».

قالت والدته بهدوء: «عزيزي كليف، لو كنت مكانك لفكرت بالأمر قليلاً قبل أن أتخذ قراراً متسرعاً كهذا».

«ليس عليّ التفكير بشأن الزواج بأكثر إنسانة مثالية على الأرض».

«ولكن إن كنت ستتزوج من هذه المرأة، كيف ستعيشان؟».

«ستكون ألف وأربعمئة جنيه في العام أكثر من كافية».

«ولكن ألف جنيه منها هي مصروف من والدك، وحين سيسمع بالأمر...».

«إذن سيكون علينا العيش على راتبي كباقي الناس».

«هل خطر ببالك يا كليف من أين تأتي هذه الأربعمئة جنيه؟»

«نعم من شركة كورتيس وغيتي، وأنا أجني كل قرش منها».

«هـل تعتقـد حقـاً أن هنالـك أي وكالـة قد توظفك لو لم تملك حسـاب بينغهام لمعجون الأسماك؟»

سكت كليف للحظة ثم قال أخيراً: «إذن سأحصل على وظيفة أخرى».

«وأين ستعيش؟».

«في شقتي بالطبع».

«ولكـن كـم مـن الزمـن؟ لا بد أن تدرك أن عقد الإيجار في غليب بليس ينتهـي فـي سـبتمبر. أعلـم أن والـدك كان ينـوي تجديـده، ولكـن تحت هذه الظروف».

«يمكنكمـا أن تحتفظـا بالشـقة اللعينـة أمـي، لـن يفـرق ذلـك بيني وبين جيس». أدار ظهره للاثنتين، خرج من الغرفة وأغلق الباب بسـرعة خلفه. ثم صعد للطابق العلوي، آملاً أن يطمئن جيسيكا أنه لم يتغير شيء، وليقترح أن يعـودا إلـى لنـدن على الفور. بحث فـي الغرفتين ولكنه لم يجدها. وجد على سريرها ثوبين، حقيبة مسائية صغيرة وزوج من الأحذية، وخاتم خطوبة ولوحة لأبيـه. هـرع إلى الأسـفل مجدداً ليجد والده واقفـاً في الرواق، غير قادر على كظم غيظه.

«هل رأيت جيس؟»

«نعم ولكن أخشى أنه لا يوجد ما يمكنني قوله قد يوقفها من المغادرة. أخبرتني ما قالته تلك المرأة الحقيرة، ومن يستطيع لوم الفتاة المسكينة لأنها لم ترد أن تمضي ليلة أخرى تحت هذا السقف. طلبت من باروز أن يوصلها إلى المحطة. ارتدِ ملابسك والحق بها. لا تفقدها، لأنك لن تجد أحداً مثلها مجدداً».

صعد كليف إلى الأعلى مجدداً بينما اتجه والده نحو غرفة الاستقبال.

سـألت بريسـكيلا بينمـا دخـل الغرفـة: «هـل سـمعت بأخبـار فيرجينيـا، روبرت؟».

قال: «نعم بالطبع» والتفت ليواجه فيرجينيا. «اسمعيني الآن بانتباه يا فيرجينيا، غادري المنزل على الفور».

«ولكن يا روبرت، كنت فقط أحاول أن أساعد صديقتي العزيزة».

«لم تكوني تفعلين شيئاً من هذا القبيل، وتعلمين ذلك. أتيت إلى هنا بهدف تدمير حياة تلك الشابة».

«ولكن روبرت، فيرجينيا هي صديقتي الأقدم...».

«فقط حين يناسبها ذلك. لا تفكري حتى بالدفاع عن المرأة، إلا إن أردت المغادرة معها، ومن بعدها ستكتشفين أن صداقتها زائفة».

نهضت فيرجينيا من مكانها وسارت ببطء نحو الباب: «يؤسفني القول يا بريسكيلا أنني لن أزورك مجدداً».

قال روبرت: «حسناً نتج مما حصل أمرٌ جيد على الأقل».

قالت فيرجينيا حين استدارت مجدداً لتواجه خصمها: «لم يتحدث أحد معي بهذه الطريقة من قبل».

«حسناً أقترح أن تعيدي قراءة وصية إليزابيث بارينغتون، لأنها كانت تعرفك جيداً بالتأكيد. اخرجي الآن، قبل أن أرميك خارجاً».

تمكن كبير الخدم من فتح الباب الأمامي للسماح لليدي فيرجينيا بمتابعة طريقها.

* * *

ترك كليف سيارته خارج المحطة وهرع على الجسر إلى المنصة رقم ثلاثة. سمع صوت صفارة الحارس، وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى نهاية الدرج، كان القطار قد بدأ بالفعل بالانطلاق. ركض وراءه وكأن حياته كانت تعتمد على ذلك، ولكن أسرع القطار حين بدأ كليف بالركض على المنصة.

انحنى ووضع يديه على ركبتيه وحاول أن يلتقط أنفاسه. بينما اختفت العربة الأخيرة، استدار وبدأ بالمشي عائداً إلى المنصة. بحلول الوقت الذي

وصل فيه إلى سيارته، اتخذ قراراً.

ركب السيارة، شغل المحرك وقاد إلى نهاية الطريق. إذا انعطف نحو اليمين، سيقوده الطريق إلى ميبلثورب. انعطف نحو اليسار، وزاد السرعة وتتبع اللوحات إلى A1. علم أن القطار سيتوقف في كل محطة تقريباً بين لاوث ولندن، لذا بقليل من الحظ، سيعود إلى الشقة قبل أن تصل.

فتح قفل الباب الأمامي لم يشكل مشكلة للدخيل، وبالرغم من أن المبنى كان مبنى فاخراً من الشقق، لم يكن كبيراً بما يكفي لتوظيف بواب ليلي. تسلق السلالم بحذر، مصدراً الصرير المعتاد، ولكن لم يكن ذلك ليوقظ أحداً عند الساعة الثانية ونصف بعد منتصف الليل.

حين وصل إلى رواق الطابق الثاني، وجد بسرعة الشقة رقم 4. تفقد الرواق، ولكن لم يكن هنالك شيء. استغرق منه الأمر هذه المرة مزيداً من الوقت لفتح القفلين. حين أصبح في الداخل، أغلق الباب بهدوء خلفه وأشعل النور، وكأنه لم يكن يتوقع أن يزعجه أحد. في النهاية، كان يعلم أين سيمضي عطلة نهاية الأسبوع.

سار في أرجاء الشقة الصغيرة، وأخذ وقته في التعرف إلى اللوحات التي كان يبحث عنها: سبع في الغرفة الأمامية، ثلاث في غرفة النوم وواحدة في المطبخ، وجائزة إضافية، لوحة زيتية كبيرة معلقة على الجدار بالقرب من الباب مع ورقة مثبتة كتب عليها سموغ تو، ليتم تسليمها إلى أكاديمية رويال الخميس. بعد أن قام بنقلها جميعاً إلى غرفة المعيشة، رتبها على شكل صف. تردد للحظة قبل أن يأخذ سكيناً من جيبه وينفذ تعليمات والده.

* * *

وصل القطار إلى سانت بانكراس بعد الساعة 2:40 بقليل، حيث قررت جيسيكا بحلول ذلك الوقت ما كانت ستفعله تماماً. كانت ستأخذ سيارة أجرة إلى شقة كليف، وتحزم ممتلكاتها وتتصل بسيب لتطلب منه البقاء معه لعدة

أيام بينما تبحث عن مكان للإقامة.

سأل سائق سيارة الأجرة حين رآها مهمومة في المقعد الخلفي: «هل أنت بخير عزيزتي؟»

«أنا جيدة. رقم اثنا عشر غليب بليس في تشيلسي». كان ذلك كل ما استطاعت قوله. لم يعد هنالك من دموع لتذرفها.

حين توقفت سيارة الأجرة خارج المبنى، أعطت جيسيكا سائق الأجرة ورقة عشرة جنيهات، كان ذلك كل ما تملكه وقالت: «هل تمانع التوقف وانتظاري؟ سأعود بأسرع وقت ممكن».

«بالتأكيد عزيزتي».

* * *

كان قد انتهى تقريباً من تأدية المهمة، التي استمتع بتأديتها، ثم سمع صوت سيارة تتوقف في الشارع في الخارج.

وضع السكين على طاولة جانبية، ذهب إلى النافذة وفتح الستائر بضعة إنشات. شاهدها وهي تخرج من المقعد الخلفي من سيارة الأجرة وتتكلم مع السائق. مشى بسرعة في الغرفة، وأطفأ النور وفتح الباب وتفقد الرواق مجدداً وكان فارغاً.

هرع نزولاً على الدرج وفتح الباب الأمامي، رأى جيسيكا تسير في الطريق نحوه. كانت تخرج مفتاحاً من حقيبتها حين مر بالقرب منها. نظرت إليه ولكنها لم تعرفه، ما فاجأها، لأنها ظنت أنها تعرف كل من كان يعيش في المبنى.

دخلت وبدأت صعود الدرج. شعرت أنها منهكة حين وصلت إلى الطابق الثاني وفتحت باب الشقة 4. كان أول ما فعلته هو الاتصال بسيب لتخبره بما حصل. أشعلت النور واتجهت نحو الجهة الأخرى من الغرفة، حينها رأت لوحاتها.

* * *

وصل كليف إلى غليب بليس بعد عشرين دقيقة، كان لا يزال يأمل انه قد وصل قبلها. نظر إلى الأعلى ورأى نور الغرفة مضاء. لا بد أنها ما زالت هناك وشعر براحة عميقة.

ركن سيارته خلف سيارة أجرة كان محركها قيد العمل. هل كان ينتظرها؟ أمل ألا يكون كذلك. فتح الباب الأمامي وصعد على السلالم ليجد باب الشقة مفتوحاً وكل الأنوار مضاءة. سار إلى الداخل وحين رأى ما رآه وقع على ركبتيه وشعر بالاشمئزاز. حدق إلى الخراب الذي يحيط به، جميع لوحات جيسيكا، اللوحات المائية والزيتية، بدت وكأنها تعرضت للطعن مراراً وتكراراً، عدا لوحة سموغ تو، والتي قُصّ منها فجوة كبيرة في وسطها. ما الذي قد دفعها للقيام بشيءٍ غير عقلاني كهذا؟

صرخ: «جيس!» ولكن لم يسمع رداً. نهض بصعوبة ومشى ببطء إلى الغرفة ولكنه لم يجدها. سمع حينها صوت صنبور يجري، ونظر حوله ليجد الماء يتسلل من تحت باب الحمام. ركض وفتح الباب وحدق دون أن يصدق ما حصل لحبيبته جيسيكا. كان رأسها يطوف فوق الماء، ولكن معصميها اللذين تعرضا للذبح لم ينزفا بعد الآن، وكانا متدليين فوق طرف المغطس. وحينها رأى السكين على الأرض بالقرب منها.

حمل جسدها المجرد من الحياة بلطف خارج الماء، وانهار على الأرض، ممسكاً إياها بين ذراعيه. فقد السيطرة وبدأ بالبكاء. لم تخطر له سوى فكرة واحدة، لو أنه لم يصعد إلى الأعلى كي يرتدي ملابسه، وقاد مباشرة إلى المحطة، لكانت جيسيكا لا تزال على قيد الحياة.

آخر شيء يتذكر القيام به هو أنه أخرج خاتم الخطوبة من جيبه وأعاده إلى إصبعها.

الفصل الخامس والعشرون

نظر أسقف بريستول من منبره إلى الأسفل حيث مجموعة المصلين في سانت ماري ريدكليف، وتذكر الأثر الذي تركته جيسيكا كليفتون في حياة كثير من الأشخاص خلال حياتها القصيرة. في النهاية، كانت لوحته التي رسمتها على أنه دين تروتو معلقة بفخر في رواق قصر الأسقف. نظر إلى ملاحظاته وبدأ يقول: «حين يتوفى أحد أحبائنا بعمر السبعين أو الثمانين، نجتمع لنحزن عليهم. نتذكر حياته الطويلة وتتأجج عواطفنا، ونشعر بالفخر والامتنان، نتبادل الحكايات والذكريات السعيدة. نذرف دمعة، بالطبع نفعل، ولكن في الوقت ذاته نتقبل هذا على أنهمسار الحياة الطبيعي. ولكن حين تتوفى شابة جميلة، أظهرت موهبة رائعة لدرجة أن الكبار يتقبلون أنها أفضل منهم، نضطر لذرف عدد أكبر من الدموع لأنه لا يسعنا سوى التفكير بما كان سيحصل».

ذرفت إيما كثيراً من الدموع منذ أن سمعت الخبر لدرجة أنها أصبحت مرهقة جسدياً وفكرياً.

لم يكن في وسعها سوى التساؤل إن كانت تستطيع القيام بأي شيء لمنع ابنتها العزيزة من الموت هذه الميتة القاسية. بالطبع كان هنالك ما يمكنها القيام به. كان يجب أن تخبرها الحقيقة. شعرت إيما أن اللوم يقع عليها مثل الآخرين.

هاري، الذي كان جالساً بالقرب منها في الصف الأول، كَبِر عقداً من الزمن خلال أسبوع، ولم يشك بأنه يتحمل اللوم أيضاً. سيذكره موت جيسيكا دوماً بأنه توجب عليه أن يخبرها منذ سنوات بأنها متبناة. لو فعل ذلك، لكانت بالتأكيد على قيد الحياة الآن.

جلس جايلز بين شقيقتيه، ممسكا بيديهما للمرة الأولى منذ سنوات. أو هل كانتا هما من تمسكان بيديه؟ جريس، والتي كانت لا توافق على عرض المشاعر بشكل علني، كانت تنحب طوال المراسم.

جلس سيباستيان في الجهة الأخرى بقرب والده، لم يكن يستمع لخطاب الأسقف. لم يعد يؤمن بهذا الكيان العطوف والمتفهم، كان يعطي بإحدى يديه ويأخذ بالأخرى. فقد صديقته العزيزة التي كان يحبها حباً جماً، ولا يمكن لأي أحد أن يستبدلها.

جلس هارولد غينزبيرغ بصمت في الجزء الخلفي من الكنيسة. حين اتصل بهاري لم يكن يعلم أن حياته تدمرت في لحظة واحدة. أراد فقط أن يشاركه أخبار الفرح بأن روايته الأخيرة حصلت على المركز الأول في لائحة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعاً.

لا بد أن هارولد كان مصدوماً من عدم تجاوب كاتبه، ولكن كان يمكنه أن يعلم أن هاري لم يعد يهتم بهذه الأمور التافهة، ولكان راضياً ببيع نسخة واحدة لو كانت جيسيكا لا تزال واقفة بجانبه، وليست مستلقية لترقد في قبر أبدي.

بعد أن انتهت المراسم وغادر الجميع ليكملوا حياتهم، ركع هاري على ركبتيه وبقي بالقرب من القبر. لن يتم التكفير عن ذنبه بهذه السهولة. تقبل بالفعل أنه لن يمر يوم ولن تمر ساعة دون أن تقتحم جيسيكا أفكاره، وهي تضحك وتثرثر وتمازحه. مثل الأسقف، لم يكن في وسعه إلا التساؤل عما كان سيحصل. هل كانت ستتزوج كليف؟ كيف سيبدو أحفاده؟ هل كان سيعيش لوقتٍ كافٍ ليراها متخرجة من أكاديمية رويال؟ كم تمنى لو كانت هي من يركع بالقرب من قبره، تبكي فراقه.

قال بصوتٍ عالٍ: «سامحيني».

ما جعل الأمر أسوأ هو أنه كان يعلم أنها كانت ستسامحه.

سيدريك هاردكاسل

1964

الفصل السادس والعشرون

«طوال حياتي كان الآخرون يعتبرونني شخصاً حذراً ومملاً وعادياً، ولطالما كانوا يدعونني بالجبان. ولكن لم يكن الأمر كذلك قط. في المدرسة كنت دوماً ألعب في مركز الدفاع، ولم يطلب مني يوماً أن أضرب الكرة. في مسرحية المدرسة، فكنت أحصل على دور حامل الرمح ولم أمنح دور الملك أبداً، أما بالنسبة إلى الامتحانات، كنت أنجح دوماً ولكن لم أحصل على مركز بين الثلاثة الأوائل. وفي حين كان الآخرون يشعرون بالحزن أو حتى الإهانة بسبب هذه النعوت، كنت أشعر بالإطراء. إذا قررت أن تصبح شخصاً متزناً يهتم بشؤون الآخرين المالية، فبرأيي، هذه الميزات هي الميزات التي يجب أن يتوقعها منك الآخرون.

حين تقدمت في السن، كان التغيير الوحيد هو أنني أصبحت حذراً أكثر، ومملاً أكثر، هذه هي السمعة التي سأحملها معي إلى القبر حين سأقابل خالقي في النهاية. إذن قد يكون الأمر مفاجئاً لأولئك الجالسين حول الطاولة، لأنني أنوي الآن أن أتجاهل كل عقيدة بنيت عليها حياتي برمتها، وقد يفاجئكم أكثر حتى أنني أدعوكم لفعل الأمر ذاته».

لم يقاطعه الأشخاص الستة الجالسون حول الطاولة، ولكنهم كانوا ينصتون باهتمام إلى كل كلمة كان يتفوّه بها سيدريك هاردكاسل.

«بعد ذكر ما سبق، أريد أن أطلب من الجميع مساعدتي في تدمير رجل شرير وفاسد وعديم الضمير، بحيث ننتهي منه ونتركه مكسوراً لدرجة أنه لن يقوى على إيذاء أحد آخر بعدها.

تمكنت من مراقبة دون بيدرو مارتينيز عن بعد بينما كان يقوم بتدمير

عائلتين محترمتين بشكل منظم، عائلتين من معارفي. وعليّ أن أخبركم أنني لا أنوي بعد اليوم أن أقف مثل بونيتوس بيلاتي وأغسل يدي وأترك العمل الوسخ للآخرين.

«في الجانب الآخر من شخصيتي الحذرة والمملة والعادية، تجدون شخصاً ذا سمعة مزدهرة في مدينة لندن بناها على مدى حياته. أنوي الآن أن أستغل تلك السمعة من خلال طلب المعروف والديون التي كدستها مثل السنجاب على مدى عقود. بعد قولي ذلك، قضيت مؤخراً قدراً جيداً من الوقت وأنا أراجع خطة من أجل تدمير مارتينيز وعائلته، ولكن لا يمكنني أن أتوقع النجاح لوحدي».

مع ذلك لم يفكر أي من الجالسين حول الطاولة بمقاطعة رئيس فارثينغز.

«مع مرور الأعوام القليلة الماضية، شاهدت ما كان هذا الشخص مستعداً لبذله من أجل تدمير عائلتي كليفتون وبارينغتون، الممثلتين هنا اليوم. شهدت شخصياً محاولته للتأثير على أحد العملاء المحتملين لهذا البنك، السيد موريتا من شركة سوني إنترناشيونال، عبر إزالة فارثينغز من لائحة العطاءات من عقد مهم، والسبب هو أن سيباستيان كليفتون كان مساعدي الشخصي. ربحنا ذلك العقد، ولكن فقط لأن السيد موريتا كان يمتلك الشجاعة ليجابه مارتينيز، بينما لم أفعل شيئاً. قبل عدة أشهر، قرأت مقالة في ذا تايمز تتحدث عن بيير بوشارد الغامض والنوبة القلبية التي لم تحصل أبداً ولكن تسببت بانسحاب السيد جايلز من السباق لقيادة حزب العمال، ومع ذلك لم أفعل شيئاً. مؤخراً، حضرت جنازة شابة بريئة وموهوبة للغاية رسمت لوحة تصورني يمكنكم رؤيتها معلقة على الجدار بالقرب من مكتبي. خلال مراسم جنازتها، قررت أنني لن أكون بعد الآن ذاك الرجل الممل والعادي، وإن عنى ذلك كسر عادات استمرت لحياة كاملة فليكن ذلك.

على مدى الأسابيع القليلة الماضية، قمت من دون معرفة دون بيدرو

مارتينيز بالتحدث مع مدراء بنوكه وسماسرته ومستشاريه الماليين.

ظن معظمهم أنهم يتعاملون مع ذلك الرجل البسيط من فارثينغز، الذي يستحيل عليه أن يستغل سلطته، وأن يتجاوز حدوده. اكتشفت أن مارتينيز المخاطر، قام بالمخاطرة مرات عديدة على مدى الأعوام، بينما أظهر في الوقت ذاته اهتماماً قليلاً بالقانون. إن كانت خطتي ستنجح، ستكون الخدعة في إيجاد اللحظة التي قام فيها بمخاطرة واحدة أكثر من اللازم. حتى ذلك الحين، إن كنا سنهزمه في لعبته علينا أن نخاطر نحن أيضاً».

وأضاف سيدريك: «ستلحظون أنني دعوت شخصاً إضافياً للانضمام إلينا اليوم، سبب هذا الشخص بتعكير حياته؛ ابني أرنولد محامٍ» وأشار إلى النسخة الأصغر سناً منه والجالس على يمينه، «ومثلي، يمكن الاعتماد عليه، وهذا السبب وراء طلبي منه أن يعمل كضميري الحي ومرشدي. ولكن إن احتجت، وللمرة الأولى أن أتلاعب بالقانون، سأحتاج شخصاً يمثلني مع بقائه منفصلاً عني ومجرداً من العواطف وغير مشترك بالمسألة. ببساطة، سيعمل ابني كبوصلتنا المعنوية.

سأطلب منه الآن أن يكشف عن فكرتي، لكي تعرفوا تماماً المخاطرة التي ستخاطرونها إن قررتم الانضمام إليّ في هذا المسعى. أرنولد، الكلام لك».

«سيداتي وسادتي، اسمي أرنولد هاردكاستل، والأمر الذي لم يكن يسر والدي هو أنني اخترت أن أكون محامياً وليس مصرفياً. حين يقول إنه يمكن الاعتماد عليّ مثله، أعتبر ذلك إطراءً، لأنه إن كتب لهذه العملية النجاح، على واحدٍ منا أن يكون كذلك. بعد دراسة القانون المالي الأحدث الذي أصدرته الحكومة، أعتقد أنني قد وجدت طريقة لإنجاح خطة والدي، والتي بالرغم من أنها لا تخرق القانون حرفياً، إلا أنها تتجاهل مبادئه. حتى مع هذا الشرط، واجهت مشكلة لا يمكن تجنبها. وهي، علينا أن نختار شخصاً لم يلتقِه به أي من الجالسين حول هذه الطاولة، ولكنه يشعر بالحاجة الملحة نفسها لتقديم

دون بيدرو مارتينيز للعدالة كما نشعر جميعاً».

لم يتحدث أحد، ولكن المحامي كان يُرمق بنظرات متشككة.

أكمل أرنولد هاردكاسل: «إن لم يُعثر على رجل أو امرأة بهذه المواصفات، أنصح والدي بنسيان الأمر برمته وبإرسال كل واحد منكم في سبيله، مدركين أنكم قد تضطرون لقضاء بقية حياتكم متيقظين، غير متأكدين على الإطلاق متى أو أين سيضرب مارتينيز مجدداً».

قال هاري: «لا أشك بذلك، ولكني لا أعرف كيف شخصاً كهذا في الظروف الراهنة. كل من أعرفهم ممن يعرفون مارتينيز يمقتونه مثلما أفعل، وأعتقد أن الأمر مماثل بالنسبة إلى جميع من هم حول هذه الطاولة».

قالت جريس: «أوافقك الرأي، في الواقع سأكون مسرورة للغاية إن قمنا بقرعة من أجل من سيقوم بقتله. لا أمانع بقضاء بضع سنوات في السجن إن كنا سنتمكن أخيراً من التخلص من هذا المخلوق الشرير».

قال أرنولد: «لا يمكنني مساعدتك بذلك، أنا متخصص بقوانين الشركات، وليس بالقوانين الجنائية، سيكون عليك إيجاد محام آخر. ولكن إن قررت سلك ذلك الدرب، يمكنني أن أوصي باسمٍ أو اسمين».

ضحكت إيما للمرة الأولى منذ وفاة جيسيكا، ولكن أرنولد هاردكاسل ظل محافظاً على وقاره.

قال سيباستيان: «أراهن أنه يوجد في الأرجنتين اثنا عشر رجلاً على الأقل يطابقون هذه المتطلبات، ولكن كيف سنجدهم ونحن لا نعرف هوياتهم؟».

قال أرنولد: «وحين تجدهم، ستكون قد أخللت بهدف خطة والدي، إن انتهت القضية في محكمة العدالة، لا تستطيع أن تدعي أنك لم تعرف بوجودهم».

تلى ذلك صمتٌ طويل آخر، أخيراً كسره جايلز، الذي لم يتحدث من قبل. «أعتقد أنني سمعت برجل كهذا». عندها حاز جايلز انتباه الجميع حول

الطاولة بجملة واحدة.

قال أرنولد: «إذا كان هذا صحيحاً سيد جايلز، سيتوجب عليّ سؤالك مجموعة من الأسئلة حول هذا الرجل، وستكون الإجابة الوحيدة المقبولة في القانون هي لا. إن كان جوابك على واحدٍ فقط من أسئلتي هو نعم، سيكون الرجل الذي تفكر به غير مؤهل لتنفيذ خطة والدي. هل هذا واضح؟».

أومأ جايلز برأسه وفتح المحامي ملفه وعقدت إيما أصابعها للحظ الجيد.

«هل التقيت بهذا الرجل؟»

«لا».

«هل قمت بأي أعمال تجارية معه بشكل شخصي أو من خلال طرف ثالث؟»

مكتبة
t.me/t_pdf

«لا».

«هل تحدثت معه على الهاتف؟»

«لا».

«هل كتبت له رسالة؟»

«لا».

«هل ستتعرف عليه إن رأيته في الشارع؟»

«لا».

«وأخيراً، سيد جايلز، هل تواصل معك من قبل خلال عملك عضواً في البرلمان؟».

«لا».

«شكراً لك سيد جايلز، أنهيت القسم الأول من الاختبار، ولكن عليّ الآن أن أنتقل إلى مجموعة أخرى من الأسئلة المهمة أيضاً، ولكن هذه المرة، الجواب المقبول الوحيد هو نعم».

قال جايلز: «فهمت».

«هل يملك هذا الرجل سبباً جيداً ليكره دون بيدرو مارتينيز كما تفعل؟».

«نعم أعتقد ذلك».

«هل هو غني كمارتينيز؟».

«بالطبع».

«هل يملك سمعة بأنه صريح ونزيه؟».

«على حد علمي، نعم».

«أخيراً، والأهم ربما، هل تعتقد أنه مستعد للمخاطرة؟».

«دون شك».

«بما أنك أجبت على جميع أسئلتي بشكل مرضٍ، سيد جايلز، يمكنك التفضل بكتابة اسم الرجل على الورقة أمامك، دون السماح لأي أحد حول الطاولة برؤيته».

كتب جايلز اسماً، مزق ورقة من الدفتر، طواها ومررها للمحامي، والذي أعطاها بدوره إلى والده.

فتح سيدريك هاردكاسل الورقة، مصلياً ألا يكون قد التقى بالرجل من قبل.

«هل تعرف هذا الرجل يا والدي؟».

قال سيدريك: «عن بعد فقط».

قال: «ممتاز، إن وافق على تنفيذ خطتك، لن يخرق أي من الجالسين حول الطاولة القانون. ولكن سيد جايلز» استدار مجدداً نحو عضو البرلمان عن بريستول: «عليك ألا تتواصل مع هذا الرجل في أي وقتٍ من الأوقات، ولا يمكنك أن تكشف عن اسمه أمام أي عضو من عائلتي بارينغتون أو كليفتون، خصوصاً إن كان من المساهمين في شركة بارينغتون للشحن. إن فعلت ذلك، ستعتبر المحكمة أنك متواطئ مع طرف ثالث، وبذلك تخرق القانون. هل هذا واضح؟»

قال جايلز: «نعم».

قال المحامي وهو يجمع أوراقه: «شكراً لك سيدي» وهمس «حظاً موفقاً بابا» قبل أن يغلق حقيبته ويغادر الغرفة دون قول كلمة أخرى.

قالت إيما حين أغلق الباب وراءه: «كيف يمكنك أن تكون واثقاً من ذلك إلى هذه الدرجة؟ أن رجلاً لم تلتق به في حياتك سيشارك في خطط السيد هاردكاسل؟».

«بعد أن دُفنت جيسيكا، سألت أحد حاملي النعش عن هوية الرجل الذي استمر بالبكاء خلال المراسم وكأنه فقد ابنته ثم هم بالرحيل. كان هذا هو الاسم الذي قاله لي».

* * *

قال السيد آلان: «ليس هنالك إثبات بأن لويس مارتينيز قد قتل الفتاة، هو لم يقم إلا بتخريب لوحاتها».

قال الكولونيل: «ولكن كانت بصماته على مقبض السكين، وهذا إثبات كافٍ بالنسبة إليّ».

«وبصمات جيسيكا كانت هنالك أيضاً، ولذا يمكن لأي محامٍ أن يبرئه».

«ولكن نعلم كلانا أن مارتينيز كان مسؤولاً عن موتها».

«ممكن. ولكن هذا لا يكفي المحكمة».

«أفهم أنك تقول لي إنني لا أستطيع أن أصدر الأمر بقتله؟».

قال أمين سر مجلس الوزراء: «ليس بعد».

أخذ الكولونيل رشفة من قنينته الصغيرة وغيّر الموضوع. «أرى أن مارتينيز تخلص من سائقه».

«لا يمكنك التخلص من كيفن رافرتي. إنه يغادر العمل حين ينتهي، أو حين لا يُدفع له».

«إذن ما الذي حصل هذه المرة؟».

«لا بد أن العمل قد انتهى. وإلا لن تضطر لقتل مارتينيز، لأن رافرتي كان قد قام بذلك بالفعل».

«هل من الممكن أن يكون مارتينيز قد فقد اهتمامه في تدمير عائلة بارينغتون؟»

«لا. طوال فترة بقاء فيشر في المجلس، يمكنك أن تتأكد أن مارتينيز يريد العدالة مع كل فرد من تلك العائلة، صدقني».

«وما هو دور الليدي فيرجينيا في هذه المسألة برمتها؟»

«لم تسامح السيد جايلز بعد لأنه دعم صديقه هاري كليفتون حين حصل النزاع حول وصية أمه، ولا الليدي بارينغتون حين شبهت كنتها بقطتها السيامية، كليوباترا، حيث وصفتها على أنها: 'مفترسة وجميلة ومرتبة ومغرورة وماكرة ومتلاعبة' لا ينسى».

«هل تريد مني أن أراقبها أيضاً؟».

«لا، الليدي فيرجينيا لا تخرق القانون. ستجعل أحداً آخر يقوم بذلك بدلاً عنها».

«إذن ما تقصده هو أنه لا يسعني القيام بأي شيء حالياً، سوى مراقبة مارتينيز عن كثب وإخبارك بالتفاصيل».

«اصبر يا كولونيل. تأكد من أنه سيرتكب خطأ آخر، وحين يفعل سأكون مسروراً باستغلالي مهارات زملائك». أكمل السيد آلان مشروبه من الجين والصودا، نهض من مكانه وخرج من الحانة دون مصافحة أو وداع. مشى عبر وايت هال إلى شارع داونينغ وبعد خمس دقائق، جلس خلف مكتبه مباشراً أعماله.

* * *

تفقد سيدريك هاردكاسل الرقم قبل أن يطلبه.

لم يرد أن تعرف سكرتيرته بمن يتصل.

سمع صوت رنين وانتظر.

«مصنع بينغهام لمعجون الأسماك. كيف يمكنني مساعدتك؟».

«هل يمكنني التحدث مع السيد بينغهام؟».

«من المتصل؟».

«سيدريك هاردكاسل من بنك فارثينغز»

«انتظر لو سمحت».

سمع نقرة وبعد لحظة سمع صوتاً بلكنة تكاد تكون قوية كلكنته يقول: «اهتم بأمر القروش وستهتم الجنيهات بأمر نفسها».

قال سيدريك: «أنا أشعر بالإطراء سيد بينغهام».

«ليس عليك الشعور بذلك. أنت تدير بنكاً جيداً. من المؤسف أنك لست في الجهة الأخرى من هامبر».

«سيد بينغهام، أحتاج...»

«بوب، لا أحد يدعوني بالسيد بينغهام سوى جامع الضرائب والندل الذي يأملون الحصول على بقشيش كبير».

«بوب، أريد أن أراك بخصوص مسألة خاصة، وسأكون مسروراً بالسفر إلى غريمسبي».

قال بوب: «لا بد أن الأمر جدي إذاً، لأنه لا يوجد كثير من الناس الذي يسرهم السفر إلى غريمسبي. كما أفترض، أنت لا تريد أن تفتح حساباً لمعجون الأسماك، هل يمكنني أن أسأل ما الأمر؟»

كان سيدريك العادي والممل ليقول إنه يفضل أن يناقش المسألة شخصياً بدلاً من قولها على الهاتف. أما سيدريك الجديد، والمخاطر فقال: «بوب، ما الذي قد تفعله من أجل أن تذل الليدي فيرجينيا فينويك، وتبقى بعيداً عن القانون؟»

«أتخلى عن نصف ثروتي».

الرائد أليكس فيشر

1964

الفصل السابع والعشرون

بنك باركليز
شارع هالتون
بريستول
16 يونيو 1964
عزيزي الرائد فيشر،
هذا الصباح استلمنا شيكين وترتيباً دائماً مقدمة لحسابك الشخصي.
كان الشيك الأول من رابطة ويست كاونتري بيلدينغ بقيمة 21 جنيهاً والثاني من تجار نبيذ هارفي بقيمة 3 جنيهات والترتيب الدائم كان بقيمة 1 جنيه لرابطة سانت بيد أولد بويز.
هذه الدفعات تتجاوز حدك للسحب على المكشوف والذي يبلغ 005 جنيه، لذا ننصحك بألا توقع أي شيكات أخرى حتى تتوفر الأموال الكافية.
نظر فيشر إلى البريد الموضوع على مكتبه وتنهد عميقاً. كان هنالك مغلفات بنية أكثر من البيضاء، عدة منها من تجار يذكرونه بمدفوعات عليه تسديدها خلال 30 يوماً، وأحدها يعتذر عن أن المسألة سلمت للمحامين. والأسوأ هو أن سوزان كانت ترفض إعادة سيارة جاغوار الثمينة خاصته حتى يتابع التزاماتها الشهرية، لأنه لم يستطع العيش دون سيارة وانتهى الأمر به بشراء سيارة مستعملة من نوع هيلمان مينكس، وكانت تلك من المصاريف الإضافية.
وضع المغلفات البنية الرقيقة جانباً وبدأ بفتح المغلفات البيضاء: دعوة للانضمام إلى زملائه من الضباط من رويال ويسيكس في حفل عشاء رسمي

مع الفوج، الضيف المتحدث النقيب كلود أوشينليك، سيقبلها حين يعود إلى منصبه؛ رسالة من بيتر مايناردِ، رئيس رابطة المحافظين المحلية، يسأل فيها إن كان سيترشح لانتخابات مجلس المقاطعة.

لا شكراً. سيرسل رداً مناسباً يوضح فيه أن لديه الكثير من الالتزامات الأخرى في الوقت الحالي. كان يفتح الظرف الأخير حين رن الهاتف.

«الرائد فيشر».

قال صوت لن ينساه: «أليكس».

«الليدي فيرجينيا، يا لها من مفاجأة سارة».

أصرت: «فيرجينيا» علم حينها أن ذلك يعني حاجتها لأمر ما. «كنت أتساءل فقط إن خططت لأن تكون في لندن خلال الأسابيع القادمة؟».

«أنا قادم إلى لندن يوم الخميس لكي أرى... لدي موعد في إيتون سكوير الساعة العاشرة».

«حسناً، كما تعلم، أنا أعيش بالقرب من هناك في حدائق كادوغان، إذن لماذا لا تأتي لتناول مشروب؟ منتصف النهار مثلاً؟ هنالك مصلحة مشتركة أعتقد أنها ستثير اهتمامك».

«الساعة الثانية عشرة يوم الخميس. أتطلع قدماً لرؤيتك حينها... فيرجينيا».

* * *

سأل مارتينيز: «هل يمكنك أن تفسر لي لماذا بدأت أسهم الشركة بالارتفاع بشكلٍ ثابت خلال الشهر الماضي؟»

قال فيشر: «إن فترة الحجوزات الأولى لسفينة باكينغهام تسير بشكل أفضل من المتوقع، وعلمت أن تذاكر الرحلة الأولى قد بيعت بأكملها تقريباً».

«هذه أخبار جيدة أيها الرائد، لأنني لا أريد أن يكون هنالك حجرة واحدة فارغة في السفينة حين تبحر إلى نيويورك». كان فيشر على وشك أن يسأل عن

السبب، حين أضاف مارتينيز: «هل كل شيء جاهز من أجل مراسم التسمية؟»

«نعم، حين تنتهي هارلاند أند وولف من التجارب البحرية ويتم تسليم السفينة بشكل رسمي، سيتم الإعلان عن تاريخ مراسم التدشين. في الواقع، إن الأمور تجري بشكلٍ رائع بالنسبة إلى الشركة حالياً».

أكد له مارتينيز: «ليس لوقتٍ طويل، ولكن أيها الرائد، عليك الاستمرار بدعمك لرئيس المجلس بولاء، بحيث حين تنتهي مهمتك لن يشك أحد في أمرك». ضحك فيشر بشكلٍ متوتر.

«واحرص على الاتصال بي حالما ينتهي الاجتماع، لأنني لا أستطيع القيام بخطوتي التالية حتى أعلم موعد مراسم التسمية».

سأل فيشر: «لماذا يهمك الموعد كثيراً؟».

«كل شيء في وقته أيها الرائد. حين أنتهي من ترتيب الأمر، ستكون أول من يعلم». كان هنالك قرعٌ على الباب ودخل دييغو.

سأل: «هل من الأفضل أن آتي لاحقاً؟».

«لا، كان الرائد على وشك المغادرة. هل تحتاج شيئاً آخر، أليكس؟»

قال فيشر: «لا شيء»، متسائلاً إن كان عليه أن يخبر دون بيدرو بخصوص موعده مع الليدي فيرجينيا. قرر ألا يفعل. في النهاية، قد لا يتعلق الأمر بعائلتي بارينغتون أو كليفتون. «سأتصل بك حالما أعرف الموعد».

«احرص على ذلك أيها الرائد».

سأل دييغو بعد أن أغلق فيشر الباب خلفه: «هل لديه أدنى فكرة عما تخطط له؟».

«أبداً، وأنوي أن يبقى الأمر على هذا الحال. في النهاية، أشك أنه سيكون متعاوناً حين يكتشف أنه على وشك أن يخسر عمله. ولكن الأهم، هل جلبت لي المال الإضافي الذي أحتاج إليه؟».

«نعم ولكن مع ثمن. وافق البنك على زيادة حساب سحبك مئة ألف

إضافية، ولكنهم مصرون على مبلغ جانبي أكبر لأن معدلات الفائدة مرتفعة كثيراً».

«أليست أسهمي ضماناً كافياً؟ في النهاية، عادت تقريباً إلى ما دفعته مقابلها».

«لا تنس، كان عليك أن تدفع للسائق، واتضح ذلك أنه أبهظ ما في الصفقة».

قال مارتينيز: «أوغاد»، ولم يخبر أياً من أولاده عن التهديد الذي هدده إياه كيفن رافرتي لو لم يدفع له في الوقت المحدد. «ولكني ما زلت أملك مليوناً في الخزنة لحالات الطوارئ».

«حين تفقدت للمرة الأخيرة، كان هنالك ثلاثمائة ألف. بدأت بالتساؤل حتى إن كان الانتقام من عائلتي بارينغتون وكليفتون يستحق إفلاسنا».

قال دون بيدرو: «لا داعي للخوف، لا يمتلك الجرأة حتى للهجوم عليّ إن كنا في مواجهة، ولا تنسَ، ضربنا مرتين بالفعل».

ابتسم. «اتضح أن جيسيكا كليفتون كانت جائزة إضافية، وحين أبيع كل أسهمي سأكون قادراً على إغراق السيدة كليفتون مع باقي عائلتها العزيزة. الأمر برمته عبارة عن توقيت، وأنا سأكون من يتحكم بالوقت».

* * *

قالت فيرجينيا: «أليكس، كم هو رائع حضورك، مر وقتٌ طويل. دعني أسكب لك شراباً»، وسارت نحو الخزانة. «مشروبك المفضل هو الجين والصودا، إن كنت أذكر تماماً؟»

كان أليكس منبهراً من تذكرها ذلك، لم يتقابلا منذ أن تسببت الليدي فيرجينيا بفقدانه مكانه في المجلس منذ حوالي تسع سنوات.

ما تذكره هو آخر ما قالت له قبل أن يفترقا: «وحين أقول وداعاً، أعني وداعاً».

«كيف حال عائلة بارينغتون الآن بعد أن عدت إلى مجلس الإدارة؟»

«مرت الشركة بأسوأ المشاكل، ولكن فترة الحجوزات لرحلة سفينة باكينغهام تجري بشكلٍ ممتاز».

«كنت أفكر بأن أحجز جناحاً على متن الرحلة الأولى إلى نيويورك. سيجعلهم ذلك يفكرون».

قال فيشر: «إن فعلت، لا أعتقد أنهم سيقومون بدعوتك للانضمام إليهم على طاولة القبطان».

«بحلول الوقت الذي سنرسو فيه في نيويورك، ستكون طاولتي الطاولة الوحيدة التي يريد الجميع الجلوس عليها».

ضحك فيشر. «هل هذا ما أردت رؤيتي بشأنه؟»

أجابت فيرجينيا وهي تصب الصودا: «كلا، هناك شيء أهم بكثير، تعالَ واجلس بالقرب مني. أحتاج مساعدتك في مشروعٍ كنت أعمل عليه، وأنت أيها الرائد، بسبب خلفيتك العسكرية وخبرتك التجارية، الشخص المثالي لتنفيذه».

احتسى أليكس من مشروبه واستمع دون أن يصدق ما كانت تقترحه فيرجينيا. كان على وشك أن يرفض الفكرة بأكملها حين فتحت حقيبتها، وأخرجت شيكاً بقيمة 250 جنيهاً وأعطته إياه. كل ما كان يمكنه أن يرى أمامه كان كومة من المغلفات البنية. «لا أعتقد...».

«سيكون هنالك مئتان وخمسون أخرى حين تنتهي المهمة».

رأى أليكس مخرجاً. قال بحزم: «كلا شكراً لك فيرجينيا، أرغب بالمبلغ بأكمله مقدماً. ربما نسيتِ ما حصل في المرة الأخيرة التي أبرمنا فيها صفقة مشابهة».

مزّقت فيرجينيا الشيك، وبالرغم من أن أليكس كان يحتاج للمال، إلا أنه شعر بشيء من الراحة. لكنه تفاجأ حين فتحت حقيبتها مجدداً وأخرجت

دفتر شيكاتها وكتبت الكلمات، الدفع للرائد إيه فيشر، خمسمائة جنيه. وقعت الشيك وأعطته لأليكس.

* * *

في طريق العودة إلى بريستول، فكّر أليكس بتمزيق الشيك، ولكن ذهنه استمر بالتفكير في الفواتير غير المدفوعة، وبذاك الذي يهدده باللجوء إلى القانون، والمدفوعات الشهرية الكبيرة، والمغلفات البنية غير المفتوحة والتي تنتظره على مكتبه.

حين قبض قيمة الشيك ودفع الفواتير، أيقن أليكس أنه لم يكن هنالك مجال للتراجع. أمضى اليومين التاليين وهو يخطط للأمر بأكمله وكأنه كان حملة عسكرية.

اليوم الأول، استطلاع باث.

اليوم الثاني، تحضير بريستول.

اليوم الثالث، تنفيذ باث.

بحلول يوم الأحد، كان نادماً على الموافقة والتورط، ولكنه لم يفكر بالانتقام الذي ستحضره فيرجينيا إن خيّب أملها في اللحظة الأخيرة ثم فشل بإعادة المال إليها.

في صباح الاثنين، قاد الأميال الثلاثة عشرة إلى باث. ركن سيارته في المرأب المحلي، وتوجّه إلى الجسر، تجاوز المتنزه ودخل مركز المدينة. لم يحتج خريطة لأنه أمضى معظم عطلة نهاية الأسبوع وهو يحفظ كل طريق حتى أصبح بإمكانه قطع الطريق وهو معصوب العينين. الوقت الذي يمضيه المرء في الاستطلاع لا يمكن أن يضيع سدى، هذا ما كان يقوله الضابط الآمر الخاص به.

بدأ رحلته في الطريق السريع، توقف فقط حين وصل إلى بقالة أو واحد من السوبر ماركت الجديدة.

دخل وتفقد الرفوف بحذر، وإن كان المنتج المطلوب متوفراً كان يشتري نصف دزينة. بعد أن أنهى القسم الأول من العملية، احتاج أليكس فقط إلى زيارة منشأة أخيرة، فندق أنجل، حيث تفقد مواقع الهواتف العمومية. انتهى من الأمر، عبر الجسر مجدداً وعاد إلى مرأب السيارات، وضع كيسي التسوق في صندوق سيارته وقاد عائداً إلى بريستول.

حين وصل إلى المنزل، ركن السيارة في الكراج، وأخرج كيسي التسوق من الصندوق. حين كان يتناول العشاء المؤلف من حساء الطماطم هاينز والنقانق، راجع مراراً وتكراراً ما كان عليه فعله في اليوم التالي.

استيقظ عدة مرات خلال الليل.

بعد الفطور، جلس أليكس إلى المكتب وقرأ ملاحظات اجتماع المجلس الأخير، وحدّث نفسه عدة مرات أنه لا يمكنه الاستمرار.

عند الساعة 10:30، سار إلى المطبخ، جلب قنينة حليب فارغة من حافة النافذة وغسلها. لف القنينة بمنشفة ووضعها في المغسلة وأخرج مطرقة من الدرج العلوي. بدأ بتحطيم القنينة، وكسرها لقطع صغيرة، حتى انتهى به الأمر بالحصول على طبق مليء بمسحوق الزجاج.

بعد أن أنهى العملية شعر بالإنهاك. وضع الكيسين على سطح الطاولة، أخرج المرطبانات الستة والثلاثين الصغيرة ووضعها بالترتيب في ثلاثة صفوف، مثل الجنود في استعراض. فتح غطاء المرطبان الأول ووضع القليل من مسحوق الزجاج فيه وكأنه كان يضيف التوابل. أعاد الغطاء وأحكم إغلاقه، وأعاد العملية خمساً وثلاثين مرة قبل أن يعيد المرطبانات إلى الكيسين ويضعهما في الخزانة تحت المغسلة.

أمضى أليكس بعض الوقت وهو يتخلص من بقية مسحوق الزجاج في المغسلة. غادر المنزل، وسار إلى نهاية الطريق. دخل الفرع المحلي من باركليز وبدل ورقة جنيه بعشرين قطعة شيلينغ نقدية. في طريق العودة

إلى الشقة، اشترى نسخة من صحيفة بريستول إيفنينغ نيوز. حين وصل إلى المنزل، حضّر لنفسه كوباً من الشاي. أخذه إلى مكتبه وجلس خلف المكتب واتصل بالاستعلامات، وطلب خمسة أرقام في لندن وواحداً في باث.

في اليوم التالي، وضع أليكس الكيسين مرة أخرى في الصندوق وانطلق مجدداً إلى باث. بعد أن ركن السيارة في الزاوية البعيدة من مرأب السيارات، أخرج كيسي التسوق وعاد إلى مركز البلدة، دخل كل واحد من المنشآت التي اشترى منها المرطبانات وعلى عكس السارق وأعادها إلى الرفوف. حين أعاد المرطبان الخامس والثلاثين إلى المتجر الأخير، أخذ المرطبان الأخير وطلب رؤية المدير.

«ما المشكلة سيدي؟».

قال أليكس: «لا أريد أن أثير الجلبة يا أستاذ، ولكن اشتريت مرطبان معجون السمك من بينغهام هذا ذاك اليوم... إنه المفضل لدي، وحين وصلت إلى المنزل، اكتشفت بعض قطع الزجاج فيه».

بدا المدير مصدوماً حين فتح أليكس الغطاء ودعاه ليتفحص المحتويات. كان أكثر ذعراً حتى حين غطس إصبعه في المعجون ونزف الدم.

قال أليكس: «لست من النوع الذي يتذمر، ولكن ربما سيكون من الأفضل أن تتفقّد بقية بضاعتك وتُعلم المزوّد».

«سأفعل هذا حالاً» تردد وسأل بتوتر: «هل ترغب بتقديم شكوى رسمية؟».

قال أليكس: «لا لا، أنا متأكد أنها فقط حالة عرضية. ولا أريد أن أسبب لك مشاكل».

صافح المدير الممتن، وكان على وشك المغادرة حين قال الرجل: «أقل ما يمكننا فعله سيدي هو رد المبلغ إليك».

لم يرد أليكس أن يبقى هناك، حيث خشي أن يتذكره أحد ما، ولكنه أدرك

أنه إن غادر دون أخذ المال سيشك المدير به. عاد بينما فتح المدير الصندوق وأخرج شيلينغ وأعطاه لزبونه.

قال أليكس: «شكراً لك». ووضع المال في جيبه وتوجه نحو الباب.

«أنا آسف لإزعاجك مجدداً، ولكن هل تمانع التوقيع على الوصل؟».

عاد أليكس للمرة الثانية دون حماس، كتب «صاموئيل أوكشوت» على الخط المنقط، الاسم الأول الذي ورد لذهنه، ثم غادر بسرعة. حين تمكن من الهرب، سلك طريقاً آخر أكثر مواربة من ذاك الذي خطط له إلى فندق أنجل. حين وصل، نظر إلى الخلف ليتأكد أنه غير ملاحق.

دخل الفندق مرتاحاً، سار مباشرة إلى أحد الهواتف العمومية ووضع واحداً وعشرين شيلينغ على الرف. أخرج ورقة من جيبه الخلفي وطلب الرقم الأول على اللائحة. قال صوت: «ديلي ميل، أخبار أم إعلان؟».

قال أليكس: «أخبار» وطُلب منه الانتظار ليتكلم مع مراسل في مكتب الأخبار.

تحدث مع السيدة لبضع دقائق عن الحادث المؤسف الذي تعرض له مع معجون سمك بينغهام، نوعه المفضل.

سألت: «هل ستقاضيهم؟».

قال أليكس: «لم أقرر بعد، ولكني سأستشير محاميّ».

«وما هو اسمك سيدي؟»

ردد: «صاموئيل أوكشوت» وابتسم لفكرة كم سيعارض ما يفعله مديره المتوفي.

بعدها اتصل أليكس بديلي إكسبرس ونيوز كرونيكل وديلي تلغراف وذا تايمز وكإجراء جيد ذا باث إيكو. كان اتصاله الأخير قبل العودة إلى بريستول مع الليدي فيرجينيا التي قالت: «علمت أنه يمكنني الاعتماد عليك، أيها الرائد. علينا أن نجتمع في وقت ما. من الرائع رؤيتك دوماً».

وضع الشيلنغ المتبقي في جيبه، خرج من الفندق وعاد إلى مرأب السيارات. في طريق العودة إلى بريستول قرر أنه قد يكون من الحكمة ألا يزور باث قريباً.

* * *

طلبت فيرجينيا جميع الصحف في الصباح التالي عدا ديلي ووركر.

كانت مسرورة بالتغطية التي حصلت عليها فضيحة معجون سمك بينغهام (ديلي ميل). السيد روبرت بينغهام، رئيس مجلس الشركة، أصدر بياناً يؤكد فيه أن جميع منتجات معجون أسماك بينغهام قد سُحبت من المتاجر ولن تستبدل حتى يتم إجراء تحقيق كامل (ذا تايمز). أكد مدير في وزارة الزراعة والأسماك والأغذية للعامة انه سيتم إجراء تفتيش كامل لمعمل بينغهام في غريمسبي من قبل مسؤولي الصحة والأمان في المستقبل القريب (ديلي إكسبرس). انخفضت أسهم بينغهام خمسة شلنغات في المبيعات المبكرة (فاينانشال تايمز)

حين انتهت فيرجينيا من قراءة جميع الصحف، أملت فقط أن يخمن روبرت بينغهام من خطط للعملية بأكملها. كم كانت ستستمتع بتناول الفطور في قاعة ميبلثورب ذاك الصباح وسماع رأي بريسكيلا بالحادث المؤسف. تفقدت ساعتها وكانت واثقة أن روبرت قد غادر المعمل، حملت الهاتف وطلبت رقماً في لينكولنشاير.

قالت: «بريسكيلا العزيزة، أنا أتصل لأعبر عن أسفي لقراءة الحدث المزعج في باث. حظ سيئ».

قالت بريسكيلا: «كم هو لطيف منك أن تتصلي عزيزتي، يدرك المرء من أصدقائه في مثل هذه الأوقات».

«حسناً، يمكنك أن تتأكدي دوماً أنني على الطرف الآخر من الخط حين تحتاجينني، وأرجو أن توصلي تعاطفي وأفضل أمانيّ لروبرت. أرجو ألا يكون قد خاب أمله لأنه لم يعد مرشحاً للحصول على لقب نبيل».

الفصل الثامن والعشرون

وقف الجميع حين جلست إيما في مكانها على رأس طاولة غرفة المجلس. كانت تنتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل.

«أيها السادة، اسمحوا لي أن أفتتح الاجتماع بقولي إن سعر السهم في الشركة وصل البارحة إلى أعلى قيمة له، وسيحصل مساهمونا على حصة من الأرباح للمرة الأولى منذ ثلاث سنوات».

سُمعت ردود الأفعال الإيجابية ورافقتها الابتسامات التي ارتسمت على وجوه جميع المديرين عدا واحداً.

«الآن وبعد أن وضعنا الماضي خلفنا، لنتابع قدماً إلى المستقبل. البارحة، استلمت تقريراً أولياً من دائرة النقل حول أهلية سفينة باكينغهام للإبحار. نحتاج إلى بعض التعديلات الصغيرة وبعد إنهاء التجارب الملاحية، ستكون الدائرة قادرة على منحنا شهادة بحرية بحلول نهاية الشهر. حين تصبح تلك الشهادة في حيازتنا، ستغادر السفينة بلفاست وتبحر نحو أفونماوث. أنا أنوي أيها السادة أن أعقد اجتماع المجلس القادم على جسر سفينة باكينغهام، بحيث نحصل جميعاً على جولة في السفينة، لنرى بشكلٍ شخصي ما أنفقنا أموال مساهمينا عليه.

أعلم أن المجلس سيكون مسروراً مثلي حين يعرف أن سكرتير الشركة تلقى اتصالاً من دار كلارينس سابقاً خلال الأسبوع، ذكر فيه أن جلالتها، الملكة إليزابيث، الملكة الأم، وافقت على ترؤس مراسم التسمية في الحادي والعشرين من سبتمبر. لن أبالغ أيها السادة حين أقول إن الأشهر الثلاثة القادمة ستكون من أكثر الأشهر المزدحمة في تاريخ الشركة، لأنه بالرغم

مـن أن فتـرة الحجـوزات الأولـى كانت عبارة عن نجـاحٍ باهر، مع تبقي عدة مقصورات فقط متوفرة للرحلة الأولى، إلا أن المستقبل البعيد هو ما سيحدد مستقبل الشركة. وبهذا الخصوص أنا مسرورة للإجابة عن أية أسئلة. تفضل أيها الأدميرال؟».

«رئيسـة المجلـس، هـل يمكنني أن أكون أول مـن يهنئك، وأن أقول، أنه بالرغم من أنه لا يوجد طريق طويل قبل أن نصل للاسـتقرار، لكن اليوم هو اليـوم الأكثـر سـعادة منـذ أن عملـت في هـذا المجلس على المـدى الأعوام الاثنين وعشـرين الماضية. ولكن اسـمحوا لي أن أنتقل بسـرعة إلى ما ندعوه في البحرية نقاط الإبحار. هل انتقيتم قبطاناً من لائحة المرشحين الذين وافق عليهم المجلس؟».

«نعـم أيهـا الأدميـرال لقـد فعلنـا. خيارنـا النهائي هو القبطـان نيكولاس تورنبول آر إن، الذي كان حتى فترة قريبة الضابط الأول على متن كوين ماري. إننـا محظوظـون كثيـراً لأننـا حصلنا على خدمات ضابط ذي خبرة كبيرة مثله، وقد سـاهم في قرارنا أنه ولد وتربى في بريسـتول. كما حصلنا على مجموعة كاملـة مـن الضبـاط، خـدم العديد منهم تحـت إدارة الكابتـن تورنبول إما في البحرية الملكية أو مؤخراً مع كونارد».

«في النهاية، هذه سفينة سياحية وليست سفينة حربية».

«نقطة جيدة سـيد أنسـكوت. أعتقد أنك سـتجد أننا ممثلون بشكلٍ جيد، من غرفة المحرك إلى غرفة الشواء. لا يزال هنالك بعض المناصب الفارغة. ولكن بما أننا سنستلم الطلبات العشرة الأخيرة لكل منصب، سنتمكن من أن نكون انتقائيين كثيراً».

سأل دوبس: «ما هي نسبة الركاب إلى الطاقم؟».

اضطـرت إيمـا للمـرة الأولـى إلـى الاسـتعانة بملـف مـن الملاحظات أمامها: «العدد النهائي للطاقم هو خمسـة وعشـرون ضابطاً، مئتان وخمسـون

من البحارة، ثلاثمئة من المضيفين وعمال الطعام، إضافةً إلى طبيب السفينة وممرضته. السفينة مقسمة إلى ثلاث فئات: الأولى والكبائن والسياحية. هنالك أماكن إقامة تكفي لمئة واثنين من ركاب الدرجة الأولى، مع أسعار كبائن تتراوح بين خمس وأربعين جنيهاً إلى ستين جنيهاً في القسم العلوي في الرحلة الأولى إلى نيويورك؛ مئتين واثنين وأربعين في درجة الكبائن، والتي سيكون سعر كل منها حوالي ثلاثين جنيهاً، وثلاثمئة وستين في الدرجة السياحية بسعر عشرة جنيهات لكل واحدة، حيث يقيم ثلاثة في كل كابينة. إن احتجت للمزيد من التفاصيل سيد دوبس، ستجد كل شيء في القسم الثاني من مجلدك الأزرق».

قال فيشر: «بما أنه من المؤكد سيكون هنالك الكثير من الاهتمام الصحفي في فترة مراسم التسمية في الحادي والعشرين من سبتمبر، وخلال الرحلة الأولى إلى نيويورك في الشهر التالي، من الذي سيكون مسؤولاً عن التعامل مع الصحافة والعلاقات العامة الخاصة بنا؟»

قالت إيما: «قمنا بتعيين جيه والتر تومبسون، الذي قدم أفضل عرض على الإطلاق، لقد رتبنا بالفعل لقدوم طاقم تصوير من قناة بي بي سي إلى متن السفينة في واحدة من رحلاتها البحرية التجريبية، ولكي يتم نشر مقالة عن القبطان تورنبول في صحيفة صنداي تايمز».

قال الأدميرال: «لم نكن نفعل هذه الأمور في أيامي».

«لسببٍ جيد. لم نرد أن يعلم العدو أين كنت، أما الآن فلا نريد فقط أن يعرف ركابنا أين نحن، بل أيضاً أن يشعروا أنهم لن يجدوا من هو أكثر أماناً».

سأل سيدريك هاردكاسل: «ما هي نسبة الكبائن المحجوزة التي نحتاجها لكي نحقق التعادل بين التكلفة والربح؟» وكان من الواضح أنه غير مهتم بالعلاقات العامة، بل كالعادة، بالنتيجة.

«ستون في المئة، بحساب تكاليف التشغيل فقط. ولكن إن كنا سنسدد

استثمار رأس المال خلال السنوات العشر القادمة كما تصور روس بيوكانان حين كان رئيساً للمجلس، سنحتاج لمعدل حجوزات بنسبة ست وثمانين بالمئة خلال تلك الفترة. لذا ليس هنالك مجال للتفاخر، سيد هاردكاسل».

سجل أليكس ملاحظات عن أية تواريخ أو أرقام ظن أنها ستثير اهتمام دون بيدرو، بالرغم من أنه لم يملك أي فكرة بعد لما كانت مهمة لتلك الدرجة، أو ما عناه دون بيدرو في الوقت المناسب.

تابعت إيما بإجابتها على الأسئلة لمدة ساعة أخرى، وعانى أليكس لأنه اضطر للاعتراف أنها كانت دون شك متفوقة في عملها، بالرغم من أنه لن يذكر ذلك أمام دون بيدرو على الإطلاق.

بعد أن أنهت الاجتماع بالكلمات: «أراكم جميعاً في الرابع والعشرين من أغسطس في الاجتماع السنوي العام». خرج أليكس من قاعة الاجتماع على الفور وشق طريقه إلى خارج المبنى.

شاهدته إيما من نافذة الطابق العلوي حين قاد سيارته خارج المجمع، مذكراً إياها أنها يجب أن تبقى متيقظة على الدوام.

ركن أليكس سيارته خارج لورد نيلسون وسار إلى الهاتف العمومي، مجهزاً أربعة قروش. «سوف تدعى السفينة باسم الملكة الأم يوم الحادي والعشرين من سبتمبر، ولا زال موعد الرحلة إلى نيويورك في التاسع والعشرين من أكتوبر».

«أراك في مكتبي غداً صباحاً عند الساعة العاشرة». كان ذلك كل ما قاله دون بيدرو قبل أن ينهي المكالمة.

رغب أليكس أن يخبره لمرة واحدة فقط: «آسف يا رجل، لا يمكنني القدوم، لدي موعد أهم في ذلك التوقيت» ولكنه علم أنه سيكون واقفاً خارج 44 إيتون سكوير عند الساعة العاشرة إلا دقيقة في الصباح التالي.

* * *

24 قصور أركاديا
شارع بريدج
بريستول

السيدة كليفتون العزيزة،

يؤسفني كثيراً أن أقدم لك استقالتي من منصب مدير غير تنفيذي في مجلس شركة بارينغتون للشحن. في الوقت الذي صوت فيه زملائي من المديرين من أجل البدء ببناء سفينة باكينغهام، كنت أنت معارضة للفكرة بتشدد، وصوّتِ بالفعل ضد ذلك.

يمكنني الآن أن أرى، في السراب، أن حكمك كان صائباً. كما وضحت وقتها، إن المخاطرة بنسبة كبيرة كهذه من احتياطيات الشركة من أجل مشروع واحد قد يكون قراراً سنمضي بقية حياتنا نادمين عليه.

منذ أن استقال روس بيوكانان بعد عدة نكسات – قرار صحيح برأيي – وحللت مكانه، عليّ أن أقر أنك عاركت بصلابة لكي تحافظي على مستقبل الشركة سالماً. ولكن، حين أعلمت المجلس أنه إن لم تكن مبيعات الحجرات بنسبة 86 في المئة على مدى الأعوام العشرة الباقية، لن يكون هنالك فرصة لنا من أجل تسديد استثمارنا الأصلي، أدركت أن المشروع قد حكم عليه بالفشل، وأخشى أن الشركة ستغرق معه.

طبعاً، أتمنى أن أكون مخطئاً، لأني سأشعر بالأسى لرؤية شركة جيدة مثل بارينغتون تنهار أو حتى تواجه الإفلاس. ولكن باعتقادي هذا الاحتمال كبير، أول مسؤولياتي ستكون اتجاه المساهمين، ولذلك لم يترك لي خيار سوى الاستقالة.

صديقك
أليكس فيشر (الرائد)

«وهل تتوقع مني إرسال هذه الرسالة إلى السيدة كليفتون في يوم الحادي والعشرين من أغسطس، قبل ثلاثة أيام فقط من الاجتماع العام السنوي؟»

قال مارتينيز: «نعم هذا تماماً ما أتوقع منك القيام به».

«ولكن إن فعلت هذا، سينهار سعر أسهمي. حتى قد يؤثر ذلك على الشركة».

«أنت تفهم الأشياء بسرعة أيها الرائد».

«ولكنك تملك أكثر من مليوني جنيه من الاستثمارات في بارينغتون. قد تخسر ثروة».

«ليس إن بعت كل أسهمي قبل أيام قليلة من إرسالك الرسالة تلك إلى الصحافة». عجز أليكس عن الكلام. قال مارتينيز: «آه، لقد فهمت الأمر. الآن يمكنني رؤية ذلك على مستوى شخصي، أيها الرائد، هذه الأخبار ليست جيدة، لن تفقد فقط مصدر دخلك الوحيد، ولكن في عمرك، قد لا يكون من السهل أن تجد عملاً آخر».

قال أليكس: «إن أردت تبسيط الأمر، بعد إرسال هذا» لوح بالرسالة أمام دون بيدرو، «لن تفكر أية شركة بتعييني في مجلسها ولن ألومها».

أكمل دون بيدرو متجاهلاً هيجانه: «شعرت أنه من العدل أن تحصل على تعويض مناسب لولائك، تحديداً بعد مرورك بطلاقٍ مكلف. بعد قولي هذا أيها الرائد، أنوي أن أدفع لك خمسة آلاف جنيه نقداً لا يجب أن يعلم بأمرها زوجتك أو جامع الضرائب».

قال أليكس: «هذا من كرمك».

«أوافقك الرأي. ولكن يعتمد الأمر على تسليمك الرسالة لرئيسة المجلس يوم الجمعة قبل الاجتماع العام السنوي، أعتقد أن صحف السبت والأحد ستكون متشوقة لمتابعة القصة. يجب أيضاً أن تكون متوفراً ليتم إجراء مقابلة معك يوم الجمعة بحيث تعبر عن قلقك حول مستقبل شركة بارينغتون، وحين تفتتح السيدة كليفتون الاجتماع العام السنوي صباح الاثنين، سيكون هنالك سؤال واحد على لسان كل صحفي».

قال أليكس: «لكم من الوقت تظن أن الشركة ستنجو؟ ولكن في الوضع الراهن يا دون بيدرو، أتساءل إن كنت مستعداً لإعطائي بضعة آلاف مقدماً ولدفع الباقي بعد إرسالي الرسالة وتعاملي مع الصحفيين؟»

«لا تحلم بذلك أيها الرائد، ما زلت تدين لي بألف بسبب تصويت زوجتك».

* * *

«أنت تدرك يا سيد مارتينيز مقدار الضرر الذي سيلحق بشركة بارينغتون للشحن بسبب هذا؟»

«أنا لا أدفع لك لكي تقدم لي النصائح، سيد ليدبوري، بل فقط لكي تنفذ تعليماتي. إن لم تتمكن من القيام بذلك، سيتوجب عليّ أن أجد شخصاً آخر».

«ولكن إن نفذت هذه التعليمات بشكلٍ حرفي هنالك احتمال قوي بأن تخسر الكثير من المال».

«إنه مالي وأنا حر به، وأياً يكن الأمر، إن سعر أسهم بارينغتون حالياً أعلى مما دفعته مقابلها، لذا أنا واثق من أني سأستعيد معظم أموالي. في أسوأ الأحوال، قد أخسر بضعة جنيهات».

«ولكن إن سمحت لي بأن أتخلص من الأسهم على مدى فترة أطول، لنقل ستة أسابيع، أو حتى شهرين، سأكون واثقاً أكثر من أنني سأتمكن من استعادة مبلغ استثمارك الأصلي، أو حتى أن أجني لك ربحاً صغيراً».

«سأنفق أموالي كما أشاء».

«إن واجبي المؤتمن عليه هو حماية مكانة البنك، خصوصاً إن ذكرتك بأنك قد تجاوزت الحد بمبلغ 1،735،000 جنيه».

«إن ذلك مغطى من خلال قيمة الأسهم، والتي بسعرها الحالي ستربحني أكثر من مليونين».

«إذن اسمح لي على الأقل بالتواصل مع عائلة بارينغتون لأسألهم إن كانوا...».

صرخ دون بيدرو: «لن تتواصل مع أي فردٍ من عائلة بارينغتون أو كليفتون تحت أي ظرف كان! ستضع كل أسهمي في السوق المفتوح لحظة افتتاح سوق البورصة يوم الاثنين، السابع عشر من أغسطس، وستقبل أي سعرٍ يعرض عليك وقتها. لا يمكن أن تكون تعليماتي أوضح من هذا».

«أين ستكون في ذلك اليوم سيد مارتينيز إن احتجت للتواصل معك؟».

«في المكان الذي تتوقع أن يكون فيه أي رجلٍ نبيل: في رحلة لصيد الإوز البري في أسكوتلندا. لن يكون هنالك سبيل للاتصال بي، ولهذا اخترت ذلك المكان. إنه مكانٌ معزول لدرجة أن صحف الصباح لا تصل إليه».

«إن كانت هذه تعليماتك يا سيد مارتينيز، إذن سأكتب رسالة بذلك الأمر، لكي لا يكون هنالك سوء تفاهم لاحقاً. سأرسلها إلى ساحة إيتون عبر مبعوث ظهيرة هذا اليوم لتوقعها».

«سأكون مسروراً بذلك».

«وبعد أن تنتهي هذه العملية التجارية سيد مارتينيز، ربما عليك أن تفكر بنقل حسابك إلى بنك آخر».

«إن كنت لا تزال في عملك يا سيد ليدبوري، سأفعل».

الفصل التاسع والعشرون

ركنت سوزان سيارتها في شارعٍ جانبي وانتظرت. فقد كانت تعلم أن الدعوة إلى العشاء كانت قرابة الساعة 7:30 إلى 8 مساءً، وبما أن ضيف الشرف كان مارشال، كانت واثقة أن أليكس لن يتأخر.

توقفت سيارة أجرة خارج منزل طليقها عند الساعة 7:10 مساءً. ظهر أليكس بعد لحظات عدة. كان يرتدي سترة عشاء مزينة بثلاث ميداليات.

لاحظت سوزان أن ربطة عنقه كانت عوجاء وأن واحداً من أزرار قميصه كان مفقوداً، ولم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك حين رأت زوج الأحذية الذي لن يدوم طوال حياته بالتأكيد. جلس أليكس في المقعد الخلفي من السيارة، التي انطلقت باتجاه طريق ويلينغتون.

انتظرت سوزان بضع دقائق قبل أن تقود السيارة عبر الشارع لتخرج وتفتح باب المرأب.

ثم ركنت سيارة الجاغوار مارك 2 في الداخل. جزء من تسوية الطلاق تمثل أن تعيد له مصدر فخره وسعادته، ولكنها رفضت ذلك حتى أصبح ملتزماً بمدفوعاته الشهرية. قبضت سوزان قيمة آخر شيكاته ذاك الصباح، متسائلةً من أين كان المال يأتي. اقترح محامي أليكس أن تعيد السيارة بينما يكون هو في العشاء الفوجي.

خرجت من السيارة، فتحت الصندوق، وأخرجت سكين ستانلي وعبوة من الطلاء. بعد أن وضعت وعاء الطلاء على الأرض، سارت سوزان إلى مقدمة السيارة وأقحمت السكين في واحدة من العجلات. خطت خطوة للخلف وانتظرت صوت الهواء ليتوقف، قبل أن تنتقل إلى العجلة التالية. حين

فرغت جميع العجلات الأربع من الهواء، سلّطت انتباهها إلى عبوة الطلاء.

فتحت غطاء العبوة، وقفت على رؤوس أصابعها وبدأت بسكب السائل السميك ببطء على سقف السيارة. حين تأكدت من عدم تبقي أي قطرة، ابتعدت للخلف واستمتعت بمشاهدة الطلاء وهو يسيل ببطء على جانبي السيارة وعلى النافذتين الخلفية والأمامية.

سيكون قد جف بحلول وقت عودة أليكس من العشاء. كانت سوزان قد أمضت بعض الوقت وهي تنتقي اللون الذي سيبدو أجمل مع اللون الأخضر، واستقرت في النهاية على اللون الأرجواني. كانت النتيجة أكثر إرضاء حتى مما توقعت.

كانت والدتها من أمضت ساعات وهي تراجع النسخة الصغيرة في تسوية الطلاق وهي من أشار إلى أن سوزان قد وافقت على إعادة السيارة ولكن دون تحديد في أي حالة ستعيدها.

مضى بعض الوقت قبل أن تجر سوزان نفسها بعيداً عن المرأب لتصعد إلى الطابق الثالث حيث نوت أن تترك مفاتيح السيارة على مكتبه. كانت خيبة أملها الوحيدة هي أنها لن تتمكن من رؤية تعابير وجه أليكس حين يفتح باب المرأب في الصباح.

دخلت سوزان إلى الشقة بمفتاحها القديم، وكانت مسرورة أن أليكس لم يغير القفل. سارت إلى مكتبه، وألقت مفاتيح السيارة على المكتب.

كانت على وشك المغادرة حين لاحظت رسالة بخط يده الذي يمكن تمييزه بسهولة على لوحة الكتابة. نال منها الفضول. انحنت وقرأت الرسالة الخاصة والسرية بسرعة، ثم جلست في كرسيه وقرأتها ببطء للمرة الثانية. لم تصدق أن أليكس قد يضحي بمقعده في مجلس إدارة بارينغتون نتيجة مبدأ. في النهاية، لم يمتلك أليكس أية مبادئ، وبما أن ذلك كان مصدر دخله الوحيد عدا معاشه التقاعدي المضحك من الجيش، كيف يتوقع أن يعيش؟ والأهم

من ذلك، كيف سيدفع لها المبلغ الشهري دون راتبه المنتظم كمدير؟ قرأت سوزان الرسالة للمرة الثالثة، متسائلة إن كان هنالك ما لم تلحظه. احتارت بسبب تاريخ الرسالة الذي كان الحادي والعشرين من أغسطس. إن كنت ستستقيل نتيجة مبدأ لم تنتظر أسبوعين؟ بحلول الوقت الذي عادت فيه سوزان إلى بورنهام أون سي، كان أليكس يتلاعب بأفكار المارشال، ولكنها لم تستوعب الأمر بعد.

مكتبة
t.me/t_pdf

* * *

سار سيباستيان ببطء في شارع بوند، متأملاً المنتجات المختلفة المعروضة على واجهات المتاجر وتساءل إن كان سيتمكن من شراء أي منها يوماً ما.

كان السيد هاردكاسل قد منحه مؤخراً زيادة في الراتب. أصبح الآن يجني 20 جنيهاً في الأسبوع، وأصبح يعرف برجل «الألف جنيه في العام»، كما حصل على لقب جديد، مدير مساعد... لكن لا تعني الألقاب شيئاً في عالم المصارف، إلا إن كنت رئيس المجلس.

رأى من بعيد لوحة تتمايل في الهواء، أغنيو لتجارة الفنون الجميلة، تأسست عام 1817. لم يدخل سيباستيان معرضاً فنياً خاصاً من قبل، ولم يكن متأكداً إن كان مفتوحاً للعموم. ذهب من قبل إلى الأكاديمية الملكية، وإلى المعرض الوطني مع جيسيكا، ولم تكن تتوقف عن الكلام وهي تتنقل بين الصالات. كان ذلك يقوده إلى الجنون أحياناً. كم تمنى لو كانت إلى جانبه، تصيبه بالجنون. لم يمر يوم أو ساعة لم يشتق إليها فيها.

دفع الباب ودخل إلى المعرض. وقف لحظة هنالك، وهو ينظر حوله في الصالة الواسعة، كانت جدرانها مغطاة بأروع اللوحات الزيتية، تعرف إلى بعضها؛ كونستابل، مونينغز وستونز. فجأة، ظهرت، وهي تبدو أجمل حتى من المرة الأولى التي رآها فيها تلك الأمسية في سليد، حين حصلت جيسيكا على جميع الجوائز في يوم التخرج.

جف حلقه وهي تسير نحوه. كيف يمكن للمرء أن يتحدث مع إلهة؟ كانت ترتدي ثوباً أصفر، بسيطاً وأنيقاً، وكان شعرها بدرجة من الشقار الطبيعي الذي كانت أي واحدةٍ عدا النساء السويديات ستدفع ثروة للحصول عليه، وحاول الكثيرون ذلك. كان اليوم مرفوعاً إلى الأعلى، بشكلٍ رسمي ومحترف، ولم يكن يصل إلى كتفيها العاريين كما كان في المرة الأخيرة التي رآها فيها. أراد أن يقول لها إنه لم يأتِ ليرى اللوحات، بل ليلتقي بها. كم هي جملة غير فعالة للتعارف، وحتى لم تكن حقيقية.

سألته: «هل يمكنني مساعدتك؟»

كانت المفاجأة الأولى أنها كانت أمريكية، إذن من الواضح أنها لم تكن ابنة السيد أغنيو كما توقع.

قال: «نعم، كنت أتساءل إن كنتم تملكون أي لوحات لفنانة تدعى جيسيكا كليفتون؟».

بدت متفاجئة، ولكن ابتسمت وقالت: «نعم، نملك. هل تمانع اللحاق بي؟»

إلى نهاية العالم، جملة مثيرة للشفقة، وكان مسروراً أنه لم يقلها. يعتقد معظم الرجال أن النساء جميلات من الخلف أيضاً حين يسيرون خلفهن. لم يكن مهتماً حين تبعها إلى الدور السفلي إلى صالة كبيرة أخرى عرضت لوحات ساحرة أيضاً. بفضل جيسيكا، عرف أن إحدى اللوحات لمونيه، ولتيسون، ولفنانتها المفضلة، بيرث موريسوت.

كانت لتثرثر طوال الوقت لو شاهدتها.

قامت الإلهة بفتح باب لم يلحظه يؤدي إلى صالة جانبية أصغر. انضم إليها ليجد أن الغرفة كانت مملوءة بصفوف من الرفوف المنزلقة.

انتقت واحداً وسحبته لتكشف عن جانب كان مخصصاً للوحات جيسيكا الزيتية. حدق إلى جميع اللوحات التسع الحائزة على جوائز في معرض

التخرج، إضافة إلى اثنتي عشرة رسمة ولوحات مائية لم يرها من قبل، والتي كانت مغرية بالدرجة نفسها. شعر للحظة بالغبطة، ثم ارتجفت ساقاه. مسك الرف كي يقف ثابتاً.

سألت: «هل أنت على ما يرام؟» تبدل صوتها المهني بصوتٍ ألطف وأرق.

«أنا أسف».

اقترحت: «لماذا لا تجلس؟» وأخذت كرسياً ووضعته بالقرب منه. وهو يجلس، أمسكت ذراعه وكأنه رجل مسن، كل ما كان يريده هو أن يتشبث بها. تساءل، لماذا يقع الرجال في الحب بسرعة كبيرة وبتهور بينما تكون النساء أكثر حذراً ورشداً. قالت: «دعني أجلب لك كأساً من الماء». قبل أن يجيب، تركته.

نظر إلى لوحات جيسيكا مرة أخرى، محاولاً أن يقرر إن كانت لديه واحدة مفضلة، وتساءل إن كانت لديه واحدة مفضلة، فهل سيتمكن من دفع ثمنها. ثم ظهرت مرة ثانية، حاملةً كأساً من الماء، يرافقها رجلٌ أكبر سناً، تذكره من تلك الليلة في سليد.

قال سيباستيان: «صباح الخير سيد أغنيو» ونهض من كرسيه. بدا صاحب المعرض مذهولاً، من الواضح أنه لم يتذكر الشاب. «التقينا في سليد يا سيدي، حين أتيت إلى حفل التخرج».

بدا أغنيو مرتبكاً حتى قال: «آه نعم، أذكر الآن، أنت شقيق جيسيكا».

شعر سيباستيان وكأنه أحمق حين جلس مجدداً ودفن رأسه من جديد بين يديه. تقدمت نحوه ووضعت يدها على كتفه.

«كانت جيسيكا من أروع الناس الذين التقيت بهم على الإطلاق».

قالت: «أنا آسفة».

«وأنا أعتذر لأنني جعلت نفسي أبدو أحمق، أردت فقط أن أعرف إن

كنتم تعرضون أياً من لوحاتها للبيع».

قال أغنيو محاولاً أن يلطف الجو: «كل شيءٍ في المعرض للبيع».

«كم سعر لوحات جيسيكا؟»

«جميعها؟»

«جميعها».

«لم أسعرها في الواقع بعد، لأننا كنا نأمل أن تصبح جيسيكا إحدى الفنانات المعروفات في المعرض، ولكن للأسف... لقد دفعت للحصول عليها ثمانية وخمسين جنيهاً».

«وما هي قيمتها؟».

رد أغنيو: «ما سيدفعه أحد ما مقابلها».

«سأدفع كل قرشٍ معي لكي أمتلكها».

بدا أغنيو متفائلاً. «وكم يعني ذلك يا سيد كليفتون؟»

«تفقدت حسابي في البنك صباح اليوم لأنني كنت أعرف أنني قادم إلى هنا لرؤيتك». حدق كلاهما إليه.

«أملك ستة وأربعين جنيهاً، واثني عشر شيلنغ وستة قروش في حسابي الحالي، ولكن لأنني أعمل في البنك، لا يسمح لي أن أسحب أكثر من ذلك».

«إذن فليكن السعر ستة وأربعين جنيهاً واثني عشر شلينغاً وستة قروش، سيد كليفتون».

بدا سيباستيان متفاجئاً للغاية، ولكن المساعدة هي من بدت أكثر تفاجؤا، فلم يسبق لها أن رأت السيد أغنيو يبيع لوحة بأقل مما دفع مقابلها من قبل.

«ولكن هنالك شرط وحيد».

تساءل سيباستيان إن كان سيغير رأيه. «وما هو هذا الشرط سيدي؟».

«إن قررت يوماً أن تبيع إحدى لوحات شقيقتك، عليك أولاً أن تعرضها عليّ بالسعر نفسه الذي دفعته مقابلها».

قال سيباستيان: «أنا موافق على هذه الصفقة سيدي» وتصافح الرجلان، أضاف: «ولكنني لن أبيعها أبداً».

«أبداً».

«في تلك الحالة، سأطلب من الآنسة سوليفان أن تكتب فاتورة بستة وأربعين جنيهاً واثني عشر شلينغ وستة قروش».

أومأت برأسها إيماءة صغيرة وغادرت الصالة. «لست أنوي أن تجري دموعك بسببي مجدداً أيها الشاب، ولكن في مهنتي، تكون محظوظاً لو وجدت مثل موهبة جيسيكا مرتين أو ثلاث مرات في حياتك».

قال سيباستيان: «لطفٌ منك أن تقول ذلك سيدي». بينما عادت الآنسة سوليفان حاملة دفتر الفواتير.

قال السيد أغنيو: «أرجو أن تعذرني، لدي افتتاح معرض كبير الأسبوع القادم، ولم أنهِ عملية التسعير بعد».

جلس سيباستيان وكتب شيكاً بقيمة 46 جنيهاً و12 شلينغاً و6 قروش، وانتزعه من الدفتر وسلمه للمساعدة.

قالت: «لو كنت أمتلك ستة وأربعين جنيهاً واثني عشر شلينغاً وستة قروش لكنت اشتريتها أيضاً. أوه، أنا متأسفة كثيراً». قالت بسرعة بينما حنا سيباستيان رأسه مرة أخرى. «هل ستأخذها معك سيدي أو ستعود لاحقاً؟»

«سأعود غداً، إن كنتم تفتحون يوم السبت».

قالت: «نعم، ولكني سآخذ بضعة أيام إجازة، لذا سأطلب من السيدة كلارك أن تتعامل معك».

«متى ستعودين إلى العمل؟».

«يوم الخميس».

«إذن سأعود صباح الخميس».

ابتسمت ابتسامة من نوع آخر، قبل أن تتقدمه مجدداً إلى الطابق العلوي.

حينها رأى التمثال للمرة الأولى، منتصباً في الزاوية البعيدة من المعرض. قال: «المفكر». أومأت برأسها. «يقول بعضهم أنه العمل الأفضل لرودين. هل كنت تعلمين أنه سمّي أولاً باسم الشاعر؟» بدت متفاجئة. «وإن كنت أذكر تماماً، إن كان عملاً منسوخاً يدوم طول العمر، فهو إذن لأليكسس روديه».

«أنت تتباهى الآن».

اعترف سيباستيان: «صحيح، ولكنني أملك سبباً مقنعاً لتذكر هذه القطعة تحديداً».

«جيسيكا؟».

«لا، هذه المرة لا. هل يمكنني أن أسأل ما هو رقم النسخة؟».

«خمسة من أصل تسعة».

حاول سيباستيان أن يبقى هادئاً، لأنه احتاج لإجابات عن مزيد من الأسئلة، ولكنه لم يرد أن تشك في أمره. سأل: «من كان المقتني السابق؟».

«لا أملك فكرة. إن القطعة مدرجة في الكتيب على أنها ملكية رجل نبيل».

«ماذا يعني ذلك؟»

«الرجل الذي نتحدث عنه لا يريد أن يعلن بيعه لمجموعته علناً. لدينا الكثير من الزبائن مثله بسبب الموت، الطلاق أو الدين. ولكن عليّ أن أحذرك أن السيد أغنيو لن يبيعك المفكر مقابل ست وأربعين جنيهاً واثني عشر شيلنغاً وستة قروش».

ضحك سيباستيان: «كم سعره؟» ولمس ذراع التمثال اليمنى المثنية.

«لم ينته السيد أغنيو تماماً من تسعير المجموعة، ولكن يمكنني أن أعطيك كتيباً إن كنت ترغب بذلك، ودعوة للعرض الخاص في السابع عشر من أغسطس».

قال سيباستيان وهي تعطيه كتيباً: «شكراً لك، أتطلع قدماً لرؤيتك يوم الخميس».

ابتسمت: «إلا إن كنت متفرغة لتناول العشاء معي مساء غد؟»

قالت: «لا يمكنني مقاومة ذلك، ولكنني أفضل أن أختار المطعم».

«لماذا؟»

«لأنني أعلم كم تبقى في حسابك في البنك».

الفصل الثلاثون

سأل سيدريك: «ولكن لِمَ قد يفكر ببيع مجموعته الفنية؟».

«لا بد أنه بحاجة إلى المال».

«ذلك واضح يا سيب، ولكن ما لا يمكنني فهمه هو لماذا يحتاج إلى المال». تابع سيدريك بتصفح الكتيب، وكان مرتبكاً حين وصل إلى لوحة إي فير آت ليرميتاج نير بونتوا لكاميل بيسارو، والتي كانت معروضة على الصفحة الخلفية.

«ربما حان الوقت لطلب معروف».

«ما الذي تفكر به؟»

قال سيدريك: «ليس ما أفكر به، بل بمن أفكر. السيد ستيفن ليدبوري، مدير بنك ميدلاند، سانت جيمس».

سأل سيباستيان: «ما الأمر المميز بشأنه؟».

«إنه مدير بنك مارتينيز».

«كيف علمت ذلك؟».

«حين تجلس بالقرب من الرائد فيشر في اجتماعات المجلس على مدى أكثر من خمس سنوات، تندهش مما قد تعلمه إن كنت صبوراً ومستعداً للإصغاء لرجل وحيد».

طلب سيدريك سكرتيرته: «هل يمكنك الاتصال بستيفن ليدبوري من بنك ميدلاند؟» استدار مجدداً نحو سيباستيان: «منذ أن اكتشفت أن ليدبوري مدير بنك مارتينيز كنت أقدم له الخدمات. ربما حان الوقت ليرد لي الجميل».

رنّ الهاتف الموجود على مكتب سيدريك: «السيد ليدبوري على الخط واحد».

قال سيدريك: «شكراً لك». ثم انتظر صوت الرنة قبل الضغط على زر مكبر الصوت. «طاب يومك، ستيفن».

«طاب يومك سيدريك، كيف يمكنني خدمتك؟».

«أعتقد أن الأمر يتعلق بما يمكنني أنا تقديمه لك».

قال ليدبوري متفائلاً: «نصيحة جيدة أخرى؟»

«الأمر يتعلق بحماية ظهرك أكثر. سمعت أن أحد عملائك الأقل تحبباً قد عرض مجموعته الفنية بأكملها للبيع في معرض أغنيو في شارع بوند. يقول الكتيب إن المجموعة كانت ملك ‹رجل نبيل› وهذا للتمويه، أفترض لسبب ما أنه لا يريدك أن تكتشف ذلك».

«ما الذي يجعلك تعتقد أن هذا الرجل النبيل تحديداً يملك حساباً في ويست أند سنترال؟»

«أجلس بالقرب من ممثله في مجلس شركة بارينغتون للشحن».

كان هنالك صمت طويل قبل أن يقول ليدبوري: «أه، وتقول إنه قد عرض مجموعته بأكملها للبيع في أغنيو؟».

«من مونيه إلى رودين، إنني أنظر إلى الكتيب الآن، وأجد الأمر صعب التصديق أنه لن يتبقى شيء على جدرانه في إيتون سكوير. هل ترغب بأن أرسل لك الكتيب؟».

«لا، لا داعي لذلك سيدريك، أغنيو على بعد عدة أمتار في الشارع، لذا سأمر وآخذ واحداً في طريقي. شكراً لك لإخباري، ويجعلني ذلك أدين لك مرة جديدة. هل هنالك ما يمكنني القيام به لأرد لك الجميل...»

«حسناً، بما أنك ذكرت الأمر الآن يا ستيفن، هنالك خدمة يمكنني طلبها منك بما أنك على الخط».

«اطلب ما تشاء».

«إن قرر هذا 'الرجل النبيل' أن يبيع حصته في شركة بارينغتون للشحن، لديّ زبون قد يكون مهتماً بالأمر».

تبع ذلك صمت طويل قبل أن يسأل ليدبوري: «هل من الممكن أن يكون هذا الزبون فرداً من عائلتي بارينغتون أو كليفتون؟»

«لا، أنا لا أمثل أياً منهما. ستجد أنهما يتعاملان مع بنك باركليز في بريستول، بينما زبوني يأتي من شمال إنكلترا».

صمت طويل آخر. «أين ستكون في الساعة التاسعة يوم الاثنين الموافق للسابع عشر من أغسطس؟».

قال سيدريك: «في مكتبي».

«جيد، سأتصل بك قبل دقيقة من التاسعة صباح ذلك اليوم، وقد أكون حينها قادراً على رد بعض خدماتك».

«هذا لطف منك ستيفن، ولكن لننتقل إلى الأمور الأهم؛ ما هي نتيجتك بالغولف؟».

«ما زالت إحدى عشرة، ولكن أشعر أنها ستصبح اثنتي عشرة بحلول الموسم التالي. لن يعود الشباب يوماً».

قال سيدريك: «هذه حالنا جميعاً، أرجو لك التوفيق في لعبة نهاية الأسبوع وسأتطلع قدماً للسماع منك...».

تفقد التقويم، «خلال عشرة أيام». ضغط الزر على طرف هاتفه، والتفت إلى المدير المساعد الشاب. «أخبرني ما تعلمت من هذا يا سيب».

«أن مارتينيز قد يعرض حصته في بارينغتون للبيع عند الساعة التاسعة يوم السابع عشر من أغسطس».

«قبل أسبوع تماماً من ترأس والدتك للاجتماع السنوي العام الخاص بالشركة».

قال سيباستيان: «تباً».

«أنا مسرور لأنك اكتشفت ما الذي سيفعله مارتينيز. ولكن لا تنسَ يا سيب، أنه في أي محادثة، ما يبدو غير هام حينها هو على الأغلب ما سيمنحك المعلومات التي تبحث عنها. قام السيد ليدبوري بتقديم هاتين المعلومتين الهامتين لي بسرور».

«ما هي المعلومة الأولى؟».

نظر سيدريك إلى دفتره وقرأ. «لا داع لذلك سيدريك، أغنيو على بعد عدة أمتار في الشارع، لذا سأمر وآخذ واحداً في طريقي. ما الذي يخبرنا هذا؟»

«أنه لم يدرك أن مجموعة مارتينيز معروضة للبيع».

«نعم بالتأكيد، ولكن الأهم أن ذلك يخبرنا أنه لسببٍ ما قلق بسبب كونها للبيع، وإلا لكان قد أرسل شخصاً من فريقه المساعد ليجلب الكتيب، ولكن لا، سيقوم بذلك بنفسه».

«والأمر الثاني؟»

«سأل إن كان البنك يمثل عائلة كليفتون أو بارينغتون».

«وما المهم في هذا؟».

«لأنني لو قلت نعم، لكانت المحادثة قد انتهت حينها. أنا متأكد من أن ليدبوري قد استلم تعليمات لكي يعرض هذه الأسهم للبيع في السابع عشر، ولكن ليس لأحد أفراد العائلة».

«وما المهم في هذا؟»

«من الواضح أن مارتينيز لا يريد أن تعلم العائلة ما الذي سيفعله. الأمر جلي أنه يريد أن يستعيد استثماره في بارينغتون خلال الفترة السابقة للاجتماع العام السنوي، في الوقت الذي يبدو واثقاً من أن معظم سماسرة البورصة يحاولون بيع أسهمهم في بارينغتون، مما سيضمن أن يغزو الصحفيون الاجتماع العام السنوي في محاولة لمعرفة إن كانت الشركة تواجه الإفلاس.

فـي تلـك الحالـة، لن تكون الأخبار على الصفحات الأولى في الصباح التالي أن تسمية باكينغهام ستكون من قبل الملكة الأم».

سأل سيباستيان: «هل هنالك ما يمكننا القيام به لمنع ذلك؟»

«نعم، ولكن علينا أن نتأكد من أن توقيتنا أفضل من توقيت مارتينيز».

«ولكنْ هنالك خطب ما. إن كان مارتينيز سيستعيد معظم أمواله من خلال بيع الأسهم، لماذا هو بحاجة إلى بيع مجموعته الفنية؟».

«أوفقك الرأي بأن هذا لغز. ولدي شعور بأننا حين نكتشف حله، سيتضح كل شـيء. من الممكن أيضاً أنك إن سـألت الآنسـة التي سترافقها إلى العشاء غـداً السـؤال الصحيـح، قـد نتمكن من وضع قطعـة أو قطعتين في الأحجية. ولكـن تذكـر مـا قلتـه للتو: التعليـق العفوي قد يكون قيماً مثـل الجواب على سؤال مباشر. بالمناسبة، ما هو اسم الآنسة؟»

قال سيباستيان: «لا أعرف».

* * *

جلست سوزان فيشر في الصف الخامس من جمهور كبير وأصغت بانتباه لما كانت ستقوله إيما كليفتون عن حياتها كرئيسة لمجلس إدارة شركة شحن كبرى، حين تحدثت في اللقاء السنوي لجمعية ريد ميدز أولد غيرلز. بالرغم من أن إيما بدت جميلة المظهر، رأت سـوزان أن الخطوط الدقيقة قد بدأت بالظهور حول عينيها، وأن شـعرها السـميك الأسـود الذي كانت تحسـد عليه من قبل زميلاتها أصبح يحتاج لبعض الصباغ كي يبقى بلونه الداكن الطبيعي، ولكي لا يبدو عليه التعب والإرهاق. كانت سـوزان دوماً ما تحضر لم شـمل الطلاب، وكانت تتطلع قدماً لهذا تحديداً، لأنها كانت من كبار المعجبين بإيما بارينغتون، كما تذكرتها. كانت فتاة متفوقة، حصلت على مقعد في أوكسفورد، وأصبحت أول رئيسة لمجلس إدارة شركة عامة.

ولكن أمراً واحداً في خطاب إيما حيّرها. اقترحت رسالة استقالة أليكس

أن الشركة قد اتخذت سلسلة من القرارات السيئة وأنها قد تواجه الإفلاس، بينما أعطت إيما انطباعاً أنه بنجاح فترة الحجوزات لرحلة باكينغهام الأولى، فقد ينتظر بارينغتون مستقبلاً ناجحاً. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً وكانت متأكدة ممن أرادت تصديقه.

أثناء حفل الاستقبال الذي أقيم بعد الخطاب، كان من المستحيل الوصول إلى المتحدثة، التي كانت محاطة بالأصدقاء القدامى والمعجبين الجدد. لم تتكبد سوزان عناء انتظار دورها، بل قررت التحدث مع زملائها. كلما فتح الموضوع، حاولت أن تتجنب الإجابة عن أي أسئلة تتعلق بأليكس.

بعد ساعة، قررت سوزان أن تغادر بما أنها قطعت عهداً بأن تعود إلى بورنهام أون سي في وقت العشاء كي تطهو لوالدتها. كانت على وشك مغادرة قاعة المدرسة حين سمعت صوتاً من: «مرحباً سوزان» نظرت خلفها وتفاجأت لرؤية إيما كليفتون تسير نحوها.

«لم أكن لأتمكن من إعداد ذلك الخطاب لولاك. كان تلك شجاعة كبيرة، لا يمكنني إلا أن أتخيل ما قال أليكس حين وصل إلى المنزل ظهر ذلك اليوم».

قالت سوزان: «لم أنتظر كي أُكتشف، لأنني كنت قد قررت أن أهجره. وأنا أعلم الآن أن الشركة تبلي بلاءً حسناً، وهذا ما يجعلني أكثر سروراً بدعمي إياك حينها».

قالت إيما: «ما زال أمامنا ستة أشهر من الاختبار، ولكن إن تخطينا ذلك، سأشعر بقدرٍ أكبر من الثقة».

قالت سوزان: «أنا متأكدة من ذلك، أنا متأسفة فقط لأن أليكس يفكر بالاستقالة في هذا الوقت المهم من تاريخ الشركة».

توقفت إيما وهي على وشك ركوب السيارة والتفتت إلى الخلف لتواجهها.

«أليكس يفكر بالاستقالة؟».

«افترضت أنك على علم بذلك».

قالت إيما: «لا علم لي بذلك، متى أخبرك؟».

«لم يفعل، لكني رأيت رسالة على مكتبه وردت استقالته فيها، وهو ما فاجأني، لأنني أعلم كم يحب أن يعمل في المجلس. ولكن كان تاريخ الرسالة الحادي والعشرين من أغسطس، ربما لم يتخذ قراراً قاطعاً بعد».

«أُفضّل أن أتحدث معه».

رجتها سوزان: «لا، أرجوك لا تفعلي، لم يُفترض بي رؤية الرسالة».

«إذن لن أقول شيئاً. هل يمكنك أن تتذكري السبب الذي ذكره؟»

«لا أستطيع تذكر كلماته تماماً، ولكن ورد أمرٌ حول أن مسؤوليته الأولى هي أمام المساهمين، وأن تلك المسألة تتعلق بالمبدأ، على أحد ما أن يخبرهم أن الشركة تواجه الإفلاس. ولكن الآن وبعد أن سمعت خطابك، لا يبدو ذلك منطقياً».

«متى سترين أليكس مجدداً؟»

قالت سوزان: «أرجو ألا أفعل أبداً».

«إذاً هل يمكننا أن نبقي هذا بيننا؟».

«نعم، بالطبع. لا أريد أن يكتشف أنني تكلمت معك عن الرسالة».

قالت إيما: «ولا أنا».

* * *

«أين ستكون عند الساعة 9 صباحاً يوم الاثنين الموافق للسابع عشر؟»

«في المكان الذي ستجدني فيه كل يوم الساعة التاسعة صباحاً، أراقب المرطبانات الألفين التي تحوي معجون الأسماك وهي تخرج من الخط كل ساعة. ولكن أين تريدني أن أكون؟».

«بالقرب من الهاتف، لأنني سأتصل لأنصحك بالقيام باستثمار كبير في شركة شحن».

«إذن خطتك تسير حسب المتوقع».

رد سيدريك: «ليس تماماً بعد، ما زال هنالك بعض اللمسات النهائية، وحتى بعد اللمسات سأحتاج للتوقيت المثالي».

«إن فعلتَ ذلك، هل ستكون الليدي فيرجينيا غاضبة؟».

«ستستشيط غيظاً، عزيزي».

ضحك بينغهام. «إذاً سأكون عند الهاتف عند الساعة التاسعة إلا دقيقة يوم الاثنين» تفقد مذكرته، «السابع عشر من أغسطس».

* * *

«هل انتقيت أرخص شيءٍ على لائحة الطعام لأنني أنا من سيدفع الفاتورة؟».

قال سيباستيان: «كلا بالطبع، وجبة حساء الطماطم وورقة خس لطالما كانت المفضلة لدي».

قالت سامانثا: «إذن دعني أخمن ما هي الوجبة الثانية المفضلة لديك» ونظرت إلى النادل». سنتناول كلانا وجبة سان دانييل مع البطيخ يليها شريحتا لحم».

«كيف تحبين شريحة اللحم، سيدتي؟».

«متوسطة الطهو لو سمحت».

«وأنت سيدي؟».

قلده: «كيف تحبين شريحة اللحم سيدتي؟» وابتسم باتجاهها. «متوسطة الطهو أيضاً».

«إذن...».

«كيف...».

قالت: «لا، أنت أولاً».

«حسناً ما قد يأتي بفتاة أمريكية إلى لندن؟».

«والدي دبلوماسي، وتم تعيينه هنا مؤخراً، لذا فكرت أنه قد يكون ممتعاً أن أقضي سنة في لندن».

«ووالدتك؟ ما الذي تفعله، سامانثا؟».

«سام، الجميع يدعونني كذلك عدا أمي. كان والدي يريد صبياً».

«حسناً، لقد فشل بشكلٍ رائع».

«يا لك من مغازل».

قال سيباستيان مجدداً: «ووالدتك؟».

«إنها عتيقة الطراز، تعتني بوالدي فقط».

«أنا أبحث عن شخص مثلها».

«أتمنى لك حظاً موفقاً».

«لماذا اخترت معرضاً فنياً؟».

«درست تاريخ الفن في جورج تاون، ثم قررت أن آخذ عطلة لمدة عام».

«حسناً، ما هي خططك للمستقبل؟»

«سأبدأ العمل على الدكتوراه في سبتمبر».

«عما ستكون؟».

«روبينز: فنان أم دبلوماسي؟»

«ألم يكن كلا الأمرين؟»

«سيكون عليك الانتظار عدة سنوات لكي تكتشف».

سأل سيباستيان: «في أية جامعة؟» آملاً ألا يكون عليها أن تعود إلى أمريكا خلال عدة أسابيع.

«لندن أو برينستون. عُرض عليّ مقعد في كلتيهما، ولكنني لم أقرر بعد ما أريد. ماذا عنك؟».

«لم يُعرض عليّ مقعد في أي منهما».

«لا يا غبي، ماذا تعمل؟».

قال: «انضممت إلى البنك بعد أخذي لعام عطلة» بينما عاد النادل ووضع طبقين من اللحم والبطيخ أمامهما.

«إذن لم تذهب إلى الجامعة؟».

قال سيباستيان: «إنها قصة طويلة، ربما أخبرك إياها في مرة أخرى» بينما انتظرها لتحمل شوكتها وسكينها.

«حسناً، أنت واثق من أنه سيكون هنالك مرة أخرى».

«بالتأكيد. عليّ أن أعود يوم الخميس إلى المعرض كي آخذ لوحات جيسيكا، ويوم الاثنين التالي دعوتني إلى افتتاح معرض مجموعة الرجل النبيل المجهول الفنية. أم هل نعلم من هو؟»

«لا، السيد أغنيو يعلم ذلك. كل ما يمكنني إخبارك إياه هو أنه لن يأتي إلى الافتتاح».

«من الواضح أنه لا يريد لأحد أن يعرفه».

قالت سام: «أو أين سيكون، لا يمكننا حتى التواصل معه لإخباره كيف جرى العرض، لأنه سيكون مسافراً لعدة أيام، ذاهباً للصيد في إسكتلاندا».

قال سيباستيان بينما تم أخذ أطباقهم الخالية: «يزداد فضولي كل ثانية».

«حسناً، ما يعمل والدك؟»

«إنه راوي قصص».

«أليس كل الرجال كذلك؟».

«نعم، ولكنه يتقاضى أجراً عن ذلك».

«حسناً، لا بد أنه ناجحٌ جداً».

قال سيباستيان بتفاخر: «حاز المرتبة الأولى في قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً».

«لا بد أنه هاري كليفتون».

«هل قرأت أعمال والدي؟»

قالت: «لا، عليّ الاعتراف بأنني لم أفعل، ولكن والدتي تحبها. في الواقع أهديتها ويليام وورويك في عيد الميلاد». بينما وُضعت أمامهما شريحتا اللحم. أضافت: «تباً، نسيت أن أطلب النبيذ».

قال سيباستيان: «الماء جيد».

تجاهلته وقالت للنادل: «نصف قنينة من نبيذ فلوري».

«أنت متسلطة كثيراً».

«لماذا توصف المرأة بأنها متسلطة دوماً، بينما إن فعل الرجل الأمر ذاته يوصف بالقيادي؟»

«أنت متعصبة للنساء».

قالت سامانثا: «ولما لا أكون كذلك، بعد كل ما فعلتموه على مدى الأعوام الألف الماضية؟»

سأل سيب مع ابتسامة: «هل قرأت ذا تيمينغ أوف ذا شرو؟».

«الذي كُتب قبل أربعمئة عام، حين لم يكن مسموحاً للمرأة بأخذ دور البطولة. وإن كانت كيت على قيد الحياة الآن لكانت على الأرجح رئيسة وزراء».

انفجر سيباستيان بالضحك. «يجب أن تلتقي بأمي يا سامانثا. إنها متسلطة قليلاً، عفواً أعني قيادية، مثلك».

«قلت لك إن أمي هي الوحيدة التي تدعوني سامانثا، وأبي حين نكون متخاصمين».

«أحببت أمك دون أن ألتقيها».

«وماذا عن أمك؟»

«أحب أمي».

«لا أيها السخيف، ما الذي تفعله؟»

«إنها تعمل في شركة شحن».

«يبدو ذلك مثيرا للاهتمام. في أي مجال تعمل؟».

قال بينما تذوقت سامانثا النبيذ: «إنها تعمل في مكتب رئيس المجلس».

قال للنادل: «ما أراد تماماً». الذي قام بصب كأسين. رفعت كأسها: «ماذا يقول الإنكليز؟»

قال سيباستيان: «نخبك، ماذا عن الأمريكيين؟».

«بصحة النظر إليك يا فتى».

«إن كان هذ تقليدك لهامفري بوغارت فقد كان مروعاً».

«إذن أخبرني المزيد عن جيسيكا، هل كان واضحاً على الدوام كم كانت موهوبة؟».

«لا ليس تماماً، لأنه لم يكن هنالك أحد نقارنها به. حتى دخلت سليد».

قالت سام: «لا أعتقد أن ذلك تغير حتى حينها».

«هل كنت دوماً مهتمة بالفن؟».

«رغبت أن أكون فنانة في البدء، ولكن لم ترد الآلهة ذلك. هل أردت طوال حياتك أن تصبح مصرفياً؟».

عاد النادل إلى طاولتهما. «هل ترغبان بتحلية، مدام؟» سألها بينما أزال طبقيهما الفارغين.

قال سيباستيان: «كلا شكراً لك، لا يمكنها تحمل تكلفتها».

«ولكني قد أريد...»

قال سيباستيان: «تريد الفاتورة».

«نعم سيدي».

قالت سامانثا: «من المتسلط الآن؟»

«ألا تعتقدين أن المحادثات في الموعد الأول تكون غريبة؟».

«هل هذا موعد أول؟».

قال سيباستيان: «آمل ذلك» متسائلاً إن كان يجرؤ على الإمساك بيدها. ابتسمت سامانثا ابتسامة دافئة كثيراً له أشعرته بالثقة الكافية لكي يقول: «هل يمكنني أن أسألك سؤالاً شخصياً؟».

«نعم بالطبع، سيب».

«هل تملكين حبيباً؟».

ردت: «نعم أملك واحداً». وبدت جدية.

لم يستطع سيباستيان أن يخفي خيبة أمله. تمكن من قول: «أخبريني عنه». بينما عاد النادل مع الفاتورة.

«إنه قادم إلى المعرض الخميس لأخذ بعض اللوحات، وقد دعوته لحضور معرض السيد المجهول يوم الاثنين القادم» قالت وهي توقع الفاتورة: «بحلول ذلك الوقت، آمل أن يملك ما يكفي في حسابه في البنك لكي يأخذني لتناول العشاء».

توردت وجنتا سيباستيان بينما كانت تعطي النادل جنيهين وقالت: «احتفظ بالبقية».

اعترف سيباستيان: «هذه أول مرة بالنسبة إليّ».

ابتسمت سامانثا وانحنت نحوه وأمسكت يده. «وبالنسبة إليّ أيضاً».

سيباستيان كليفتون

1964

الفصل الحادي والثلاثون

مساء الأحد، نظر سيدريك حول الطاولة ولكن لم يقل شيئاً حتى استقر الجميع.

«أنا أعتذر لأنني دعوتكم إلى هنا بعد وقتٍ قصيرٍ من إخطاركم بذلك، ولكن لم يترك لي مارتينيز خياراً». فجأةً انتبه الجميع. أكمل: «لدي سببٌ وجيه لأعتقد أن مارتينيز يخطط لبيع جميع أسهمه في بارينغتون حين تفتح سوق البورصة بعد أسبوعٍ من الغد. إنه يأمل استعادة كل ما يمكن من استثماره الأصلي بينما تكون أسعار الأسهم مرتفعة، وفي الوقت ذاته تدمير الشركة. سيفعل هذا قبل أسبوعٍ تماماً من الاجتماع العام السنوي، في الوقت ذاته الذي نريد فيه من العامة أن يؤمنوا بنا. إن تمكن من تنفيذ خطوته، ستفلس بارينغتون خلال أيام».

سأل هاري: «هل هذا قانوني؟».

التفت سيدريك إلى ابنه الذي كان جالساً إلى يمينه.

قال أرنولد: «يخرق القانون فقط إن نوى أن يشتري الأسهم مجدداً بسعرٍ أرخص، ومن الواضح أن ذلك ليس ما يخطط له».

«ولكن هل سيتأثر سعر الأسهم لتلك الدرجة؟ في النهاية، المسألة عبارة عن شخصٍ واحدٍ فقط يعرض أسهمه للبيع».

«إن قام أي من المساهمين الذين يملكون ممثلاً في مجلس الشركة بعرض أكثر من مليون من أسهمه للبيع دون تحذير أو تفسير، ستفترض ذا سيتي الأسوأ، وسيكون هنالك فرار للخروج من البورصة. قد ينخفض سعر السهم للنصف خلال ساعات، أو حتى دقائق». انتظر سيدريك حتى

تأخذ كلماته تأثيرها قبل أن يضيف: «ولكننا، لم نهزم بعد، لأن هناك أمراً في صالحنا».

سألت إيما محاولة أن تبقى هادئة: «وما هو؟».

«نحن نعلم تماماً ما يخطط له. لذا، يمكننا أن نلعب لعبته. ولكن إن فعلنا ذلك، سنضطر للتحرك بسرعة، ولا يمكننا أن نأمل الفوز إلا إن كان كل من هو حول هذه الطاولة مستعداً لقبول أية توصيات وكل المخاطرات التي تأتي معها».

قالت إيما: «قبل أن تخبرنا بما تفكر، عليّ أن أحذرك، هذا ليس الأمر الوحيد الذي خطط له مارتينيز». أسند سيدريك رأسه. «سيستقيل أليكس فيشر من منصبه كمدير غير تنفيذي يوم الجمعة، قبل ثلاثة أيام فقط من الاجتماع السنوي العام».

سأل جايلز: «ما السيئ في الأمر؟ في النهاية، لم يدعمك فيشر من قبل ولم يدعم الشركة».

«في الظروف العادية كنت لأوافقك الرأي يا جايلز، ولكن في رسالة استقالته، والتي لم أستلمها بعد، بالرغم من أنني أعلم أنها مؤرخة بتاريخ الجمعة الذي يسبق الاجتماع السنوي العام، يدّعي فيشر أنه لم يعد يملك خياراً سوى أن يستقيل، لأنه يعتقد أن الشركة تواجه الإفلاس، وأن مسؤوليته الوحيدة تتمثل بحماية حصص المساهمين».

قال جايلز: «ستكون هذه المرة الأولى من نوعها، أياً يكن الأمر، ذلك ببساطة غير صحيح، وسيكون من السهل دحضها».

قالت إيما: «تعتقد ذلك جايلز، ولكن كم من زملائك في مجلس العموم لا يزال يعتقد أنك تعرضت لنوبة قلبية في بروكسل، على الرغم من أنك نفيت ذلك ألف مرة؟» لم يرد جايلز.

سأل سيدريك: «كيف تعلمين أن فيشر سيستقيل وأنت لم تستلمي الرسالة؟».

«لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال، ولكن يمكنني أن أؤكد لك أن مصدري موثوق».

قال سيدريك: «حسناً، يخطط مارتينيز للضرب يوم الاثنين حين يبيع حصته، وسيضرب مرة أخرى يوم الجمعة من خلال استقالة فيشر».

قالت إيما: «وقد يتركني ذلك دون خيار سوى أن أؤجل مراسم التسمية مع الملكة الأم، وتاريخ الرحلة الأولى».

قال سيباستيان: «جيد، لنُجارِ مارتينيز».

سألت إيما متجاهلة ابنها: «ما الذي تقترح عليّ القيام به يا سيدريك؟».

قال جايلز: «سددي له ضربه بين الساقين، ويفضل عندما يكون منتبهاً».

قال سيدريك: «لن أستطيع التعبير عن ذلك بشكلٍ أفضل، وبصراحة، هذا تماماً ما أفكر فيه. لنفترض أن مارتينيز يخطط لعرض جميع أسهمه للبيع خلال ثمانية أيام، وبعد أربعة أيام يستقيل فيشر، ويأمل بذلك أن يسدد ضربة مزدوجة ستدمر الشركة وتتسبب باستقالة إيما. لكي نجاري هذا، علينا أن نسدد الضربة الأولى، ويجب أن تكون ضربة قاضية نسددها حين لا يتوقع الأمر أبداً. بعد قول هذا، أخطط لبيع جميع أسهمي، ثلاثمئة وثمانين ألف سهم، يوم الجمعة هذا، بالسعر الذي سأحصل عليه».

سأل جايلز: «وكيف سيساعد ذلك؟».

«آمل أن أتسبب بانهيار الأسهم يوم الاثنين التالي، بحيث حين تعرض أسهم مارتينيز للبيع عند الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم، سيكون معرضاً لفقدان ثروة. وفي تلك اللحظة أنوي أن أسدد له ضربة بين الساقين، لأنني أملك مشترياً مستعداً لشراء الأسهم المليون خاصته بالسعر المنخفض الجديد، فلا تُعرض في السوق لأكثر من بضع دقائق».

سأل هاري: «هل هذا هو الرجل الذي لا يعرفه أي منا، ولكنه يكره مارتينيز كما نفعل؟».

وضع أرنولد هاردكاسل يده على ذراع والده وهمس: «لا تجب على هذا السؤال أبي».

قالت إيما: «حتى لو تمكنت من فعل ذلك، لا يزال عليّ أن أفسر للصحافة وللمساهمين في الاجتماع السنوي العام بعد أسبوع لماذا انهار سعر السهم».

«ليس إن عدت أنا إلى السوق في اللحظة التي يتم فيها شراء أسهم مارتينيز، وبدأت بالشراء بكثرة، ولا أتوقف إلا حين يعود سعر السهم إلى السعر الحالي».

«ولكنك أخبرتنا أن ذلك مخالف للقانون».

«حين قلت أنا، ما كنت أعنيه هو...»

قال أرنولد بحزم: «لا تقل كلمة أخرى».

بدأت إيما: «ولكن إن اكتشف مارتينيز ما تخطط له...».

قال سيدريك: «لن ندعه، لأننا سنعمل جميعاً وفق جدوله الزمني، وسيوضح سيب الأمر الآن».

نهض سيباستيان من مكانه، وواجه الجمهور الأصعب في الجهة الغربية. «يخطط مارتينيز للسفر إلى إسكوتلندا في عطلة نهاية الأسبوع لصيد الإوز البري، ولن يعود إلى لندن قبل صباح الثلاثاء».

سأله والده: «كيف لك أن تكون متأكداً؟».

«لأن مجموعته الفنية بأكملها ستكون معروضة للبيع ليلة الاثنين في أغنيو، وأخبر صاحب المعرض أنه غير قادر على الحضور، لأنه لن يكون في لندن حينها».

قال سيدريك: «هذا سهل التفسير. إن بدت بارينغتون وكأنها في ورطة، سيرغب أن يكون في أبعد مكان ممكن، ويفضل في مكان حيث لا يمكن

لأحد أن يتصل به، مما سيترككم للتعامل مع الصحافة الملحة والمساهمين الغاضبين».

سأل جايلز: «هل نعلم أين سيقيم في إسكوتلندا؟».

قال سيدريك: «ليس حالياً، ولكني اتصلت بروس بيوكانان الليلة الماضية. إنه صياد من الدرجة الأولى، وأخبرني أن هنالك حوالي ستة فنادق وأكواخ للصيد في شمال الحدود يمكن أن يعتبرها مارتينيز جيدة بما يكفي ليحتفل فيها بيوم الاثني عشر المبارك. سيمضي روس الأيام القادمة وهو يزور كلاً منها حتى يكتشف في أي منها حجز مارتينيز».

سأل هاري: «هل هنالك ما يمكننا القيام به للمساعدة».

«تصرفوا بشكل طبيعي فقط، تحديداً أنت إيما. عليك أن تبدي وكأنك تحضرين للاجتماع السنوي العام ولإطلاق سفينة باكينغهام. دعي التخطيط وباقي الأمر لي ولسيب».

قال جايلز: «ولكن حتى لو تمكنت من تسديد ضربة الأسهم، لن يحل ذلك مشكلة استقالة فيشر». انتظر الجميع بترقب.

قالت إيما في النهاية: «لن تخبرنا ما تخطط له، أليس كذلك؟».

رد سيدريك: «لا» ولمس ذراع ابنه، «نصحني محاميَ ألا أفعل».

الفصل الثاني والثلاثون

ظهيرة الثلاثاء

رفع سيدريك سماعة الهاتف، وتذكر على الفور اللكنة الإسكتلندية الخفيفة. «حجر مارتينيز في كوخ غلينليفين، من يوم الجمعة الموافق للرابع عشر من أغسطس وحتى يوم الاثنين الموافق للسابع عشر».

«يبدو هذا وقتاً طويلاً».

«إنه في مكانٍ منعزل».

«ما الذي اكتشفته أيضاً؟».

«يقوم هو وولداه بزيارة غلينليفين مرتين في العام. في مارس وفي أغسطس. يقومون دوماً بحجز الغرف الثلاث ذاتها في الطابق الثاني، ويتناولون جميعاً وجباتهم في جناح دون بيدرو، ولا يقربون غرفة الطعام المشتركة».

«هل اكتشفت متى يُتوقع وصولهم؟».

«نعم، سيستقلون القطار إلى ادنبره مساء الخميس هذا، وسيقلهم سائق الفندق الساعة 5:30 في الصباح التالي، وسيقودهم مباشرة إلى غلينليفين بحلول وقت الفطور. يحب مارتينيز السمك المدخن والخبز المحمص والبرتقال الإنكليزي».

«أنا منبهر، كم استغرقك جمع كل هذه المعلومات من وقت؟».

«القيادة لأكثر من ثلاثمئة ميل عبر المرتفعات، وتفقد عدة فنادق وأكواخ. بعد عدة كؤوس في الحانة في غلينليفين، علمت حتى ما هو مشروبه المفضل».

«إذاً مع القليل من الحظ، سأمتلك ما يكفي من الوقت بين اللحظة التي

يتم أخذهم فيها من قبل سائق الفندق صباح الجمعة وحتى يعودوا إلى لندن مساء الثلاثاء».

«ما لم يحصل أمر غير مُتوقع».

«يحصل ذلك دوماً، وليس هنالك سبب لنعتقد أن الأمر مختلف هذه المرة».

قال روس: «أنا متأكد من أنك على حق، ولهذا سأكون في محطة ويفرلي صباح الجمعة، وما أن ينطلقوا جميعاً إلى غلينليفين، سأتصل بك. كل ما عليك القيام به حينها هو انتظار افتتاح سوق البورصة عند الساعة التاسعة، يمكنك حينها أن تفتتح عمليات التداول».

«هل ستعود إلى غلينليفين؟».

«نعم، حجزت غرفة في الكوخ، ولكن لن نسجل الدخول أنا وجين حتى ظهيرة يوم الجمعة، آمل أن تكون عطلة نهاية أسبوع هادئة في المرتفعات. سأتصل بك فقط في الحالات الطارئة. عدا ذلك لن تسمع صوتي مجدداً حتى صباح الثلاثاء، بعد أن أراهم على متن القطار العائد إلى لندن».

«حين يكون قد فات الأوان لكي يفعل مارتينيز أي شيء حيال الأمر».

«حسناً هذه هي الخطة الأولى».

صباح الأربعاء

قال دييغو: «لنفكر لحظة فقط في ما قد يجري على نحو خاطئ». ونظر إلى والده.

سأل دون بيدرو: «ما الذي تفكر فيه؟».

«لنفترض أن الطرف الآخر اكتشف بطريقة ما، ما نخطط له، وهم ينتظرون فقط أن نكون في إسكتلندا لكي يستغلوا غيابك».

قال لويس: «ولكننا لطالما أبقينا كل شيءٍ بين أفراد العائلة».

«ليدبوري ليس من العائلة، وهو يعلم أننا سنبيع أسهمنا صباح يوم

الاثنين. فيشر ليس من العائلة، ولن يشعر بأي التزام اتجاهنا بعد أن يسلم رسالة استقالته».

سأل دون بيدرو: «هل أنت متأكد من أنك لا تبالغ بردة فعلك؟».

«ممكن. ولكني لا أزال أفضل الانضمام إليكما في غلينليفين بعد يوم. بهذه الطريقة سنعرف سعر أسهم بارينغتون حين يغلق السوق مساء الجمعة. إن كانت بسعر أعلى من السعر الذي دفعناه عند شرائها، سأشعر براحة أكبر حيال عرض أكثر من مليون سهم من أسهمنا في السوق صباح الاثنين».

«ستفوت يوم صيد».

«هذا أفضل من تضييع مليوني جنيه».

«هذا منطقي. سأطلب من السائق أن تكون أولويته صباح السبت أن يأخذك من محطة ويفرلي».

قال دييغو: «لم لا نفكر بكل إمكانياتنا ونتأكد من أنه لا يوجد من ينصب كميناً لنا؟».

«حسناً، ماذا تقترح؟».

«اتصل بالبنك وأخبر ليدبوري أنك غيّرت رأيك، وأنك لن تبيع الأسهم يوم الاثنين في نهاية المطاف».

«ولكني لا أملك خياراً إن أردت أن تنجح خطتي».

«سنبيع الأسهم. سأضع الطلب مع سمسار آخر قبل أن أغادر نحو إسكتلندا مساء الجمعة، وفقط إن حافظت الأسهم على قيمتها. بتلك الطريقة لا يمكن أن نخسر».

صباح الخميس

ركن توم سيارته من نوع ديملر خارج أغنيو في شارع بوند.

منح سيدريك سيباستيان ساعة لكي يأخذ لوحات جيسيكا، وكذلك سمح له أن يستخدم سيارته كي يعود إلى المكتب بسرعة. كاد أن يقتحم

المعرض بالسيارة.

«صباح الخير سيدي».

«صباح الخير سيدي؟ ألست الآنسة التي تناولت معها العشاء ليلة السبت؟»

همست سام: «نعم ولكن ذلك من قوانين المعرض. لا يوافق السيد أغنيو على اختلاط العاملين بالعملاء».

قال سيباستيان: «صباح الخير، آنسة سوليفان. أتيت لكي آخذ لوحاتي» محاولاً أن يبدو كزبون عادي.

مكتبة
t.me/t_pdf

«نعم، بالطبع سيدي. هل يمكنك أن تأتي معي؟».

تبعها إلى الطابق السفلي، ولم يتحدث مجدداً حتى فتحت باب المخزن، حيث كان يوجد عدة رزم مرتبة مستندة على الجدار. حملت سام اثنتين، بينما تمكن سيباستيان من حمل ثلاثة. حملوها للطابق العلوي إلى خارج المعرض، ووضعوها في صندوق السيارة. بينما ساروا عائدين إلى الداخل، خرج السيد أغنيو من مكتبه.

«صباح الخير، سيد كليفتون».

«صباح الخير سيدي، أتيت فقط لآخذ لوحاتي».

أومأ أغنيو برأسه بينما تبع سيباستيان سامانثا إلى الطابق السفلي مجدداً. بحلول الوقت الذي وصل فيه إليها، كانت قد حملت بالفعل رزمتين إضافيتين. كان هنالك رزمتان باقيتان، ولكن سيباستيان قام بحمل واحدة منها فقط، لأنه أراد عذراً لكي يعود للطابق السفلي معها مجدداً. حين وصل للطابق السفلي، لم يكن هنالك أثر للسيد أغنيو.

قالت سام: «ألم تتمكن من حمل اثنتين معاً؟ أنت ضعيف للغاية».

قال سيباستيان: «كلا، تركت واحدة عن قصد».

«حسناً، من الأفضل أن أعود وأجلبها».

«ومن الأفضل أن أعود معك كي أساعدك».

«كم هذا لطيف منك، سيدي».

«هذا من دواعي سروري، آنسة سوليفان».

حين عادا إلى المخزن، أغلق سيباستيان الباب «هل أنت متفرغة لتناول العشاء الليلة؟»

«نعم، ولكن عليك أن تأتي لأخذي من هنا. لم ننته بعد من تعليق اللوحات من أجل معرض الاثنين القادم، لذا لن أتمكن من الخروج قبل الساعة الثامنة».

قال: «حسناً، سأنتظرك في الخارج في تمام الثامنة» بينما وضع ذراعه حولها وانحنى للأمام... «آنسة سوليفان؟»

قالت سام: «نعم سيدي». فتحت الباب بسرعة وهرعت إلى الطابق العلوي.

تبعها سيباستيان محاولاً أن يبدو غير مكترث، ثم تذكر أنهما لم يقوما بأخذ اللوحة الأخيرة. عاد للطابق السفلي، حمل اللوحة وعاد بسرعة ليجد السيد أغنيو يتكلم مع سام.

لم تنظر إليه حين مر بالقرب منها.

«ربما عليك أن تراجعي اللائحة حين تنتهين من التعامل مع زبونك».

«نعم، سيدي».

كان توم يضع اللوحة الأخيرة في الصندوق حين انضمت سامانثا إلى سيباستيان على الرصيف.

قالت: «أعجبتني السيارة، ومعها سائق. ليست سيئة بالنسبة إلى شاب لا يمكنه تحمل تكلفة اصطحاب فتاة لتناول العشاء».

ابتسم توم وحياها قبل العودة إلى السيارة.

قال سيباستيان: «لا أملك أياً من هذه، السيارة لرئيسي في العمل، قال

إنه يمكنني استعارتها حين أخبرته أنني أملك موعداً غرامياً مع شابة جميلة».

قالت: «ليس موعداً غرامياً تماماً».

«سأحاول أكثر الليلة».

«سأتطلع قدماً لذلك، سيدي».

دون تفسير أغلق صندوق السيارة وقال: «أتمنى فقط لو كان ذلك قبل، ولكن هذا الأسبوع... شكراً لمساعدتك آنسة سوليفان».

«سررت بذلك. أتمنى أن نراك مجدداً».

ظهر الخميس.

«سيدريك، معك ستيفن ليدبوري من ميدلاند».

«صباح الخير ستيفن».

«وردني اتصال للتو من الرجل النبيل ذاته يقول فيه أنه غيّر رأيه. لن يبيع حصته في بارينغتون».

سأل سيدريك: «هل ذكر السبب؟».

«قال لي إنه أصبح الآن يؤمن بالمستقبل البعيد المدى للشركة، ويفضل أن يحتفظ بالأسهم».

«شكراً لك، ستيفن. أرجو أن تخبرني إن تغير أمر آخر».

«سأفعل ذلك بالطبع، لأنني لم أرد لك الجميل بأكمله بعد».

قال سيدريك دون تفسير: «أوه نعم، لقد فعلت».

أعاد السماعة إلى مكانها وكتب الكلمات الثلاث التي عرَفته إلى كل ما كان بحاجة إلى معرفته.

مساء الخميس

وصل سيباستيان إلى محطة كينغ كروس بعد الساعة السابعة بقليل.

صعد السلالم إلى الطابق الأول ووقف في ظل ساعة ذات أربعة جوانب مما منحه رؤية واضحة للقطار الإسكتلندي الواقف على المنصة رقم خمسة

منتظراً أن ينقل 130 راكباً على مدى ليلة إلى ادنبره.

أخبره سيدريك أن عليه التأكد من أن الرجال الثلاثة سيصعدون القطار قبل أن يخاطر بعرض أسهمه للبيع في السوق. شاهد سيباستيان دون بيدرو مارتينيز المتألق كعاهل من الشرق الأوسط، وابنه لويس يصعدان المنصة قبل دقائق فقط من موعد مغادرة القطار. شقا طريقهما إلى نهاية القطار وصعدا على متن مقصورة الدرجة الأولى.

لما لم يكن دييغو معهما؟ بعد دقائق، أطلق الحارس صفارته مرتين ولوّح بعلمه الأخضر، وانطلق قطار نايت سكوتسمان في رحلته إلى الشمال مع اثنين فقط من عائلة مارتينيز على متنه. حين لم يعد سيباستيان قادراً على رؤية الدخان الأبيض يتصاعد من مدخنة القطار، هرع إلى أقرب هاتف عمومي واتصل. كان السيد هاردكاسل على خطه الخاص.

«لم يصعد دييغو على متن القطار».

قال سيدريك: «خطأه الثاني، أحتاجك في المكتب على الفور. حصل أمر آخر».

كان سيباستيان يرغب أن يقول لسيدريك أن لديه موعد مع شابة جميلة، ولكن لم يكن هذا الوقت المناسب ليقول إنه يمتلك حياةً خاصة. اتصل بالمعرض، ووضع أربعة قروش في الصندوق، ضغط الزر A وانتظر حتى سمع صوت السيد أغنيو الذي لا يمكن نسيانه.

«هل يمكنني التحدث مع الآنسة سوليفان؟».

«لم تعد الآنسة سوليفان تعمل هنا».

مساء الخميس

حين قاد توم السيارة به إلى البنك لم يفكر سيباستيان سوى بأمر واحد. ما الذي عناه السيد أغنيو حين قال: «لم تعد الآنسة سوليفان تعمل هنا»؟ لماذا قد تترك سام عملاً استمتعت به كثيراً؟ من المستحيل أن تكون قد طُردت؟

ربما كانت مريضة، ولكنها كانت هنالك هذا الصباح. لم يجد حلاً للغز بحلول الوقت الذي ركن فيه توم سيارته أمام مدخل فارثينغز. والأسوأ من ذلك، لم يكن يملك وسيلة للاتصال بها.

استقل سيباستيان المصعد إلى الطابق الأخير، واتجه على الفور إلى مكتب رئيس المجلس. طرق على الباب ودخل، ليجد أن هناك اجتماعاً يعقد.

«أعتذر، سوف...».

قال سيدريك: «لا، تفضل سيب» أضاف بينما كان أرنولد هاردكاسل يسير باتجاهه وهو ينوي شيئاً ما: «أنت تذكر ابني».

بينما كانا يتصافحان، همس أرنولد: «فقط أجب عن الأسئلة التي تطرح عليك، لا تتطوع بقول أي شيء».

نظر سيباستيان إلى الرجلين الآخرين اللذين كانا في الغرفة.

لم ير أياً منهما من قبل، ولم يبدره أي منهما بالمصافحة.

قال سيدريك: «أرنولد هنا لكي يمثلك. لقد أخبرت المفتش المحقق بالفعل بأنني متأكد أن هنالك خطأ بسيطاً».

لم يملك سيباستيان فكرة عما كان يتحدث سيدريك عنه.

تقدم الرجل الأكبر سناً من الرجلين الغريبين إلى الأمام.

«أنا المحقق المفتش روزينديل. أنا أعمل في مركز شرطة سافيل رو، ولدي بعض الأسئلة لك، سيد كليفتون».

علم سيباستيان من روايات والده أن المفتشين المحققين لا يعملون في جرائم صغيرة. أومأ برأسه، ولكن تبع تعليمات أرنولد ولم يقل شيئاً.

«هل زرت معرض أغنيو للفنون الجميلة في شارع بوند سابقاً اليوم؟».

«نعم فعلت».

«وما كان هدف الزيارة؟».

«جلب بعض اللوحات التي اشتريتها الأسبوع الماضي».

«وهل ساعدتك الآنسة سوليفان؟»

«نعم».

«وأين هذه اللوحات الآن؟».

«إنها في صندوق سيارة السيد هاردكاسل. كنت أنوي أخذها إلى شقتي لاحقاً عند المساء».

«حقاً؟ وأين تلك السيارة الآن؟».

«مركونة في الخارج أمام البنك».

وجه المفتش المحقق تركيزه إلى سيدريك هاردكاسل. «هل يمكنني أن أستعير مفاتيح سيارتك، سيدي؟»

نظر سيدريك إلى أرنولد، الذي أومأ برأسه. قال سيدريك: «إنها مع سائقي. سيكون في الدور السفلي ينتظر لكي يأخذني إلى المنزل».

«بعد إذنك، سيدي، سأذهب لأكتشف إن كانت اللوحات في المكان الذي يدعي السيد كليفتون أنها فيه».

قال أرنولد: «ليس لدينا اعتراض على هذا».

قال روزيندیل: «أيها الرقيب ويبير، ابقَ هنا، وتأكد من عدم مغادرة السيد كليفتون لهذه الغرفة».

أومأ الضابط الشاب برأسه.

سأل سيباستيان بعد أن غادر المفتش المحقق الغرفة: «ما الأمر؟».

قال أرنولد: «إن أداءك جيد ولكن أعتقد أنه سيكون من الحكمة في ظل الظروف الراهنة ألا تقول شيئاً آخر». نظر مباشرة إلى الشرطي الشاب.

قال سيدريك: «ولكن أياً يكن الأمر» وكان واقفاً بين الشرطي وسيباستيان، «أرغب أن أطلب من المجرم الكبير أن يؤكد أن شخصين فقط قد استقلا القطار».

«نعم، دون بيدرو ولويس، لم يكن هنالك أثر لدييغو».

قال سيدريك: «إنهم يقومون بما نريد تماماً». ظهر المفتش المحقق روزيندیل مجدداً حاملاً ثلاث حزم. تبعه بعد لحظات رقيب وشرطي حاملين ست حزم أخرى.

أسندوها إلى الجدار.

سأل المفتش المحقق: «هل هذه هي الحزم التسع التي أخذتها من المعرض بمساعدة الآنسة سوليفان؟».

قال سيباستيان دون تردد: «نعم».

«هل تسمح لي أن أفتحها؟».

«بالطبع».

قام رجال الشرطة الثلاثة بإزالة التغليف البني عن اللوحات. لهث سيباستان فجأة، وأشار إلى واحدة من اللوحات وقال: «أختي لم ترسم هذا».

قال أرنولد: «إنها رائعة للغاية».

قال روزيندیل: «لا أعلم شيئاً حول هذا سيدي، ولكن يمكنني أن أؤكد، بالنظر إلى العلامة الموجودة على الخلف، أنها لم تُرسم من قبل جيسيكا كليفتون، ولكن من قبل شخصٍ يدعى رافاييل، وفقاً للسيد أغنيو، يقدر سعر اللوحة بمئة ألف جنيه على الأقل». بدا سيباستيان مرتبكاً، ولكن لم يقل شيئاً. أكمل روزيندیل وهو ينظر مباشرة إلى سيباستيان: «ولدينا سبب لكي نعتقد أنك، وبالتعاون مع الآنسة سوليفان، استخدمتما ذريعة أنك تريد جمع لوحات شقيقتك بنية سرقة هذه القطعة الفنية الثمينة».

قال أرنولد قبل أن يتسنى لسيباستيان الرد: «ولكن هذا غير منطقي».

«عفواً سيدي؟»

«فكر بالأمر أيها المفتش المحقق، إن حصل ما تقترح، وقام عميلي بسرقة لوحة رافاييل من أغنيو بمساعدة الآنسة سوليفان، هل تتوقع أن تجدها في صندوق سيارة رئيسه بعد بضع ساعات؟ أم تظن أن سائق رئيس المجلس

مشترك بالخطة أيضاً؟ أو ربما رئيس المجلس أيضاً؟».

قال روزيندیل وهو يتفقد دفتر ملاحظاته: «اعترف السيد كليفتون بالفعل أنه نوى أن يأخذ اللوحات إلى شقته لاحقاً مساء».

«أليس أمراً غريباً أن تجد لوحة لرافاييل في شقة عازب في فولهام؟».

«هذه ليست دعابة، سيدي، السيد أغنيو، الذي كتب تقريراً بالسرقة، رجل محترم كثيراً في ويست أند و...».

«هذه ليست سرقة، أيها المفتش المحقق، ما لم تستطع أن تثبت أن اللوحة أُخذت عن سابق إصرار. وبما أنك لم تسأل حتى عميلي عن قصته، لا يمكنني أن أرى كيف تمكنت من الوصول إلى تلك النتيجة».

التفت الضابط إلى سيباستيان، الذي كان يعد اللوحات.

قال سيباستيان: «أنا مذنب»، ابتسم المحقق، «ولكن ليس بالسرقة، بل بالافتتان».

«ربما ترغب بتوضيح موقفك».

«كان هنالك تسع لوحات رسمتها أختي، جيسيكا كليفتون، في معرض التخرج في كلية سليد، وهنالك ثمانية فقط هنا. لذا إن كانت الأخيرة في المعرض، فيا لحظي، أخذت اللوحة الخاطئة، وأعتذر عن هذا الخطأ البسيط».

قال روزيندیل: «خطأ تبلغ قيمته مئة ألف جنيه».

قال أرنولد: «هل لي أن أقترح، دون أن أبدو طائشاً، ليس بالأمر المعتاد للمجرم أن يترك دليلاً في مشهد الجريمة يشير مباشرة إليه».

«لا نعلم إن كانت تلك الحقيقة، سيد هاردكاسل».

«أقترح أن نذهب جميعاً إلى المعرض لنرى إن كانت لوحة جيسيكا كليفتون الضائعة، والتي هي ملكية عميلي، لا تزال هنالك».

قال روزيندیل: «سأحتاج أكثر من ذلك لكي أقتنع ببراءته». أمسك سيباستيان من ذراعه بقوة، وقاده إلى خارج الغرفة، ولم يتركه حتى أصبح

في المقعد الخلفي لسيارة شرطة مع شرطيين متيني البنية يجلسان إلى جانبيه.

كانت الفكرة الوحيدة في ذهن سيباستيان هي ما كانت سامانثا تمر به. في الطريق إلى المعرض، سأل المفتش المحقق إن كانت ستكون هنالك.

«الآنسة سوليفان الآن في مركز الشرطة سافيل رو ويتم إجراء تحقيق معها من قبل أحد ضباطي».

قال سيباستيان: «لكنها بريئة، أنا المُلام».

«عليّ أن أذكرك يا سيدي، أن هنالك لوحة بقيمة مئة ألف جنيه فُقدت من المعرض حين كانت تعمل مساعدة، وتمت الآن استعادة تلك اللوحة من صندوق سيارة وضعتها أنت هنالك».

تذكر سيباستيان نصيحة أرنولد بألا يقول شيئاً. بعد عشرين دقيقة توقفت سيارة الشرطة خارج معرض أغنيو. لم تكن سيارة رئيس المجلس بعيدة، وكان كل من سيدريك وأرنولد جالسين في المقعد الخلفي.

خرج المفتش المحقق من السيارة، حاملاً لوحة رافاييل، بينما قام ضابط آخر برن الجرس. ظهر السيد أغنيو على الفور، فتح قفل الباب وحدق بشغف إلى التحفة الفنية وكأنه التقى بطفله الذي لم يره منذ وقت طويل.

حين فسر سيباستيان ما حصل، قال أغنيو: «لن يكون من الصعب إثبات ذلك بطريقة أو بأخرى». دون قول كلمة أخرى، قادهم جميعاً إلى الدور السفلي في القبو وفتح باب المخزن، حيث كان هنالك عدة لوحات ملفوفة وتنتظر التسليم.

حبس سيباستيان أنفاسه بينما قام السيد أغنيو بتفقد الرسوم بعناية حتى وصل لواحدة كتب عليها جيسيكا كليفتون.

قال روزينديل: «هل يمكنك لو سمحت أن تفتحها».

قال السيد أغنيو: «بالطبع». أزال ورق التغليف بحذر، ليكشف لوحة تصور سيباستيان.

لم يستطع سيباستيان التوقف عن الضحك. «تدعى لوحة المجرم الكبير، دون شك».

حتى المفتش المحقق أطلق ابتسامة ساخرة، ولكنه ذكر سيباستيان: «لا يجب أن ننسى أن السيد أغنيو ادعى عليك».

قال: «سأسحب الادعاء، لأنني أرى الآن أنه لم تكن هنالك نية بالسرقة بالفعل». استدار نحو سيباستيان: «أدين لك ولسام باعتذار».

«هل هذا يعني أنها ستعود إلى عملها؟»

قال أغنيو بحزم: «بالطبع لا، أتقبل أنها لم تكن مشتركة في عمل إجرامي، ولكنها لا تزال مذنبة بالإهمال الكبير أو الغباء، وكلانا نعرف أيها السيد كليفتون أنها ليست غبية».

«ولكن أنا من أخذ اللوحة الخاطئة».

«وهي من سمح لك بأخذها».

عبس سيباستيان. «سيد روزينديل، هل يمكنني أن أعود إلى محطة الشرطة معك؟ كنت سآخذ سامانثا لتناول العشاء هذه الأمسية».

«ليس هنالك سبب يمنعك من ذلك».

قال سيباستيان: «شكراً لمساعدتك، أرنولد». وصافحه. استدار لسيدريك وأردف: «أنا أعتذر لأنني تسببت لك بهذه المشاكل».

«تأكد فقط من عودتك إلى المكتب غداً الساعة السابعة صباحاً، كما تذكر، إنه يوم مهم بالنسبة إلينا جميعاً. وعليّ أن أقول يا سيب، كان يمكنك أن تختار أسبوعاً آخر أفضل لسرقة لوحة رافاييل».

ضحك الجميع عدا السيد أغنيو، الذي كان يمسك تحفته الفنية. وضعها في المخزن، قفل الباب مرتين وقادهم جميعاً إلى الطابق العلوي.

قال بينما كان روزينديل يغادر المعرض: «شكراً لك أيها المفتش المحقق».

«هذا من دواعي سروري سيدي، أنا مسرور أن المسألة قد سُوّيت هكذا».

حين صعد سيباستيان مجدداً إلى المقعد الخلفي من سيارة الشرطة، قال المفتش المحقق روزينديل: «سأخبرك لماذا كنت مقتنعاً تماماً أنك سرقت اللوحة. تحملت حبيبتك المسؤولية، ما يعني عادةً أن المشتبه بهم يحاولون حماية شخص ما».

«لست متأكداً من أنها ستبقى حبيبتي بعد ما حصل لها بسببي».

قال روزينديل: «سأطلق سراحها بأسرع وقت ممكن، علينا فقط إنهاء الأعمال الورقية المعتادة» وتنهد بينما توقفت السيارة أمام مركز شرطة سافيل رو. تبع سيباستيان الشرطيين إلى المبنى.

«خذ السيد كليفتون إلى الزنازين في الأسفل بينما أتعامل مع الأعمال الورقية».

قاد الرقيب الشاب سيباستيان نزولاً على السلالم، فتح قفل باب زنزانة ووقف جانباً ليتيح له الدخول. كانت سامانثا منحنية على طرف ملاءة رقيقة، كانت ركبتاها مثنيتين تحت ذقنها.

«سيب! هل اعتقلوك أيضاً؟».

قال: «لا» وضمها بين ذراعيه للمرة الأولى.

«لا أعتقد أنهم سيسمحون لنا أن نكون في الزنزانة ذاتها إن اعتقدوا أننا بوني وكلايد لندن».

«حين وجد السيد أغنيو لوحة جيسيكا في المخزن، تقبل أنني قمت فقط بأخذ الرزمة الخاطئة وسحب الادعاء. ولكنني أخشى أن أقول إنك فقدت عملك، وكان هذا ذنبي».

قالت سامانثا: «لا يمكنني لومه، كان عليّ أن أركز، ولا أغازل. ولكنني بدأت بالتساؤل عما قد تفعله أيضاً لتجنب أخذي لتناول العشاء». أفلتها سيباستيان، نظر في عينيها وقبّلها بحنان.

قالت بينما فُتح باب الزنزانة: «يقولون من الصعب أن تنسى الفتاة القبلة الأولى مع رجل وقعت في غرامه، وعليّ أن أعترف أنه سيكون من الصعب نسيان هذه القبلة».

قال الرقيب الشاب: «يمكنك الذهاب الآن يا آنسة».

قالت سامانثا: «هذا ليس ذنبك». قادهما الرقيب إلى الأعلى وفتح لهما باب المركز الأمامي.

خرج سيباستيان إلى الشارع وأمسك بيد سامانثا، توقفت سيارة كاديلاك زرقاء داكنة أمام المبنى.

قالت سامانثا: «تباً، لقد نسيت، سمحت لي الشرطة باتصال واحد، فاتصلت بالسفارة. أخبروني أن والديّ يحضران الأوبرا، ولكن سيتصلون بهما في الاستراحة. تباً». خرج السيد والسيدة سوليفان من السيارة.

قال السيد سوليفان بعد أن قبلها على خدها: «ما الذي يحصل، سامانثا؟ قلقنا عليك للغاية».

قالت سام: «أنا آسفة، كان الأمر برمته سوء تفاهم».

قالت أمها: «هذا مطمئن». نظرت إلى الرجل الذي كان يمسك بيد ابنتها وقالت: «من هذا؟»

«أوه، هذا سيباستيان كليفتون، إنه الرجل الذي سأتزوجه».

الفصل الثاني والثلاثون

صباح الجمعة

«كنت محقاً. سيستقل دييغو قطار ذا سليبر من كينغ كروس مساء اليوم، وينضم إلى والده ولويس في غلينليفين صباح الغد».

«كيف يمكنك أن تكون متأكداً؟».

«أخبر موظف الاستقبال زوجتي أن سيارة ستقله صباحاً وتأخذه مباشرة إلى الكوخ في وقت الفطور. يمكنني أن أقود السيارة إلى ادنبره صباح غد وأتأكد من الأمر».

«لا داعي لذلك. سيذهب سيب إلى كينغ كروس مجدداً مساء اليوم ليتأكد من استقلاله القطار. على فرض أنه لن يتم إلقاء القبض عليه بسبب سرقته للوحة رافاييل».

سأل روس: «هل سمعتك بشكل صحيح؟».

«مرة أخرى، لأنني أحاول أن أضع الخطة البديلة».

«حسناً، لا يمكنك أن تخاطر ببيع أسهمك بينما لا يزال دييغو في لندن، إن انخفض السعر فجأة، سيكتشف دون بيدرو ما تخطط له، وسيعرض أسهمه للبيع».

«إذاً أنا مهزوم، لأنه ليس هنالك جدوى من شراء أسهم مارتينيز بالسعر الكامل. سيكون مسروراً بذلك أكثر من أي شيء آخر».

«لم نهزم بعد، لديّ عدة أفكار من أجلك، إن كنت مستعداً لمخاطرة كبيرة؟»

قال سيدريك: «أنا أنصت». وحمل قلماً وفتح دفتره.

«عند الساعة الثامنة صباح الاثنين، قبل ساعة من افتتاح السوق، يمكنك أن تتصل بجميع الوسطاء التجاريين في المدينة وأن تعلمهم أنك شارٍ لأسهم بارينغتون. حين تُعرض أسهم مارتينيز المليون للبيع في السوق الساعة التاسعة، أول شخصٍ سيتصلون به هو أنت، لأن العمولة في عملية بيع بهذا الحجم هائلة».

«ولكن إن كانت الأسهم لا تزال بسعرها الأعلى، لن يستفيد من ذلك أحد سوى مارتينيز».

قال روس: «قلت لديّ عدة أفكار».

قال سيدريك: «أنا آسف».

«إن كانت البورصة في لندن تُغلق عند الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة، فهذا لا يعني أنه لا يمكننا البيع والشراء بعد هذا الوقت. سوق نيويورك تبقى مفتوحة لخمس ساعات إضافية، وسوق لوس أنجلوس لثماني ساعات. وإن لم تتخلص من أسهمك بحلول ذاك الوقت، تفتح سوق سيدني في منتصف الليل يوم الأحد. وبعد كل هذا، إن بقي معك بضعة أسهم، سيساعدك سوق هونغ كونغ على التخلص منها بسرور. لذا، بحلول الوقت الذي تفتتح فيه بورصة لندن الساعة التاسعة صباح الاثنين، أراهن على أن أسهم بارينغتون ستكون بنصف سعر إغلاقها اليوم».

قال سيدريك: «ممتاز، سوى أنني لا أعرف أي وسطاء تجاريين في نيويورك أو لوس أنجلوس أو سيدني أو هونغ كونغ».

قال روس: «أنت بحاجة لواحد فقط، إيب كوهن من كوهن أند يابلون. مثل سيناترا، يعمل ليلاً فقط. أخبره أنك تملك ثلاثمئة وثمانين ألف سهم في بارينغتون تريد التخلص منها بحلول صباح الاثنين بتوقيت لندن، وصدقني، سيبقى مستيقظاً طوال عطلة نهاية الأسبوع وهو يكسب عمولته. اعذرني، إن اكتشف مارتينيز ما تخطط له ولم يعرض أسهمه المليون للبيع صباح الاثنين،

قد تفقد ثروة، وسيحصل على نصر جديد».

قال سيدريك: «أعلم أنه سيعرضها للبيع في السوق يوم الاثنين، لأنه أخبر ستيفن ليدبوري أن السبب وراء عدم رغبته في بيعها بعد الآن هو إيمانه ‹بالمستقبل البعيد المدى› للشركة، وهذا الأمر الوحيد الذي أنا متأكد أنه لا يؤمن به».

«ولكنها ليست مخاطرة قرر أن يخاطر بها رجل من يوركشاير حذر وعادي وممل».

ليلة الجمعة

لم يكن سيباستيان متأكداً حتى من أنه سيستطيع التعرف إليه.

في النهاية، لقد مر أكثر من سبعة أعوام على المرة الأخيرة التي التقى فيها دييغو في بوينس آيرس. تذكر أنه كان أطول ببضعة إنشات على الأقل من برونو، وأنحف من لويس بالتأكيد والذي رآه مؤخراً. كان دييغو أنيقاً: بذلات ذات صفين من الأزرار من سافيل رو، وربطات عنق عريضة حريرية وشعر مسرّح بالكريم.

وصل سيب إلى محطة كينغ كروس قبل ساعة من موعد انطلاق القطار، وأخذ موقعه مجدداً تحت ظل الساعة الكبيرة ذات الجوانب الأربعة.

كان قطار ذا نايت سكوتسمان ينتظر عند المنصة صعود ركابه المسائيين. كان بعضهم قد وصل بالفعل، القليل فقط، ذاك النوع من المسافرين الذين يفضلون أن يحظوا ببعض الوقت على أن يتأخروا. كان دييغو كما اعتقد سيباستيان من النوع الذي يغادر في اللحظات الأخيرة، لم يرد أن يضيع أي وقت في الانتظار.

بينما كان ينتظر، فكّر في سام، والأسبوع الذي كان أسعد أسبوع في حياته. كم هو محظوظ؟ وجد نفسه يبتسم كلما فكر فيها. تلك الليلة ذهبا لتناول العشاء في مطعم سكوت الفاخر في منطقة ميفير، حيث لم يكن المطعم

يذكر أسعار الأطباق على اللائحة، ولكن سام دفعت الحساب للمرة الثانية. في النهاية، كان من الواضح أن السيد والسيدة سوليفان أرادا التعرف إلى الرجل الذي قالت ابنتهما أنها ستتزوجه، حتى لو كان ذلك مجرد مزاح. كان سيباستيان متوتراً في بداية الأمر. ففي النهاية، خلال أقل من أسبوع تسبب بإلقاء القبض على سامانثا وطردها من العمل. ولكن بحلول وقت تقديم البودينغ – وبهذه المناسبة، تناول بعض البودينغ بالفعل – كان سوء الفهم بأكمله، كما يُدعى الآن، على درجة أقل من السوء.

بدأ سيباستيان بالاسترخاء حين أخبرته السيدة سوليفان كم كانت تأمل زيارة بريستول لكي تتعرف إلى المدينة التي عمل فيها المحقق الرقيب ويليام وورويك. بحلول الوقت الذي وصلت فيه الأمسية لنهايتها، لم يشك في أن السيدة سوليفان كانت تعرف أعمال والده أكثر منه. بعد تمني ليلة سعيدة لوالدي سام، سارا إلى شقتها في بيمليكو، بتلك الطريقة التي يسير فيها عاشقان لا يريدان لليلة أن تنتهي.

بقي سيباستيان في ظل الساعة، والتي بدأت تدق.

أعلن صوتٌ مختنق بدا وكأنه يقدم تجربة أداء ليكون مذيع الأخبار لقناة بي بي سي: القطار في المنصة رقم ثلاثة هو الرحلة رقم اثنين وعشرين خمس وثلاثين دون توقف إلى ادنبره، الدرجة الأولى في مقدمة القطار، الدرجة الثالثة في المؤخرة، وعربة الطعام في وسط القطار». لم يشك سيباستيان في أي من الدرجات سيكون دييغو.

الفصل الثالث والثلاثون

حاول أن يُخرج سام من تفكيره؛ لم يكن الأمر بتلك السهولة. خمس دقائق، عشر دقائق، خمس عشرة دقيقة مرت، وبالرغم من أنه أصبح هنالك كثير من الركاب الذي يصلون إلى المنصة رقم ثلاثة، لم يكن هنالك أثر لدييغو. علم سيباستيان أن سيدريك في مكتبه، ينتظر الهاتف بصبر نافد أن يؤكد له صعود دييغو على متن القطار. لأنه لا يستطيع أن يعطي إيب كوهن أمر البدء إلا بعدها.

إن لم يظهر دييغو، قرر سيدريك أن اللعبة لن تستحق العناء، مع الاقتباس من شارلوك هولمز. لم يكن يستطيع المخاطرة بعرض كل أسهمه للبيع إن بقي دييغو في لندن، لأنه إن فعل ذلك، سيحصل مارتينيز على النصر.

مرت عشرون دقيقة، وبالرغم من أن المنصة كانت الآن مزدحمة بالوافدين المتأخرين، والحمالين الذين يجرون حقائب ثقيلة، إلا أنه لم يكن هنالك أي أُثر للسينيور دييغو مارتينيز.

بدأ سيباستيان يشعر باليأس حين رأى حارساً ينزل من العربة الخلفية، حاملاً علماً أخضر بيده وصفارة باليد الأخرى. نظر سيب إلى الأعلى إلى عقرب الدقائق الأسود العريض على الساعة الذي كان يتقدم إلى الأمام كل ستين ثانية.

10:22. هل سيضيع كل الجهد الذي بذله سيدريك سدى؟ لقد أخبره ذات مرة أنه حين تبدأ مشروعاً ما، عليك أن تكون مستعداً لكي تقبل أن احتمال نجاحه يعتمد على سير الأمور. هل سيكون احتمال نجاح هذا ضئيلاً؟ انتقل تفكيره إلى روس بيوكانان؛ هل كان ينتظر في كوخ غلينليفين شخصاً

لن يأتي؟ ثم فكر بوالدته، التي ستكون أكبر الخاسرين.

ثم ظهر رجل على المنصة لفت نظره. كان يحمل حقيبة، ولكن لم يكن سيباستيان متأكداً من أنه دييغو، لأن قبعته البنية الأنيقة وياقة معطفه الأسود الطويل المخملية المرفوعة غطتا وجهه. سار الرجل مباشرة متجاوزاً الدرجة الثالثة نحو مقدمة القطار، الأمر الذي منح سيباستيان مزيداً من الأمل.

كان هنالك حمال يسير على المنصة نحوه، وأغلق أبواب الدرجة الأولى واحداً تلو الآخر. حين رأى الرجل المقترب، توقف وفتح له الباب. خرج سيباستيان من ظل الساعة وحاول أن يحصل على رؤية أفضل للرجل. كان الرجل الذي يحمل الحقيبة على وشك صعود القطار حين استدار ونظر إلى الساعة. تردد. تجمد سيباستيان، ثم صعد الرجل على متن القطار. أغلق الحمال الباب.

كان دييغو من بين آخر الركاب الذين صعدوا القطار، ولم يتحرك سيباستيان حين رأى قطار ذا نايت سكوتسمان يشق طريقه إلى خارج المحطة، متسارعاً وهو ينطلق في طريق رحلته الطويلة إلى ادنبره.

اقشعر بدنه حين اختبر لحظة إدراك.

بالطبع لم يره دييغو من تلك المسافة، وأياً يكن الأمر، كان سيباستيان يبحث عنه، وليس بالعكس. سار ببطء إلى الهواتف العمومية في الجهة الأخرى من المحطة، وحضر القروش. طلب رقماً يوصله مباشرة بمكتب رئيس المجلس. بعد الرنة الأولى، سمع صوتاً أجش على الخط.

«كاد يفوت القطار، ظهر في اللحظة الأخيرة. ولكنه الآن في طريقه إلى ادنبره».

سمع سيباستيان تنهيدة محبوسة.

قال سيدريك: «أتمنى لك عطلة نهاية أسبوع جميلة يا فتاي. ولكن كنْ في المكتب الساعة الثامنة صباح يوم الاثنين، لأنني أملك مهمة خاصة لك.

وحاول أن تبتعد عن أية معارض فنية خلال عطلة نهاية الأسبوع».

ضحك سيباستيان، أغلق السماعة، وعاد يفكر في سام.

في اللحظة، التي أغلق فيها السماعة، طلب سيدريك الرقم الذي أعطاه إياه روس بيوكانان. قال صوت على الطرف الآخر من الخط: «كوهن».

«لنبدأ عملية البيع. ما هو سعر الإغلاق في لندن؟»

قال كوهن: «مئتان وثمانية شيلنغات، ارتفع شيلنغ اليوم».

«جيد، سأضع كل الأسهم التي يبلغ عددها ثلاثمئة وثمانين ألف سهم في السوق، وأريد منك أن تبيعها بأفضل سعر ممكن، وتذكر أن عليّ التخلص منها بحلول وقت افتتاح سوق البورصة في لندن يوم الاثنين».

«مفهوم، سيد هاردكاسل. متى ترغب مني أن أنقل لك الأحداث خلال عطلة نهاية الأسبوع؟»

«الساعة الثامنة من صباح السبت وفي الوقت ذاته صباح الاثنين».

قال كوهن: «من حظك أنني لست يهودياً متشدداً».

الفصل الرابع والثلاثون

السبت

كانت ليلة التجارب الأولى.

أخذ سيباستيان سام إلى مطعم صيني في سوهو، ودفع الفاتورة. بعد العشاء سارا إلى ساحة ليستر وانضما إلى طابور لحضور السينما.

أحبت سامانثا الفيلم الذي اختاره سيباستيان، حين غادرا الأوديون، اعترفت أنها لم تسمع بإيان فليمنغ قبل أن تأتي إلى لندن، أو شون كونري أو حتى جيمس بوند.

سخر منها سيباستيان: «أين كنت طوال حياتك؟».

«في أمريكا، مع كاثرين هيبورن وجيمس ستيوارت وممثل شاب يغزو هوليوود، اسمه ستيفن ماكوين».

قال سيباستيان قبل أن يمسك يدها: «لم أسمع به من قبل، هل من شيء مشترك بيننا؟»

قالت برقة: «جيسيكا».

ابتسم سيباستيان بينما سارا إلى شقتها في بيمليكو متشابكي الأيدي، يثرثران.

«هل سمعت بفرقة بيتلز؟».

«نعم، بالطبع. جون وبول وجورج ورينغو».

«ذا غونز؟»

«لا».

«إذن لم تسمعي بلو بوتل أو موريارتي؟»

«ظننت أن موريارتي كان عدو شارلوك هولمز؟».

«كلا».

سألت: «هل سمعت من قبل بليتل ريتشارد؟».

«لا، ولكن سمعت بكليف ريتشارد».

بين الحين والآخر كانا يقفان لتبادل القُبل، ثم حين وصلا في النهاية إلى خارج شقة سام، أخرجت مفتاحها وقبلته مجدداً، قبلة ما قبل النوم.

كان سيباستيان يرغب لو تمت دعوته لاحتساء القهوة، ولكن كل ما قالته كان: «أراك غداً». للمرة الأولى في حياته، لم يكن سيب مستعجلاً.

* * *

كان كل من دون بيدرو ولويس يصطادان الإوز البري حين وصل دييغو إلى كوخ غلينليفين. لم يلحظ رجلاً مسناً يرتدي الزي التقليدي جالساً على كرسيٍّ جلدي يقرأ ذا سكوتسمان ويبدو وكأنه جزء من الأثاث.

بعد ساعة، أخرج دييغو أمتعته واستحم وبدّل ملابسه، نزل مجدداً إلى الدور السفلي مرتدياً سروالاً وحذاءً جلدياً بني اللون وقبعة، محاولاً بشكلٍ جلي أن يبدو إنكليزياً أكثر من الإنكليز أنفسهم. كان هنالك سيارة لاند روفر تنتظره لتأخذه إلى أعلى الهضاب لكي ينضم إلى والده وشقيقه في الصيد. بعد أن غادر الكوخ، بقي روس جالساً في الكرسي الجلدي. لو كان دييغو دقيق الملاحظة أكثر، للاحظ أنه طوال الوقت كان يقرأ الصفحة ذاتها من الجريدة ذاتها.

كان السؤال الأول الذي طرحه دون بيدرو على ابنه وهو يترجل من السيارة: «كم كان سعر سهم بارينغتون حين أغلقت البورصة؟»

«مئتان وثمانون شيلنغ».

«ارتفع شيلنغ. حسناً، كان يمكنك القدوم البارحة».

كل ما قاله دييغو وهو يأخذ مسدساً من مساعده: «لا ترتفع الأسهم عادةً يوم الجمعة».

* * *

أمضت إيما معظم صباح السبت وهي تكتب المسودة الأولى لخطاب كانت تأمل أن تلقيه في الاجتماع السنوي العام بعد تسعة أيام. كان عليها أن تترك عدة مسافات فارغة لا يمكنها أن تملأها سوى في وقت لاحق من الأسبوع، وفي مكان أو مكانين قبل ساعات فقط من بدء الاجتماع.

كانت ممتنة لكل ما قام به سيدريك، ولكنها لم تستمتع بكونها غير قادرة على لعب دور أكثر أهمية في الدراما التي كانت تحصل في لندن وإسكتلندا.

في ذلك الصباح، كان هاري يخطط في الخارج، وهو يتنزه في العقار بحيث يمكنه بحلول صباح الاثنين أن يحمل قلمه مجدداً ويخطط لكيفية حل ويليام ووريك للجريمة. مساء ذلك اليوم تناول هاري وإيما العشاء في مانور هاوس، وخلدا إلى الفراش بعد مشاهدة دكتور فينليز كيسبوك بقليل. كانت إيما تتدرب على خطابها حين غلبها النوم في النهاية.

عقد جايلز جلسته الأسبوعية صباح السبت، واستمع لشكاوى ثمانية عشر من ناخبيه، والتي تضمنت مسائل تتفاوت بين فشل المستشار في إفراغ صندوق قمامة، إلى السؤال كيف لمتخرج من جامعة إيتون قديم أنيق مثل السير أليك دوغلاس هوم أن يفهم مشاكل الرجل العامل.

بعد أن غادر الناخب الأخير، قام وكيل جايلز بأخذه إلى نوفا سكوتيا، حانة هذا الأسبوع، ليتشاركا كوباً من الجعة وبعدها إلى كورنيش بيستي، لكي يراهما المصوتون. شعر عشرون ناخباً آخر على الأقل أن من مسؤوليتهم أن يدلوا بآرائهم للعضو المحلي حول مجموعة من القضايا المختلفة، قبل أن يتمكن هو وجريف من المغادرة إلى أشتون غيت ليشاهدا مباراة ودية بين بريستول سيتي وبريستول روفرز، والتي انتهت بتعادل سلبي، ولم تكن ودية تماماً.

شاهد أكثر من ستة آلاف مشجع المباراة، حين أطلق الحكم صافرة النهاية، كان أولئك الذين يغادرون الملعب متأكدين من الفريق الذي شجعه السيد جايلز، لأنه كان يرتدي وشاحه المخطط باللونين الأحمر والأبيض ليراه الجميع، ولكن في النهاية، كان جريف يذكره بشكلٍ دوري أن 90 بالمئة من ناخبيه كانوا يشجعون بريستول سيتي

بينما كانا يغادران الملعب، تهافتت عليه المزيد من الناخبين ليدلوا بآرائهم، التي لم تكن ودية دائماً، قبل أن يقول جريف: «أراك لاحقاً».

قاد جايلز عائداً إلى بارينغتون هول وانضم إلى غوينيث لتناول العشاء، والتي كانت الآن تعاني من غثيان الحمل.

لم يتحدث أي منهما عن السياسة. لم يرد جايلز أن يتركها، ولكن بعد التاسعة بقليل، سمع سيارة في الخارج. قبّلها، وذهب إلى الباب الأمامي ليجد وكيله واقفاً على عتبة الباب.

أوصله جريف إلى نادي الموانئ، حيث لعب عدة جولات من البلياردو وجولة من السهام خسرها. جارى الشبان بعدة جولات من المشروب، ولكن بما أن موعد الانتخابات العامة التالية لم يُعلن بعد، لم يكن مستعداً لكي يُتهم بالرشوة.

حين أوصل جريف جايلز مجدداً إلى بارينغتون هول تلك الليلة، ذكره أن لديه ثلاثة قداديس في الكنيسة عليه حضورها في الصباح التالي، حيث سيجلس بين الناخبين الذين لم يحضروا العملية الصباحية، أو يتابعوا المباراة المحلية أو يذهبوا إلى نادي الموانئ. خلد إلى الفراش قبل منتصف الليل بقليل ليجد غوينيث نائمة.

قضت جريس يوم السبت تقرأ المقالات المكتوبة من قبل الطلاب، حيث كان بعضهم قد أدرك أخيراً أنهم سيواجهون الفاحصين خلال أقل من عام. إحدى أكثر طالباتها تميزاً، إيميلي غالير، والتي بذلت قصارى جهدها في

أبحاثها، كانت الآن مذعورة.

كانت تأمل أن تنهي المنهاج الذي كانت مدته ثلاث سنوات في ثلاثة فصول. لم تكن جريس متعاطفة معها. انتقلت إلى مقالة كتبتها إليزابيث روتليدج، فتاة ذكية أخرى، لم تتوقف عن العمل منذ اليوم الأول الذي وصلت فيه إلى كامبردج. كانت إليزابيث مذعورة أيضاً، لأنها كانت قلقة من أنها لن تحصل على درجة الشرف من الفئة الأولى والتي توقعها الجميع. تعاطفت جريس معها كثيراً. في النهاية، ارتكبت الأخطاء نفسها خلال عامها الأخير.

خلدت جريس إلى النوم بعد الواحدة بقليل، بعد أن صححت مقالتها الأخيرة. وما لبثت أن غطت بالنوم.

* * *

كان سيدريك في مكتبه منذ أكثر من ساعة حين رن الهاتف. رفع السماعة، ولم يتفاجأ عندما سمع صوت إيب كوهن، بدأت كل الساعات حول المدينة بالرنين ثمان مرات.

«تمكنت من بيع 186 ألف سهم في نيويورك ولوس أنجلوس، وانخفض السعر من جنيهين وثمانية شيلنغات إلى جنيه وثمانية عشر شيلنغاً».

«بداية موفقة، سيد كوهن».

«انتهينا من بورصتين وبقي اثنتين سيد هاردكاسل. سأتصل بك قرابة الساعة الثامنة صباح الاثنين لأعلمك كم اشترى الأستراليون».

غادر سيدريك مكتبه بعد منتصف الليل بقليل، حين وصل منزله، لم يجرِ حتى اتصاله الليلي ببريل لأنها ستكون نائمة. تقبلت منذ زمن بعيد أن عشيقة زوجها الوحيدة هي بنك فارثينغز.

استلقى في سريره مستيقظاً، وأخذ يتقلب مفكراً بالساعات الست وثلاثين القادمة، وأدرك لماذا لم يخاطر من قبل طوال الأعوام الأربعين الماضية.

* * *

بعد الغداء، ذهب كل من روس وجان بيوكانان في نزهة طويلة في الهضاب.

عادا حوالي الساعة الخامسة، وعاد روس إلى مهمة الحراسة. كان الفرق الوحيد هو أنه هذه المرة كان يقرأ نسخة قديمة من كاونتري لايف. لم يتحرك من مكانه حتى رأى دون بيدرو وابنيه يعودون. بدا الدون ولويس مسرورين بخلاف دييغو.

تناول روس وجان العشاء في صالة الطعام، قبل أن يصعدا السلالم إلى غرفتهما حوالي الساعة 9:40 مساءً. حيث قرأا لمدة نصف ساعة كعادتهما: قرأت هي جورجيت هير، وقرأ هو أليستر ماكلين. حين أطفأ المصباح وقال كالعادة: «تصبحين على خير عزيزتي». غط روس في نوم عميق.

في النهاية، لم يكن لديه ما يفعله سوى التأكد من عدم مغادرة عائلة مارتينيز إلى لندن قبل صباح الاثنين.

—

حين جلس دون بيدرو مع ولديه لتناول العشاء في جناحهم تلك الأمسية، بدا دييغو صامتاً.

سأله والده: «هل أنت عابس لأنني اصطدت أكثر منك؟».

قال: «هنالك خطب ما، ولكنني لا أعرف ما هو».

«حسناً، لنأمل أن تعرفه بحلول الصباح، لكي نستمتع جميعاً بصيدٍ موفق». حين انتهى العشاء بعد الساعة التاسعة والنصف، تركهما دييغو، وعاد إلى غرفته. استلقى في سريره، وحاول أن يتذكر وصوله إلى محطة كينغ كروس، وأخذ يسترجع صورة تلو الأخرى، وكأن الأمر عبارة عن فيلم بالأسود والأبيض. ولكنه لم يلبث أن نام على الفور من شدة التعب.

استيقظ عند الساعة 6:25 صباحاً، مع صورة وحيدة في ذهنه.

الفصل الخامس والثلاثون

مساء الأحد

حين عاد روس من نزهته مع جان ظهر الأحد، تاق للاستمتاع بحمام ساخن، واحتساء كوب من الشاي مع البسكويت، قبل البدء بمهمة المراقبة.

بينما كانا يعبران المدخل المؤدي إلى غلينليفين، لم يتفاجأ برؤية سائق الكوخ وهو يضع حقيبة في صندوق سيارة. في النهاية، لا بد أن عدداً من الضيوف سيسجلون خروجهم بعد الانتهاء من عطلة نهاية الأسبوع التي قضوها بالصيد. كان روس مهتماً فقط بحال ضيفٍ معين، وبما أنه لن يغادر حتى يوم الثلاثاء، لم يكن حتى قلقاً إزاء ذلك.

كانا يصعدان السلالم إلى الطابق الأول حين مر دييغو مارتينيز بالقرب منهما وهو ينزل السلالم كل درجتين معاً وكأنه متأخر على اجتماع.

قال روس: «آه لقد تركت صحيفتي على الطاولة، اصعدي، جان، وسأوافيك بعد قليل».

استدار روس ونزل الدرج، وحاول ألا ينظر إلى دييغو وهو يتحدث مع موظفة الاستقبال. كان متجهاً ببطء نحو غرفة الشاي، حين خرج دييغو من الكوخ، وصعد في المقعد الخلفي للسيارة المنتظرة. غيّر روس اتجاهه وسرعته، واستدار نحو الباب الأمامي، ووصل في الوقت المناسب ليرى السيارة تختفي. هرع عائداً إلى الداخل، وذهب مباشرة إلى مكتب الاستقبال. ابتسمت له الشابة بلطف.

«طاب يومك سيد بيوكانان، كيف يمكنني مساعدتك؟» لم يكن هذا وقت الثرثرة. «لقد رأيت للتو السيد دييغو مارتينيز مغادراً. أردت دعوته لتناول

العشاء معي ومع زوجتي. هل تتوقعين عودته؟».

«لا سيدي، سيقله بروس إلى أدنبره ليستقل القطار الليلي إلى لندن. ولكن دون بيدرو والسيد لويس مارتينيز سيبقيان معنا حتى الخميس، إن أردت تناول العشاء معهما...»

«عليّ أن أجري مكالمة طارئة».

«يؤسفني القول إن الخط معطل، سيد بيوكانان، وكما قلت للسيد مارتينيز، لن يتم إصلاحه على الأغلب قبل الغد – «

استدار روس اللبق عادة، واندفع نحو الباب الأمامي دون أن ينبس ببنت شفة. خرج من الكوخ، واستقل سيارته، وانطلق في رحلة فجائية. لم يحاول اللحاق بدييغو، لأنه لم يرد أن يدرك أنه ملاحق.

كان يفكر بالسرعة القصوى. أولاً، فكّر بالمشاكل العملية. هل يتوجب عليه أن يتوقف ويتصل بسيدريك ليعلمه بما حصل؟ قرر ألا يفعل؛ في النهاية، كانت أولويته التأكد من اللحاق بالقطار إلى لندن. إن كان لديه وقت عندما يصل محطة ويفرلي، حينها سيتصل بسيدريك ليحذره أن دييغو عائد إلى لندن أبكر بيوم.

ثم فكّر أن يستغل سلطته بصفته في مجلس شركة السكك الحديدية البريطانية، ويرغم مكتب الحجز على عدم إعطاء دييغو تذكرة. ولكن ذلك لن يؤتي أكله، لأنه سيحجز في فندق في ادنبره ويتصل بسمساره قبل أن تفتتح البورصة في الصباح، حين يكتشف أن سعر سهم بارينغتون قد انهار خلال عطلة نهاية الأسبوع، سيملك ما يكفي من الوقت لإلغاء أي مخططات بعرض أسهم والده للبيع في السوق. أخيراً قر قراره على تركه يستقل القطار ويكتشف بعدها ما الخطوة التالية، مع أنه لم يملك أدنى فكرة عما قد تكون تلك الخطوة.

حين أصبح على الطريق الرئيسي إلى أدنبره، حافظ روس على سرعة

بلغت 60. لن يكون هنالك مشكلة في حصوله على مقصورة نوم على متن القطار، فدائماً ما تترك واحدة لمدراء الخطوط البريطانية. أمل ألا يكون أي من زملائه في المجلس مسافراً إلى لندن تلك الليلة.

لعن حظه حين سلك الطريق الطويل حول جسر فيرث أوف فورث، والذي كان مغلقاً حتى أسبوع آخر. حين وصل إلى أطراف المدينة، لم يكن قد توصل إلى حل لمشكلة وجوده على القطار نفسه مع دييغو. تمنى لو كان هاري كليفتون جالساً بالقرب منه. لكان قد ألّف عشرة سيناريوهات. ولكن لو كانت هذه رواية، لكان سيقتل دييغو ببساطة.

قوطعت مخيلته بفظاظة حين شعر بالمحرك يرتج. نظر إلى عداد الوقود ليرى الضوء الأحمر يومض. لعن حظه، ضرب المقود، وبدأ بالبحث عن محطة وقود. بعد حوالي ميل، تحول الارتجاج إلى غمغمة، وبدأت السيارة تتباطأ، قبل أن تتوقف عند قارعة الطريق. تفقد روس ساعته. لن ينطلق قطار لندن قبل أربعين دقيقة. ترجل من سيارته، وأخذ يجري قبل أن يتوقف ليلتقط أنفاسه بالقرب من لوحة طرقية تقول مركز المدينة 3 أميال. لقد ولت الأيام التي كان يركض فيها 3 أميال بأقل من أربعين دقيقة.

وقف عند ناصية الطريق، محاولاً إيقاف سيارة. لا بد أنه بدا غريب الأطوار، مرتدياً سترته الخضراء التويد وتنورة عائلة بيوكانان وجوارب خضراء طويلة، لم يقم بشيء من هذا القبيل منذ كان في جامعة سانت أندروز، حتى أنه في تلك الأيام لم يكن يجيد ذلك.

غيّر مخططه، وهمّ بالبحث عن سيارة أجرة. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يكتشف أن ذلك ما كان ليجدي نفعاً في ذلك الجزء من المدينة. ثم وجد منقذه؛ باص أحمر يتجه نحوه، مع لوحة تقول مركز المدينة في مقدمته. حين مر بالقرب منه، استدار روس وركض نحو محطة الباص كما لم يسبق له أن ركض، متأملاً، ومصلياً أن يشفق عليه السائق وينتظره. تمت استجابة صلواته،

صعد على متن الباص وانهار على المقعد الأمامي.

سأل السائق: «أية محطة؟»

قال روس: «محطة ويفرلي».

«ستة بنسات».

أخرج روس محفظته ونقده ورقة عشرة شيلنغات.

«لا أملك فكة لذلك».

بحث روس في جيوبه عن أية فكة، ولكنه تركها كلها في غرفته في كوخ غلينليفين. لم يكن ذلك الأمر الوحيد الذي تركه هنالك.

قال: «الباقي لك».

وضع السائق المذهول الورقة في جيبه، قبل أن يغيّر الراكب غريب الأطوار رأيه. متذكراً أن عيد الميلاد لا يأتي عادة في أغسطس.

كان الباص قد قطع بضعة ياردات فقط حين رأى روس محطة وقود، ماكفيرسونز، التي تستقبل السيارات للتزود بالوقود على مدار الساعة. لعن حظه مجدداً. لعن حظه مرة أخرى حين تذكر أن الباصات تتوقف في محطات ولا تأخذك مباشرة إلى وجهتك. نظر إلى ساعته كلما توقف الباص في محطة وعند كل إشارة حمراء، كان لديه ثماني دقائق للحاق بالقطار، وهي غير كافية للاتصال بسيدريك. حين ترجل من الباص، وقف السائق ليحييه وكأنه كان جنرالاً.

توجه روس بسرعة نحو قطار سافر على متنه مرات عديدة في السابق. في الواقع، لقد ذهب في هذه الرحلة بشكلٍ دوري لدرجة أصبح الآن يتناول العشاء ويستمتع بمشروب فاخر ثم ينام هانئاً خلال الرحلة الصاخبة ذات الثلاثمئة وثلاثين ميلاً. ولكن راوده شعورٌ بأنه لن ينام الليلة.

تلقى تحيه أخرى، أقوى حتى من سابقتها حين وصل إلى الحاجز. كان قاطعو تذاكر ويفرلي يفتخرون بأنهم يتعرفون إلى كل واحد من مدراء الشركة بثلاثين ثانية.

قال قاطع التذاكر: «مساء الخير سيد بيوكانان، لم أعلم أنك ستسافر معنا الليلة».

أراد القول إنه لم يخطط لذلك، ولكنه ببساطة حيّا الرجل، وسار إلى الجهة الأخرى من المنصة، وصعد إلى القطار، قبل انطلاقه بدقائق قليلة.

حين سار في الرواق نحو حجرة المديرين، رأى الرئيس ستيوارد قادماً نحوه. «مساء الخير أنغوس».

«مساء الخير سيد بيوكانان. لم أر اسمك على لائحة ركاب الدرجة الأولى».

قال روس: «قررت السفر فجأة».

«أخشى أن مقصورة المديرين – «انقبض قلب روس» – ليست جاهزة، ولكن إن رغبت بتناول مشروب في عربة الطعام، سنعدها على الفور».

«شكراً لك أنغوس، هذا ما سيحصل».

أول من وقعت عينا روس عليه وهو يدخل عربة الطعام شابة جميلة جالسة على البار. بدت مألوفة كثيراً. طلب ويسكي مع صودا، وجلس بالقرب منها. فكّر بجان، وشعر بالذنب لأنه تركها. لم يملك الآن طريقة لإخبارها أين كان حتى صباح الغد. ثم تذكر أمراً آخر، ولكن أسوأ ما تذكره أنه لم يسجل ملاحظة بالشارع الذي ترك فيه سيارته.

قالت الشابة: «مساء الخير سيد بيوكانان» تفاجأ روس. نظر إليها مرة ثانية، ولكنه لم يعرفها. قالت: «اسمي كيتي» ومدت يدها التي يغطيها قفاز «أراك بشكل معتاد على هذا القطار، ولكن في النهاية أنت أحد مديري سكك الحديد البريطانية».

ابتسم روس واحتسى من كأسه. «حسناً، ما الذي يحملك إلى استعمال القطار من وإلى لندن بهذه الكثافة؟»

قالت كيتي: «أعمل بالأعمال الحرة».

سألها روس بينما ظهر المضيف بجانبه: «ما نوع العمل الذي تقومين به؟»

«مقصورتك جاهزة سيدي أرجو منك اللحاق بي».

مكتبة
t.me/t_pdf

أكمل روس مشروبه: «فرصة سعيدة كيتي».

«فرصة سعيدة سيد بيوكانان».

قال روس: «يا لها من شابة ساحرة يا أنغوس» وتبع المضيف إلى مقصورته. «كانت على وشك إخباري لِمَ تسافر كثيراً على متن هذا القطار».

«لو كنت أعلم لأخبرتك».

«أنا متأكد أنك تعلم يا أنغوس، لأنه ما من أمر لا تعلم به على هذا القطار».

«حسناً، لنقل فقط أنها محبوبة جداً من قبل بعض المسافرين المعتادين لدينا».

«هل أنت تقترح...؟».

«نعم سيدي، إنها تسافر مرتين أو ثلاثة خلال الأسبوع. كتومة للغاية و...».

«أنغوس! إننا ندير قطار ذا نايت سكوتسمان وليس ملهى ليلياً».

«علينا جميعاً أن نكسب قوتنا سيدي. وإن كانت الأمور تسير بشكل جيد بالنسبة إلى كيتي يستفيد الجميع».

انفجر روس بالضحك. «هل يعلم غيري من المديرين بشأن كيتي؟».

«واحد أو اثنان. إنها تقدم لهم حسومات خاصة».

«تأدب أنغوس».

«آسف سيدي».

«الآن لنعد إلى عملك النهاري. أريد أن أرى كشفاً بأسماء ركاب الدرجة الأولى. قد يكون هنالك على القطار من أرغب بتناول العشاء معه».

«بالطبع سيدي». أخرج أنغوس ورقة من دفتره وأعطاها لبيوكانان. «أبقيت

طاولتك المعتادة محجوزة للعشاء».

مـرر روس أصابعـه علـى اللائحـة، ليكتشـف أن السـيد مارتينيز كان في الكابينة رقم أربعة. «أريد أن أتكلم مع كيتي». وأعاد اللائحة لأنغوس. «ودون أن يعلم أحد».

قال أنغوس: «السرية أهم ما عندي» وابتسم.

«الأمر ليس كما تعتقد».

«كالعادة سيدي».

«أريد أن تخصص طاولتي في عربة العشـاء للسـيد مارتينيز، الذي يقيم في الكابينة رقم أربعة».

قال أنغوس المرتبك: «نعم سيدي».

«سأحتفظ بسرك أنغوس، إن احتفظت بسري».

«سأفعل يا سيدي لو علمت ما هو».

«ستكون على علم في الوقت الذي سنصل فيه إلى لندن».

«سأذهب لأجلب كيتي سيدي».

حاول روس أن يسـتجمع أفكاره بينما كان ينتظر كيتي. ما كان في ذهنه لم يكن أكثر من خطة للمماطلة، ولكن قد يمنحه ذلك ما يحتاجه من الوقت ليفكر بشيء أكثر فعالية. انفتح باب مقصورته، ودخلت كيتي.

«كم من الرائع رؤيتك مجدداً سيد بيوكانان». جلست في المقعد قبالته، ووضعت رجلاً على رجل كاشفة عن القسم العلوي من جواربها. «هل يمكنني أن أساعدك؟».

قال روس: «آمل ذلك، كم تتقاضين؟».

«يعتمد ذلك على ما تريد».

أخبرها روس تماما بما يريد.

«سيكلف ذلك خمسة جنيهات سيدي».

أخرج روس محفظته، ونقدها ورقة من فئة خمسة جنيهات.

وعدته كيتي: «سأقوم بما في وسعي» ورفعت تنورتها ووضعت المال في جوربها، قبل أن تختفي بسرية كما أتت.

ضغط روس الزر الأحمر بالقرب من الباب وظهر المضيف بعد دقائق.

«هل حجزت طاولتي للسيد مارتينيز؟»

«نعم، ووجدت لك مكاناً في الطرف الآخر من عربة الطعام».

«شكراً لك أنغوس. الآن يجب أن تجلس كيتي قبالة السيد مارتينيز، وكل ما تأكله أو تشربه على حسابي».

«جيد جداً سيدي، وماذا عن مارتينيز؟»

«سيدفع ثمن وجبته، ولكن ستُقدم له أجود أنواع النبيذ والمشروبات، ويجب أن يفهم أنها على حساب الشركة».

«هل ستدفع ثمنها أيضاً سيدي؟».

«نعم، ولكن يجب ألا يعلم بذلك، لأنني آمل أن السيد مارتينيز سينام نوماً هانئاً الليلة».

«أعتقد أنني بدأت أفهم سيدي».

بعد أن غادر المضيف، تساءل روس إن كانت كيتي قادرة على النجاح. إن تمكنت من جعل مارتينيز يثمل ليبقى في مقصورته حتى التاسعة من صباح اليوم التالي، ستكون مهمتها انتهت، وسيكون روس مسروراً لإعطائها خمسة أخرى. أحب فكرة أن تقيده على الزوايا الأربع على السرير وتعلق لائحة عدم الإزعاج على الباب.

لن يشك أحد بالأمر، لأنه ليس عليك مغادرة القطار قبل التاسعة والنصف، والعديد من الركاب يحبون النوم لوقت متأخر قبل الاستمتاع بوجبة فطور متأخر.

غادر روس مقصورته بعد الثامنة بقليل، شق طريقه إلى غرفة الطعام وسار

بجانب كيتي، التي كانت تجلس مقابل دييغو مارتينيز. حين مر بالقرب منهما سمع الساقي يتلو عليهما لائحة النبيذ.

أجلس أنغوس روس في الطرف الآخر من العربة، مديراً ظهره لمارتينيز، بعد أن أنهى قهوته، رافضاً كأس البراندي المعتاد، وقّع الفاتورة وعاد إلى مقصورته. مر بالقرب مما يفترض أنها طاولته، كان مسروراً لرؤيتها فارغة. شعر بالرضى عن ذاته، كاد أن يقفز عائداً إلى عربته.

تبخر شعور النصر في اللحظة التي فتح فيها باب مقصورته ووجد كيتي جالسة فيها.

«ما الذي تفعلينه هنا؟ ظننت...».

قالت: «لم أثر اهتمامه يا سيد بيوكانان، ولا تظن أنني لم أحاول كل شيء. في البداية، هو لا يشرب الكحول لأنه متدين. وقبل الوجبة الرئيسية بكثير، اتضح أن النساء لا تثرن اهتمامه. أنا متأسفة سيدي، شكراً لك على العشاء».

قال وهو يغرق في الكرسي أمامها: «شكراً لك كيتي، أنا ممتن للغاية».

رفعت كيتي تنورتها، أخرجت ورقة الخمسة جنيهات من جوربها وأعادتها له.

قال بحزم: «بالتأكيد لا، إنك تستحقينها».

قالت: «يمكنني دوماً أن...» ووضعت يدها تحت تنورته، وحركت أصابعها ببطء على فخذه.

قال: «لا، شكراً لك كيتي» ورفع عينيه إلى الأعلى ساخراً. خطرت له لحظتها الفكرة الثانية. أعطى ورقة الخمسة جنيهات مجدداً لكيتي.

«أنت لست من محبي الأمور الغريبة سيد بيوكانان، أليس كذلك؟».

«عليّ أن أعترف يا كيتي أن ما سأقترحه غريب للغاية».

أصغت بانتباه إلى ماهية الخدمة التي ستقدمها.

«في أي ساعة تريد مني القيام بذلك؟».

«حوالي الساعة الثالثة، الثالثة والنصف».

«أين؟».

«المرحاض».

«كم مرة؟».

«أعتقد أن مرة واحدة ستكون كافية».

«ولن أقع في مشكلة؟ أليس كذلك سيد بيوكانان؟ لأن هذا عملي المستقر، ومعظم الرجال النبلاء في الدرجة الأولى ليسوا متطلبين كثيراً».

«أعدك بذلك كيتي. لمرة واحدة فقط، ولن يعلم أحد أنك كنت مشتركة بالأمر».

«أنت رجل لبق سيد بيوكانان». قبّلته على خده قبل خروجها من المقصورة.

لم يكن روس متأكداً مما كان سيحصل لو بقيت لدقيقة أو دقيقتين أخريين. ضغط زر المضيف وانتظر أنغوس ليظهر.

«هل حصلت على ما تريد سيدي؟».

«لست متأكداً بعد».

«هل تحتاج شيئاً آخر سيدي؟».

«نعم أنغوس، أحتاج نسخة من أنظمة وقوانين السكة الحديدية».

قال أنغوس وهو يبدو مدهوشاً: «سأرى إن كنت أستطيع جلب واحدة سيدي».

حين عاد بعد عشرين دقيقة، كان يحمل مجلداً كبيراً يبدو وكأن صفحاته لم تُقلب من قبل. جلس روس ليقرأ قليلاً قبل موعد النوم. تفحص الفهرس أولاً، حيث حدد الأقسام الثلاثة التي احتاج أن يقرأها بحذر كبير، وكأنه عاد إلى جامعة سان أندروز ويدرس لامتحان. بحلول الساعة الثالثة كان قد قرأ وعلّم كل المقاطع الضرورية. أمضى الدقائق الثلاثين التالية وهو يحفظها

عن ظهر قلب.

الساعة 3:30، أغلق المجلد الكبير، وجلس وانتظر. لم يخطر بباله أبداً أن كيتي قد تخذله. الساعة 3:30 و3:35 و 3:40. ثم حدث اهتزاز كبير كاد يوقعه عن مقعده. تبع ذلك صوت صرير عالٍ للعجلات بسبب تباطؤ القطار، ليتوقف في النهاية. خرج روس إلى الرواق. ليرى المضيف الرئيس يركض نحوه.

«هل هنالك مشكلة يا أنغوس؟».

«عاهرٌ ما، اعذر انتقائي للكلمات، قام بسحب سلك الاتصالات».

«أخبرني بالمستجدات».

«نعم، سيدي».

تفقد روس ساعته كل بضع دقائق، متمنياً مرور الزمن بسرعة. كان هنالك عدة ركاب يتجولون في الرواق، محاولين أن يكتشفوا ما كان يحصل، ولكن مرت أربع عشرة دقيقة أخرى قبل عودة المضيف الرئيس.

«سيد بيوكانان، قام أحد ما بسحب سلك الاتصالات في المرحاض. لا شك في أنه خلط بينه وبين السلسلة. ولكن لم يحصل أي شيء خطير، سيدي، طالما أننا سنعود للتقدم بعد عشرين دقيقة».

سأل روس ببراءة: «لماذا عشرين دقيقة؟».

«إن بقينا لفترة أطول، سيتقدم علينا قطار نيوكاسل فلاير، ثم سنكون في وضع حرج».

«لماذا؟».

«لأننا سنكون خلفه وسنتأخر لأنه سيتوقف في ثماني محطات قبل أن يصل إلى لندن. حصل ذلك قبل بضع سنوات حين سحب أحمق ما السلك، وبحلول وقت وصولنا إلى لندن كنا متأخرين ساعة عن الموعد».

«ساعة فقط؟».

«نعم، لم نصل إلى لندن إلا بعد الثامنة وأربعين دقيقة بقليل. لا نريد لذلك أن يحصل، أليس كذلك سيدي؟» لذا من بعد إذنك، سأعمل على تحركنا مجدداً».

«لحظة فقط أنغوس، هل علمت من قام بسحب السلك؟».

«لا سيدي، لا بد أنه هرب في اللحظة التي أدرك فيها خطأه».

«أنا أعتذر لقولي يا أنغوس أن المادة 43 ب من أنظمة السكة الحديدية توجب عليك معرفة الفاعل، وسبب قيامه بفعلته قبل أن يتابع القطار طريقه».

«ولكن قد يستغرق ذلك وقتاً سيدي، وسنكون أغبياء إن فعلنا ذلك».

قال روس وهو يقتبس من أنظمة السكة: «إن لم يكن هنالك سبب وجيه لسحب السلك، سيدفع المتهم خمسة جنيهات ويتم تسليمه للسلطات».

«دعني أخمن سيدي».

«المادة 47ج»

«هل يمكنني أن أقول كم أنا معجب بحكمتك سيدي، لأنك طلبت أنظمة السكة الحديدية قبل ساعات من سحب سلك الاتصالات».

«نعم، ألم يكن ذلك تصرفاً حكيماً؟ مع ذلك، أنا متأكد من أن المجلس يتوقع منا أن نلتزم بالأنظمة، مهما كان ذلك صعباً».

«كما ترى يا سيدي».

«هذا ما أراه».

كان روس ينظر من النافذة نافد الصبر، ولم يبتسم حتى مر قطار نيوكاسل فلاير بالقرب منهم بعد عشرين دقيقة، مطلقاً صوت بوق طويل. مع ذلك، أدرك أنهم إن وصلوا إلى محطة كينغ كروس عند الساعة 8:40، كما توقع أنغوس، سيملك دييغو أكثر مما يلزمه من الوقت كي يصل إلى هاتف عمومي في المحطة ويتصل بسمساره ويسحب عرض بيع أسهم والده قبل أن تفتتح البورصة عند الساعة التاسعة.

قال أنغوس: «انتهينا سيدي، هل يمكنني أن أقول للسائق أن ينطلق، لأن أحد الركاب يهدد بمقاضاة الخطوط البريطانية إن لم يصل القطار إلى لندن قبل التاسعة».

لم يحتج روس ليسأل من كان الراكب الذي يصدر التهديد. قال دون حماس: «تابع عملك أنغوس» قبل أن يغلق باب مقصورته، غير متأكد مما قد يفعله كي يؤخر القطار لعشرين دقيقة أخرى على الأقل.

توقف قطار ذا نايت سكوتسمان في عدة محطات فجائية أخرى بينما كان قطار نيوكاسل فلاير يتوقف لينزل الركاب ويقلهم في دورهام ودارلينغتون ويورك ودونكاستر.

كان هنالك قرع على الباب ودخل المضيف.

«ما آخر الأخبار يا أنغوس؟».

«الرجل الذي كان يثير الجلبة من أجل الوصول إلى لندن يسأل إن كان بإمكانه مغادرة القطار حين يصل ذا فلاير إلى بيتربوروغ»

قال روس: «لا لا يمكنه ذلك، لأن القطار لن يتوقف في بيتربوروغ، وأياً يكن الأمر، سنتوقف خارج المحطة، مما سيعرض حياته للخطر».

«المادة 49ج؟»

«لذا، إن حاول أن يغادر القطار، سيكون من واجبك أن توقفه بالقوة. المادة 49 ف. في النهاية، لا نريد أن يموت الرجل المسكين».

«هل هذا صحيح سيدي؟».

«وكم محطة هنالك بعد بيتربوروغ؟»

«لا توجد محطات».

«متى تقدر أننا سنصل إلى كينغ كروس؟».

«حوالي الساعة الثامنة وأربعين دقيقة أو الثامنة وخمس وأربعين دقيقة على الأكثر».

تنهد روس عميقاً. تمتم لنفسه: «قريبون وبعيدون في الوقت ذاته».

قال أنغوس: «سامحني على سؤالي سيدي، ولكن متى ترغب أن يصل هذا القطار إلى لندن؟».

كبت روس ابتسامة: «إن وصل بعد التاسعة ببضع دقائق سيكون وصوله مثالياً».

قال المضيف قبل أن يغادر: «سأرى ما يمكنني فعله سيدي».

أكمل القطار طريقه بسرعة ثابتة لبقية الرحلة، ولكن فجأة، دون تحذير، توقف خارج محطة كينغ كروس قبل بضع مئات من الياردات.

قال صوتٌ على نظام الاتصال الداخلي: «هنا المضيف يتكلم، نعتذر عن الوصول المتأخر لقطار ذا نايت سكوتسمان، ولكن هذا بسبب ظروف خارجة عن إرادتنا. نأمل أن ينزل جميع الركاب في غضون دقائق».

كان روس يتساءل كيف تمكن أنغوس من تأخير الرحلة ثلاثين دقيقة إضافية. خرج إلى الرواق ليجده يحاول أن يهدئ مجموعة من الركاب الغاضبين.

همس: «كيف تمكنت من تدبر ذلك يا أنغوس؟»

«يبدو أن هنالك قطاراً آخر ينتظر على منصتنا، ولن يغادر إلى دورهام حتى الساعة التاسعة وخمس دقائق، أخشى أننا لن نتمكن من إنزال الركاب قبل الساعة التاسعة والربع. أعتذر عن التأخير سيدي» قال الجملة الأخيرة بصوت أعلى.

«شكراً جزيلاً أنغوس».

«أهلاً وسهلاً سيدي. أوه لا» وهرع إلى النافذة: «إنه هو».

نظر روس من النافذة إلى الخارج ليجد دييغو مارتينيز يركض ويقطع السكة باتجاه المحطة. تفقد ساعته: 8:53 صباحاً.

صباح الاثنين

توجه سيدريك إلى مكتبه قبل السابعة بقليل ذلك الصباح، وبدأ على الفور السير في أرجاء الغرفة، بينما كان ينتظر رنين الهاتف. ولكن إيب كوهن لم يتصل قبل الثامنة.

قال كوهن: «تمكنت من بيع الحصة سيد هاردكاسل، بيع الباقي في هونغ كونغ. بصراحة لا يمكن لأحد أن يكتشف السبب وراء تدني السعر إلى هذا الحد».

سأل سيدريك: «ما كان السعر النهائي؟»

«جنيه وثمانية شيلنغات».

«هذا ممتاز يا إيب. كان روس محقاً، أنت الأفضل».

«شكراً لك سيدي. أتمنى أن تكون خسارتك لكل هذا المبلغ لسبب وجيه». وقبل أن يجبه سيدريك أضاف: «أرغب بالنوم قليلاً».

تفقد سيدريك ساعته. ستفتتح البورصة في غضون خمس وأربعين دقيقة. كان هنالك قرعٌ خفيف على الباب، دخل سيباستيان حاملاً صينية عليها قهوة وبسكويت. جلس على الطرف الآخر من مكتب رئيس المجلس.

سأل سيدريك: «ما حصل معك».

«اتصلت بأربعة عشر من السماسرة لأعلمهم أننا سنشتري أية أسهم لبارينغتون تعرض للبيع في السوق».

قال سيدريك: «جيد» ونظر إلى ساعته مجدداً.

«بما أن روس لم يتصل، لا بد أن لدينا فرصة بالنجاح في مسعانا».

ارتشف من القهوة، وأخذ ينظر إلى ساعته كل بضع دقائق.

حين رنت مئات الساعات في سكوير مايل معلنة حلول الساعة التاسعة، نهض سيدريك ليصغي لنشيد المدينة. بخلاف سيباستيان الذي بقي جالساً يحدق إلى الهاتف، متمنياً أن يرن. عند الساعة التاسعة وثلاث دقائق، استجاب أحدٌ ما لأمنيته. استل سيدريك السماعة، وكاد أن يوقعها أرضاً.

قال سكرتيره: «كيبلز على الخط سيدي، هل تود التحدث معهم؟»

«على الفور».

«صباح الخير سيد هاردكاسل. معك ديفيد ألكساندر من كيبلز. أعلم أننا لسنا سماسرة البورصة المعتادين لديكم، ولكن سمعنا أنك ترغب بشراء أسهم بارينغتون، لذا فكرت بإعلامك أننا نملك حصة كبيرة للبيع مع تعليمات من عميلنا في بيعها بسعر افتتاح السوق هذا الصباح. تساءلت إن كنت مهتما».

قال سيدريك، آملاً أن يبدو هادئاً: «ذلك ممكن».

قال ألكساندر: «ولكنْ هنالك شرط لبيع هذه الأسهم».

سأل سيدريك: «وما هو؟» بالرغم من أنه يعلم فحوى الشرط.

«لا يسمح لنا أن نبيع لأي فرد يمثل عائلتي بارينغتون أو كليفتون».

«عميلي من لينكولنشاير، ويمكنني أن أؤكد لك، أنه لا يملك أي صلة حالية أو ماضية بأي من أفراد العائلتين».

«حسناً، سأكون مسروراً بالتعامل معك سيدي».

شعر سيدريك وكأنه مراهق يحاول عقد صفقته الأولى. «وما هو سعر الافتتاح يا سيد ألكساندر؟» وكان مرتاحاً لأن السمسار القادم من كيبلز لم يكن يرى العرق يتصبب من جبينه.

«جنيه وتسعة شيلنغات. ارتفع السعر بشيلنغ منذ أن افتتح السوق».

«كم سهم تعرض للبيع؟».

«لدينا مليون ومئتي ألف سيدي».

«سأشتريها».

«هل سمعتك بشكلٍ صحيح سيدي؟»

«نعم بالتأكيد».

«إذن سأسجل لك طلب شراء لمليون ومئتي ألف من أسهم شركة بارينغتون للشحن بسعر جنيه وتسعة شيلنغات. هل تقبل هذه العملية سيدي؟»

قال رئيس مجلس بنك فارثينغز: «نعم أقبل». محاولاً أن يبدو مبهراً.

«تمت الصفقة سيدي. هذه الأسهم الآن باسم بنك فارثينغز. سأرسل الأوراق اللازمة من أجل توقيعك لاحقاً خلال الصباح».

أقفل الخط.

قفز سيدريك، ولكم الهواء وكأن فريق هادرزفيلد تاون قد فاز للتو بكأس البطولة. كان سيباستيان لينضم إليه، ولكن الهاتف رن مجدداً.

أمسك السماعة وأنصت لدقيقة، ثم مررها على الفور إلى سيدريك.

«إنه ديفيد ألكساندر. يقول إن الأمر طارئ».

دييغو مارتينيز

1964

الفصل السادس والثلاثون

8:53 صباح الاثنين

تفقد دييغو مارتينيز ساعته. لم يعد في وسعه أن يضيع المزيد من الوقت. نظر إلى الرواق المزدحم ليتأكد من عدم وجود أثر للمضيف، ثم أنزل النافذة، ومد يده للخارج ليمسك بالمقبض وفتح الباب. قفز من القطار ووقع على السكك الحديدية.

صرخ أحدٌ ما: «لا يمكنك أن تفعل هذا!» لم يضيع الوقت ليقول له أنه فعل ذلك للتو.

بدأ بالركض نحو المحطة، ولا بد أنه قطع مئتي ياردة قبل أن تظهر المنصة أمامه. لم يتمكن من رؤية نظرة الذهول التي ارتسمت على أوجه الركاب المحدقين من نوافذ القطار حين مر بالقرب منهم.

قال أحدهم: «لا بد أنها مسألة حياة أو موت».

استمر دييغو بالركض حتى وصل إلى الجهة الأخرى من المنصة. أخرج محفظته وهو يركض، وأخرج بطاقته قبل الوصول إلى الحاجز بكثير.

نظر جامع التذاكر إليه وقال: «أخبروني أن قطار ذا نايت سكوتسمان لن يصل قبل خمس عشرة دقيقة أخرى على الأقل».

صرخ دييغو: «أين أقرب هاتف عمومي؟».

قال جامع التذاكر وهو يشير إلى صف من الصناديق الحمراء: «هنالك، لا يمكنك ألا تلاحظهم». اندفع دييغو عبر الحشود المتزاحمة، محاولاً أن يخرج قبضة من القروش من جيب بنطاله وهو يركض.

توقف خارج صناديق الهاتف الستة؛ كانت ثلاثةٌ منها مشغولة. فتح باباً وتفقد الفكة، ولكنه لم يملك أربعة بنسات، كان ينقصه بنس واحد.

«اقرأوا آخر الأخبار!» التف ورأى بائع الصحف وبدأ بالركض نحوه. ذهب إلى بداية طابور طويل، أعطى الصبي شيلنغين وقال: «أنا بحاجة لبنس». قال بائع الصحف: «بالتأكيد سيدي»، والذي افترض أنه كان مضطراً لاستخدام الحمام، وأعطاه بنساً على الفور.

أسرع دييغو عائداً إلى الهواتف العمومية ولم يسمع الفتى يقول: «لا تنسَ الفكة سيدي». و«ماذا عن صحيفتك؟» فتح باباً ليجد الكلمات «خارج الخدمة». ثم اقتحم الصندوق التالي بينما أفزع امرأة كانت تفتح الباب. حمل السماعة، وضع البنسات الأربع في الصندوق الأسود وطلب سيتي 416. بعد ثوان سمع صوت رنين.

صرخ: «ارفع السماعة، ارفع السماعة، ارفع السماعة!» رد صوتٌ أخيراً.

«كيبل وكومباني. كيف يمكنني مساعدتك؟» ضغط دييغو زر A وسمع البنسات وهي تقع في الصندوق. «صلِيني بالسيد ألكساندر».

«أي سيد أليكسندر؟ إيه أو دي أو دابليو؟»

قال دييغو: «انتظري» ووضع السماعة فوق الهاتف، أخرج محفظته وأزال منها بطاقة السيد ألكساندر ورفع السماعة بسرعة وقال: «أما زلت معي؟»

«نعم سيدي».

«ديفيد ألكساندر».

«إنه غير متوافر حالياً. هل يمكنني أن أطلب لك وكيلاً آخر؟».

طالب دييغو: «لا، صلِيني بديفيد أليكسندر على الفور».

«ولكنه على الخط مع عميل آخر».

«إذن اطلبي منه إغلاق الخط، إن هذه حالة طارئة».

«ليس مسموحاً لي أن أقاطع مكالمة سيدي».

«يمكنك ذلك وستفعلين، أيتها الفتاة الغبية، إن كنت ترغبين بالحفاظ على وظيفتك».

سأل صوتٌ يرتجف: «من المتصل؟»

صرخ دييغو: «فقط صليني به!». سمع صوت ضغطة.

«هل لا زلت هنالك، سيد هاردكاسل؟»

«لا ليس كذلك، دييغو مارتينيز يتحدث يا سيد ألكساندر».

«آه، صباح الخير سيد مارتينيز، توقيتك مناسب».

«قل لي إنك لم تبع حصص والدي في بارينغتون بعد».

«ولكني فعلت ذلك للتو، قبل أن تتصل تماماً، أنا متأكد من أنك ستكون مسروراً لسماع أن العميل قد اشترى كل الأسهم المليون ومئتي ألف – في الحالات العادية، يتطلب الأمر أسبوعين أو حتى ثلاثة أسابيع للتخلص منها جميعاً. حتى أننا حصلنا على شيلنغ أكثر من سعر الافتتاح».

«بكم بعت الواحد؟»

«جنيه وتسعة شيلنغات. أمامي عقد البيع».

«ولكنه كان بسعر جنيهين وثمانية شيلنغات حين أغلقت البورصة بعد ظهر الجمعة».

«صحيح، ولكن يبدو أنه كان هنالك الكثير من النشاطات في الأسهم هذه على مدى عطلة نهاية الأسبوع، وهذا أحد أسباب سروري ببيعها كلها بهذه السرعة».

صرخ دييغو: «لماذا لم تتصل بوالدي لتحذره من انهيار الأسهم؟»

«وضح والدك أنه لن يكون متوفراً خلال عطلة نهاية الأسبوع، ولن يعود إلى لندن حتى صباح غد».

«ولكن حين لاحظت انهيار سعر السهم، لِم لم تستخدم المنطق وتنتظر حتى تتحدث معه؟».

«لـدي تعليمـات والـدك الخطية أمامي، سـيد مارتينيـز، ولا يمكن لها أن تكون أوضح من ذلك. عليّ عرض حصته بأكملها من أسهم بارينغتون للبيع في السوق حين تفتح البورصة صباح اليوم».

«اصغ إلي الآن، ألكسـاندر، اصغ إلي جيداً. آمرك أن تلغي عملية البيع وتسترجع أسهمه».

«أخشى أنه لا يمكنني القيام بذلك سيدي. حين يتم الموافقة على عملية تجارية، لا يوجد طريقة لعكسها».

«هل انتهت الأعمال الورقية؟».

«لا سـيدي، ولكنها سـتكون كذلك بحلول وقت انتهاء الدوام الرسـمي مساء اليوم».

«إذن لا تنهها. أخبر من اشترى الأسهم أنه كان هنالك خطأ».

«لا تعمـل ذا سـيتي هكـذا، سـيد مارتينيز. حين تتـم الموافقة على عملية تجارية، لا يوجد مجال للتراجع، وإلا سيحدث اضطراب أبدي في السوق».

«أقول لك، ألكساندر، سوف تلغي عملية البيع هذه وإلا سأقاضي شركتك بتهمة الإهمال».

«وأنا أقول لك، سيد مارتينيز، أنني إن فعلت ذلك، سنخضع للمحاكمة أمام مجلس البورصة، وسأفقد رخصتي بالمتاجرة».

غير دييغو أسلوبه. «هل تم شراؤها من قبل أحد أفراد عائلتي بارينغتون أو كليفتون؟»

«لا سيدي. نفذنا تعليمات والدك بشكلٍ حرفي».

«إذن من اشتراها؟»

«رئيس مجلس بنك في يوركشاير، بالنيابة عن أحد عملائه».

قرر دييغو أن الوقت قد حان ليحاول أسلوباً جديداً، أسلوباً لم يخذله في الماضي. «إن أضعت ذلك العقد يا سيد ألكساندر، سأعطيك مئة ألف جنيه».

«إن فعلت ذلك، سيد مارتينيز، لن أفقد رخصتي فقط، بل سينتهي الأمر بي في السجن أيضاً».

«ولكن سأدفع لك نقداً، لذا لن يعلم أحد بذلك».

قال ألكساندر: «سأنقل فحوى عرضك إلى والدي وشقيقي في اجتماع الشركاء القادم. عليّ أن أوضح موقفي، سيد مارتينيز. لن تتعامل هذه الشركة معك أو مع أي فرد من عائلتك في المستقبل. طاب يومك سيدي».

أغلق الخط.

* * *

«هل تريد الأخبار الجيدة أولاً أم الأخبار السيئة؟»

«أنا متفائل، لذا أعطني الأخبار الجيدة».

«نجحنا بالمهمة. أنت الآن المالك الفخور لمليون ومئتي ألف سهم في شركة بارينغتون للشحن».

«والأخبار السيئة؟»

«أحتاج لشيك بقيمة مليون وسبعمئة ألف جنيه ولكن ستكون مسروراً لتسمع أن سعر الأسهم قد ارتفع أربعة شيلنغات منذ أن اشتريت، فأنت حققت بالفعل ربحاً».

«أنا ممتن لك سيدريك. وكما اتفقنا، سأغطي أية تكاليف خسرتها على مدى عطلة نهاية الأسبوع. سيكون ذلك عادلاً. إذن ماذا سيحصل بعدها؟»

«سأرسل واحداً من مديرينا إليك- سيباستيان كليفتون- غداً مع كل الأوراق التي عليك توقيعها. بسبب وجود مبلغ كبير كهذا، أفضل ألا أرسلها عن طريق البريد».

«إن كان هذا شقيق جيسيكا فأنا أتوق للتعرف إليه».

«نعم إنه هو. يجب أن يصل قرابة ظهيرة الغد، وحين تنتهي من توقيع جميع الشهادات، سيعيدها إلى لندن».

«أخبره أنه كما حصل معك، عليه أن يتحضر لتجربة ذوقية، أفضل أنواع السمك والرقائق في العالم، من فوق صحيفة غريمسبي إيفننغ تلغراف. لن آخذه طبعاً إلى مطعم راقٍ مع غطاء للطاولات وأطباق».

قال سيدريك: «إن كان ذلك كافياً بالنسبة إليّ، فسيكون كذلك بالنسبة إليه».

«أتطلع قدماً لرؤيتك يوم الاثنين القادم في الاجتماع السنوي العام».

قال سيباستيان بعد أن أغلق سيدريك السماعة: «لا زالت لدينا بعض المشاكل».

«وما هي تلك المشاكل؟».

«على الرغم من أن سعر سهم بارينغتون بدأ بالارتفاع بالفعل، إلا أننا لا يمكننا أن ننسى أن رسالة استقالة فيشر ستكون مع الصحافة يوم الجمعة. إن قول أحد أعضاء المجلس أن الشركة تواجه الإفلاس قد يتسبب بانهيار سعر السهم مرة أخرى».

قال سيدريك: «هذا أحد أسباب ذهابك إلى غريمسبي غداً، إن فيشر قادم لرؤيتي الساعة الثانية عشرة، في الوقت ذاته الذي ستكون خلاله أنت تستمتع بالسمك والرقائق هناك مع طبق جانبي هو الفاصولياء المسلوقة».

سأل سيباستيان: «وما هو السبب الثاني؟».

«يجب ألا تكون موجوداً في الأرجاء حين أرى فيشر. سيذكره وجودك فقط بمن يعود إليه ولائي الحقيقي».

حذره سيب: «لن يكون خصماً سهلاً، كما اكتشف خالي جايلز في أكثر من مناسبة».

قال سيدريك: «لا أنوي أن أكسره، بالعكس، أنا أنوي دعمه، هل من مشاكل أخرى؟».

«ثلاثة في الحقيقة: دون بيدرو مارتينيز، دييغو مارتينيز وإلى حدٍّ أدنى،

لويس مارتينيز».

«تم إخباري من مصدر موثوق أن الثلاثة قد انتهى أمرهم. يواجه دون بيدرو الإفلاس، وسيلقى القبض على دييغو في أية لحظة بتهمة محاولة الرشوة، ولا يمكن للويس حتى أن ينفّ أنفه دون أن يعطيه والده المنديل. لا، أعتقد أن الأمر سيطول قبل أن يشتري هؤلاء الرجال النبلاء الثلاثة ثلاث بطاقاتٍ ذهاباً دون إياب إلى الأرجنتين».

«ما زلت أشعر أن دون بيدرو سيحاول الانتقام قبل أن يسافر».

«لا أعتقد أنه سيتجرأ على الدنو من عائلتي بارينغتون وكليفتون حالياً».

«لم أكن أفكر بعائلتي».

قال سيدريك: «لا تقلق بشأني، يمكنني الاعتناء بنفسي».

«ولا حتى أنت».

«إذن من؟»

«سامانثا سوليفان».

«لا أعتقد أنه مستعد لهذه المخاطرة».

«لا يفكر مارتينيز كما تفكر أنت...».

مساء الاثنين

كان دون بيدرو غاضباً لدرجة أنه لم يستطع التحدث لبعض الوقت. سأل: «كيف نجوا بفعلتهم؟»

قال دييغو: «حين أغلقت البورصة يوم الجمعة وغادرت إلى إسكتلندا، بدأ أحدهم ببيع عدد كبير من أسهم بارينغتون في نيويورك ولوس أنجلوس، ومن ثم المزيد حين افتتحت البورصة في سيدني هذا الصباح، وتخلص من باقي أسهمه في هونغ كونغ، بينما كنا نائمين».

قال دون بيدرو: «بالمعنى الحرفي للكلمة».

تبع ذلك صمت طويل، ولم يفكر أحد بالمقاطعة.

قال أخيراً: «كم خسرت؟».

«أكثر من مليون جنيه».

قال دون بيدرو: «هل اكتشفت من كان يبيع تلك الأسهم؟ لأنني مستعد لأراهن أنه الشخص ذاته الذي اشترى حصتي صباح اليوم بنصف السعر».

«أعتقد أنه شخصٌ يدعى هاردكاسل، وهو من كان على الخط حين قاطعت ديفيد ألكساندر».

قال دون بيدرو: «سيدريك هاردكاسل، إنه مصرفي من يوركشاير يعمل في مجلس بارينغتون ويدعم رئيسته دوماً. سيندم على هذا».

«أبي، نحن لسنا في الأرجنتين. لقد خسرت كل شيء تقريباً. ونحن نعلم أن السلطات تبحث عن أي سببٍ لترحيلك. ربما حان الوقت للتخلي عن هذا الانتقام». رأى دييغو الصفعة قادمة ولكنه لم يجفل.

«لا تخبر والدك بما يمكنه أو لا يمكنه القيام به. سأغادر حين يناسبني الأمر، وليس قبل ذلك، مفهوم؟» أومأ دييغو برأسه. «أي شيء آخر؟».

«لست متأكداً، ولكنني أعتقد أنني رأيت سيباستيان كليفتون في محطة كينغ كروس حين ركبت القطار، مع أنه كان بعيداً».

«لِمَ لم تتأكد؟»

«لأن القطار كان على وشك التحرك و – »

قال دون بيدرو: «لقد اكتشفوا حتى أنهم لا يستطيعون إكمال الخطة إن لم تستقل القطار. ذكي. حسناً، لا بد أنه كان لديهم أحد ما يراقبنا في غلينليفين، وإلا كيف لهم أن يعرفوا أنك كنت في طريق العودة إلى لندن؟»

«أنا متأكد أنه لم يتبعني أحد إلى الفندق، تأكدت من ذلك عدة مرات».

«ولكن لا بد أن أحداً ما كان يعلم أنك كنت في القطار. لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة، في الليلة التي تسافر فيها على متن قطار ذا نايت سكوتسمان يتأخر ساعة ونصف للمرة الأولى خلال سنوات. هل يمكنك أن

تذكر أمراً غريباً حصل خلال الرحلة؟»

«حاولت عاهرة تدعى كيتي أن تغازلني، ثم تم سحب سلك الاتصالات...».

«الكثير من المصادفات».

«لاحقاً رأيتها تبتسم للمضيف الرئيس، قبل أن يبتسم ويبتعد».

«لا يمكن لعاهرة ومضيف أن يؤخرا القطار لمدة ساعة ونصف لوحدهما. لا، لا بد أن أحداً ما يملك سلطة حقيقة كان يخطط على متن ذلك القطار». صمت طويل آخر. «أعتقد أنهم توقعوا حركاتنا، ولكنني سأتأكد من عدم توقعهم لما سنفعل لاحقاً. لنحقق هذا، علينا أن نكون منظمين كما كانوا». لم يعرض دييغو رأيه في هذه المحادثة التي تجرى من طرف واحد.

«كم بقي لدينا من المال؟».

قال كارل: «كانت ثلاثمئة ألف في آخر مرة تفقدت الأموال».

«وماذا عن مجموعتي الفنية التي كانت معروضة للبيع البارحة في شارع بوند. أكد لي أغنيو أنها ستباع مقابل أكثر من مليون. لذا لدينا ما نحتاج إليه من الموارد لنهزمهم. لا تنسَ، ليس مهماً كم معركة تخسر، طالما أنك ستفوز بالحرب». شعر دييغو أن اللحظة لم تكن مناسبة ليسأله إلى أي من الجنرالين المتقاتلين في واترلو ينسب هذا القول.

أغمض دون بيدرو عينيه، وأسند ظهره إلى مقعده ولم يقل شيئاً. مرة أخرى، لم يحاول أحد أن يقاطع سلسلة أفكاره. فجأة فتح عينيه وانتصب في جلسته.

قال: «الآن اسمعني جيداً» وأدار ناظريه إلى ابنه الأصغر «لويس، ستكون مسؤولاً عن تحديث ملف سيباستيان كليفتون».

بدأ دييغو: «أبي، لقد تم تحذيرنا...»

«اخرس. إن كنت لا تريد أن تكون جزءاً من فريقي يمكنك المغادرة الآن». لم يتحرك دييغو، ولكنه شعر بالإهانة أكثر من الوقت الذي تلقى فيه

الصفعة. أعاد دون بيدرو تركيزه على لويس. «أريدك أن تعرف أين يعيش، أين يعمل، ومن هم رفاقه. هل تعتقد أنه يمكنك فعل ذلك؟»

قال لويس: «نعم والدي».

لم يشك دييغو في أن شقيقه يملك لو كان لديه ذنب لكان الآن يهتز.

قال دون بيدرو وهو ينظر إلى ولده الأكبر: «دييغو، ستذهب إلى بريستول وتزور فيشر. لا تعلمه أنك قادم، من الأفضل أن تفاجئه. من الضروري كثيراً الآن أكثر من أي وقتٍ مضى أن يسلم رسالة استقالته للسيدة كليفتون صباح يوم الجمعة، وأن يعطيها للصحافة بعد ذلك. أريد أن يحصل كل محرر في كل صحيفة وطنية على نسخة، وأتوقع من فيشر أن يكون متوفراً أمام أي صحفي يرغب بإجراء لقاء معه. خذ ألف جنيه معك. لا شيء يزيد من تركيز فيشر سوى مشهد النقود».

قال دييغو: «ربما تمكنوا من السيطرة عليه أيضاً».

قال: «إذاً خذ ألفين. وكارل» استدار نحو حليفه الذي يثق به أكثر من غيره. «لقد تركت المهمة الأفضل لك. احجز لنفسك مكاناً على متن القطار الليلي إلى ادنبره وجد تلك العاهرة. وحين تفعل، تأكد من قضائك معها ليلة لن تنساها في حياتها. لا يهمني كيف ستكتشف ولكن أريد أن أعلم من كان مسؤولاً عن تأخير ذلك القطار لمدة ساعة ونصف. سنلتقي مجدداً مساء غد. في ذلك الوقت، سأحصل على فرصة لزيارة أغنيو وأكتشف ما حصل بعملية البيع». صمت دون بيدرو لفترة من الزمن قبل أن يضيف: «لدي شعورٌ بأننا سنحتاج لمبلغ كبير من المال لما أخطط له في ذهني».

الفصل السابع والثلاثون

صباح الثلاثاء

«لديّ هدية لك».

«دعني أخمنّ».

«لا، سيكون عليك الانتظار لرؤيتها».

«آه، إنها هدية من نوع انتظر ترَ».

«نعم، أعترف أنني لم أجلبها بعد ولكن...».

«ولكن الآن بعد أن تمكنت مني، سيكون عليّ أن أفعل ما هو أكثر من الانتظار؟».

«بدأت تفهمين. ولكن كدفاع عني، سأذهب لجلبها اليوم من...».

«تيفاني؟»

«لا ليس...».

«أسبري؟».

«ليس تماماً».

«كارتييه؟».

«خياري الثاني».

«وخيارك الأول؟»

«بينغهام».

«بينغهام في شارع بوند؟».

«لا بينغهام من غريمسبي».

سألت متأملة: «وما الذي يشتهر به بينغهام؟ الألماس؟ الفرو؟ العطر؟».

«معجون السمك».

«مرطبان واحد أو اثنين؟».

«واحد كبداية، لأنه عليّ أن أرى بعد ذلك كيف ستتطور العلاقة».

قالت سامانثا وهي تنهض من الفراش: «أعتقد أن هذا كل ما تستطيع فتاة متجر عاطلة عن العمل توقعه، واعتقدت أنني امرأة ستحتفظ بها».

قال سيباستيان وهو يتبعها إلى الحمام: «سيحصل هذا لاحقاً حين أصبح رئيس مجلس البنك».

قالت سامانثا وهي تدخل تحت الدش: «قد لا أنتظر هذا الوقت الطويل».

كانت على وشك إغلاق الستارة حين انضم إليها سيباستيان.

قالت: «ليس هنالك مساحة كافية لنا».

«هل جربت ممارسة الغرام تحت الدش من قبل؟»

«انتظر ترَ».

* * *

«أيها الرائد، أشكرك على توفير بعض الوقت لتأتي وتراني».

«لا داعي للشكر، هاردكاسل. كنت في لندن من أجل عمل، لذا كان الوقت مناسباً».

«هل ترغب ببعض القهوة، صديقي؟».

قال فيشر وهو يجلس في الجهة الثانية من مكتب الرئيس: «قهوة سوداء، دون سكر، شكراً لك».

ضغط سيدريك زراً على جهاز التواصل الداخلي: «آنسة كلاو، كوبان من القهوة السوداء، دون سكر، وبعض البسكويت. يا له من وقت مثير، أليس كذلك يا فيشر؟».

«ما الذي تفكر به تماماً؟».

«حفل تسمية سفينة باكينغهام من قبل الملكة الأم الشهر القادم بالطبع،

ورحلة أولى ستأخذ الشركة إلى حقبة جديدة كلياً».

قال فيشر: «لنأمل ذلك، مع أنه لا يزال هنالك بعض العقبات التي عليهم تخطيها قبل أن أقتنع تماماً».

«ولهذا السبب أردت أن أتحدث معك يا صديقي». صدر صوت نقرة خفيفة على الباب، ودخلت الآنسة كلاو حاملةً صينية عليها كوبان من القهوة. وضعت واحداً أمام الرائد، والآخر أمام الرئيس، وطبقاً من البسكويت بينهما.

«دعني أبدأ مباشرة بقولي إنني أشعر بالأسف لأن السيد مارتينيز قرر بيع حصته بأكملها في شركة بارينغتون. كنت أتساءل إن كان بإمكانك أن تسلّط بعض الضوء على السبب وراء هذا القرار». أعاد فيشر كوبه إلى صحنه، أوقع بعض القطرات وتمتم: «لا أملك أدنى فكرة».

«أنا أعتذر، أليكس، افترضت فقط أنه أخبرك بذلك قبل أن يتخذ مثل هذا القرار الذي لا يمكنه التراجع عنه».

«متى حصل هذا؟».

«صباح البارحة، بعد لحظات من افتتاح البورصة، ولهذا اتصلت بك».

بدا فيشر وكأنه ثعلب مشدوه واقف أمام الأضواء الأمامية لسيارة قادمة باتجاهه.

«كما ترى، هنالك أمرٌ أريد مناقشتك بخصوصه» بقي فيشر عاجزاً عن الكلام، ما أتاح لسيدريك أن يطيل عذابه قليلاً.

«سأصبح بعمر الخامسة والستين في أكتوبر، وعلى الرغم من أني أخطط للتقاعد من منصبي كرئيس لمجلس إدارة البنك، إلا أنني أنوي أيضاً أن أترك بعضاً من اهتماماتي الخارجية، ومن بينها منصبي كمدير في بارينغتون». نسي فيشر أمر قهوته وأصغى بانتباه لكل كلمة تفوه بها سيدريك. «بعد قولي هذا، قررت أن أستقيل من المجلس، وأفسح المجال لرجل أصغر سناً».

قال فيشر: «أنا متأسف لسماعي ذلك، لطالما اعتقدت أنك تقدم الحكمة

والوقار لمناقشاتنا».

«من اللطيف أن تقول ذلك، ولهذا السبب بالضبط أردت رؤيتك». ابتسم فيشر، متسائلاً إن كان الأمر ممكناً... «راقبتك بحرص على مدى الأعوام الخمس الماضية يا أليكس، وكان أكثر ما أثار إعجابي فيك هو دعمك الوفي لرئيس مجلسنا، وتحديداً إذا تذكرنا أنك حين تواجهت معها انتخابياً، هزمتك فقط بسبب صوت الرئيس السابق الحاسم».

«يجب ألا يسمح المرء لمشاعره الشخصية بأن تؤثر على ما هو الأفضل للشركة».

«استخدمت الكلمات المثالية لوصف الأمر يا أليكس، ولهذا كنت آمل أن أقنعك بأخذ مكاني في المجلس بما أنك لن تمثل حصة السيد مارتينيز بعد الآن».

«هذا عرضٌ سخيّ جداً يا سيدريك».

«لا، في الواقع إنه عرضٌ أناني، لأنك إن كنت مستعداً لذلك، فسأضمن استقرار واستمرار شركة بارينغتون وبنك فارثينغز».

«نعم، لاحظت ذلك».

«إضافةً إلى الألف جنيه التي تتقاضاها سنوياً كمدير، سيعطيك بنك فارثينغز ألفاً إضافية لتمثل حصته. في النهاية، عليّ أن أعرف كل ما يدور في كل اجتماع للمجلس، ما يعني أنك قد تضطر للبقاء ليلة في لندن. وكل مصاريفك ستتم تغطيتها من قبل البنك بالطبع».

قال الرائد الذي بدا عليه أنه يصارع مشكلة ما: «هذا كرم منك يا سيدريك، ولكن سأحتاج لبعض الوقت كي أفكر بالأمر».

قال سيدريك وهو يعلم تماماً ما كانت تلك المشكلة: «بالطبع ستفعل».

«متى تحتاج لمعرفة قراري؟»

«قبل نهاية الأسبوع. أريد تسوية الأمر قبل الاجتماع السنوي العام يوم

الاثنين القادم. كنت قد خططت لأن يأخذ ابني أرنولد مكاني، ولكن كان ذلك قبل أن أدرك أنك قد تكون متوفراً».

«سأعلمك قبل يوم الجمعة».

«جيد يا أليكس. سأكتب رسالة تؤكد العرض على الفور وأرسلها بالبريد اليوم».

«شكراً لك سيدريك. سأفكر بالأمر ملياً بالتأكيد».

«ممتاز. الآن، لن أؤخرك أكثر من هذا، لأنك إن كنت أذكر قلت إن عليك الذهاب إلى اجتماع في ويستمينستر».

قال فيشر: «فعلاً». نهض من مكانه ببطء وصافح سيدريك الذي رافقه إلى الباب.

عاد سيدريك إلى مكتبه، جلس، وبدأ بكتابة رسالته إلى الرائد، متسائلاً إن كان عرضه سيكون أكثر إغراءً من العرض الذي كان واضحاً أن مارتينيز على وشك أن يطرحه عليه.

* * *

توقفت سيارة الرولز رويس الحمراء أمام معرض أغنيو.

ترجل دون بيدرو إلى الرصيف ونظر إلى الواجهة ليجد لوحة بالطول الكامل تصور السيدة كاثلين نيوتون، عشيقة تيسوت الجميلة. ابتسم حين رأى النقطة الحمراء.

وارتسمت ابتسامة أكبر حتى بعد دخوله المعرض. لم تكن ابتسامته بسبب رؤية العديد من اللوحات والمنحوتات المذهلة، بل بسبب العدد الكبير من النقاط الحمراء عليها.

سألت امرأة في منتصف العمر: «هل يمكنني مساعدتك سيدي؟».

«أرغب بالتحدث مع السيد أغنيو».

«لست متأكدة إن كان متوفراً حالياً. ربما يمكنني أن أساعدك».

قال دون بيدرو: «سيكون متوفراً من أجلي، ففي النهاية، هذا عرضي». ورفع ذراعيه عالياً وكأنه كان يبارك مجموعة مصلين.

تراجعت على الفور، ودون كلمة أخرى، قرعت على باب مكتب السيد أغنيو واختفت في الداخل، بعد لحظات ظهر المالك.

قال بحزم قليلاً: «طاب يومك، سيد مارتينيز». حيث اعتقد دون بيدرو أن ذلك تحفظ إنكليزي.

«يمكنني أن أرى أداء المعرض الجيد، ولكن كم قبضت حتى الآن؟».

«هل يمكننا أن ندخل مكتبي، لنحصل على بعض الخصوصية». تبعه دون بيدرو عبر المعرض، وهو يعد النقاط الحمراء، ولكن انتظر حتى أُغلق باب المكتب كي يكرر سؤاله.

«كم قبضت حتى الآن؟».

«ما يزيد عن مئة وسبعين ألف جنيه بقليل في ليلة الافتتاح، وصباح اليوم اتصل رجل لحجز لوحتين، بونارد وأوتريلو، ما سيمنحنا دون شك أكثر من مئتي ألف جنيه. كما أننا تلقينا طلباً من المعرض الوطني بخصوص لوحة لرافاييل».

«جيد، لأنني بحاجة لمئة ألف الآن».

«أخشى أن ذلك غير ممكن، سيد مارتينيز».

«لماذا؟ إنه مالي».

«حاولت أن أتصل بك لعدة أيام، ولكنك كنت مسافراً إلى إسكتلندا من أجل الصيد».

قال مارتينيز بعد أن أصبحت الآن نبرته أكثر تهديداً: «لماذا لا أستطيع الحصول على مالي؟»

«الجمعة الماضية زارنا السيد ليدبوري من بنك ميدلاند في سانت جيمس. رافقه محامي البنك، الذي أعطانا تعليمات بدفع أي أموال نحصل

عليها من المعرض مباشرة للبنك».

«لا يملك السلطة لفعل ذلك. هذه المجموعة ملكي».

«قدموا لنا أوراقاً رسمية تظهر أنك وقعت على المجموعة بأكملها، مع كل قطعة مذكورة بشكل منفرد، كضمانٍ لقرض أخذته».

«ولكني دفعت ذاك القرض البارحة».

«عاد المحامي قبل الافتتاح البارحة مع أمر من المحكمة يمنعني من تحويل المال إلى أي أحد عدا البنك. أشعر أنه عليّ أن أقول لك يا سيد مارتينيز أن هذه الطريقة ليست طريقتنا في إجراء الأعمال في أغنيو».

«سأحصل على رسالة إلغاء على الفور. حين أعود، أتوقع منك أن تكون قد كتبت شيكاً بمئة ألف جنيه باسمي».

«أتطلع قدماً لرؤيتك لاحقاً سيد مارتينيز».

غادر دون بيدرو المعرض دون أن يصافحه أو يقول كلمة أخرى. مشى بسرعة باتجاه سانت جيمس، وسيارته من نوع رولز رويس تتبعه على بعد عدة ياردات. حين وصل إلى البنك، دخل واتجه مباشرة إلى مكتب المدير قبل أن يحصل أي أحد على فرصة ليسأله من كان أو من أراد رؤيته. حين وصل للجهة الأخرى من الرواق، لم يطرق على الباب، بل اقتحم الغرفة فوراً، ليجد السيد ليدبوري جالساً خلف مكتبه يتحدث مع السكرتيرة.

قال ليدبوري وكأنه توقع قدومه: «طاب يومك سيد مارتينيز».

قال دون بيدرو مشيراً إلى السكرتيرة: «اخرجي» فغادرت الغرفة بسرعة حتى دون أن تنظر إلى المدير.

«ما هذه اللعبة التي تعتقد أنك تلعبها، ليدبوري؟ لقد أتيت مباشرة من معرض أغنيو. إنهم يرفضون إعطائي مالي الذي جنيته من بيع مجموعتي الفنية الخاصة، ويقولون إن ذلك بسببك».

قال ليدبوري: «أخشى أنها لم تعد مجموعتك الخاصة، ولم تكن كذلك

لوقت لا بأس به. من الواضح أنك نسيت أنك منحتها للبنك بعد أن مددنا تسهيلات سحبك الزائد مجدداً». فتح الدرج العلوي من خزانة خضراء صغيرة وأخرج ملفاً.

«ولكن ماذا عن مالي الناتج عن بيعي لأسهمي في بارينغتون؟ وصل ذلك إلى فوق الثلاثة ملايين».

«بالرغم من هذا لا تزال متخطياً حد السحب» – قلّب عدة صفحات من الملف – «بمبلغ 772،450 جنيهاً حين انتهى وقت الدوام مساء أمس. لكي لا تمر بهذا الموقف المحرج مجدداً، دعني أذكرك أنك قد وقّعت مؤخراً على ضمان شخصي، يتضمن منزلك في الريف والمنزل رقم 44 في إيتون سكوير. وعليّ أن أنصحك، إن لم يكن المال الذي سينتج عن بيعك لمجموعتك الفنية كافياً لتغطية سحبك الحالي، سيكون علينا أن نسألك أي من تينك الملكيتين ترغب في التخلي عنها أولاً».

«لا يمكنك فعل ذلك».

«بل يمكنني، سيد مارتينيز، وإن اضطر الأمر لذلك، سأفعلها». سار ليدبوري إلى الباب وقال: «وفي المرة التالية التي تريد رؤيتي فيها، ربما ستكون كريماً كفاية لتطلب موعداً من سكرتيرتي. دعني أذكرك، هذا بنك، وليس كازينو». فتح الباب.

«طاب يومك سيدي». خرج مارتينيز من مكتب المدير، عبر الرواق، وعبر قاعة البنك وعاد إلى الشارع، ليجد سيارته من نوع رولز رويس مركونة في الخارج تنتظره. تساءل حتى إن كانت لا تزال ملكه.

قال: «خذني إلى المنزل».

حين وصلا إلى نهاية سانت جيمس، التفت الرولز رويس يساراً، وعبرت بيكاديلي وتجاوزت محطة غرين بارك، التي كانت يخرج منها حشدٌ من الناس. كان من بينهم رجلٌ استدار لليسار واتجه نحو شارع ألبيمارل.

حين دخل سيباستيان معرض أغنيو للمرة الثالثة خلال أقل من أسبوع، كان ينوي فقط أن يبقى لعدة لحظات من أجل أن يأخذ لوحات جيسيكا. كان يمكنه أن يأخذها حين رافقته الشرطة إلى المعرض، ولكنه كان منشغلاً بفكرة كون سام محبوسة في زنزانة.

تشتت تفكيره هذه المرة أيضاً، ولكن ليس بسبب فكرة إنقاذ آنسة في خطر، بل بسبب روعة الأعمال الفنية المعروضة. توقف ليتأمل لوحة رافاييل المدعوة لا مادونا دي بوغوتا، والتي كانت في حيازته لساعات قليلة، وحاول أن يتخيل شعور كتابة شيك بقيمة مئة ألف جنيه ومعرفة أن ذلك المال لن يعود.

تمتع برؤية تمثال المفكر لرودين الذي سُعّر بمئة وخمسين ألف جنيه. لا زال يذكر جيداً حين اشتراه دون بيدرو في سوثبي مقابل مئة وعشرين ألف جنيه، وكان ذلك رقماً قياسياً حينها بالنسبة إلى أحد أعمال رودين. ولكن في النهاية، كان دون بيدرو موهوماً أن التمثال احتوى ثمانية ملايين جنيه على شكل أوراق من فئة خمسة جنيهات مزورة. كان تلك بداية المشاكل بالنسبة إلى سيباستيان.

مكتبة
t.me/t_pdf

«أهلا بك مجدداً، سيد كليفتون».

«أخشى أن ذلك خطأي، لأنني نسيت أن آخذ لوحات شقيقتي».

«بالفعل، لقد طلبت للتو من مساعدتي أن تجلبها».

قال سيباستيان: «شكراً لك» بينما ظهرت بديلة سام حاملة رزمة كبيرة أعطتها للسيد أغنيو. أخذ وقته وهو يتفقد الوسم، قبل أن يسلمها إلى سيباستيان.

قال سيباستيان: «لنأمل أنها لوحة لرامبرانت هذه المرة» لم يقاوم إلقاء الدعابة، ولكن لم يكافئه السيد أغنيو ولا مساعدته بابتسامة. في الوقع، كل ما قاله أغنيو كان: «ولا تنسَ صفقتنا».

«إن لم أبع اللوحة، بل أعطيتها لأحد كهدية، هل أكون حينها قد أخليت بالاتفاق؟».

«من هو هذا الشخص الذي ستمنحه إياها؟».

«سام، ربما تكون مناسبة لأعتذر منها عن الضرر الذي لحق بها».

قال أغنيو: «ليس لديّ اعتراض على هذا، مثلك، أعتقد أنني متأكد من أن السيدة سوليفان لن تفكر يوماً ببيعها».

رد سيباستيان: «شكراً لك سيدي». ثم قال وهو ينظر إلى لوحة رافاييل: «سأمتلك هذه اللوحة يوماً ما».

قال أغنيو: «آمل هذا، لأننا نحصل على أموالنا بتلك الطريقة».

حين غادر سيباستيان المعرض، كانت الأمسية جميلة جداً لدرجة أنه قرر أن يمشي إلى بيمليكو ليعطي سام هديتها المنتظرة. حين تنزه في حديقة سانت جيمس، فكّر بزيارته إلى غريمسبي في وقتٍ سابقٍ من اليوم. أعجبه السيد بينغهام، وأعجبه معمله، وأُعجب بالعمال. هم من سماهم سيدريك الناس الحقيقيين الذين يقومون بأعمال حقيقية.

تطلب الأمر من السيد بينغهام حوالي خمس دقائق، لكي يوقع جميع شهادات النقل، وثلاثين دقيقة أخرى لكي يتناولا وجبتين من أشهى طبق سمك ورقائق في الكون، حيث أكلاها من على صحيفة غريمسبي إيفنينغ تلغراف من اليوم السابق. قبل أن يغادر، قدم السيد بينغهام له مطرباناً من معجون السمك ودعوة لقضاء الليلة في ميبلثورب.

«كم هذا لطيف منك سيدي، ولكن السيد هاردكاسل يتوقع مني أن أعيد هذه الشهادات إلى مكتبه قبل وقت انتهاء الدوام بقليل من مساء اليوم».

«هذا منصف، ولكن لدي شعورٌ بأننا سنتقابل أكثر بما أنني قد انضممت لمجلس إدارة بارينغتون».

«ستنضم للمجلس سيدي؟»

«إنها قصة طويلة. سأخبرك إياها حين أتعرف إليك بشكل أفضل».

كانت تلك هي اللحظة التي أدرك فيها سيباستيان أن بوب بينغهام هو الرجل المجهول الذي لم يكن من الممكن ذكر اسمه حتى تنتهي الصفقة.

كان متشوقاً لتقديم الهدية لسام. حين وصل إلى خارج مبناها، فتح الباب الأمامي بالمفتاح الذي أعطته إياه صباحاً.

كتب رجلٌ واقفٌ في الظلال في الجهة الأخرى من الشارع العنوان. لأن كليفتون دخل بواسطة مفتاحه، افترض أن هذا مكان سكن كليفتون. على طاولة العشاء، سيخبر والده بهوية الشخص الذي اشترى أسهم بارينغتون، اسم البنك في يوركشاير الذي تولى أمر العملية التجارية، ومكان عيش سيباستيان. بل حتى ما تناوله على الغداء. استدعى لويس سيارة أجرة، وطلب الذهاب إلى إيتون سكوير.

صرخ: «توقف!» حين رأى اللافتة. قفز خارج السيارة وركض إلى فتى بيع الجرائد واشترى نسخة من صحيفة لندن إيفنينغ نيوز. قرأ العنوان «امرأة تدخل غيبوبة بعد القفز من قطار ذا نايت سكوتسمان» وابتسم قبل العودة إلى سيارة الأجرة.

من الواضح أن أحداً ما آخر قد نفذ تعليمات والده أيضاً.

الفصل الثامن والثلاثون

مساء الأربعاء

فكّر أمين سر مجلس الوزراء بجميع التبديلات الممكنة، وشعر أنه قد وجد أخيراً الطريقة المثالية ليتعامل مع الأربعة بضربة فنية واحدة.

كان السير آلان ريدماين يؤمن بالقانون، فقد كان في النهاية أساس أي نظام ديموقراطي. في كل مرة كان يُسأل فيها، كان السير آلان يتفق مع تشرتشل بأن الديموقراطية، كأحد أشكال الحكومة، كانت تملك نقاطاً سلبية، ولكن، بالمقارنة مع غيرها، لا تزال أفضل عرض ممكن. ولكن لو منح الحرية الكاملة، لكان اختار ديكتاتورية لطيفة. كانت المشكلة في أن الديكتاتوريين، بطبيعتهم، لم يكونوا لطفاء. لم يكن ذلك متوافقاً مع وصف عملهم. برأيه، كان أمين سر مجلس الوزراء أقرب ما تملكه بريطانيا العظمى لديكتاتور.

لو كانت هذه الأرجنتين، لكان السير آلان أمر ببساطة الكولونيل سكوت هوبكينز بقتل دون بيدرو مارتينيز وديبغو مارتينيز ولويس مارتينيز وكارل لسندروف بالتأكيد، ومن ثم أغلق ملفاتهم.

ولكن كما كان الحال بالنسبة إلى كثير من سكرتارية المجلس قبله، عليه أن يجامل ويرضى بعملية اختطاف واحدة، وعمليتي ترحيل، ومفلس لن يعود أمامه خيار سوى العودة إلى وطنه دون أن يفكر بالعودة.

في الظروف العادية، كان السير آلان انتظر القانون كي يأخذ الإجراءات اللازمة. ولكن للأسف تم إرغامه على ذلك من قبل الملكة الأم.

قرأ في منشور المحكمة أن جلالتها قبلت دعوة من رئيس مجلس شركة بارينغتون للشحن، السيدة هاري كليفتون، لتسمية السفينة باكينغهام ظهر يوم

الاثنين 21 سبتمبر، ما ترك له بضعة أسابيع فقط لينفذ خطته، بما أنه لم يشك في أن كل ما سيشغل تفكير دون بيدرو مارتينيز في ذلك اليوم هو حفل التسمية.

كانت حركته الأولى، خلال الأيام القليلة القادمة التي سيكون منشغلاً فيها، هي التأكد من خروج كارل لسندروف من المعادلة بأكملها. جريمته الأخيرة التي لا تغتفر على متن قطار ذا نايت سكوتسمان كانت حقيرة، حتى بالنسبة إلى مستواه الدنيء. يمكن لدييغو ولويس مارتينيز أن ينتظرا دورهما لأنه كان يملك أدلة أكثر من كافية لاعتقالهما. وكان واثقاً من أنه حين سيتم إطلاق سراح الابنين بكفالة، حتى تتم محاكمتهما، سيهربان من البلاد خلال أيام. ستكون الشرطة مكلفة بعدم حجزهما حين يظهر في المطار، لأنهما سيكونان مدركين تماماً أنهما لن يعودا إلى بريطانيا أبداً إلا إن أرادا أن يقضيا بقية حياتهما في السجن.

يمكن تأجيل أمرهما. ولكن أمر كارل أوتو لسندروف، وهذا اسمه الكامل في شهادة ميلاده، لا يمكن تأجيله.

على الرغم من أنه كان واضحاً من الوصف الذي قدمه المضيف الرئيس على متن قطار ذا نايت سكوتسمان أن لسندروف هو المسؤول عن دفع – قلب صفحة في ملفه – الآنسة كيتي بارسونز، العاهرة المعروفة، إلى خارج القطار عند منتصف الليل، إلا أنه لم يكن هنالك فرصة للحصول على قرار محكمة منطقي ضد ضابط الشرطة النازية السابق بينما لا تزال الفتاة المسكينة في غيبوبة. بغض النظر عن هذا، كانت العدالة ستأخذ مجراها قريباً.

لم يكن السير آلان مهتماً بحفلات الكوكتيل كثيراً وبالرغم من أنه يستلم عشر دعوات يومياً لحضور حفلات مثل حفلة حديقة الملكة ورويال بوكس في ويمبلدون، في تسع مرات من أصل عشرة، كان يضع كلمة «لا» في الزاوية اليمنى العلوية من الدعوة ويترك سكرتيرته لتختلق عذراً مقنعاً.

ولكن، حين استلم دعوة من المكتب الأجنبي إلى حفلة مشروبات

للترحيب بالسفير الإسرائيلي الجديد، كتب السير آلان «نعم» على الزاوية اليمنى العلوية.

لم يكن أمين سر مجلس الوزراء يرغب بلقاء السفير الجديد، والذي التقى به حين كان عضواً في عدة وفود في الماضي. ولكن، سيكون هنالك ضيف في الحفلة يريد التكلم معه على انفراد.

غادر السير آلان مكتبه في شارع داونينغ بعد الساعة السادسة بقليل وسار إلى المكتب الأجنبي. بعد أن قدم تهانيه للسفير الجديد، وتبادل الدعابات مع عدة أشخاص آخرين أرادوا الترحيب به، تنقل في الغرفة المزدحمة، حاملاً كأسه، حتى رأى فريسته.

كان سيمون ويزنثال يتحدث مع الحاخام الأكبر حين انضم السير آلان إليهما. انتظر بصبر حتى يبدأ السير إسرائيل برودي حديثاً مع زوجة السفير، قبل أن يدير ظهره للمتحدثين، لكي يوضح أنه لا يريد أن تتم مقاطعته.

«دكتور ويزنثال، هل يمكنني إبداء إعجابي بحملتك لمطاردة أولئك النازيين الذين كانوا مشتركين في المحرقة». انحنى ويزنثال قليلاً. قال أمين سر المجلس بصوت منخفض: «أتساءل إن كان الاسم كارل أوتو لسندروف يعني شيئاً لك؟»

قال ويزنثال: «الملازم لسندروف كان واحداً من أقرب مساعدي هيملر، عمل محققاً في الشرطة النازية في فريقه الخاص. لدي الكثير من الملفات المكرسة له، سير آلان، ولكن يؤسفني القول إنه فر من ألمانيا قبل أيام قليلة من دخول الحلفاء إلى برلين. سمعت آخر مرة أنه يعيش في بوينس آيرس».

همس السير آلان: «أعتقد أنك ستكتشف إنه أقرب بقليل إلى موطنه».

اقترب ويزنثال أكثر وحنى رأسه وأصغى باهتمام.

قال ويزنثال بعد أن أخبر أمين سر المجلس بعض المعلومات الهامة: «شكراً لك سير آلان، سأعمل على ذلك فوراً».

«إن كان هنالك ما يمكنني مساعدتك به، بصفة غير رسمية بالطبع، تعرف

أين تجدني». انضم إليهما أعضاء أصدقاء إسرائيل.

وضع السير آلان كأسه على صينية يحملها أحد النُدل، وتمنى ليلة سعيدة للسفير الجديد وعاد إلى تن داونينغ ستريت. جلس لكي يراجع أهم بنود خطته مرة أخيرة، ليتأكد من أن كل نقطة في مكانها، مدركاً أن المشكلة الكبرى ستكون التوقيت، تحديداً إن أراد أن يتم إلقاء القبض عليهما في اليوم الذي يلي اختفاء لسندروف.

حين وضع اللمسة الأخيرة بعد منتصف الليل بقليل، قرر أمين سر المجلس أنه، حتى مقارنة بغيره، كان سيختار مع ذلك نظاماً ديكتاتورياً لطيفاً.

وضع الرائد أليكس فيشر الرسالتين على مكتبه، متجاورين: رسالة استقالته من مجلس بارينغتون، بجانب رسالة من سيدريك هاردكاسل وصلت صباح ذاك اليوم، يعرض فيها عليه فرصة لمتابعة عمله كعضو في المجلس. نقلة سهلة، كما وصفها هاردكاسل، مع فوائد على المدى البعيد.

بقي أليكس محتاراً بينما كان يقارن إيجابيات وسلبيات كل من الخيارين. هل عليه أن يقبل عرض سيدريك الكريم ويحافظ على مكانه في المجلس، مع دخل يساوي 2000 جنيه في العام عدا المصاريف، وكل فرصة ممكنة ليلاحق اهتماماته الأخرى؟ ولكن إن استقال من المجلس، وعده دون بيدرو بمبلغ 5000 جنيه نقداً. بالمقارنة، كان عرض هاردكاسل مغرياً أكثر. ولكن كان هنالك سؤال حول الانتقام الذي سيفكر دون بيدرو فيه إن تراجع عن اتفاقهما في اللحظة الأخيرة، كما حصل مع الآنسة كيتي بارسونز مؤخراً.

كان هنالك قرعٌ على الباب، ما فاجأ أليكس، لأنه لم يتوقع أن يزوره أحد. تفاجأ أكثر حتى حين فتح الباب ليجد دييغو مارتينيز يقف في الخارج.

قال أليكس: «صباح الخير» وكأنه كان يتوقعه. أضاف: «تفضل» غير واثق مما عليه قوله. قاد دييغو إلى المطبخ، حيث لم يرد أن يرى الرسالتين على مكتبه. سأل: «ما الذي أتى بك إلى بريستول؟» تذكر أن دييغو لا يشرب

الكحول، فوضع إبريقاً على النار.

قال دييغو: «طلب مني والدي أن أعطيك هذا». ووضع مغلفاً سميكاً على طاولة المطبخ. «لن تحتاج لعدها. المبلغ هو تماماً ما طلبته؛ ألفان. يمكنك أخذ الباقي يوم الاثنين، بعد أن تسلم رسالة استقالتك».

اتخذ أليكس قراراً، الخوف أقوى من الطمع. حمل المغلف ووضعه في جيبه الداخلي، ولكن لم يقل كلمة شكراً.

«طلب مني والدي تذكيرك أنه يتوقع منك أن تكون متوفراً للتحدث مع الصحافة بعد أن تقدم استقالتك صباح يوم الجمعة».

قال فيشر: «بالطبع، بعد أن أسلم الرسالة للسيدة كليفتون» – لا يزال يجد صعوبة في أن يدعوها بكلمة الرئيس – «سأرسل البرقيات كما اتفقنا، وأعود إلى المنزل وأجلس خلف مكتبي وأنتظر الرد على الاتصالات».

قال دييغو بينما كان الماء يغلي في الإبريق: «جيد، إذن سنراك ظهر يوم الاثنين في إيتون سكوير، وإن كانت التغطية الصحفية للاجتماع السنوي العام مبشرة بالخير، أو مبشرة بالشر بكلمات أخرى» – ابتسم – «ستحصل على الآلاف الثلاثة الباقية».

«ألن تحتسي كوباً من القهوة؟».

«كلا. أوصلت المال ورسالة والدي. أراد فقط أن يتأكد من أنك لم تغير رأيك».

«لماذا ظن أنني سأغير رأيي؟»

قال دييغو: «لا يمكنني التخيل، ولكن تذكر» نظر إلى الأسفل إلى صورة للآنسة كيتي بارسونز على الصفحة الأولى من صحيفة تلغراف، «إن حصل خطأ ما، لن أكون أنا الشخص الذي يستقل القطار التالي إلى بريستول».

بعد أن غادر دييغو، عاد أليكس إلى مكتبه، مزق رسالة سيدريك هاردكاسل، ورمى القطع الممزقة في سلة المهملات. ليس هنالك حاجة للرد. سيحصل هاردكاسل على الرد يوم السبت، حين يقرأ رسالة استقالته في الصحف الوطنية.

دلل نفسه بتناول الغداء في مطعم كاروادين، وأمضى فترة بعد الظهر وهو يسوي عدة ديون صغيرة مع التجار، كان قد تأخر عن تسديد بعضها منذ فترة طويلة. حين عاد إلى المنزل، تفقد المغلف ليجد أنه لا يزال يملك 1،265 جنيهاً على شكل أوراق خمسة من فئة خمسة، مع 3000 جنيه أخرى ستصله يوم الاثنين إن أظهرت الصحافة اهتماماً كافياً بالقصة. استلقى مستيقظاً وهو يراجع بعض البيانات التي ستثير اهتمام الصحفيين. أخشى أن سفينة باكينغهام قد غرقت حتى قبل رحلتها الأولى. إن تعيين امرأة كرئيس لمجلس شركة كان رهاناً متهوراً، ولا أعتقد أن الشركة ستتعافى من ذلك أبداً. طبعاً بعت أسهمي، أفضل أن أخسر قليلاً الآن على أن أندم لاحقاً.

الصباح التالي، بعد ليلة من الأرق، اتصل أليكس بمكتب رئيس المجلس، وأخذ موعداً ليراها الساعة العاشرة من صباح الجمعة. أمضى بقية اليوم متسائلاً إن اتخذ القرار الصحيح، ولكنه يعلم أنه إن لم يفعل بعد أن أخذ مال القرصان، سيظهر كارل على عتبته، ولن يقطع تلك المسافة إلى بريستول كي يسلمه الثلاثة آلاف الباقية.

على الرغم من هذا، بدأ أليكس يشعر وكأنه ارتكب أكبر خطأ في حياته. كان عليه أن يفكر بالأمر بأكمله بشكل معمق. بعد أن يتم نشر هذه الرسالة في أي صحيفة، سيكون احتمال أن يُطلب منه الانضمام لأي مجلس آخر مستحيلاً.

تساءل إن كان الأوان قد فات لكي يغير رأيه. إن أخبر هاردكاسل، سيعطيه ألف جنيه مقدماً، لكي يدفع لمارتينيز كل شيء؟ سيتصل به بعد أن يستيقظ صباحاً.

وضع الإبريق على النار وشغل الراديو. لم يكن يعيره الكثير من انتباهه، حتى سمع الاسم كيتي بارسونز. رفع الصوت وسمع المذيع يقول: «أكد متحدث باسم السكك الحديدية البريطانية أن الآنسة بارسونز توفيت خلال الليل، ولم تستيقظ من غيبوبتها».

الفصل التاسع والثلاثون

صباح الخميس

أدركوا أربعتهم أنهم لا يستطيعون متابعة العملية ما لم تكن السماء ممطرة. كما أنهم علموا أنه لم تكن هنالك حاجة ليتبعوه، لأن الخميس كان يوم تسوقه في هارودز، ولم يتغير روتينه يوماً.

إن كان الجو ماطراً في أحد أيام الخميس، كان يترك معطفه ومظلته في غرفة المعاطف في المتجر في الطابق الأرضي. ثم يذهب لزيارة قسمين، قسم التبغ، حيث كان يشتري صندوقاً من سيجار مونتكريستو المفضل لدى دون بيدرو، وقسم المأكولات، حيث كان يشتري حاجيات عطلة نهاية الأسبوع. على الرغم من أنهم قاموا بإجراء البحث اللازم، كان يجب إنجاز كل شيء بتوقيت في غاية الدقة. ولكن، كان لديهم ميزة وحيدة: يمكنك دوماً أن تعتمد على التزام ألماني بجدول المواعيد.

خرج لسندروف من المنزل 44 في إيتون سكوير بعد الساعة العاشرة بقليل. كان يرتدي معطفاً أسود طويلاً ويحمل مظلة. نظر إلى الأعلى نحو السماء وحمل مظلته، ثم سار بهمة باتجاه نايتسبريدج. لم يكن هذا يوماً مناسباً للنظر إلى واجهات المحلات.

في الحقيقة، قرر لسندروف أنه حالما ينتهي من شراء كل ما هو بحاجة إليه، سيستقل سيارة أجرة إلى إيتون سكوير إن كان الجو لا يزال ماطراً. ولكنهم كانوا متحضرين لهذا أيضاً.

حين دخل متجر هارودز اتجه مباشرة نحو غرفة المعاطف، حيث سلم مظلته ومعطفه لامرأة خلف المنضدة قامت في المقابل بإعطائه قرصاً صغيراً

مرقماً. ثم شق طريقه عبر قسم العطورات والمجوهرات قبل التوقف عند منضدة التبغ. لم يتبعه أحد. بعد أن أخذ صندوق السيجار المعتاد، انتقل إلى قاعة المأكولات حيث أمضى أربعين دقيقة وهو يملأ عدة أكياس تسوق. عاد إلى غرفة المعاطف بعد الساعة الحادية عشرة بقليل، ونظر عبر النافذة، ليجد السماء تمطر بغزارة. تساءل إن كان البواب يستطيع أن يوقف سيارة أجرة. وضع الأكياس على الأرض وأعطى القرص النحاسي للمرأة خلف منضدة غرفة المعاطف. اختفت في غرفة خلفية وعادت بعد لحظات حاملة مظلة نسائية وردية اللون.

قال لسندروف: «هذه ليست لي».

قالت المساعدة التي بدت مرتبكة: «أعتذر سيدي، وعادت إلى الغرفة الخلفية على الفور. حين ظهرت أخيراً كانت تحمل فرو ثعلب.

قال لسندروف: «هل يبدو هذا وكأنه لي؟».

عادت مجدداً للداخل ومضى بعض الوقت قبل أن تظهر من جديد مع قبعة مطرية صفراء اللون.

صرخ لسندروف: «هل أنت غبية تماماً؟» احمرت وجنتا الموظفة وبقيت متسمرة في مكانها، وكأنها انشلت. أخذت مكانها امرأة أكبر سناً.

قالت: «أعتذر يا سيدي، ربما ترغب بالدخول لتريني أيٌّ هما معطفك ومظلتك». رفعت غطاء المنضدة التي فصلت بين العملاء والموظفين. كان عليه أن ينتبه لخطئها.

تبعها لسندروف إلى الغرفة الخلفية، ولم يتطلب منه الأمر سوى بضع لحظات ليرى معطفه المطري معلقاً في نصف الصف. كان ينحني لأخذ مظلته حين شعر بضربة على رأسه. انهارت ركبتاه، ووقع على الأرض بينما ظهر ثلاثة رجال من خلف صف المعاطف. أمسك العريف كران بذراعي لسندروف وربطهما خلف ظهره، بينما قام الرقيب روبرتس بوضع سدادة في

فمه وربط هارتلي كاحليه سوية.

بعض لحظات قليلة، ظهر الكولونيل سكوت هوبكينز مرتدياً سترة خضراء مصنوعة من اللينين وهو يدفع سلة غسيل كبيرة. فتح غطاءها بينما وضع الثلاثة لسندروف في داخلها. حتى حين كان مثنياً مرتين، كان بالكاد يتسع. وضع القبطان هارتلي المعطف والمظلة معه، ثم أغلق كران الغطاء وأغلق الأحزمة الجلدية.

قال الكولونيل: «شكراً لك راشيل». بينما أمسكت مساعدة غرفة المعاطف غطاء المنضدة لتسمح له بدفع السلة إلى الخارج.

خرج العريف كران قبلهم إلى شارع برومبتون، وكان روبرتس على بُعد ياردة خلفه. لم يتوقف العريف وهو يدفع السلة نحو شاحنة هارودز كانت مركونة أمام المدخل؛ مفتوحة الأبواب. انضم الكولونيل إلى كران في المقعد الأمامي، بينما جلس كل من هارتلي وروبرتس في الخلف وأغلقا الأبواب.

قال الكولونيل: «لنتحرك».

قاد كران الشاحنة إلى الطريق الرئيسي وانضم إلى حركة المرور الصباحي البطيئة في شارع برومبتون نحو A4. علم تماماً أين كان ذاهباً لأنه قام برحلة تجريبية في اليوم السابق، وهو أمرٌ كان الكولونيل يصر عليه دوماً.

بعد أربعين دقيقة، أومض كران بالأنوار الأمامية مرتين حين اقترب من السياج الخارجي لمهبط طائرات مهجور. لم يكن عليه الانتظار طويلاً قبل أن تنفتح البوابة، ما أتاح له القيادة إلى طريق كانت فيه طائرة شحن مع شارتها الزرقاء والبيضاء المعروفة تنتظرهم، وسُلمها مسدل.

فتح هارتلي وروبرتس باب الشاحنة الخلفي وقفزا منها إلى المدرج حتى قبل أن يوقف العريف عمل المحرك. أُخرجت سلة الغسيل من الشاحنة، دُفعت على السلم ورُميت في مستودع الطائرة. خرج هارتلي وروبرتس بهدوء من الطائرة، ركبا الشاحنة وأغلقا الأبواب بسرعة خلفهما.

كان الكولونيل يراقب كل شيء يحصل عن كثب، وبفضل أمين سر مجلس الوزراء، لم يكن بحاجة إلى أن يفسر لضابط الجمارك الحذر ما الذي كان في السلة أو إلى أين كانت متجهة. عاد إلى مقعده في مقدمة الشاحنة. وبما أن المحرك كان قيد العمل، أسرع كران بالقيادة حالما أُغلق الباب.

وصلت الشاحنة إلى بوابة السياج الخارجي المفتوحة بينما بدأ سلم الطائرة بالارتفاع، وكانت على الطريق الرئيسي بحلول الوقت الذي بدأت فيه الطائرة بالتحرك على المدرج. لم يروها وهي تقلع حيث كانوا يتجهون شرقاً وكانت الطائرة تتجه جنوباً. بعد أربعين دقيقة، كانت شاحنة هارودز قد عادت إلى مكانها خارج المتجر. استغرقت العملية بأكملها أكثر من ساعة ونصف بقليل. كان رجل التوصيل المعتاد ينتظر على الرصيف كي تعود شاحنته. كان متأخراً، ولكنه سيعوض الوقت الضائع أثناء مناوبة المساء، دون أن يعلم رئيسه شيئاً.

خرج كران إلى الرصيف وسلمه المفاتيح. قال: «شكراً لك يا جوزف». وصافح زميله السابق.

سلك كل من هارتلي وكران وروبرتس طرقاً مختلفة وهم عائدون إلى ثكنات تشيلسي، بينما عاد الكولونيل سكوت هوبكينز إلى هارودز واتجه مباشرة نحو غرفة المعاطف.

كانت المساعدتان اللتان تعملان في غرفة المعاطف لا تزالان واقفتين خلف المنضدة.

قال: «شكراً لك راشيل» بينما خلع سترة هارودز وطواها بشكل مرتب ووضعها على المنضدة.

ردت المساعدة الأكبر سناً: «ذلك من دواعي سروري أيها الكولونيل».

«هل يمكنني أن أسأل ما فعلتموه بمشتريات السيد؟».

«أعطت ريبيكا كل الأكياس إلى قسم المفقودات، وهذه من سياسات

الشركة إن لم نكن نعلم متى سيعود أحد الزبائن. ولكن احتفظنا بهذه من أجلك». وأخرجت رزمة من تحت المنضدة.

قال: «هذا لطفٌ منك يا راشيل» وحمل صندوقاً من سيجار مونتكريستو.

* * *

حين هبطت الطائرة، استقبلتها لجنة استقبال كانت تنتظر بصبر حتى يتم إسدال السلم.

صعد أربعة جنود شبان على متن الطائرة، أنزلوا سلة الغسيل على السلم بشكلٍ همجي وألقوا بها أمام رئيس لجنة الاستقبال. تقدم أحد الضباط، فك الأحزمة الجلدية ورفع الغطاء، ليكشف عن شخصٍ مضروب ومغطى باللكمات، مربوط اليدين والرجلين.

قال رجلٌ انتظر هذه اللحظة لمدة عشرين عاماً تقريباً: «أزل السدادة وفك قيده». لم يتحدث مجدداً حتى استعاد الرجل قواه بما فيه الكفاية للتسلق إلى خارج السلة والوصول إلى الإسفلت. قال سيمون ويزنثال: «لم نلتق من قبل، أيها الملازم لسندروف، ولكني دعني أكون أول من يرحب بك في إسرائيل».

لم يتصافحا.

الفصل الأربعون

صباح الجمعة

كان دون بيدرو مصدوماً. حصل الكثير في مدة زمنية قصيرة.

استيقظ عند الساعة الخامسة على صوت طرق قوي ومستمر على الباب الأمامي، وكان محتاراً لماذا لم يفتح كارل الباب. افترض أن أحد الشابين عاد متأخراً إلى البيت وقد نسي مفاتيحه مجدداً. نهض من السرير، ارتدى رداءً ونزل إلى الطابق السفلي، عازماً على أن يقول لدييغو أو لويس كم يكره الاستيقاظ في تلك الساعة من الصباح.

في اللحظة التي فتح فيها الباب اندفع داخل المنزل اثنا عشر رجل شرطة، هرعوا إلى الأعلى وألقوا القبض على دييغو ولويس، اللذين كانا نائمين في سريريهما. بعد أن سُمح لهما بارتداء ملابسهما، رميا في سيارة شرطة. لِمَ لم يكن كارل هنالك كي يساعده؟ أو هل ألقوا القبض عليه هو الآخر؟

هرع دون بيدرو إلى الطابق العلوي مجدداً وفتح باب غرفة كارل، ليجد سريره فارغاً.

نزل ببطء إلى الطابق السفلي ودخل مكتبه واتصل بمحاميه على رقم منزله، وكان يشتم ويضرب قبضته على المكتب بشكلٍ متكرر بينما انتظر الرد.

أخيراً، أجاب صوت ناعس، وأصغى بانتباه لعميله وهو يصف دون ترابط ما حصل للتو. أصبح السيد إيفرارد الآن مستيقظاً، ورجله على الأرض. قال: «سأتصل بك في اللحظة التي أعرف فيها أين أخذوهما، وما هي التهم الموجهة إليهما. لا تقل شيئاً عن هذا لأي أحد حتى أتصل بك». استمر دون

بيدرو بخبط قبضته على المكتب وبالشتم بصوت عالٍ، ولكن لم يكن هنالك من يصغي.

ورد الاتصال الأول من صحيفة إيفنينغ ستاندارد. رفع دون بيدرو صوته قائلاً: «لا تعليق!» وأغلق السماعة بقوة. استمر باتباع نصيحة محاميه، وقال الرد الفظ ذاته لصحيفة ديلي ميل، وذا ميرور، وذا إكسبرس وذا تايمز. لم يكن ليرد على الهاتف حتى لو لم يكن بأمس الحاجة لسماع الأخبار من إيفرارد. في النهاية، وبعد الساعة الثامنة بقليل اتصل المحامي ليخبره أين تم احتجاز ديبغو ولويس، ثم أمضى الدقائق القليلة التالية وهو يشدد على خطورة التهم. قال: «سأقدم طلب لإطلاق السراح بكفالة لكليهما، مع أنني لست متفائلاً كثيراً».

سأل دون بيدرو: «وماذا عن كارل؟ ألم يخبروك أين هو وما هي تهمه؟»

«أنكروا معرفة أي شيء عنه».

قال دون بيدرو: «استمر بالبحث، لا بد أن أحداً ما يعرف أين هو».

* * *

عند الساعة التاسعة، ارتدى أليكس فيشر بذلة مقلمة رسمية وربطة عنق وانتعل حذاء أسود جديداً. نزل إلى الطابق السفلي ودخل مكتبه وقرأ رسالة استقالته مرة أخيرة قبل أن يغلق المغلف ويكتب عليه إلى السيدة كليفتون، في شركة بارينغتون للشحن في بريستول.

فكّر بما عليه القيام به في الأيام القليلة التالية إن كان سينفذ ما وكله به دون بيدرو ويضمن الحصول على الآلاف الثلاثة الباقية. أولاً، عليه أن يكون في مكتب شركة بارينغتون للشحن عند الساعة العاشرة لكي يعطي الرسالة للسيدة كليفتون. ثم عليه أن يزور صحيفتين محليتين، ذا بريستول إيفنينغ بوست وذا بريستول إيفنينغ وورلد، وأن يعطيهما نسختين من الرسالة. ستكون

تلك المرة الأولى التي وصلت فيها إحدى رسائله إلى الصفحة الأولى من صحيفة.

محطته التالية ستكون مكتب البريد، حيث سيرسل برقيات إلى محرري كل الصحف الوطنية، مع رسالة بسيطة: «الرائد أليكس فيشر يستقيل من مجلس شركة بارينغتون للشحن ويطالب باستقالة رئيس المجلس، لأنه يخشى إفلاس الشركة». ثم عليه العودة إلى المنزل والانتظار بالقرب من الهاتف لكي يجيب عن جميع الأسئلة المحتملة التي حُضرت له.

غادر أليكس شقته بعد الساعة 9:30 بقليل. وقاد باتجاه الأرصفة، شاقاً طريقة ببطء عبر ازدحام ساعة الذروة. لم يكن متحمساً لكي يعطي الرسالة للسيدة كليفتون.

قرر بالفعل أن يتأخر عدة دقائق، ويتركها تنتظر. حين قاد سيارته عبر بوابة الباحة، أدرك فجأة كم سيشتاق إلى هذا المكان. شغل الراديو على محطة بي بي سي لكي يسمع عناوين الأخبار. ألقت الشرطة القبض على سبع وثلاثين من محبي موسيقى الروك ومتبعي نمط المود في برايتون واتهموهم بإقلاق الراحة، بدأ نيلسون مانديلا تنفيذ عقوبته بالسجن مدى الحياة في سجن في جنوب أفريقيا، وتم إلقاء القبض على رجلين في 44 إيتون سكوير... أطفأ الراديو حين وصل إلى مساحة ركنه – 44 إيتون سكوير...؟ شغّل الراديو بسرعة، ولكن العناوين الرئيسة كانت قد انتهت، واضطر لسماع المزيد من التفاصيل حول المعارك التي حصلت في شاطئ برايتون بين محبي نمط المود والروك. لام أليكس الدولة لأنها ألغت الخدمة الوطنية. «نيلسون مانديلا، رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي بدأ بتنفيذ عقوبته بالسجن لمدى الحياة بسبب تهمة التخريب والتآمر للإطاحة بحكومة أفريقيا الجنوبية». قال أليكس بقناعة: «هذه آخر مرة سنسمع فيها اسم الوغد».

«داهمت شرطة ميتروبوليتان منزلاً في إيتون سكوير في ساعات الصباح

المبكرة، واعتقلت رجلين يحملان جوازي سفر أرجنتينيين. سيخضعان للمحاكمة في محكمة تشيلسي لاحقاً اليوم...»

* * *

حين غادر دون بيدرو 44 إيتون سكوير بعد الساعة 9:30 بقليل، تم الترحيب به من قبل وابل من الأضواء الوامضة التي كادت تعميه وهو يحاول التهرب والحصول على سيارة أجرة.

بعد خمس عشرة دقيقة، حين وصلت سيارة الأجرة إلى محكمة تشيلسي، استقبل من قبل المزيد من الكاميرات. اندفع عبر حشد المراسلين إلى المحكمة رقم 4، ولم يتوقف للإجابة عن أي من أسئلتهم.

حين دخل قاعة المحكمة، أسرع السيد إيفرارد بالانضمام إليه، وبدأ بتوضيح العملية التي كانت على وشك الحصول. ثم تحدث عن تفاصيل التُهم، معترفاً أنه لم يكن واثقاً تماماً أن أياً من الشابين سيحصل على إطلاق سراح بكفالة.

«هل هنالك أي أخبار عن كارل؟».

همس إيفرارد: «لا، لم يره أحد أو يسمع عنه منذ أن غادر إلى متجر هارودز صباح أمس».

عبس دون بيدرو وجلس في الصف الأمامي، بينما عاد إيفرارد إلى مقعد محامي الدفاع. في الجهة الأخرى من المقعد جلست شابة ترتدي ثوباً أسود قصيراً كانت تتفقد بعض الأوراق. كانت أفضل ما يمكن للملاحقة القضائية تدبره، شعر دون بيدرو بمزيد من الثقة.

كان متوتراً ومتعباً، نقّل ناظريه في القاعة شبه الفارغة. في جهة منها، كان يجلس ستة مراسلين مع دفاتر مفتوحة وأقلام جاهزة، مثل قطيع من كلاب الصيد الذين ينتظرون الانقضاض على ثعلب جريح. خلفه، في القسم الخلفي من المحكمة، جلس أربعة رجال، عرف كلاً منهم بالنظر. شك أنهم

جميعاً يعلمون أين هو كارل.

أعاد دون بيدرو نظره إلى القسم الأمامي من القاعة حيث أثار بعض المسؤولين الثانويين الجلبة وهم يتأكدون من أن كل شيء كان جاهزاً قبل أن يدخل الشخص الوحيد الذي يمكنه إعلان البدء. حين رن جرس الساعة العاشرة، دخل قاعة المحكمة رجل طويل ونحيل يرتدي ثوباً أسود طويل. نهض المحاميان على الفور من مكانيهما وانحنيا احتراماً. رد القاضي التحية قبل أن يجلس في مكانه وسط المنصة.

حين استقر في مكانه، أخذ وقته وهو ينظر في أرجاء القاعة. وكأنه متفاجئ بعدد الصحفيين الكبير غير المألوف في مقاضاة هذا الصباح، لم يُبيّن ذلك. أومأ برأسه لكاتب المحكمة، استقر في كرسيه وانتظر. بعد لحظات، ظهر المدعى عليه الأول من تحت قاعة المحكمة وجلس في قفص الاتهام. حدق دون بيدرو إلى لويس، حيث كان قد قرر بالفعل ما الذي يجب أن يحصل في حال قُبل خروجه بكفالة.

قال القاضي: «اقرأ التهمة» ونظر إلى كاتب المحكمة.

انحنى الكاتب، استدار ليواجه المدعى عليه وقال بصوت جهوري: «التهمة هي أنك، يا لويس مارتينيز، دخلت عنوة إلى مسكن خاص، وهو الشقة 4، 12 غليب بليس، لندن SW3، في ليلة السادس من يونيو 1964، حيث دمرت عدة ملكيات خاصة بالآنسة جيسيكا كليفتون. ما هو ردك على التهمة، مذنب أم غير مذنب؟»

تمتم المدعى عليه: «غير مذنب».

دون القاضي الكلمتين على دفتره بينما نهض محامي الدفاع من مكانه.

قال القاضي: «نعم سيد إيفرارد».

«حضرة القاضي، إن موكلي رجلٌ ذو شخصية وسمعة لا تشوبهما شائبة،

وبما أن هذه الجريمة الأولى التي يتهم بها، فنحن نطلب كما هو متوقع إطلاق سراح بكفالة».

قال القاضي: «سيد دوفيلد» ووجه تركيزه إلى الشاب الجالس في الجهة الأخرى من المقعد. «هل لديك أية اعتراضات على هذا الطلب من قبل محامي الدفاع؟»

رد محامي الادعاء: «لا أملك اعتراضاً، حضرة القاضي» حيث بالكاد نهض من مكانه.

«حسناً، سأحدد كفالة بقيمة ألف جنيه سيد إيفرارد». سجل القاضي ملاحظة أخرى في دفتره. «سيعود موكلك إلى المحكمة ليواجه الادعاءات في الثاني والعشرين من أكتوبر عند الساعة العاشرة صباحاً. هل هذا واضح، سيد إيفرارد؟»

«نعم يا حضرة القاضي، أنا ملزم بذلك». وانحنى انحناءة طفيفة.

نزل لويس من قفص الاتهام، وكان واضحاً عليه أنه لم يعلم ما عليه فعله بعدها. أومأ إيفرارد باتجاه والده، فذهب لويس وجلس بالقرب منه في الصف الأمامي.

لم يتحدث أي منهما. بعد لحظات، ظهر دييغو من الأسفل، برفقة شرطي. جلس في قفص الاتهام وانتظر حتى يتم قراءة التهمة.

«التهمة هي أنك، يا دييغو مارتينيز، حاولت أن ترشي سمسار بورصة في ذا سيتي. ما هو ردك على التهمة، مذنب أم غير مذنب؟»

قال دييغو بحزم: «غير مذنب».

نهض السيد إيفرارد على الفور. «هذه يا حضرة القاضي حالة أخرى من عدم وجود سوابق إجرامية، لذا للمرة الثانية، لن أتردد في طلب إطلاق سراحه بكفالة». نهض السيد دوفيلد من الجهة الأخرى من المقعد وحتى قبل أن يسأل القاضي، أعلن: «لا أملك اعتراضاً على إطلاق السراح بكفالة في هذه

الحالـة». كان إيفـرارد مرتبـكاً. لماذا لم يحـاول الادعاء أن يهاجم؟ كان ذلك سهلاً أكثر من المعتاد، أم هل فوت أمراً ما؟

قال القاضي: «إذن سـأحدد كفالة بقيمة ألفي جنيه، وسـأنقل هذه القضية ليتم سماعها في المحكمة العليا. سيتم تحديد موعد للمحاكمة حين يتم إيجاد وقت مناسب في تقويم المحكمة».

قال إيفرارد: «أنا ملزم بذلك، حضرة القاضي».

خرج دييغو من قفص الاتهام وسار للانضمام إلى والده وأخيه. من دون أن يتفوه أي منهم بكلمة، غادروا قاعة المحكمة على الفور.

اندفع دون بيدرو وابنيه عبر حشـد المصورين وهم يشـقون طريقهم إلى الشـارع. أوقـف دييغـو سـيارة أجـرة مارة، وبقـوا صامتين وهو يجلسـون في المقعـد الخلفـي. لـم يتحدث أي منهم حتى أغلـق دون بيدرو الباب الأمامي للمنزل رقم 44 في إيتون سكوير ودخلوا المكتب.

أمضوا الساعتين التاليتين وهم يتناقشون في الخيارات المتبقية لديهم. لم يحددوا مخططاً للأحداث إلا بعد السـاعة الثانية عشـرة ظهراً بقليل، ووافقوا على تنفيذه بشكل مباشر.

* * *

خرج أليكس من سـيارته وكاد يركض إلى داخل دار بارينغتون. اسـتقل المصعـد إلـى الطابـق الأخيـر وسـار بسـرعة نحـو مكتـب رئيـس المجلس. السكرتيرة التي بدا واضحاً أنها كانت تنتظره تقدمته إلى المكتب.

قال أليكس وهو يلتقط أنفاسه: «أنا أعتذر على التأخير أيتها الرئيسة».

قالت إيما: «صباح الخير أيها الرائد» ولم تنهض من مكانها. «كل ما قالته لي سـكرتيرتي بعد أن اتصلت هو أنك أردت رؤيتي لمناقشـة مسـألة شخصية ذات أهمية. تساءلت بالطبع ما هي تلك المسألة».

قال أليكس: «ليس عليك القلق بشأنها، شعرت فقط أنه عليّ أن أقول لك

إن المجلس، وعلى الرغم من أننا كنا قد اختلفنا في الماضي، لا يمكن أن يكون تحت إدارة رئيس أفضل منكِ خلال هذه الأوقات العصيبة، وأنا فخور لأنني أعمل تحت إدارتك».

لم ترد إيما على الفور. كانت تحاول أن تكتشف لِمَ غيّر رأيه.

قالت إيما: «بالفعل، اختلفنا في الماضي أيها الرائد» ولم تعرض عليه الجلوس بعد، «لذا أخشى أن المجلس في المستقبل سيعاني من دونك».

قال أليكس: «ربما لن يحصل ذلك» وابتسم ابتسامة ودودة لها. «من الواضح أنك لم تسمعي بآخر الأخبار».

«وما هي تلك الأخبار؟».

«طلب مني سيدريك هاردكاسل أن آخذ مكانه في المجلس، لذا لم يتغير شيء في الواقع».

«حسناً، يبدو أنك أنت من لم يسمع بآخر الأخبار».

حملت رسالة من مكتبها.

«قام سيدريك مؤخراً ببيع كل حصته في الشركة، واستقال من منصبه كمدير، ولذا لا يحق له مكان في المجلس».

همهم أليكس: «ولكنه أخبرني...».

«لقد قمت للأسف بقبول رسالة استقالته، وسأكتب له رسالة لأخبره كم كنت أقدر الخدمة الوفية وغير المحدودة التي قدّمها للشركة، وكم هو صعب أن نستبدله في المجلس. سأضيف ملاحظة أدعوه فيها لحضور مراسم تسمية سفينة باكينغهام، وللانضمام إلينا في الرحلة الأولى إلى نيويورك».

حاول أليكس مجدداً: «ولكن...».

«ولكن في حالتك، أيها الرائد فيشر، بما أن مارتينيز باع كل حصته أيضاً، لن يكون لديك أي خيارٍ أيضاً سوى الاستقالة من منصبك كمدير، وعلى عكس سيدريك، سأكون مسرورة بقبول استقالتك. كانت مساهمتك في

الشركة على مدى الأعوام حقودة، وفضولية ومؤذية، أريد أن أضيف أنني لا أملك أي رغبة في رؤيتك في حفل مراسم التسمية وبالتأكيد لن تكون مدعواً للانضمام إلينا في الرحلة الأولى. بصراحة، ستكون الشركة أفضل حالاً بكثير من دونك».

«ولكن أنا...».

«وإن لم تكن رسالة استقالتك على مكتبي بحلول الساعة الخامسة من ظهر اليوم، لن يبقى لديّ خيار سوى أن أصدر بياناً أوضح فيه تماماً أنك لم تعد عضواً في المجلس».

* * *

– سار دون بيدرو إلى خزنة لم تعد مخفية خلف لوحة، أدخل رقماً مؤلفاً من ستة أرقام، أدار الأرقام وفتح الباب الثقيل.

أخرج جوازي سفر لم يتم وضع ختم عليهما من قبل، ولفيفة أوراق مالية مؤلفة من أوراق من فئة خمسة جنيهات، قسمها بشكل متساوٍ بين ابنيه. بعد الساعة الخامسة بقليل، غادر دييغو ولويس المنزل بشكل منفصل واتجها باتجاهين مختلفين، وهما يعلمان أن المرة التالية التي سيلتقيان فيها ستكون خلف القضبان أو في بوينس آيرس.

جلس دون بيدرو وحيداً في مكتبه، مفكراً بالخيارات الباقية لديه. عند الساعة السادسة، شغل الراديو على أخبار المساء المبكر، متوقعاً أن يعاني من الخزي بسبب خروجه مع ابنيه من المحكمة محاطين بالصحفيين المتحمسين، ولكن لم تكن القصة الرئيسية من تشيلسي، بل من تل أبيب، ولم تكن تشمل دييغو ولويس، بل ملازم الشرطة النازية كارل لوسندروف، الذي عُرض أمام كاميرات التلفزيون مرتدياً زي السجن الرسمي، ورقم يتدلى من رقبته. صرخ دون بيدرو على الشاشة، «لم أُهزم بعد أيها الأوغادَ» تمت مقاطعة صراخه من قبل خبطٍ قوي على الباب الأمامي. تفقد ساعته. لم يمضِ على مغادرة

الشابين سوى ساعة. هل تم إلقاء القبض على أحدهما؟ إن كان ذلك صحيحاً، كان يعلم أي واحد منهما تعرض لذلك على الأرجح. غادر مكتبه، سار عبر القاعة وفتح الباب.

قال الكولونيل سكوت هوبكينز: «كان عليك أن تتبع نصيحتي، سيد مارتينيز، ولكنك لم تفعل، والآن سيواجه الملازم لسندروف المحاكمة كمجرم حرب. وتل أبيب ليست بمدينة أنصحك بزيارتها، على الرغم من أنك ستكون شاهد دفاع مثيراً للاهتمام. إن ولديك في طريق العودة إلى بوينس آيرس، ولمصلحتهما، أرجو ألا تطأ أقدامهما هذه البلاد مجدداً، لأنهما إن كانا ساذجين إلى تلك الدرجة، يمكنك أن تتأكد أننا لن نغض النظر مجدداً. أما بالنسبة إليك، سيد مارتينيز، فإنك بالصراحة بقيت لمدة أطول من تلك التي قدمناها لك، أقترح عليك أنه قد آن الأوان لكي تعود إلى وطنك. لنقل إن لديك ثمانية وعشرين يوماً، حسناً؟» إن فشلت في اتباع نصيحتي للمرة الثانية... فلنأمل فقط ألا نلتقي مجدداً». قال الكولونيل ذلك قبل أن يختفي مجدداً في الغسق.

أغلق دون بيدرو الباب، وعاد إلى مكتبه. جلس خلف مكتبه لأكثر من ساعة، قبل أن يحمل السماعة ويتصل برقم لم يُسمح له أن يكتبه على ورقة، وتم تحذيره من أنه لا يستطيع الاتصال به سوى مرة واحدة.

حين رد أحد ما على الهاتف بعد الرنة الثالثة، لم يكن متفاجئاً بعدم رد أحد عليه. كل ما قاله دون بيدرو كان: أحتاج سائقاً».

هاري وإيما
1964

الفصل الحادي الأربعون

مكتبة
t.me/t_pdf

«قرأت الليلة الماضية الخطاب الذي ألقاه جوشوا بارينغتون في الاجتماع السنوي الأول لشركته الجديدة التي تأسست عام 1839. كانت الملكة فيكتوريا على العرش وعلى رأس إمبراطورية لا تغيب الشمس عن أراضيها. أخبر الأشخاص السبعة والثلاثين الموجودين في قاعة تيمبرنس في بريستول أن تغير سعر الأسهم في بارينغتون في عامها الأول كان 420 و10 و4 وأنه كان قادراً على إعلان أن هناك أرباحاً على كل سهم تساوي 44 و4 و2. ووعد المساهمين أنه سيبلي بلاءً أفضل في العام المقبل.

«اليوم، أقف وأخاطب أكثر من ألفٍ من المساهمين في شركة بارينغتون في الاجتماع السنوي العام رقم مئة وخمس وعشرين في قاعة كولستون. كانت دورة رأس المال لهذا العام 21،422،760 جنيهاً وحققنا ربحاً بقيمة 691،472 جنيهاً. الملكة إليزابيث الثانية على العرش، وبالرغم من أننا لم نعد نحكم نصف العالم كما الحال أيام الملكة فكتوريا، إلا أن بارينغتون لا تزال تبحر في أعالي البحار. ولكن، مثل السير جوشوا، أنوي أن يكون أدائي أفضل في العام المقبل.

«لا تزال الشركة تكسب مالها من خلال نقل الركاب والبضائع إلى مختلف أنحاء العالم. ولا تزال سفننا تبحر شرقاً وغرباً. نجونا من حربين عالميتين، ونحن نثبت أقدامنا في العالم الجديد. علينا بالطبع أن ننظر إلى ماضي إمبراطوريتنا بفخر، وأن نكون في الوقت ذاته مستعدين لانتهاز الفرص».

شعر هاري الجالس في الصف الأمامي بالفخر عندما رأى جايلز يدون

كلمات شقيقته، وتساءل كم سيمر من الوقت قبل أن تعاد تلك الكلمات في مجلس العموم.

«قبل ستة أعوام، انتهز سلفي روس بيوكانان، إحدى الفرص، حين اتخذ قراراً بدعم من مجلس الإدارة، بدأت بارينغتون بموجبه بناء سفينة فاخرة جديدة، سفينة باكينغهام، والتي ستكون أول سفينة من أسطول سيعرف باسم بالاس لاين.

بالرغم من مواجهتنا لبعض المصاعب خلال عملية البناء إلا أننا تمكنا من تخطيها وها نحن على بعد أسابيع عدة فقط من تسمية السفينة المذهلة». استدارت لتواجه شاشة كبيرة خلفها، وبعد لحظات، ظهرت صورة لسفينة باكينغهام، رحّب بها الجمهور أولاً بانشداه، تلى ذلك تصفيق طويل. استرخت إيما للمرة الأولى، ونظرت مجدداً إلى خطابها عندما توقف التصفيق.

«يسرني الإعلان أن جلالة الملكة إليزابيث الملكة الأم، وافقت على قيامها بتسمية سفينة باكينغهام خلال زيارتها لأفورنماوث يوم الحادي والعشرين من سبتمبر. الآن، إن نظرتم تحت مقاعدكم، ستجدون كتيباً يحوي كل التفاصيل حول هذه السفينة المذهلة. ربما ستسمحون لي بانتقاء بعض المعلومات الهامة التي عليكم رؤيتها.

«اختار المجلس هارلاند أند وولف لبناء سفينة باكينغهام بإشراف المهندس البحري المخضرم روبرت كاميرون، الذي عمل إلى جانب المهندسين البحريين من جون بايلز أند كومباني، بالتعاون مع الشركة الدنماركية بورمايستر أند وأين. كانت النتيجة السفينة الأولى في العالم التي تعمل بالديزل.

سفينة باكينغهام مزودة بمحركين توأم، وهي بطول 600 قدم وعرض 76 قدما، ويمكن أن تصل سرعتها إلى 32 عقدة. يمكنها أن تتسع لمئة واثنين راكب في الدرجة الأولى، مئتين واثنين وأربعين راكباً في درجة الكبائن،

وثلاثمئة وستين في الدرجة السياحية.

سيكون هنالك مساحة كبيرة متوفرة من أجل مركبات الركاب ومن أجل البضائع التجارية، يعتمد ذلك على وجهة السفينة. سيكون طاقم السفينة المؤلف من خمسمئة وسبعة وسبعين شخصاً تحت قيادة القبطان نيكولاس تورنبول.

«اسمحوا لي أن ألفت انتباهكم إلى الابتكار المميز الذي لا يمكن الاستمتاع به سوى من قبل الركاب المسافرين على متن باكينغهام، والذي سيحسدنا عليه منافسونا بالتأكيد. لن تملك السفينة كباقي السفن سطحاً مخصصاً للجو الدافئ. بالنسبة إلينا، هذا أمرٌ من الماضي، لأننا بنينا أول سطح سفينة شمسي مزود ببركة سباحة ومطعمين». ظهرت صورة أخرى على الشاشة استقبلها الجمهور بالمزيد من التصفيق.

أكملت إيما: «الآن يمكنني أن أتظاهر أن بناء سفينة بهذه الجودة لم يكن مكلفاً. في الواقع، كانت قيمة الفاتورة النهائية باهظة، ما أرغمنا، كما علمتم من تقريري العام الماضي، على الاستعانة باحتياطي رأس المال. ولكن، بفضل بصيرة روس بيوكانان، وُقِع عقد ثانٍ مع هارلاند أند وولف لبناء سفينة شقيقة، إس إس بالمورال، مقابل سبعة عشر مليون جنيه، حيث سيؤكد المشروع خلال الأشهر الاثني عشر التي ستحصل خلالها سفينة باكينغهام على شهادة صلاحيتها للإبحار.

«استلمنا سفينة باكينغهام قبل أسبوعين، ما يترك لنا خمسين أسبوعاً قبل أن نقرر إن كنا سنبني سفينة أخرى أم لا. بحلول ذلك الوقت، علينا أن نقرر إن كان هذا مشروع سيقتصر على سفينة واحدة، أم سيكون بداية لأسطول بالاس. بصراحة، لن يتخذ هذا القرار مجلس الإدارة أو المساهمون، بل العامة، كما هو الأمر في جميع المشاريع التجارية. سيحددون بأنفسهم مستقبل أسطول بالاس لاين.

«أما بالنسبة إلى إعلاني التالي اليوم: في منتصف نهار اليوم، سيقوم توماس كوك أند صن بافتتاح فترة الحجوزات الثانية لرحلة باكينغهام الأولى». توقفت إيما ونظرت إلى الجمهور، «ولكن ليس لعامة الناس. على مدى الأعوام الثلاثة الماضية، لم تحصلوا أيها المساهمون على الأرباح التي اعتدتم عليها في الماضي، لذا قررت أن أنتهز هذه الفرصة كي أشكركم على وفائكم ودعمكم المستمر. سيحصل كل من امتلك أسهماً في الشركة لمدة تزيد عن عام على أفضلية الحجز على متن الرحلة الأولى، وأعرف أن كثيرين منكم قد استغل هذه الفرصة بالفعل، ولكن ليس هذا فقط، بل سيحصل أيضاً على حسم عشرة في المئة في أي رحلة على متن سفينة باكينغهام في المستقبل». سمح التصفيق المطول الذي تبع ذلك لإيما بتفقد ملاحظاتها مجدداً.

«حذرني توماس كوك من التحمس كثيراً حيال عدد الركاب الكبير الذين حجزوا مكاناً على متن الرحلة الأولى. أخبروني أن كل كبينة ستكون مباعة قبل وقت طويل من إبحار السفينة، ولكن ذلك يشبه بيع جميع التذاكر في كل ليلة افتتاح في مسرح أولد فيك، سنضطر، مثل المسرح، إلى الاعتماد على الزبائن الدائمين والطلبات المكررة على مدى فترة طويلة من الزمن. الوقائع بسيطة. لا يمكن أن تنخفض المبيعات لأقل من ستين بالمئة من الكبائن المحجوزة، وحتى ذلك الرقم سيعني فقط أننا سنحقق التعادل عاماً تلو عام. الحجوزات بنسبة سبعين بالمئة ستضمن لنا ربحاً صغيراً، بينما سنحتاج لثمانين بالمئة إن أردنا أن نسترد رأس المال خلال عشرة أعوام، كما خطط روس بيوكانان.

«بحلول ذلك الوقت، أشك أنه سيكون هنالك سطح سفينة شمسي في أي من سفن منافسينا، وسنبحث عن أفكار جديدة ومبتكرة لنجذب المزيد من الزبائن الراقين.

«لذا، ستحدد الأشهر الاثنا عشر القادمة مستقبل شركة بارينغتون. هل سنصنع التاريخ أم نصبح من الماضي؟ تأكدوا أن مديريكم سيعملون دون

كلل بالنيابة عن المساهمين الذين وضعوا ثقتهم بنا، لكي نقدم خدمات ستكون بصمة في عالم النقل عالي الجودة. دعوني أختتم كما بدأت. مثل جدي الأكبر، أنوي أن أبلي بلاءً أفضل العام المقبل، والعام الذي يليه، والعام الذي يليه».

جلست إيما ونهض الجمهور وكأنهم كانوا في ليلة افتتاح مسرحية. أغمضت عينيها، وفكرت بكلمات جدها. إن كنت جيدة بما يكفي لتكوني رئيسة مجلس، كونك امرأة لن يشكل فرقاً.

انحنى الأدميرال سمرز وهمس: «تهانيّ» ثم أضاف: «الأسئلة؟» نهضت إيما بسرعة. «آسفة، لقد نسيت. بالطبع سأكون مسرورة للإجابة عن الأسئلة». نهض رجل أنيق في الصف الثاني على الفور. «ذكرت أن سعر الأسهم وصل مؤخراً لأعلى قيمة له، ولكن هل يمكنك أن تفسري لما شهدت الأسابيع الماضية كثيراً من الارتفاعات والانخفاضات، ويبدو ذلك بالنسبة إلى شخصٍ من العامة مثلي غير قابل للتفسير، أو حتى مقلق؟».

اعترفت إيما: «لا يمكنني تفسير ذلك تماماً. ولكن يمكنني أن أقول لك إن أحد المساهمين السابقين باع اثنين وعشرين ونصف من أسهم الشركة في السوق حتى من دون إعلامي، مع أنه يملك ممثلاً في المجلس. لحسن حظ شركة بارينغتون، كان وكيل الأسهم ذكياً كفاية ليعرض تلك الأسهم على واحد من مديرينا السابقين، السيد سيدريك هاردكاسل، وهو مصرفي. تمكن السيد هاردكاسل من بيع الحصة بأكملها لرجل أعمال رائد من شمال إنكلترا، والذي كان يريد منذ فترة طويلة أن يشتري حصة كبيرة في الشركة. يعني هذا أن الأسهم كانت معروضة للبيع في السوق لبضع دقائق فقط، مما تسبب باضطراب صغير، وفعلاً خلال عدة أيام، عاد سعر الأسهم للارتفاع كما كان سابقاً».

رأتها إيما تنهض من مكانها في وسط الصف الرابع، مرتدية قبعة عريضة

صفراء كانت مناسبة أكثر لحضور سباق في أسكوت، ولكن إيما تجاهلت المرأة، وأشارت بدلاً من ذلك إلى رجل يجلس خلفها.

«هل ستبحر باكينغهام عبر الأطلسي، أم هل تملك الشركة مخططات لتزور وجهات أخرى في المستقبل؟».

«سؤال جيد». علمها جايلز قول ذلك، تحديداً حين لا يكون الواقع كذلك.

«لن تستطيع سفينة باكينغهام تحقيق الأرباح إن قيدنا رحلاتها بالساحل الشرقي للولايات المتحدة، بسبب منافسينا، وتحديداً الأمريكيين، الذين سيطروا على هذا الطريق لأكثر من قرن. كلا، علينا أن نأخذ بالاعتبار جيلاً جديداً من المسافرين الذين لا يعتبرون السبب الوحيد وراء السفر هو الوصول من مكان إلى آخر. يجب أن تكون سفينة باكينغهام عبارة عن فندق عائم فخم، ينام ركابها فيه كل ليلة، وفي النهار يزورون بلدان لم يعتقدوا أنهم سيرونها في حياتهم. بعد قولي لهذا، ستبحر السفينة في رحلات منتظمة إلى بحر الكاريبي والباهاماس، وخلال الصيف ستبحر في البحر الأبيض المتوسط وعلى طول الساحل الإيطالي. ومن يعرف أي مناطق سنكتشف خلال الأعوام العشرين القادمة؟».

نهضت مجدداً المرأة، وتجاهلتها إيما مجدداً، وأشارت إلى رجل آخر قريب من المقدمة.

«هل أنتِ قلقة إزاء عدد المسافرين الذين يختارون السفر على متن طائرة بدلاً من سفينة؟ مثل شركة BOAC، التي تدعي أنها تستطيع إيصال الراكب إلى نيويورك خلال ثماني ساعات، بينما سيتطلب الأمر أربعة أيام على متن باكينغهام».

ردت إيما: «أنت محق يا سيدي، ولهذا السبب تركز إعلاناتنا على رؤية مختلفة بالنسبة إلى الركاب، وتقدم لهم تجربة مميزة لن يحصلوا عليها

على متن طائرة. أي طائرة يمكنها أن تقدم عرضاً مسرحياً ومتاجر وسينما ومكتبة ومطاعم تقدم أشهى الأطباق، دون ذكر سطح السفينة الشمسي وبركة السباحة؟ الحقيقة هي، إن كنت على عجلة من أمرك، لا تحجز على متن باكينغهام، لأنها قصر عائم سترغب بالعودة إليها مرة تلو الأخرى. وهنالك أمر آخر يمكنني أن أعدك به، حين ستعود للمنزل، لن تعاني من اختلاف التوقيت».

نهضت المرأة الجالسة في الصف الرابع مجدداً ملوحة بيدها، وصرخت: «هل تحاولين تجاهلي أيتها الرئيسة؟».

اعتقد جايلز أنه سمع صوتاً مألوفاً واستدار ليرى أسوأ مخاوفه.

«كلا يا سيدتي، ولكنك لست مساهمة ولا صحفية. لذا لم أمنحك الأفضلية. ولكن أرجوك تفضلي واطرحي سؤالك».

«هل صحيح أن أحد مديري الشركة باع حصته الكبيرة خلال عطلة نهاية الأسبوع في محاولة لتدمير الشركة؟».

«كلا، ليدي فيرجينيا، لم يحصل ذلك. يبدو أنك تقصدين الاثنين وعشرين ونصف بالمئة من الأسهم التي باعها دون بيدرو مارتينيز دون إعلام المجلس، ولكن لحسن الحظ، كنا نتوقع مثل هذه الخطوة الرعناء».

ضحك كل من كان في القاعة، ولكن لم تهتز شعرة في الليدي فيرجينيا. «إن كان أحد مديريكم مشتركاً بذلك، أليس عليه الاستقالة؟».

«إن كنت تتحدثين عن الرائد فيشر، فقد طلبت منه الاستقالة الجمعة الماضية حين أتى لزيارتي في المكتب، أعتقد أنك تعرفين ذلك تماماً يا ليدي فيرجينيا».

«إلى ماذا تلمحين؟».

«إلى أنه خلال مناسبتين منفصلتين مثلك فيهما الرائد فيشر في المجلس، سمحت له ببيع كل أسهمك خلال عطلة نهاية أسبوع، ثم بعد أن جنيت ربحاً جيداً، اشتريتها مجدداً على مدى فترة تداول بلغت ثلاثة أسابيع. حين ارتفع

سعر السهم ووصل إلى نقطة عالية جديدة، وقمتِ بالحركة ذاتها مرة ثانية، وجنيتِ ربحاً أكبر. إن كنت تنوين تدمير الشركة يا ليدي فيرجينيا، فحالك كحال مارتينيز لأنك فشلت للأسف، وهزمتِ من قبل أشخاص عاديين يريدون نجاح الشركة».

عم التصفيق العفوي القاعة، بينما اندفعت الليدي فيرجينيا لتخرج من الصف المزدحم، غير مكترثة إن داست قدم أحد ما. حين وصلت الرواق، نظرت إلى الأعلى إلى المسرح وصرخت: «سيتحدث معك محاميّ».

قالت إيما: «آمل ذلك، لأنه حينها سيقول الرائد فيشر أمام لجنة محلفين من كان يمثل حين باع حصصك».

هذه الضربة القاضية حصدت أعلى تصفيق اليوم. حتى إن إيما تمكنت من النظر إلى الصف الأمامي لتغمز سيدريك هاردكاسل.

أمضت الساعة التالية وهي تجيب عن كثير من الأسئلة التي طرحها المساهمون، ومحللو ذا سيتي والصحفيون، بثقة كبيرة وسلطة لم يرها هاري سوى مرات قليلة. بعد أن أجابت عن السؤال الأخير اختتمت اللقاء بقولها: «أتمنى أن ينضم كثيرون منكم إليّ على متن الرحلة الأولى بعد شهرين، أنا واثقة من أنها ستكون تجربة لن تنسوها أبداً».

همس رجل ذو لكنة إيرلندية كان جالساً في مؤخرة القاعة: «أعتقد أن ذلك سيحصل من دون شك» وخرج بينما كانت إيما تستمتع بتصفيق الجمهور الذي وقف تحية لها.

الفصل الثاني الأربعون

«صباح الخير، توماس كوك أند صن. كيف يمكنني مساعدتك؟»

«أنا اللورد ماكلنتاير. كنت آمل أن تساعدني في مسألة شخصية».

«سأبذل قصارى جهدي سيدي».

«أنـا أحـد أصدقاء عائلتي بارينغتـون وكليفتون، وأخبرت هاري كليفتون أنني وللأسف لن أتمكن من الانضمام إليهم في رحلة سفينة باكينغهام الأولى إلى نيويورك بسبب التزاماتي المهنية. انتهت هذه الالتزامات الآن، وأظن أنه سيكون من الممتع مفاجأتهم على متن السفينة».

«بالطبع، سيدي».

«لذا أتصل كي أسأل إن كان من الممكن حجز كابينة بالقرب من كابينة العائلة».

«سأرى ما يمكنني فعله سيدي، أرجو أن تنتظر على الخط من فضلك».

أخـذ الرجـل الـذي علـى الطـرف الآخـر من الخط رشـفة من مشـروب جيمسون وانتظر.

«سيدي، لا يزال هنالك كابينتان في الدرجة الأولى عند السطح الأعلى للسفينة، رقمهما ثلاثة وخمسة».

«أريد أن أكون أقرب ما يمكن إلى العائلة».

«حسناً سيدي، السيد جايلز بارينغتون سيكون في الكابينة رقم اثنين».

«وإيما؟»

«إيما؟»

«أعتذر، السيدة كليفتون».

«ستكون في الكابينة رقم واحد».

«إذن سأحجز الكابينة رقم ثلاثة. أنا ممتن لمساعدتك كثيراً».

«من دواعي سروري سيدي. أرجو أن تقضي رحلة ممتعة. هل يمكنني سؤالك إلى أي عنوان سنرسل البطاقات؟»

«لا داعي لذلك. سأطلب من سائقي أن يجلبها».

* * *

فتح دون بيدرو قفل الخزنة الموجودة في مكتبه، وأخرج ما كان متبقياً من ماله. أخرج رزمات من أوراق الخمسة جنيهات المجمعة على شكل عشرة آلاف ووضعها على مكتبه حتى امتلأ كل إنش من مكتبه. أعاد 23645 جنيهاً إلى الخزنة وأقفلها، ثم تأكد مرتين من المئتين وخمسين ألفاً المتبقية قبل أن يضعها في حقيبة زودوه بها. جلس خلف مكتبه وحمل صحيفة الصباح وانتظر.

مرت عشرة أيام قبل أن يتصل به السائق، ليقول له إنه قبل بتنفيذ العملية ولكن مقابل خمسمئة ألف جنيه. حين عبر دون بيدرو عن امتعاضه من مقدار المبلغ، قال له هنالك مخاطر كبيرة في هذه العملية، إن ألقي القبض على أحد الشبان، سيمضي بقية أيامه على الأغلب في سجن كروملين رود، أو أسوأ من ذلك.

لم يحاول المساومة. ففي النهاية، لم يكن ينوي أن يدفع الدفعة الثانية، لأنه كان يشك أن هنالك أي متعاطفين مع الجيش الجمهوري الإيرلندي في بوينس آيرس.

«صباح الخير، توماس كوك أند صن».

«أرغب بحجز كابينة في الدرجة الأولى على متن الرحلة الأولى لسفينة باكينغهام إلى نيويورك».

«نعم مدام، سأحولك إلى القسم الخاص بالحجز».

«حجوزات الدرجة الأولى، كيف يمكنني مساعدتك؟».

«أنا الليدي فيرجينيا فينويك. أرغب بحجز كابينة على متن الرحلة الأولى».

«هل يمكنك أن تكرري اسمك لو سمحتِ؟».

قالت ببطء: «الليدي فيرجينيا فينويك». وكأنها تتحدث مع أجنبي».

تبع ذلك صمت طويل، افترضت فيرجينيا أن مسؤول الحجز كان يتفقد الشواغر.

«أنا أعتذر، ليدي فيرجينيا، ولكن للأسف تم حجز الدرجة الأولى بأكملها. هل ترغبين أن أحولك إلى فئة الكبائن؟».

«بالطبع كلا، ألا تعرف من أنا؟».

رغب الموظف بالقول أعرف تماماً من أنت، لأن اسمك مثبت على اللوح طوال الشهر الماضي مع تعليمات واضحة موجهة لجميع الموظفين تقول ما عليهم فعله إن اتصلت تلك السيدة بالتحديد للحجز، ولكن قال بدلاً من ذلك، ملتزماً بالتعليمات: «كلا أنا أعتذر يا سيدتي، ولكن ليس هنالك ما يمكنني فعله».

قالت فيرجينيا: «ولكني صديقة مقربة لرئيسة مجلس إدارة شركة بارينغتون للشحن، ألن يشكل ذلك فرقاً؟»

ردّ مسؤول الحجز: «بالطبع، لا يزال لدينا كابينة واحدة من الدرجة الأولى، ولكن لا يمكن أن أحجزها إلا بموافقة من الرئيسة. ولذا أرجو منك الاتصال بالسيدة كليفتون، سأبقي الكابينة تحت اسمك، وأحجزها فور ورود موافقتها».

* * *

حين سمع دون بيدرو صوت بوق سيارة، طوى الصحيفة، ووضعها على المكتب، حمل الحقيبة وخرج من المنزل.

لمس السائق قبعته وقال: «صباح الخير سيدي». قبل أن يضع الحقيبة في صندوق سيارة المرسيدس.

جلس دون بيدرو في المقعد الخلفي، أغلق الباب وانتظر. حين صعد السائق إلى مقعده لم يسأل دون بيدرو عن وجهته لأنه اختار بالفعل الطريق. التف إلى اليسار خارج إيتون سكوير واتجه نحو زاوية هايد بارك.

قال السائق وهو يمر من أمام المستشفى على زاوية هايد بارك: «أنا أفترض أن المبلغ الذي اتفقنا عليه في الحقيبة».

قال دون بيدرو: «مئتان وخمسون ألف جنيه نقداً».

ونتوقع أن يتم دفع النصف الثاني كاملاً خلال أربع وعشرين ساعة من إتمام قسمنا من الصفقة».

قال دون بيدرو: «هذا ما وافقت عليه». وفكّر بمبلغ الـ 23645 جنيهاً المتبقي في الخزنة في مكتبه؛ كل المال الذي يملكه. حتى المنزل لم يعد باسمه.

«أنت تدرك عواقب عدم دفعك للنصف الثاني، أليس كذلك؟».

قال دون بيدرو: «ذكرتني بما فيه الكفاية». بينما انطلقت السيارة في باري لين، ملتزمة بالحد الأعلى للسرعة الذي يبلغ أربعين ميلاً في الساعة.

قال السائق وهو يقود باتجاه ماربل آرتش: «في الأحوال العادية، إن لم تدفع في الوقت المناسب، كنا لنقتل أحد ولديك، ولكن بما أنهما عادا بأمان إلى بوينس آيرس، ولسندروف لم يعد بيننا، يتركنا ذلك معك فقط».

بقي دون بيدرو صامتاً وهما يتجهان إلى الجانب الآخر من بارك لين، ثم توقفا أمام مجموعة من إشارات المرور. قال: «ولكن ماذا سيحصل إن لم تنفذوا مهمتكم؟».

قال السائق وهو يوقف السيارة خارج دورشستر: «لن يتوجب عليك بعدها أن تدفع المئتين والخمسين ألفاً المتبقية، أليس كذلك؟».

هرع بواب يرتدي معطفاً أخضر طويلاً إلى السيارة، وفتح الباب الخلفي

ليسمح لدون بيدرو بالخروج.

قال دون بيدرو: «أنا بحاجة لسيارة أجرة» بينما قاد السائق السيارة بعيداً لينضم إلى ازدحام الصباح في بارك لين.

قال البواب: «نعم سيدي» رفع يداً وأطلق صفرة عالية.

حين استقل دون بيدرو سيارة الأجرة وقال: «المنزل رقم 44 في إيتون سكوير» ارتبك البواب. لم يحتاج الرجل النبيل سيارة أجرة وهو يمتلك سائقاً خاصاً؟

* * *

«توماس كوك أند صن، كيف يمكنني مساعدتك؟».

«أود حجز أربع كبائن على متن الرحلة الأولى لسفينة باكينغهام إلى نيويورك».

«في الدرجة الأولى أم درجة الكبائن سيدي؟».

«الكبائن».

«سأحولك لقسم الكبائن».

«صباح الخير، قسم الكبائن درجة الكبائن الخاصة بسفينة باكينغهام».

«أود حجز أربع كبائن مفردة على متن رحلة نيويورك يوم التاسع والعشرين من أكتوبر».

«هل يمكنني أن أعرف أسماء الركاب؟»

قال الكولونيل سكوت هوبكنز اسمه وأسماء زملائه الثلاثة.

«إن سعر كل واحدة من التذاكر اثنان وثلاثون جنيه. إلى أين عليّ أن أرسل الفاتورة سيدي؟».

كان يمكنه أن يقول القوات الجوية الخاصة في ثكنات تشيلسي في شارع كينغ في لندن، لأنهم من سيدفع الفاتورة، ولكنه أعطى موظف الحجز بدلاً من ذلك عنوان منزله.

الفصل الثالث الأربعون

قالت إيما: «أرغب ببدء اجتماعنا اليوم بالترحيب بالسيد بوب بينغهام كعضو في المجلس، بوب هو رئيس مجلس شركة بينغهام لمعجون السمك، وبما أنه اشترى مؤخراً اثنين وعشرين فاصلة خمسة بالمئة من أسهم بارينغتون، ليس عليه أن يقنع أحداً بإيمانه القوي بمستقبل الشركة. كما أننا استلمنا رسالتي استقالة من عضوين في المجلس، السيد سيدريك هاردكاسل، الذي سنشتاق لحكمته ونصائحه للأسف، والرائد فيشر، الذي لن نشتاق إليه». سمح الأدميرال سمرز لنفسه بابتسامة ساخرة.

«بما أننا لا نملك سوى عشرة أيام قبل حفل تسمية سفينة باكينغهام الرسمي، ربما عليّ أن أبدأ باطلاعكم على تحضيرات مراسم الحفل». فتحت إيما الملف الأحمر الذي كان أمامها وتفقدت الجدول بتركيز. «ستصل الملكة الأم إلى تيمبل ميدز على متن القطار الملكي الساعة 9:35 صباح يوم 21 من سبتمبر. سيستقبلها على المنصة الضابط الأعلى للمقاطعة ولمدينة بريستول وعمدة بريستول. ثم سيتم أخذ جلالتها بالسيارة إلى مدرسة القواعد في بريستول، حيث ستجتمع مع المدير، الذي سيرافقها إلى المختبرات العلمية الجديدة في المدرسة، والتي ستفتتحها الساعة 10:10. ستلتقي بمجموعة منتقاة من الطلاب وطاقم العمل، قبل أن تغادر المدرسة الساعة الحادية عشرة. ثم سيتم إيصالها بالسيارة إلى أفورنماوث، ستصل إلى مرسى السفن الساعة 11:17». نظرت إيما إلى الأعلى وأكملت: «ستكون حياتي أبسط بكثير لو علمت الدقيقة ذاتها التي سأصل فيها إلى أي مكان. سألتقي الملكة الأم حين تصل إلى أفورنماوث» نظرت مجدداً إلى الجدول، وسأرحب بها نيابة

عن الشركة. عند الساعة 11:29 سأرافقها إلى سطح السفينة الشمالي، حيث ستلتقي بمهندس السفينة، وبمهندسنا البحري وبرئيس مجلس هارلاند أند وولف. عند الساعة الثانية عشرة إلا ثلاث دقائق، سأرحب رسميا بضيفة شرفنا. سيستمر خطابي لثلاث دقائق، وعند أول رنة للساعة الثانية عشرة، ستسمي جلالتها الباكينغهام عبر كسرها لزجاجة شامبانيا على سطح السفينة».

سأل كليف أنسكوت وهو يضحك: «وماذا يحصل إن لم تنكسر الزجاجة؟».

لم يضحك أحد آخر.

قالت إيما: «لا يوجد في ملفي ما يخص ذلك. عند الساعة الثانية عشرة ونصف، ستغادر جلالتها إلى رويال ويست في أكاديمية إنكلترا، حيث ستنضم لطاقم العمل لتناول الغداء، قبل أن تفتتح معرضاً فنياً عند الساعة الثالثة. عند الساعة الرابعة سيتم إيصالها مجدداً إلى تيمبل ميدز، مُرافقةً من قبل الضابط الأعلى، وستستقل القطار الملكي، الذي يغادر من بادينغتون بعد عشر دقائق من ركوبها القطار». أغلقت إيما الملف، تنهدت، وسمعت تصفيقاً خافتاً من زملائها المديرين. أضافت: «حين كنت صغيرة، لطالما أردت أن أكون أميرة، ولكن بعد هذا، عليّ إخباركم أنني غيّرت رأيي». هذه المرة كان التصفيق قوياً.

سأل أندي دوبس: «كيف سنعرف أين علينا أن نكون في وقت معين؟».

«سيحصل كل عضو من المجلس على نسخة من الجدول الزمني الرسمي، ولتكن السماء مع من لن يكون في المكان الصحيح في الوقت الصحيح. سأنتقل الآن إلى مسألة ذات أهمية مساوية تخص الرحلة الأولى لسفينة باكينغهام، والتي كما تعلمون تبدأ يوم التاسع والعشرين من أكتوبر. سيكون أعضاء المجلس مسرورين ليعلموا أن جميع الكبائن قد حُجزت، وما سيسرهم أكثر هو أن رحلة العودة قد بيعت بطاقاتها بأكملها أيضاً».

قال بوب بينغهام: «كلمة بيعت مثيرة للاهتمام، كم منهم ركاب اشتروا

التذاكر وكم منهم ضيوف؟».

كرر الأدميرال: «ضيوف؟».

«الركاب الذين لن يدفعوا ثمن تذاكرهم».

«حسناً هنالك بعض الأشخاص الذين يحق لهم...».

«...رحلة مجانية. لا تدعيهم يعتادون على ذلك، هذه نصيحتي».

سألت إيما: «هل تعد أعضاء المجلس وعائلاتهم من تلك الفئة، سيد بينغهام؟».

«ليس في الرحلة الأولى، ولكن في المستقبل، بالتأكيد، تلك مسألة مبدأ. يعد القصر العائم فكرة جذابة حين لا يتوجب عليك دفع ثمن كبينتك، دون ذكر الطعام والمشروب».

«أخبرني سيد بينغهام، هل تدفع دوماً ثمن معجون السمك؟».

«دوماً أيها الأدميرال. بتلك الطريقة لن يشعر موظفيّ أنه يحق لهم عينات مجانية لعائلاتهم وأصدقائهم».

قالت إيما: «حسناً في أي رحلات مستقبلية قادمة، سأدفع دوماً ثمن حجرتي، ولن أسافر مجاناً طالما أنا رئيسة مجلس إدارة هذه الشركة».

تحرك واحد أو اثنان من أعضاء المجلس في مكانهما ممتعضين.

قال ديفيد ديكسون: «آمل بالطبع ألا يوقف ذلك عائلتي بارينغتون وكليفتون من الظهور بمظهر جيد في هذه الرحلة الأسطورية».

قالت إيما: «سينضم إليّ معظم أعضاء عائلتي في الرحلة، ما عدا أختي جريس التي ستكون فقط قادرة على حضور مراسم التسمية، سيكون الأسبوع الأول من الفصل الدراسي وستعود إلى كامبريدج مباشرة بعد ذلك».

سأل أنسكوت: «والسيد جايلز؟»

«سيعتمد ذلك على الانتخابات العامة وموعدها. ولكن، سيأتي حتماً ابني مع حبيبته سامانثا، ولكن سيكونان في درجة الكبائن. وقبل أن تسأل يا

سيد بينغهام، دفعت فعلاً سعر تذكرتيهما».

«إن كان هو ذاته الشاب الذي أتى إلى مصنعي قبل أسبوعين، سأبقي عيني متفتحتين أيتها الرئيسة، أشعر أنه يحاول أخذ عملك».

قالت إيما: «ولكنه بعمر الرابعة والعشرين فقط».

«لن يقلقه ذلك، كنت رئيس مجلس شركة بينغهام بعمر السابعة والعشرين».

«حسناً، لديّ ثلاث سنواتٍ بعد».

قال بوب: «أنت وسيدريك، بحسب أي منكما سيختار أن يأخذ عمله».

قال الأدميرال: «لا أعتقد أن بينغهام يمزح أيتها الرئيسة، أنا متشوق للقائه».

سأل أندي دوبس: «هل تمت دعوة أي من المديرين السابقين لينضموا إلينا على متن الرحلة الأولى إلى نيويورك؟ أفكر بروس بيوكانان».

قالت إيما: «نعم، عليّ أن أعترف أنني دعوت روس وجان لينضما إلينا كضيوف الشركة. بافتراض موافقة السيد بينغهام».

«لن أكون في هذا المجلس لولا روس بيوكانان، وبعد أن أخبرني سيدريك هاردكاسل ما فعله على متن قطار ذا نايت سكوتسمان، أعتقد أنه استحق هذه الرحلة بالفعل».

قال جيم نولز: «أتفق معك تماماً، ولكن يطرح ذلك سؤالاً ما الذي علينا فعله حيال فيشر وهاردكاسل؟»

قالت إيما: «لم أفكر بدعوة الرائد فيشر، وأخبرني سيدريك هاردكاسل بالفعل أنه يشعر أنه من غير الحكمة بالنسبة إليه أن يحضر مراسم التسمية، بعد هجوم الليدي فيرجينيا المستتر عليه في الاجتماع السنوي العام».

سأل دوبس: «هل كانت تلك المرأة غبية كفاية لتقدم دعوى تهديد؟».

قالت إيما: «نعم، مدعية أنها تعرضت للتشهير والافتراء».

قال دوبس: «الافتراء أتفهمه، ولكن كيف لها أن تدعي تعرضها للتشهير؟»

«لأنني أصررت على أن تُسجل كل كلمة قلناها خلال الاجتماع السنوي العام».

«حسناً، لنأمل أن تكون غبية بما يكفي لتأخذك إلى المحكمة العليا».

قال بينغهام: «ليست غبية، ولكنها متعالية بما يكفي، ولكنني أعتقد أنه طالما فيشر موجود ليقدم دليلاً، لن تخاطر بذلك».

سأل الأدميرال: «هل يمكننا العودة إلى الأعمال الهامة؟ قد أكون ميتاً بحلول وصول القضية إلى المحاكم».

ضحكت إيما: «هل هنالك أمرٌ محدد تريد طرحه أيها الأدميرال؟»

«كم ستستغرق الرحلة إلى نيويورك؟».

«أكثر من أربعة أيام بقليل، وهذا أفضل من أي من منافسينا».

«ولكن سفينة باكينغهام مزودة بمحرك ديزل مزدوج، لذا من المحتمل أن نحصل على وسام بلو ريباند لأسرع رحلة على الإطلاق؟»

«إن كان الطقس مثالياً، ويكون عادةً جيداً في هذا الوقت من العام، سنملك فرصة، ولكن ما إن تذكر عبارة بلو ريباند حتى يفكر الناس بسفينة تايتانك. لذا لا يمكننا أن نطرح هذه الإمكانية قبل أن يلوح تمثال الحرية في الأفق».

«أيتها الرئيسة، كم عدد الناس الذي نتوقع حضورهم مراسم حفل التسمية؟».

«قال لي الضابط الأعلى أن العدد قد يكون ثلاثة، أو حتى أربعة آلاف».

«ومن المسؤول عن الأمن؟».

«الشرطة مسؤولة عن السيطرة على الحشود والسلامة العامة».

«وندفع نحن الفاتورة».

قال نولز: «مثل مباراة كرة قدم».

قالت إيما: «لنأمل ألا يحصل ذلك، إن لم يكن هنالك المزيد من الأسئلة،

أرغـب بالقـول إننا سـنعقد اجتماع المجلس التالي فـي جناح والتر بارينغتون مـن سـفينة باكينغهـام فـي رحلة العودة من نيويورك. حتـى وقتها، أتطلع قدماً لرؤيتكم جميعاً عند تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الحادي والعشرين».

قـال بـوب بينغهـام: «ولكـن ذلـك قبـل سـاعة كاملة من وصول السـيدة العزيزة».

«ستكتشف أننا نستيقظ مبكراً في غرب البلاد يا سيد بينغهام».

الفصل الرابع الأربعون

قال الضابط الأعلى: «جلالتك، هل تسمحين لي بأن أقدم السيدة كليفتون، رئيسة مجلس إدارة شركة بارينغتون للشحن».

انحنت إيما وانتظرت الملكة لتقول شيئاً، حيث ذكرت الملاحظات التوجيهية أنه عليك ألا تتكلم حتى تتحدث إليك، وعليك ألا تطرح أي سؤال أبداً. «لكان السيد والتر قد استمتع اليوم، سيدة كليفتون». بقيت إيما صامتة، لأنها علمت أن جدها لم يلتق الملكة الأم سوى مرة واحدة، وعلى الرغم من أنه ذكر تلك المناسبة كثيراً، وكان يملك حتى صورة في مكتبه ليذكر الجميع بذلك، إلا أنها لم تتوقع أن تتذكر جلالتها ذلك أيضاً.

قالت إيما بعد أن أخذت دور الضابط الأعلى: «اسمحي لي بأن أقدم الأدميرال سمرز، الذي خدم في مجلس إدارة بارينغتون لأكثر من عشرين عاماً».

«في آخر مرة التقينا فيها أيها الأدميرال، أريتني بلطفك سفينتك المُدَمِرة شيفرون».

«أعتقد أنك رأيت أنها كانت مدمرة الملك. كنت فقط في الخدمة المؤقتة».

قالت الملكة الأم: «تسمية لطيفة أيها الأدميرال». بينما تابعت إيما تقديم زملائها من المديرين، وكان بإمكانها أن تتساءل فقط ما سيكون رأي جلالتها بآخر إضافة إلى المجلس.

«سيد بينغهام، دخولك ممنوع إلى القصر». فغر بوب بينغهام فاه، ولكن الكلمات لم تخرج. «لأكون عادلة، ليس بسببك شخصياً، بل بسبب معجون السمك خاصتك».

سأل بوب: «ولكن لماذا يا سيدتي؟» متجاهلاً الملاحظات التوجيهية.

«بسبب حفيدي، الأمير أندرو، الذي يضع دوماً إصبعه في المرطبان مقلداً الفتى الصغير على شعاركم». لم يقل بوب أي كلمة أخرى بينما انتقلت الملكة الأم للقاء مهندس السفينة.

«حين التقينا للمرة الأولى...» تفقد إيما ساعتها بينما كانت الملكة الأم تتحدث مع رئيس مجلس هارلاند أند وولف.

«وما هو مشروعك القادم سيد بيلي؟».

«إنه مشروع سري حالياً يا سيدتي، كل ما يمكنني قوله أن كلمة ‹جلالة› ستسبق الاسم على بدن السفينة، وستمضي وقتاً طويلاً تحت الماء».

ابتسمت الملكة الأم بينما تقدمها الضابط الأعلى نحو كرسي مريح على المنصة.

انتظرت إيما جلوس الملكة الأم قبل أن تشق طريقها إلى المنبر لتلقي خطاباً لم يتطلب وجود ملاحظات، لأنها حفظته عن ظهر قلب. أمسكت جوانب المنبر، أخذت نفساً عميقاً كما نصحها جايلز أن تفعل، ونظرت إلى الأسفل إلى الحشد الكبير، الأكبر بكثير من الآلاف الأربعة التي توقعتها الشرطة، والذي كان صامتاً وهو يترقب كلماتها.

«جلالتك، هذه زيارتك الثالثة إلى مرسى سفن بريستول. جئت إلى هنا أول مرة كملكتنا عام 1939، حين احتفلت الشركة بذكراها المئوية، وكان جدي الأكبر رئيس مجلس الشركة. ثم زرتنا مجدداً عام 1942، لتري بنفسك الضرر الناتج عن الغارات خلال الحرب، واليوم أنت هنا لترحبي بإطلاق سفينة سميت باسم المقر الذي عشت فيه على مدى الأعوام الستة عشر الماضية. بالمناسبة يا سيدتي، إن احتجت إلى مكان للمكوث الليلة» – استُقبلت كلمات إيما بضحك حار – «لدينا مئتان واثنان وتسعون غرفة، مع أنني أشعر أنه عليّ إخبارك أنك فوتِ فرصة للانضمام إلينا على متن الرحلة الأولى، لأن جميع

التذاكر قد بيعت».

ساعد ضحك الحشد وتصفيقه إيما على الاسترخاء ومنحها المزيد من الثقة.

«وهل يمكنني أن أضيف يا سيدتي، أن وجودك اليوم جعل هذه المناسبة تاريخية...».

كان هنالك لهاث تحول إلى صمت نابع عن إحراج. تمنت إيما لو تنشق الأرض وتبتلعها، حتى انفجرت الملكة الأم بالضحك، وبدأ الحشد بأكمله بالتهليل والاحتفال ورمي قبعاتهم في الهواء. شعرت إيما أن وجنتيها توردتا، ومر بعض الوقت قبل أن تتعافى بما يكفي لتقول: «أشعر بالإطراء سيدتي لأنني دعوتك لتسمية سفينة باكينغهام». خطت إيما خطوة للخلف لتسمح للملكة الأم بأن تقف مكانها. كانت تلك اللحظة التي كانت تشعرها بالخوف أكثر من أي شيء آخر. أخبرها روس بيوكانان عن مناسبة مشهورة بسوئها حيث حصل كل شيء ولم تعانِ السفينة فقط من العار العلني، بل رفض الطاقم والعامة أيضاً أن يبحروا على متنها، مقتنعين أنها كانت ملعونة بالحظ السيئ.

صمت الحشد مجدداً، وانتظر من كان فيه بقلق، كان الخوف ذاته يسري في فكر كل عامل في الساحة وهم ينظرون إلى الأعلى إلى الزائر الملكي.

عددٌ منهم ممن كانوا يؤمنون بالخرافات، مثل إيما، عقدوا أصابعهم ليجلبوا الحظ الجيد، وحين أشارت ساعة المرسى إلى الثانية عشرة، أعطى الضابط الأعلى قنينة الشامبانيا للملكة الأم.

قالت: «أسمي هذه السفينة باسم باكينغهام، أرجو أن تقدم السعادة والفرح لكل من يبحر على متنها، وأن تمكث لوقت طويل في أعالي البحار». حملت الملكة الأم قنينة الشامبانيا، توقفت للحظة وتركتها. أرادت إيما أن تغلق عينيها بينما ألقت القنينة نحو السفينة. حين ضربت بدن السفينة، انكسرت الزجاجة

وتحولت لمئات القطع من الزجاج، وتزحلقت فقاعات الشامبانيا بينما أصدر الحشد أعلى تهليل.

* * *

قال جايلز بينما انطلقت سيارة الملكة الأم خارج المرسى واختفت: «جرى الأمر على ما يرام».

قالت إيما: «كم كنت أفضل لولا هذه الزلة».

قال هاري: لا أوافق على ذلك، من الواضح أن الملكة الأم استمتعت بزلتك الصغيرة، سيخبر العمال أحفادهم عن ذلك، أثبتي لمرة أنك عرضة للخطأ».

قالت إيما: «هذا لطف منك، ولكن لا يزال لدينا الكثير من العمل قبل الرحلة الأولى، ولا يمكنني أن أحتمل حصول لحظة هستيرية أخرى». ثم انضمت إليهما شقيقتها.

قالت جريس: «أنا مسرورة كثيراً لأنني شهدت على ذلك، أتمنى ألا يترافق إطلاق سفينتك التالية مع بدء الفصل الدراسي؟ وإن كنت أملك نصيحة أخرى لشقيقتي الكبيرة: أرجو أن تعتبري الرحلة الأولى احتفالاً، عطلة، وليس أسبوعاً آخر في المكتب». قبلت وجنتي شقيقها وشقيقتها، وأضافت: «بالمناسبة، أحببت اللحظة الهستيرية». قال جايلز: «إنها محقة»، بينما شاهدا جريس تتجه نحو أقرب موقف للحافلات. «يجب أن تستمتعي بكل لحظة، لأنني أنوي ذلك».

«قد لا تتمكن من ذلك».

«لِمَ لا؟»

«قد تكون وزيراً بحلول ذلك الوقت».

«علي أن أتمسك بمقعدي، ويجب أن يفوز الحزب بالانتخابات، قبل أن أصبح وزيراً».

«ومتى تعتقد سيكون موعد الانتخابات؟»

«إن كان عليّ أن أخمن، في وقت ما من أكتوبر، بعد مؤتمرات الحزب. لذا ستريننى كثيراً في بريستول خلال الأسابيع القادمة».

«وآمل أن أرى غوينيث».

«بالطبع، مع أنني أتمنى لو يولد الطفل خلال الحملة. سيجلب أكثر من ألف صوت، كما قال لي جريف».

«إنك دجال يا جايلز بارينغتون».

«كلا أنا سياسي، أحاول الحصول على منصب ثانوي، وإن فزت به، أعتقد أنني قد أكون في مجلس الوزراء».

«كن حذرا مما تتمناه».

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الخامس الأربعون

كان جايلز متفاجئاً ومسروراً من الحالة المتحضرة التي جرت فيها الحملة الانتخابية، بسبب جيرمي فورديس، خصمه المحافظ، وهو شاب ذكي من المكتب المركزي، لم يبدُ عليه أنه سيفوز بالانتخاب، وبالتأكيد لم يورط نفسه بالحركات المخادعة التي نفذها أليكس فيشر حين كان مرشحاً.

كان لدى ريجينالد إلسورثي، المرشح الليبرالي الدائم، هدف واحد، وهو زيادة أصواته، وحتى الليدي فيرجينيا فشلت في تسديد ضربة، فوق أو تحت الحزام، ربما لأنها كانت تتعافى من الضربة القاضية التي وجهتها إليها إيما في اجتماع شركة بارينغتون السنوي العام.

لذا حين أعلن كاتب الدولة: «أنا، رئيس مكتب التصويت في دائرة بريستول، أعلن عدد الأصوات التي نالها كل مرشح كما يلي:

سير جايلز بارينغتون 21،114

السيد ريجينالد إلسورثي 4،109

السيد جيرمي فورديس 17،364

وبذاك أعلن السيد جايلز عضواً منتخباً في البرلمان عن دائرة بريستول». لم يبدُ أحد متفاجئاً.

على الرغم من أن الأصوات في الدائرة لم تكن متقاربة، إلا أن القرار الذي سيحدد من سيحكم البلاد سيكون في اللحظة الأخيرة. في الواقع، لم تبدأ الأمة بتحضير نفسها لأول حكومة من حزب العمال منذ حكم كليمنت أتلي قبل ثلاثة عشر عاماً إلا حين أعلنت النتيجة النهائية في مولغيري الساعة 3:34 في اليوم التالي للانتخابات.

في اليوم التالي، سافر جايلز إلى لندن ولكن ليس قبل أن يقوم هو وغوينث ووالتر بارينغتون البالغ من العمر خمسة أسابيع بجولة في الدائرة لشكر عمال الحزب على تحقيقهم أكبر نسبة أصوات حصل جايلز عليها.

«حظاً موفقاً يوم الاثنين» كانت الجملة التي تكررت مراراً وتكراراً وهو يتجول في أرجاء الدائرة، لأن الجميع علم أن ذلك هو اليوم الذي سيقرر فيه رئيس الوزراء الجديد من سينضم إليه حول طاولة مجلس الوزراء.

أمضى جايلز عطلة نهاية الأسبوع وهو يستمع لآراء زملائه على الهاتف، ويقرأ مقالات المراسلين والصحفيين الرواد. ولكن في الحقيقة ما من أحد كان يعلم من سيصبح وزيراً سوى رجل واحد هو رئيس الوزراء، وعدا ذلك كان مجرد تخمينات.

صباح يوم الاثنين، شاهد جايلز التلفاز بينما كان يتم إيصال هارولد ويلسون إلى القصر ليُسأل من قبل الملكة إن كان يمكنه أن يشكل حكومة. بعد أربعين دقيقة ظهر بصفته رئيساً للوزراء، وتم إيصاله إلى تن داونينغ ستريت لكي يدعو اثنين وعشرين من زملائه لينضموا إليه كأعضاء لمجلس الوزراء.

جلس جايلز على طاولة الفطور وهو يتظاهر بقراءة الصحف الصباحية، حين لم يكن ينظر إلى الهاتف متمنياً أن يرن. رن عدة مرات، ولكن في كل مرة كان إما أحد أفراد عائلته أو أحد أصدقائه يتصل ليهنئه على الأغلبية، أو ليتمنى له حظاً موفقاً بعد أن تمت دعوته للانضمام للحكومة.

أراد أن يقول «كفوا عن الاتصال». كيف يمكن لرئيس الوزراء أن يتصل بي إن كان الخط مشغولاً دوماً؟ ثم ورد الاتصال.

«هذا المقسم الخاص بالمبنى رقم عشرة، سيد جايلز. تساءل رئيس الوزراء إن كان يمكنك الانضمام إليه في المبنى رقم عشرة الساعة الثالثة والنصف من ظهر اليوم». أراد جايلز أن يقول إنه مشغول ولكن سيتدبر الأمر. ولكنه قال: «نعم بالطبع». وأغلق السماعة. لم كان الموعد الساعة 3:30 ظهراً؟

فلو كان الموعد عند العاشرة ستعلم أنك إما وزير الخزانة أو وزير الخارجية أو الداخلية. لقد تم ملء هذه المناصب بالفعل، من قبل جيم كالاغان وباتريك غوردون ووكر وفرانك سوكيس. الظهيرة: التعليم: مايكل ستيوارت، والتوظيف: باربرا كاستل. كان الساعة تقرب الثالثة ونصف. هل سيكون في مجلس الوزراء أم هل يعمل لفترة مع وقف التنفيذ كرئيس مقاطعة؟

كان جايلز سيُعد لنفسه الغداء لو لم يتوقف الهاتف عن الرنين كل دقيقة. زملاء يتصلون لإخباره أي منصب حصلوا عليه، زملاء يتصلون ليخبروه أن رئيس الوزراء لم يتحدث معهم بعد، وزملاء يريدون معرفة الوقت الذي سيرى فيه رئيس الوزراء. لم يكن أي منهم يعلم ما كان يعني موعد الساعة 3:30 بعد الظهر.

بينما كانت الشمس تشرق على نصر لحزب العمال، قرر جايلز أن يذهب سيراً على الأقدام إلى المبنى رقم عشرة. ترك شقته في ساحة سميث بعد الساعة الثالثة بقليل، سار إلى الجسر ومجلس اللوردات والعموم في طريقه إلى وايت هول.

عبر الشارع بينما دقت ساعة بيغ بن معلنة مرور ربع ساعة، وأكمل طريقه مروراً بمكتب رابطة الشؤون الخارجية والشعوب البريطانية، قبل أن يلتف إلى شارع داونينغ. تم الترحيب به من قبل مجموعة من كلاب بول الصاخبة التي كانت مطوقة خلف الحواجز المؤقتة.

صرخ أحدهم: «أي منصب تظن أنك ستحصل عليه؟».

أراد جايلز أن يقول «أتمنى لو كنت أعلم». بينما كان معمياً تقريباً بسبب الأنوار الوامضة.

سأل آخر: «هل تأمل أن تكون في مجلس الوزراء، سيد جايلز؟»

بالطبع أيها الغبي، ولكن لم تتحرك شفتاه.

«إلى متى تظن أن الدولة ستصمد مع هذه الأصوات القليلة؟».

ليس إلى وقتٍ طويل، ولكنه لم يرد الاعتراف بذلك.

استمرت الأسئلة وهو يشق طريقه في شارع داونينغ.

كان جايلز على بعد ثلاث خطوات حين فُتح الباب، وللمرة الأولى في حياته، دخل المبنى رقم عشرة.

قال أمين سر مجلس الوزراء: «طاب نهارك سيد جايلز». وكأنهما لم يلتقيا من قبل. إن رئيس الوزراء مجتمع مع أحد زملائك الآن، لذا أرجو منك الانتظار في غرفة الجلوس حتى يكون متوفراً». أدرك جايلز أن السير آلان علم بالفعل أي منصب كان على وشك الحصول عليه، ولكن لم تصدر حتى رفة عين من الرجل الغامض قبل أن يذهب.

جلس جايلز في غرفة الجلوس الصغيرة حيث يُقال إن ولينغتون ونيلسون جلسا هنالك منتظرين رؤية ويليام بت الأصغر، غير مدركين من كان الشخص الآخر بينهما. فرك يديه على بنطاله، مع أنه علم أنه لن يصافح يد رئيس الوزراء، كما هو التقليد بين الزملاء البرلمانيين.

كان صوت الساعة الموجودة على الرف الصوت الوحيد الأعلى من صوت دقات قلبه. أخيراً، فُتح الباب وظهر السير آلان مجدداً «سيراك رئيس الوزراء الآن». نهض جايلز وبدأ ما يُعرف بالمشوار الطويل إلى حبل المشنقة.

حين دخل قاعة مجلس الوزراء، كان هارولد ويلسون يجلس إلى طاولة بيضاوية طويلة محاطة باثنين وعشرين كرسياً فارغاً. في اللحظة التي رأى فيها جايلز، نهض من مقعده تحت لوحة شخصية لروبرت بيل، وقال: «أحرزت نتائج رائعة في بريستول يا جايلز، أحسنت».

قال جايلز: «شكراً لك أيها الرئيس». معتمداً على التقليد الذي ينص على عدم مناداته باسمه الأول.

قال ويلسون وهو يملأ غليونه: «تفضل بالجلوس».

كان جايلز على وشك الجلوس بالقرب من رئيس الوزراء حين قال الأخير: «لا، ليس هنالك، ذلك مكان جورج؛ ربما يوماً ما ستجلس هنالك، ولكن ليس اليوم. لمَ لا تجلس هناك...» وأشار إلى الكرسي ذي الظهر الجلدي الأخضر الموجودة على الجهة الأخرى من الطاولة. «ففي النهاية، هنالك سيجلس وزير الدولة للشؤون الأوروبية كل خميس أثناء اجتماع مجلس الوزراء».

الفصل السادس الأربعون

قالت إيما وهي تسير في الغرفة جيئة وذهاباً: «فكر فقط بالمشاكل التي قد تحدث».

قال هاري: «لمَ لا نركز على الأشياء الجميلة التي قد تحدث، وخذي بنصيحة جريس، حاولي أن تسترخي وتعتبري التجربة بأكملها عطلة».

«أنا أشعر بالسوء لأنها لن تنضم إلينا على متن الرحلة».

«لن تأخذ جريس أبداً عطلة لمدة أسبوعين خلال فصل دراسي مدته ثمانية أشهر».

«يبدو أن جايلز تمكن من ذلك».

ذكرها هاري: «أسبوع فقط، وكان ذكياً للغاية، لأنه يخطط لزيارة الأمم المتحدة بينما هو في نيويورك، ثم الذهاب إلى واشنطن للقاء نظيره».

«تاركاً غوينيث والطفل في المنزل».

«قرار حكيم بالنسبة إلى الظروف الراهنة. لن تكون عطلة مريحة بالنسبة إليهما إن كان والتر الصغير سيبكي طوال الوقت».

سألت إيما: «هل استعددت وحزمت أغراضك؟».

«نعم أيتها الرئيسة، منذ فترة». ضحكت إيما وعانقته.

«أنسى أحياناً أن أشكرك».

«لا تكوني عاطفية اتجاهي. لا يزال لديك عمل عليك الالتزام به، لمَ لا ننطلق؟».

بدت إيما متحمسة للانطلاق، على الرغم من أن ذلك يعني أن عليهما التسكع على متن السفينة لساعات قبل أن يعطي القبطان أمر الانطلاق

والإبحار إلى نيويورك. تقبل هاري أن الأمر سيكون أسوأ بكثير إن بقيا في المنزل.

إيما بفخر: «انظر إلى جمالها» بينما وصلت السيارة إلى رصيف الميناء ولاحت سفينة باكينغهام في الأفق أمامهما.

«نعم، منظر رائع حقاً».

قالت إيما: «يا إلهي، هل سأتمكن يوماً ما من تناسي الإحراج».

قال هاري: «لا أرجو ذلك».

* * *

قالت سام: «هذا مثير للغاية» بينما انعطف سيباستيان من شارع A4 وقرأ الإشارات المؤدية إلى الرصيف. «لم أصعد من قبل على متن سفينة بحرية».

قال سيباستيان: «وهذه ليست أي سفينة، فيها تراس شمسي، وسينما، ومطعمان وبركة سباحة. إنها أشبه بمدينة عائمة».

«يبدو الأمر غريباً أن تمتلك بركة سباحة وأنت محاط بالماء».

«الماء في كل مكان».

قالت سام: «إحدى قصائد شعرائك الأمريكيين المهملين؟»

«هل تعرفين أي شعراء أمريكيين مشهورين؟».

«شاعر كتب قصيدة يمكنك تعلم شيء منها: لم يصل الرجال العظماء إلى الأعالي عبر الطيران، بل كانوا يكدحون للصعود إليها في الليل بينما كان رفاقهم نائمين».

سأل سيباستيان: «من كتب هذا؟»

* * *

سأل اللورد ماكلنتاير: «كم عدد الركاب الذين أصبحوا على متن السفينة؟» محاولاً أن يلعب دوره جيداً بينما كانت السيارة تغادر بريستول باتجاه الميناء.

«ثلاثة حماليين وبضعة ندل، واحد في غرفة الشواء، واحد في درجة

الكبائن، وفتى مرسال».

«هل يمكن الاعتماد عليهم كي يبقوا أفواههم مغلقة إن تم التحقيق معهم أو وضعهم تحت ضغط حقيقي؟».

«تم انتقاء اثنين من الحمالين وواحد من النُدل بشكل خاص. الفتى المرسال سيبقى على متن السفينة لبضع دقائق، وحين ينتهي من توصيل الزهور، سيعيدها إلى بلفاست».

«بعد أن نسجل الدخول يا برندن، تعال إلى حجرتي الساعة التاسعة. سيكون حينها معظم ركاب الدرجة الأولى يتناولون العشاء، ما سيمنحك وقتاً أكثر من كافٍ لكي تجهز المعدات».

قال برندن: «لن يشكل تجهيزها مشكلة، إن ما يقلقني هو وضع ذاك الصندوق الكبير على متن السفينة دون أن يشك أحد بالأمر».

قال السائق: «يعرف اثنان من الحمالين لوحة هذه السيارة، وسيبحثون عنا».

قال ماكلنتاير: «هل لكنتي ناجحة؟»

«كنت لتخدعني، ولكني لست رجلاً إنكليزياً. وعلينا أن نأمل ألا يكون أحد على متن السِفينة قد التقى من قبل باللورد ماكلنتاير».

«ذلك غير محتمل، عمره يتجاوز الثمانين، ولم يره أحد في الأماكن العامة منذ أن توفيت زوجته قبل عشر سنوات».

سأل برندن: «ألا تربطه صلة قرابة بعائلة بارينغتون؟»

«لهذا السبب اخترته. إن كانت القوات الجوية الخاصة تملك أحداً على متن السفينة، سيتفقدون من هم الأشخاص الموجودون ويفترضون أنني من أفراد العائلة».

«ولكن ماذا لو صادفت أحد أفراد العائلة؟».

«لن أصادف أياً منهم. سأتفاداهم جميعاً». ضحك السائق. «الآن أخبرني،

كيف سأصل إلى كابينتي الأخرى بعد أن أضغط على الزر؟»

«سأعطيك المفتاح الساعة التاسعة. هل يمكنك أن تتذكر موقع الحمام العمومي على التراس رقم ستة؟ لأنه عليك أن تبدل هنالك بعد أن تغادر كابينتك للمرة الأخيرة».

قال اللورد ماكلنتاير: «إنه على الجهة الأخرى من ردهة الدرجة الأولى. وبالمناسبة، يا فتى، إنه يدعى مرحاض وليس حماماً، مثل هذا الخطأ الصغير قد يتسبب في كشفنا. لا تنسى، هذه السفينة مثال عن المجتمع الإنكليزي. لا يختلط الأناس في الدرجة الأولى مع درجة الكبائن، ولا يفكر الناس ممن ينزلون بالكبائن بالتحدث إلى أولئك من درجة السياحة. لذا قد لا يكون من السهل أن نتواصل سوية».

قال برندن: «ولكني قرأت أن هذه السفينة هي الأولى المزودة بهاتف في كل غرفة، لذا إن كان هنالك حالة طوارئ، اضغط فقط الأرقام 712. إن لم أرفع السماعة، نادلنا في غرفة الشواء يدعى جيمي وهو...».

* * *

لم يكن الكولونيل سكوت هوبكنز ينظر إلى سفينة باكينغهام. كان هو وزملاؤه يبحثون في الحشد الموجود على الرصيف عن أي أثر لإيرلنديين. حتى الآن لم يرَ أحداً يعرفه. كما أن الكابتن هارتلي والرقيب روبرتس، اللذان خدما في إيرلندا الشمالية مع القوات الجوية الخاصة، لم يريا أحداً أيضاً. العريف كران كان من رآه.

«الساعة الرابعة، واقف لوحده في نهاية الحشد. إنه لا ينظر إلى السفينة، بل فقط إلى الركاب».

«ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟».

«ربما مثلنا يبحث عن أحد ما، ولكن من؟».

قال سكوت هوبكنز: «لا أعرف، ولكن كران، لا تدعه يغيب عن ناظريك،

إن تحدث مع أحد أو حاول الصعود على متن السفينة، أعلمني حالاً».

قال كران: «نعم سيدي». وبدأ بشق طريقه عبر الحشد نحو الهدف.

قال الكابتن هارتلي: «قرابة الساعة السادسة».

ركّز الكولونيل انتباهه. «رباه، هذا تماماً ما نحتاج إليه...»

* * *

قال اللورد ماكلنتاير: «حين أخرج من السيارة يا برندن، حاول أن تتخفى وافترض أن هنالك أشخاصٌ في الحشد يبحثون عنك، ولا تنسى أن تكون في كابينتي عند الساعة التاسعة».

قال السائق: «رأيت للتو كورماك وديكلان».

أومض بالأضواء الأمامية مرة وأسرعا باتجاههما، متجاهلين عدة ركاب احتاجوا مساعدتهما.

قال ماكلنتاير للسائق: «لا تخرج من السيارة».

تطلب الأمر كلا الحمالين لإخراج الصندوق الثقيل من صندوق السيارة ووضعه على العربة بأكبر قدر ممكن من العناية وكأنهما كانا يحملان طفلاً حديث الولادة. بعد أن أغلق أحدهما صندوق السيارة، قال ماكلنتاير: «حين تعود إلى لندن يا كيفن، راقب المنزل رقم 44 في إيتون سكوير. بعد أن باع مارتينيز سيارته من نوع رولز رويس، لديّ شعور أنه سيهرب». التفت إلى برندن مجدداً. «أراك عند التاسعة» ثم خرج من السيارة واختفى بين الحشود.

همس شاب ظهر بالقرب من اللورد ماكلنتاير: «متى عليّ إيصال الزنابق؟».

«قبل ثلاثين دقيقة من انطلاق السفينة. واحرص ألا نراك مجدداً إلا في بلفاست».

* * *

وقف دون بيدرو في مؤخرة الحشد، وراقب سيارة كان يعرفها وهي تتوقف على بعض مسافة قصيرة من السفينة.

لـم يتفاجـأ حين لم يترجل السـائق حين ظهر حمـالان من العدم، وفتحا صندوق السيارة وأخرجا صندوقاً وضعاه على عربة، وبدأا بدفعها ببطء نحو السـفينة. خـرج رجـلان، واحد مسـن وواحد في العقـد الثالث من عمره، من المقعد الخلفي للسيارة. أشرف الرجل الأكبر سناً، والذي لم يره دون بيدرو من قبل، على عملية إنزال الأمتعة، وهو يتحدث مع الحمالين. نظر دون بيدرو في الأرجاء بحثاً عن الرجل الآخر، لكنه كان قد اختفى بالفعل بين الحشود.

بعد دقائق، انعطفت السيارة وابتعدت.

يقوم السائقون عادة بفتح الباب الخلفي لركابهم، ويساعدونهم في إنزال الأمتعـة، وينتظـرون المزيـد من التعليمات. ولكن هذا السـائق لم يفعل ذلك، مـن الواضـح أنـه لـم يرد البقاء وقتاً كافياً ليتعرف إليه أحد، وخصوصاً بوجود عدد كبير من عناصر الشرطة على الرصيف.

شـعر دون بيدرو أن أياً كان ما خطط له الجيش الجمهوري الإيرلندي، فعلـى الأرجـح أنـه سـيحصل أثناء الرحلـة وليس قبل انطلاق السـفينة. حين اختفت السـيارة، انضم دون بيدرو إلى طابور طويل وانتظر سـيارة أجرة. لم يعد يملك سائقاً أو سيارة.

كان يشعر بالألم بسبب السعر الذي حصل عليه مقابل الرولز رويس بعد أن أصر على الدفع نقداً.

وصل في النهاية إلى بداية الطابور وطلب من السائق أن يأخذه إلى محطة تيمبل ميدز.

في طريق العودة على متن القطار إلى بادينغتون، أعاد التفكير في ما خطط له لليوم التالي. لم يكن ينوي أن يدفع الدفعة الثانية والبالغة مئتين وخمسين ألـف جنيـه، لأنـه لا يملـك المال الكافي. كان يملك أكثر من ثلاثة وعشـرين ألف جنيه بقليل في الخزنة، وأربعة آلاف أخرى من بيع سـيارته. فكّر أنه إن اسـتطاع مغادرة لندن قبل أن ينفذ الجيش الجمهوري الإيرلندي مهمته، فمن

غير المرجح أن يتبعوه إلى بوينس آيرس.

* * *

سأل الكولونيل: «هل كان هو؟».

رد هارتلي: «من الممكن ذلك، ولكنني لست متأكداً، هنالك كثير من السائقين الذين يرتدون قبعات مدببة ويضعون نظارة شمسية هذه الأيام، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه لألقي نظرة عن قرب كان في طريقه إلى البوابة».

«هل رأيت من كان يوصل؟»

قال هارتلي: «انظر حولك سيدي، قد يكون أي واحد من مئات الركاب الذين سيصعدون على متن هذه السفينة». ومر أحد ما بسرعة قرب الكولونيل.

قال اللورد ماكلنتاير: «أنا أعتذر» ورفع قبعته وابتسم للكولونيل قبل أن يصعد سلم الركاب ويبلغ السفينة.

* * *

قالت سام وهي تخرج من الحمام مئتزرة بمنشفة: «كابينة رائعة، لقد فكروا بكل ما قد تحتاج إليه الفتاة».

«هذا لأن أمي تفحصت كل غرفة».

قالت سام وهي غير مصدقة: «كل غرفة؟».

«صدقي ذلك، لكن من المؤسف أنها لم تفكر بكل ما قد يحتاج إليه الشاب».

«ما الذي قد تحتاج إليه أكثر من هذا؟»

«سرير مزدوج، كبداية. ألا تعتقدين أنه من المبكر قليلاً في علاقتنا أن ننام في أسرّة منفصلة؟»

«كف عن الهراء، سيب، فقط ادفعهما إلى جانب بعضهما».

«الأمر ليس بهذه السهولة، إنهما مثبتين على الأرض».

قالت ببطء شديد: «حسناً، لِمَ لا تزيل الفراشين، وتضعهما قرب بعضهما وننام على الأرض».

«جربت ذلك بالفعل، ليس هنالك مساحة كافية لوضع واحدة حتى على الأرض، فما بالك باثنتين».

قالت مع تنهيدة مبالغ بها: «لو كان راتبك يكفي لنحجز كابينة في الدرجة الأولى، لن تشكل تلك مشكلة».

«بحلول الوقت الذي سأستطيع فيه تحمل تكاليف ذلك، سنكون غالباً ننام في أسرة منفصلة».

قالت سام: «مستحيل» وأوقعت منشفتها على الأرض.

* * *

«مساء الخير، سيدي، اسمي هو بريثويت، وأنا كبير المضيفين على هذا التراس. اسمح لي أن أقول إنه يسرنا استقبالك. إن احتجت شيئاً، صباحاً أو مساءً، فقط ارفع السماعة واطلب الرقم مئة وسيأتي أحد لمساعدتك على الفور».

«شكراً لك بريثويت».

«هل تريد مني أن أفرغ أمتعتك بينما تتناول العشاء سيدي؟».

«كلا، هذا لطف منك، ولكني قضيت رحلة متعبة من إسكتلندا، لذا أعتقد أنني سأستريح وأتغيب عن العشاء».

«كما تريد سيدي».

قال اللورد ماكلنتاير وهو يخرج ورقة نقدية من فئة خمسة جنيهات من محفظته: «في الواقع، هل يمكنك أن تضمن ألا يتم إزعاجي قبل الساعة السابعة صباحا؟ أرغب حينها بكوب من الشاي وبعض الخبز والمربى».

«بني أم أبيض، سيدي؟»

«سيكون البني جيداً، بريثويت».

«سأضع لوحة عدم الإزعاج على بابك وأدعك تستريح. ليلة هانئة سيدي».

التقى الرجال الأربعة في كنيسة السفينة بعد تسجيلهم الدخول بقليل.

قال سكوت هوبكينز: «لا أعتقد أننا سنحصل على ما يكفي من النوم خلال الأيام القادمة، بعد رؤيتنا لتلك السيارة، علينا أن نفترض أنه هنالك خلية للجيش الجمهوري الإيرلندي على متن السفينة».

سأل العريف كران: «لم قد يكون الجيش الجمهوري الإيرلندي مهتماً بسفينة باكينغهام، بينما يملكون ما يكفي من المشاكل في الوطن؟».

«لأنهم إن تمكنوا من توجيه ضربة مثل إغراق سفينة باكينغهام، سيشغل ذلك تفكير الجميع عن تلك المشاكل في الوطن».

بدأ هارتلي: «بالتأكيد أنت لا تعتقد – «

«من الأفضل دوماً أن نتوقع السيناريو الأسوأ، ونفترض أن هذا ما يفكرون فيه».

«من أين سيحصلون على المال لتمويل عملية كهذه؟».

«من الرجل الذي رأيته واقفاً على الرصيف».

قال روبرتس: «ولكنه لم يصعد على متن السفينة، واستقل القطار مباشرة إلى لندن».

«هل كنت لتصعد على متن السفينة لو علمت ما الذي يخططون له؟».

«فقط إن كان مهتماً بعائلتي بارينغتون وكليفتون، هكذا نعرف ما هو هدفهم، لأنهم جميعاً على سطح السفينة ذاته».

قال روبرتس: «ليس صحيحاً، سيباستيان كليفتون وحبيبته في الكابينة رقم 728. قد يكونا أيضاً هدفاً لهم».

قال الكولونيل: «لا أعتقد ذلك، إن قتل الجيش الجمهوري الإيرلندي

ابنة دبلوماسي أمريكي، تأكدوا من أن أي تمويل قادم من الولايات المتحدة سيتوقف حالاً. أعتقد أنه علينا التركيز على الكبائن في الدرجة الأولى على التراس رقم واحد، لأنهم إن تمكنوا من قتل السيدة كليفتون مع فرد أو فردين آخرين من عائلتها، لن تكون هذه رحلة باكينغهام الأولى، بل الأخيرة أيضاً».

أردف الكولونيل: «سيقوم كل منا على مدى الرحلة بدورية مدتها أربع ساعات. هارتلي، راقب كبائن الدرجة الأولى حتى الساعة 2 بعد منتصف الليل. ثم سأستلم منك، وأوقظك قبل السادسة بقليل. كران وروبرتس سيقومان بالأمر نفسه في درجة الكبائن، لأنني أعتقد أننا سنجد الخلية هناك».

سأل كران: «عن كم شخص نبحث؟»

«سيكون لديهم ثلاثة أو أربعة منفذين على متن السفينة، متنكرين بهيئة ركاب أو أفراد من الطاقم. لذا إن لمحتم أحداً ما رأيتموه من قبل في شوارع إيرلندا الشمالية، لن تكون تلك مصادفة. وتأكدوا من إعلامي على الفور. مما يذكرني، هل وجدتم أسماء الركاب الذين حجزوا آخر كابينتين من الدرجة الأولى على التراس رقم واحد؟»

قال هارتلي: «نعم سيدي، السيد والسيدة أسبري، الكابينة الخامسة».

«واللورد ماكلنتاير في الكابينة رقم ثلاثة. بحثت عن هويته. إنه بعمر الرابعة والثمانين، وكان متزوجاً بشقيقة اللورد هارفي، لذا يكون عم الرئيسة الأكبر».

سأل الكولونيل: «لما يوجد لوحة عدم الإزعاج على بابه؟».

«أخبر المضيف أنه متعب بعد رحلته من إسكتلندا».

قال الكولونيل: «هل هذا صحيح؟ مع ذلك، من الأفضل أن نراقبه، مع أنني لا أعرف ما قد يحتاج إليه الجيش الجمهوري الإيرلندي من رجل بعمر الرابعة والثمانين».

انفتح الباب ونظروا جميعاً ليجدوا القسيس داخلاً. ابتسم بلطف للرجال

الأربعة، الذين كانوا راكعين وحاملين كتب الصلاة.

سأل وهو يعبر الرواق باتجاههم: «هل يمكنني مساعدتكم؟».

قال الكولونيل: «لا شكراً لك، كنا على وشك المغادرة».

الفصل السابع الأربعون

سأل هاري بعد أن انتهي من إفراغ الأمتعة: «هل عليّ أن أرتدي سترة رسمية الليلة؟».

«لا. اللباس المحدد غير رسمي دوماً خلال الليلتين الأولى والأخيرة».

«وماذا يعني ذلك، لأنه يتغير مع كل جيل جديد».

«بالنسبة إليك، بذلة وربطة عنق».

سأل هاري وهو يخرج بذلته من الخزانة: «هل سينضم أحد ما إلينا خلال العشاء؟»

«جايلز، سيب وسام، العائلة فقط».

«هل تعتبر سام الآن من العائلة؟»

«يبدو أن سيب يعتقد ذلك».

«إنه شاب محظوظ. ولكن عليّ الاعتراف أنني أرغب بالتعرف بشكل أفضل إلى بوب بينغهام. آمل أن نتناول العشاء معه ومع زوجته ذات ليلة».

«ما اسمها؟»

«بريسكيلا. ولكن كن حذراً، إنهما مختلفين كثيراً».

«ما الذي تقصدينه؟».

«لن أقول شيئاً حتى تلتقي بها، ويمكنك حينها أن تحكم بنفسك».

«يبدو ذلك مثيراً للاهتمام، لا بد أن جملة كن حذراًتلميح. أياً يكن الأمر، قررت بالفعل أن بوب سيملأ بضع صفحات من كتابي الجديد».

«كبطل أو كشرير؟».

«لم أقرر بعد».

سألت إيما وهي تفتح الخزانة: «ما هو الطابع العام؟».

«ويليام ووريك وزوجته يقضيان عطلة على متن سفينة فخمة».

«ومن يقتل من؟».

«زوج رئيسة مجلس إدارة شركة الشحن المقموع يقتل زوجته، ويهرب مع طباخ السفينة».

«ولكن يجب أن يقول ويليام ووريك بحل القضية قبل أن يصلوا إلى المرفأ، وسيمضي الزوج الشرير بقية حياته في السجن».

قال هاري وهو ينتقي واحدة من ربطتي العنق ليرتديها على العشاء: «كلا لن يفعل، لا يملك ووريك صلاحية ليلقي القبض عليه على متن السفينة، لذا يلوذ الزوج بالفرار».

«ولكن إن كانت تلك سفينة إنكليزية، سيكون زوجها تحت حكم القانون الإنكليزي».

«آه، تلك هي الحبكة. لأسباب تتعلق بالضريبة، تسافر السفينة تحت علم ليبيريا. لذا، كل ما عليه فعله هو رشوة رئيس الشرطة المحلي ولا يتم تحويل القضية أبداً إلى المحكمة».

قالت إيما: «رائع، لما لم أفكر بهذا؟ سيحل ذلك كل مشاكلي».

«تعتقدين أنني إن قتلتك، ستحل كل مشاكلك؟».

«كلا أيها الغبي. ولكن عدم دفعي لأية ضرائب سيحلها. أعتقد أنني سأعينك في المجلس».

قال هاري وهو يعانقها: إن فعلت ذلك، سأقتلك».

رددت إيما: «أتساءل كيف سيستجيب المجلس لتلك الفكرة؟».

أخرجت ثوبين من الخزانة وحملتهما. «أي واحد؟ الأحمر أم الأسود؟».

«ظننت أنك قلت إن اليوم يوم الملابس غير الرسمية».

قالت: «بالنسبة إلى رئيسة المجلس، ليس هنالك يوم للملابس غير الرسمية». وصدر صوت قرع على الباب.

قال هاري: «بالطبع ليس الأمر كذلك». سار نحو الباب كي يفتحه ورحب به المضيف الأكبر.

قال بريثويت: «مساء الخير سيدي، جلالة الملكة الأم إليزابيث أرسلت زهوراً للرئيسة» وكأن الأمر كان يحصل كل يوم.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال هاري: «زنبق دون شك».

سألت إيما: «كيف لك أن تعرف؟» بينما دخل شاب قوي البنية الغرفة حاملاً مزهرية كبيرة مليئة بزهور الزنبق.

«كانت تلك الزهور هي ما قدمها لها دوق يورك، قبل أن تصبح ملكة».

قالت إيما للشاب: «هل لك أن تضعها على الطاولة في وسط الكابينة؟» بينما نظرت إلى البطاقة التي أتت مع الزهور. كانت على وشك شكره، ولكنه غادر.

سأل هاري: «ما المكتوب على البطاقة؟».

«أشكرك على يومٍ لا ينسى في بريستول».

قال هاري: «يا لها من مسنة محترفة».

قالت إيما: «إنه لطف منها، لا أعتقد أن الزهور ستصمد حتى نصل إلى نيويورك يا بريثويت. ولكن أرغب بالاحتفاظ بالمزهرية. كذكرى.

«يمكنني أن أستبدل الزهور وأنت في نيويورك أيتها الرئيسة».

«ذلك لطف منك بريثويت. شكرا لك».

* * *

سأل سيباستيان: «أي مجلس كانت تفكر به؟».

«بارينغتون على ما أظن».

«لا، أعتقد أن أمي لا تزال تملك بعض الأفكار. ولكن إن طلبت مني، سأفكر بالانضمام إلى المجلس».

قال جايلز بينما بدل الساقي الويسكي والصودا أمامه: «هذا لطف منك».

«لا ولكنني مهتم أكثر بفارثينغز».

«ألا تعتقد أن الرابعة والعشرين عمر صغير قليلاً لتكون رئيس مجلس؟».

«أنت محق على الأغلب، ولهذا السبب أحاول أن أقنع السيد هاردكاسل ألا يستقيل قبل أن يبلغ السبعين من عمره».

«ولكن مع ذلك ستكون في التاسعة والعشرين من عمرك».

«لقد كنت أصغر بأربع سنوات عندما دخلت البرلمان».

«صحيح، ولكن لم أصبح وزيراً حتى أصبحت في الرابعة والأربعين».

«لأنك انضممت للحزب الخاطئ».

ضحك جايلز: «ربما سينتهي الأمر بك في الحكومة يوماً ما يا سيب؟».

«إن فعلت، خالي جايلز، عليك أن تبحث في الأرجاء لتجدني، لأنني سأجلس على المقاعد المقابلة. وأياً يكن الأمر. أنوي أن أصنع ثروة قبل أن أفكر بتسلق ذاك العمود الزلق».

سأل جايلز: «ومن هذه المخلوقة الجميلة؟» حين انضمت إليهما سام.

قال سيباستيان غير قادر على إخفاء فخره: «إنها حبيبتي، سام».

قال جايلز وهو يبتسم لها: «كان يمكنك أن تحصلي على واحد أفضل».

قالت سام: «أعلم ذلك، ولكن لا يمكن لفتاة مغتربة أن تكون متطلبة».

قال جايلز: «أنت أمريكية».

«نعم، أعتقد أنك تعرف والدي، باتريك سوليفان».

«بالفعل أعرف بات، إنه شخص رائع. في الواقع، لم أعتبر لندن أكثر من محطة صغيرة بالنسبة إلى مسيرته المهنية اللامعة».

قالت سام: «هذا ما أشعره اتجاه سيباستيان». أمسكت بيده. ضحك جايلز بينما دخلت إيما وهاري إلى صالة الشواء.

سألت إيما: «ما هي الدعابة؟».

«منحت سام ابنك مكانه الصحيح. يمكنني أن أتزوج هذه الفتاة». وانحنى لسام.

قالت سام: «لا أعتقد أن سيباستيان مثل السير توبي بيلش أبداً».

قالت إيما: «إذن يمكنني ذلك أيضاً».

قال هاري: «لا، يمكنني ذلك أيضاً، وألا أطلب مهراً معها، ولكني أمزح أيضاً».

قال سيباستيان: «أنا تائه».

قال جايلز: «كما قلت يا سام، كان يمكنك الحصول على من هو أفضل. ولكني متأكد أنك ستفسرين ذلك لسيب لاحقاً. بالمناسبة إيما، ثوب رائع. الأحمر يليق بك».

«شكراً لك جايلز. سأرتدي اللون الأزرق غداً، وعليك حينها أن تفكر بإطراء آخر».

قال هاري، الذي كان يرغب بالجين والصودا: «هل يمكنني أن أطلب مشروباً لك أيتها الرئيسة؟».

«لا شكراً لك عزيزي، أنا جائعة، لما لا نذهب ونجلس».

غمز جايلز هاري. «ألم أحذرك حين كنا بعمر الثانية عشرة أن نتفادى النساء، ولكنك اخترت أن تتجاهل نصيحتي».

بينما كانا متجهان للجلوس إلى الطاولة في سط صالة الشواء، توقفت إيما للتحدث مع روس وجان بيوكانان.

«أرى أنك استعدت زوجتك يا روس، ولكن ماذا عن سيارتك؟».

قال روس وهو ينهض من مكانه: «بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى ادنبره بعد عدة أيام، كانت محتجزة في مركز الشرطة. كلفني الأمر ثروة حتى أستعيدها».

قالت جان وهي تلمس عقداً من اللؤلؤ: «لم تكلف أكثر من هذه».

فسر روس: «هدية لتهدئة الأوضاع».

قالت إيما: «وهدأت الأوضاع في الشركة في الوقت ذاته، وأنا ممتنة لذلك كثيراً».

قال روس: «لا تشكريني، اشكري سيدريك».

قالت إيما: «أتمنى لو استطاع مرافقتنا في الرحلة».

* * *

سألت سام بينما كان النادل يسحب الكرسي لكي تجلس: «هل كنتما تريدان إنجاب صبي أم فتاة؟».

قال جايلز: «لم أترك لغوينيث خياراً، أخبرتها أنه يجب أن تلد صبياً».

«لماذا؟».

«لأسباب عملية بحتة. لا يمكن للفتاة أن ترث اسم العائلة. في إنكلترا، يجب أن يرث الذكور كل شيء».

قالت سام: «كم هذا تقليدي. وأنا التي كنت دوماً أظن البريطانيون شعباً متحضراً».

قال جايلز: «ليس حين يتعلق الأمر بالبكورة».

نهض الرجال الثلاثة من مكانهم حين وصلت إيما إلى الطاولة.

«ولكن السيدة كليفتون رئيسة مجلس شركة بارينغتون».

«ولدينا ملكة على العرش. ولكن لا تقلقي يا سام، سنهزم هؤلاء الرجعيين في النهاية».

قال سيباستيان: «لن يحصل ذلك إن عاد حزبي إلى القمة».

قال جايلز وهو ينظر إليه: «حين تمشي الديناصورات على الأرض مجدداً».

سألت سام: «من قال هذا؟».

«الرجل الذي هزمني».

* * *

لم يطرق برندن الباب، أدار القبضة ببساطة وانسل إلى الداخل، ونظر إلى الخلف ليتأكد أن أحداً لم يره. لم يرد أن يفسر لأحد ما يفعله شاب من درجة الكبائن في غرفة رجل مسن في ذاك الوقت من الليل. مع أن احتمال أن يعلق أحد على الأمر ضئيل.

سأل برندن حين أغلق الباب: «هل يمكن أن تتم مقاطعتنا؟».

«لن يزعجنا أحد قبل الساعة السابعة صباحاً، وبحلول ذلك الوقت لن يكون هنالك أحد ليتم إزعاجه».

قال برندن: «جيد» ركع، وفتح قفل الصندوق الكبير، رفع الغطاء وتفحص الآلة المعقدة التي احتاج لأكثر من شهر لبنائها. أمضى نصف ساعة بعد ذلك وهو يتأكد من عدم وجود أسلاك حرة، وأن كل رقم كان مضبوطاً بشكل صحيح، وأن الساعة تبدأ بعد إدارة مفتاح كهربائي. لم ينهض قبل تأكده من أن كل شيء معدّ بالشكل الصحيح.

قال: «كل شيء جاهز، متى تريد تفعيلها؟».

قال ماكلنتاير: «عند الثالثة بعد منتصف الليل. وسأحتاج لثلاثين دقيقة لأزيل كل هذا». ولمس ذقنه المزدوج. «وأن يتبقى لدي ما يكفي من الوقت لأصل إلى كابينتي الثانية».

عاد برندن إلى الصندوق، وضبط الوقت على الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. «كل ما عليك فعله هو إدارة المفتاح الكهربائي قبل أن تغادر تماماً، وأن تتأكد من أن عقرب الثواني يتحرك».

«إذن ما الخطأ الذي قد يحصل؟».

«إن كانت الزنابق في غرفتها، لا شيء. لا أحد في هذا الرواق وعلى الأرجح على ظهر السفينة في الطابق السفلي سينجو. هنالك ستة أرطال من الديناميت مدفونة في التربة تحت تلك الزهور، أكثر بكثير مما نحتاج إليه. ولكن بتلك الطريقة سنضمن حصولنا على المال».

«هل معك المفتاح؟»

قال برندن: «نعم، الكابينة 706. ستجد جواز سفرك الجديد والبطاقة تحت الوسادة».

«هل هنالك شيءٍ آخر عليّ القلق بشأنه؟».

«كلا. فقط تأكد من تحرك عقرب الثواني قبل أن تغادر».

ابتسم ماكلنتاير. «أراك حين نعود إلى بلفاست. وإن انتهى بنا الأمر في قارب النجاة ذاته، تجاهلني».

أومأ برندن برأسه، سار نحو الباب وفتحه ببطء. نظر إلى الخارج في أرجاء الرواق، لا أثر لأحد عائد إلى كابينته بعد العشاء. سار بسرعة إلى نهاية الرواق، وفتح باباً كُتب عليه أنه مخصص للاستخدام في حالات الطوارئ. أغلق الباب بهدوء خلفه ونزل الدرجات المعدنية التي تصدر صوتاً عالياً. لم يلتقِ بأحد على السلالم.

خلال خمس ساعات، ستكون هذه السلالم مزدحمة بالناس المذعورين الذين يتساءلون إن كانت السفينة قد ارتطمت بجبل جليدي.

حين وصل إلى التراس رقم سبعة، فتح باب الطوارئ وتفقد الخارج مرة أخرى. لم يكن هنالك أحد على مد النظر.

سار عبر الرواق الضيق عائداً إلى كابينته. كان هنالك عدة أشخاص عائدين إلى غرفهم بعد العشاء ولكن لم يعره أي منهم انتباهه.

على مدى الأعوام، حوّل برندن الغفلية إلى فنّ. فتح باب غرفته، وحين وصل إلى الداخل انهار على السرير، أنهى عمله. تفقد ساعته: 9:50. سيكون وقت الانتظار طويلاً.

* * *

قال هارتلي: «دخل أحد ما إلى كابينة اللورد ماكلنتاير بعد الساعة التاسعة بقليل، ولكني لم أره يخرج بعد».

«قد يكون المضيف».

«من غير المرجح أيها الكولونيل، لأن هنالك لوحة يرجى عدم الإزعاج على الباب، وعلى أية حال، أياً كان، لم يطرق على الباب. في الواقع، دخل الكابينة وكأنها كابينته».

«حسناً، من الأفضل ألا تزيح نظرك عن ذلك الباب، وإن خرج أحد ما، تأكد من اللحاق به. سأذهب لرؤية كران في درجة الكبائن وأتفقد إن كان يملك ما يخبرنا به. إن حصل أي شيءٍ تشك في أمره لا تتردد بإيقاظي».

* * *

سأل سيباستيان: «ما الذي خططت له من أجلنا حين نصل إلى نيويورك؟»

ردت سام: «سنكون في مالبيغ آبل لمدة ست وثلاثين ساعة، لذا لا يمكننا أن نفوت أي لحظة. في الصباح، سنزور متحف الميتروبوليتان، ثم نزهة منعشة في أرجاء حديقة سنترال بارك، ثم نتناول الغداء في مطعم ساردي. في وقت الظهيرة سنذهب إلى متحف فريك، وفي الأمسية اشترى لنا والدي بطاقتين لحضور مسرحية هالو دولي مع الممثلة كارول شانينغ».

«لا يوجد وقت للتسوق؟»

«سأسمح لك بالتجول في منطقة فيفث آفينيو، ولكن لتملأ صندوقاً فقط، ناهيك عما أتوقع أنك ستضع فيه. ولكن إن أردت تذكاراً من زيارتك، سنتجه إلى متجر ميسي في غرب الشارع 34، حيث يمكنك أن تنتقي شيئاً من بين آلاف السلع بأقل من دولار».

«يبدو ذلك مناسباً لميزانيتي. بالمناسبة، ما هو فريك؟»

«معرض شقيقتك المفضل».

«ولكن جيسيكا لم تزر نيويورك من قبل».

«لم يوقفها ذلك من معرفة كل لوحة في كل صالة. سترى كل لوحاتها المفضلة هنالك».

«فيرمبير، لوحة الفتاة التي قوطعت وهي تستمع للموسيقى».

قالت سام: «أحسنت».

* * *

كان هاري وإيما يغادران صالة الشواء متجهين إلى السلالم الكبيرة ليعودا إلى كابينتيهما في التراس الرئيسي حين قالت: «إن سام مميزة، أليس كذلك؟».

قال هاري وهو يمسك بيدها: «ويعود الفضل لجيسيكا في إيجادها لسيب».

«أتمنى فقط لو كانت معنا على متن هذه الرحلة. لكانت قد رسمت الجميع في هذا الوقت، من القبطان على الجسر إلى بريثويت وهو يقدم شاي الظهيرة، وحتى بيرسيوس».

عبس هاري حين كانا يسيران بصمت في الرواق. لم يمر يوم لم يلم فيه نفسه على عدم إخبار جيسيكا حقيقة من كان والدها.

سألت إيما وهي تخترق أفكاره: «هل التقيت بالرجل الذي حجز الكابينة رقم ثلاثة؟».

«اللورد ماكلنتاير؟ كلا ولكني رأيت اسمه على لائحة المسافرين».

«هل يعقل أن يكون بيير ماكلنتاير الذي كان متزوجاً بخالتي إيزوبيل؟».

«ممكن، التقينا به مرة واحدة عندما بقينا في قلعة جدك في إسكتلندا. رجل نبيل حقاً. لا بد أن عمره تجاوز الثمانين الآن».

«أتساءل لما قرر الذهاب في الرحلة الأولى دون إخبارنا؟».

«لم يرد أن يزعجك على الأغلب. لندعوه إلى العشاء مساء غد. في النهاية، هو الوحيد الباقي من ذلك الجيل».

قالت إيما: «فكرة لطيفة يا عزيزي، سأكتب ملاحظة وأضعها تحت بابه صباح غد».

فتح هاري باب الكابينة ووقف جانباً ليسمح لها بالدخول.

قالت إيما: «أنا مرهقة» وانحنت لتشم الزنابق. «لا أعرف كيف تتمكن

الملكة الأم من القيام بعملها بشكل يومي».

«إنه عملها، وهي تجيده، ولكن أراهن أنها ستكون مرهقة إن حاولت أن تكون رئيسة مجلس إدارة بارينغتون لعدة أيام».

قالت إيما: «ومع ذلك أفضل عملي على عملها». وخلعت ثوبها وعلقته في الخزانة قبل أن تدخل الحمام.

قرأ هاري بطاقة جلالة الملكة الأم مرة أخرى. رسالة شخصية للغاية. قررت إيما بالفعل أن تضع المزهرية في مكتبها حين يعودان إلى بريستول، وأن تملأها بالزنابق صباح كل اثنين.

ابتسم هاري. ولِمَ لا. حين خرجت إيما من الحمام، أخذ هاري مكانها وأغلق الباب خلفه. خلعت ثوب الاستحمام واستلقت على السرير، كانت متعبة ولا تستطيع التفكير حتى بقراءة عدة صفحات من رواية ذا سباي هو كيم إن فروم ذا كولد، التي كتبها كاتب جديد أوصاها به هاري. أطفأت المصباح بالقرب من سريرها وقالت: «تصبح على خير عزيزي». مع أنها كانت تعلم أن هاري لا يستطيع سماعها.

بحلول الوقت الذي خرج فيه هاري من الحمام غطت إيما بنوم عميق. دثرها وكأنها كانت طفلة صغيرة، قبلها على جبينها وهمس: «تصبحين على خير عزيزتي». ثم صعد إلى سريره، مستمتعاً بصوت نفسها اللطيف. لم يكن ليقول يوماً أنها كانت تشخر.

استلقى مستيقظاً، فخوراً بها كثيراً. إن إطلاق السفينة كان رائعاً. تقلب إلى جنبه، مفترضاً أنه سيغفو خلال لحظات، ولكن على الرغم من أن عينيه كانتا ثقيلتين وكان منهكاً، إلا أنه لم يستطع النوم. كان هنالك خطب ما.

الفصل الثامن الأربعون

نهض دون بيدرو بعد الساعة الثانية، لكنه لم يكن يعاني من الأرق.

بعد أن ارتدى ملابسه، حزم حقيبة ونزل إلى مكتبه. فتح الخزنة، أخرج مبلغ 23645 جنيهاً المتبقية ووضعها في الحقيبة. أصبح البنك الآن يملك كل ما في المنزل، بما في ذلك التج-هيزات. إن كانوا يأملون الحصول على باقي المبلغ المسحوب، يمكن للسيد ليدبوري أن يذهب في رحلة إلى بوينس آيرس حيث سيحصل على رد مؤلف من كلمتين.

استمع للأخبار على الراديو، لم تُذكر سفينة باكينغهام في العناوين الرئيسية. كان واثقاً من أنه سيفر من البلاد قبل وقتٍ طويل من أن يعرفوا بذلك. نظر عبر النافذة إلى الخارج، وشتم حين وجدها تمطر بغزارة، وخشي أنه سيمضي بعض الوقت وهو يبحث عن سيارة أجرة.

أطفأ الأنوار، خرج وأغلق باب المنزل رقم 44 إيتون سكوير للمرة الأخيرة. نظر إلى اليمين وإلى اليسار في الشارع، غير متفائل أبداً، شعر بالسرور حين رأى سيارة أجرة أشعلت لوحتها التي تدل على توافرها للتو وكانت متجهة نحوه. رفع دون بيدرو ذراعاً وخرج تحت المطر وجلس في المقعد الخلفي من السيارة. حين أغلق الباب سمع صوت نقرة.

قال دون بيدرو: «مطار لندن».

قال السائق: «لا أعتقد ذلك».

* * *

كان هنالك رجلٌ آخر على بُعد كابينتين من هاري مستيقظ أيضاً، ولكن لم يكن يحاول النوم. كان على وشك الذهاب إلى العمل.

نزل من سريره الساعة 2:59 بعد منتصف الليل، مرتاحاً ومتنبهاً تماماً، سار إلى الصندوق الكبير في وسط الغرفة وفتح غطاءه. تردد للحظة فقط، ثم نفّذ التعليمات أدار المفتاح الكهربائي، مبتدئاً عملية لا يمكن التراجع عنها.

بعد أن تأكد من تحرك عقرب الثواني الكبير 29:59، 29:58، ضغط زراً على جانب ساعته، وأغلق الصندوق. ثم حمل الحقيبة الصغيرة التي كانت إلى جانب سريره والتي احتوت كل ما يحتاج إليه، أطفأ المصباح، وفتح باب الكابينة ببطء وحدق إلى الرواق خافت الإنارة.

انتظر لحظة كي تتأقلم عيناه. حين تأكد من عدم وجود أحد في الأرجاء، خرج إلى الرواق وأغلق الباب بهدوء.

وضع رجلاً بحذر شديد على السجاد السميك ذي اللون الأزرق الملكي وسار بصمت في الرواق، مع أذنين متنبهتين لسماع أي صوت غريب. ولكنه لم يسمع شيئاً سوى إيقاع المحرك اللطيف بينما كانت السفينة تشق عباب البحر. توقف حين وصل إلى أعلى الدرج الكبير. كان الضوء أقوى بقليل على الدرج، ولكن لم يكن هنالك أثر لأحد. علم أن ردهة الدرجة الأولى كانت تحته بتراس واحد، وعلى زاويتها البعيدة كان هنالك لوحة تقول: الرجال النبلاء.

لم يمر أحد بالقرب منه وهو ينزل على سلالم الدرج الكبير، ولكن حين دخل الردهة رأى مباشرةً رجلاً قوي البنية جالساً على كرسي مريح، ورجلاه مثنيتان، بدا وكأنه استغل العرض الذي ينص على تقديم مشروبات كحولية مجانية لركاب الدرجة الأولى في الليلة الأولى من الرحلة الأولى.

تسلل بالقرب من الراكب الهامد، الذي كان يشخر، ولكنه لم يتحرك، وأكمل طريقه نحو اللوحة في الطرف الآخر من الغرفة. حين سار إلى المرحاض – كان قد بدأ بالتفكير مثلهم – أنير ضوء فاجأه. تردد للحظة، ولكن تذكر أن ذلك كان أحد الاختراعات التي تفتخر بها السفينة والذي قرأ

عنه في الكتيب. ذهب إلى المغاسل ووضع حقيبته على السطح الرخامي، فتحها، وبدأ بإخراج المراهم والقناني والإكسسوارات التي ستزيل شخصيته البديلة: قنينة من الزيت، شفرة للذقن، مقص، مشط وعلبة من كريم بوند للوجه والتي ستساهم جميعها في اسدال الستارة على أدائه ليوم الافتتاح.

تفقد ساعته. لا يزال يملك سبعاً وعشرين دقيقة وثلاث ثوان قبل أن ترفع ستارة أخرى، وبحلول ذلك الوقت، سيكون من بين الحشود المذعورة.

فتح قنينة الزيت ودهنها على وجهه وعنقه وجبينه. بعد لحظات شعر بشعور الاحتراق الذي حذره منه فنان التبرج. أزال الشعر المستعار الخفيف ببطء ووضعه على جانب المغسلة. توقف ليرى نفسه في المرآة، وشعر بالسرور لرؤيته شعره الأحمر الكثيف المجعد مجدداً، بعدها أزال الخدين الورديين، وكأنه كان يزيل لصقة عن جرح شُفي مؤخراً، وأخيراً، بمساعدة المقص، قص ذقنه المزدوج الذي كان فنان التبرج فخوراً به للغاية.

ملأ المغسلة بالماء الفاتر وفرك وجهه، مزيلاً كل ما تبقى من الضماد أو الغراء أو الألوان التي كان من الصعب إزالتها. بعد أن جفف وجهه، بقيت بشرته قاسية في بعض المناطق، لذا وضع طبقة من كريم بوند لينهي عملية التحول.

نظر ليام دوهرتي في المرآة إلى نفسه ليرى أنه أزال خمسين عاماً من عمره خلال أقل من عشرين دقيقة؛ حلم كل امرأة. حمل مشطه، وسرح شعره ليعود إلى مظهره الأصلي ثم وضع ما تبقى من تنكر ماكلنتاير في الحقيبة وبدأ بخلع ملابس اللورد التي كان يرتديها.

بدأ بفك الزر الموجود على ياقة فان هوسن القاسية، والتي تركت خطاً أحمر رفيعاً حول عنقه، أزال ربطة العنق الإيتونية ووضعها في الحقيبة. استبدل القميص الحريري الأبيض بقميص قطني رمادي مع ربطة عنق رفيعة كانت رائجة في فولز رود. أزال الحمالات الصفراء، فوقع البنطال الواسع الرمادي

على الأرض، مع كرشه -الذي كان عبارة عن وسادة - ثم انحنى وفك رباط حذاء ماكلنتاير الأسود الجلدي، ركله ووضعه في الحقيبة. أخرج سروالاً ضيقاً وفقاً لآخر صيحات الموضة ولم يتمكن من كبت ابتسامته وهو يرتديه دون حمالات، فقط حزام جلدي رفيع اشتراه من شارع كارنابي حين كان في لندن في مهمة أخرى.

في النهاية، انتعل حذاءً بنياً.

نظر في المرآة ورأى نفسه.

تفقد دوهرتي ساعته. كان يملك إحدى عشرة دقيقة وإحدى وأربعين ثانية قبل أن يصل إلى كابينته الجديدة الآمنة. لا يوجد هنالك وقت لتضييعه، لأنه إن انفجرت القنبلة وهو في الدرجة الأولى، سيكون هنالك مشتبه به وحيد.

أعاد كل المستحضرات والكريمات إلى الحقيبة، أغلق سحابها وأسرع إلى الباب، فتحه بحذر وخرج إلى الردهة. لم يكن هنالك أحد في كل الاتجاهات. حتى الرجل الثمل اختفى. مشى بسرعة بالقرب من الكرسي الفارغ الذي تُرك عليه طبعة مجسمة لجسد مما يقترح أن أحداً ما كان جالساً عليها.

أسرع دوهرتي بالخروج من الردهة ليصل إلى الدرج الكبير؛ راكب درجة ثانية في جهة الدرجة الأولى.

لم يتوقف حتى وصل إلى أرضية التراس الثالث، منطقة الفصل. حين قفز فوق السلسلة الحمراء، استرخى للمرة الأولى؛ لم يكن في أمان بعد، ولكنه خرج من منطقة النزاع دون شك. سار على سجادة طويلة خضراء ونزل بسرعة على درج أضيق أربعة طوابق إضافية، حتى وصل إلى التراس حيث تقع كابينته.

بدأ البحث عن الكابينة رقم 706. كان قد تجاوز الرقمين 726 و 724 حين

رأى أحد الثمليين الصباحيين يحاول أن يضع مفتاحاً في القفل دون النجاح بذلك. هل كانت تلك كابينة الرجل؟ أدار دوهرتي رأسه للاتجاه الآخر وهو يمر بالقرب منه، مع أن الثمل لن يستطيع التعرف إليه أو على أي أحد آخر حين تنطلق صفارات الإنذار.

حين وصل إلى الكابينة رقم 706 فتح الباب ودخل. تفقد ساعته: سبع دقائق وثلاث وأربعون دقيقة قبل أن يستيقظ الجميع، مهما كانوا نائمين بعمق. سار إلى سريره ورفع الوسادة ليجد جواز سفر جديد وبطاقة جديدة حولته من اللورد ماكلنتاير إلى ديف روسكو القاطن في المنزل 47 في نابير درايف في واتفورد.

المهنة: رسام ومهندس ديكور.

انهار على السرير ونظر إلى ساعته: ست دقائق وتسع عشرة ثانية، ثماني عشرة، سبع عشرة؛ وقت أكثر من كافٍ. سيكون كل من زملائه الثلاثة مستيقظين ينتظرون أيضاً. ولكن لن يتحادثوا مرة أخرى حتى يلتقوا جميعاً في فولنتير في فولز رود ليستمتعوا ببضع كؤوس من الجعة. لن يتحدثوا علناً اليوم أبداً، لأن غيابهم من أماكنهم المعتادة في غرب بلفاست سيكون واضحاً وسيصبحون مشتبهاً بهم لأشهر أو لسنوات حتى. سمع ضربة قوية على باب في مكان بعيد من الرواق، وافترض أن الرجل الثمل استسلم في النهاية.

خمس دقائق وإحدى وعشرون ثانية...

نفس القلق دوماً حين ينتظر المرء. هل تركت أية أدلة تشير إليك مباشرة؟ هل ارتكبت أخطاء ستتسبب في فشل العملية وتجعل من نفسك أضحوكة أمام الجميع في الوطن؟ لن يسترخي حتى يصبح على قارب النجاة، بل أكثر من ذلك، على سفينة أخرى ستأخذه إلى مرفأ آخر.

خمس دقائق وأربع عشرة ثانية...

علم أن رفاقه الجنود الذين يسعون للهدف ذاته، كانوا متوترين مثله.

الانتظار دوماً هو الجزء الأسوأ، خرج الأمر عن سيطرتك، لا يوجد ما يمكنك فعله.

مكتبة
t.me/t_pdf

أربع دقائق وإحدى عشرة ثانية...

أسوأ من مباراة كرة قدم حين تكون رابحاً بهدف واحد ولكن تعلم أن الطرف الآخر أقوى وقادر على تسجيل هدف في اللحظات الأخيرة. تذكر تعليمات المسؤول: حين تنطلق صفارات الإنذار، تأكد من أن تكون الأول على التراس، والأول في قارب النجاة، لأنه في مثل هذا الوقت غداً، سيبحثون عن كل من هو تحت الخامسة والثلاثين ويتحدث بلكنة إيرلندية، لذا أبقوا أفواهكم مغلقة يا شبان.

ثلاث دقائق وأربعون ثانية... تسع وثلاثون...

حدق إلى باب الكابينة وتخيل أسوأ ما قد يحصل. لا تنفجر القنبلة، يُفتح الباب ويقتحم المكان عشرة شرطيين أو أكثر، والهراوات تنهال عليه من كل اتجاه، لن يكترثوا كم مرة سيضربونك.

ولكن كل ما كان يمكنه سماعه هو صوت المحرك الإيقاعي وسفينة باكينغهام التي تسير عبر المحيط الأطلسي في طريقها إلى نيويورك، المدينة التي لن تصلها أبداً.

دقيقتان وأربع وثلاثون ثانية... ثلاث وثلاثون ثانية...

بدأ بتخيل كيف سيكون الأمر حين يعود إلى فولز رود. سينظر الفتية الذين يرتدون الشورتات إليه برعبٍ وهو يمر بالقرب منهم في الشارع، سيكون طموحهم أن يصبحوا مثله حين يكبرون. البطل الذي فجر سفينة باكينغهام بعد أسابيع فقط من تسميتها من قبل الملكة الأم.

لن يذكروا الأبرياء الذين ماتوا. لا يوجد أبرياء حين تؤمن بالقضية. في الواقع، لم يلتق أياً من الركاب في الكبائن الموجودة في التراس العلوي. سيقرأ عنهم غداً في الصحف، وإن أدى عمله على أكمل وجه، لن يُذكر اسمه.

دقيقة واثنتان وعشرون ثانية... إحدى وعشرون ثانية...

ما الذي قد يجري بشكل خاطئ الآن؟ هل سيخذله الجهاز الذي بناه في غرفة علوية من مبنى دونغانون في اللحظة الأخيرة؟ هل كان على وشك أن يقابل صمت الفشل؟

بدأ بهمس كل رقم.

«تسع وخمسون، ثمان وخمسون، سبع وخمسون...» هل كان الرجل الثمل الجالس على الكرسي في الردهة ينتظره طوال الوقت؟ هل كانوا الآن في طريقهم إلى كابينته؟ «تسع وأربعون، ثمان وأربعون، سبع وأربعون، ست وأربعون...»

هل تم استبدال الزنابق؟ هل رميت في القمامة أو أخذها أحد ما؟ ربما كانت السيدة كليفتون تملك حساسية اتجاه غبار الطلع؟ «تسع وثلاثون، ثمان وثلاثون، سبع وثلاثون، ست وثلاثون...» هل فتحوا غرفة اللورد ماكلنتاير ووجدوا صندوق القنبلة؟ «تسع وعشرون، ثمان وعشرون، سبع وعشرون، ست وعشرون...»

هل كانوا يفتشون السفينة بحثاً عن الرجل الذي خرج من المرحاض في ردهة الدرجة الأولى؟ «تسع عشرة، ثماني عشرة، سبع عشرة، ست عشرة....» هل قاموا... تمسك بحافة السرير وأغلق عينيه وبدأ بالعد بصوت أعلى.

«تسعة، ثمانية، سبعة، ستة، خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد...» توقف عن العد وفتح عينيه. لا شيء.

فقط الصمت الغريب الذي يتبع الفشل دوماً. حنى رأسه وصلى لرب لم يؤمن به، وتبع ذلك مباشرة صوت انفجار قوي لدرجة أنه ارتمى على جدار الحجرة مثل ورقة شجر في عاصفة. ترنح على قدميه وابتسم حين سمع الصراخ. كان يتساءل فقط كم من ركاب التراس العلوي قد نجوا.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

كن حذراً عندما تتمنى

في رواية كن حذراً مما تتمنى ينقلنا جيفري أرشر إلى مستوى جديد من الصراع بين الرائد أليكس فيشر ودون بدرو مارتينيز من جهة وبين آل كليفتون وبارينغتون من جهة أخرى.

فدون بدرو يبدو أنه عازم على الثأر، ويريد أن يجعل من شركة النقل بارينغتون وسفينتها الجديدة باكينغهام مسرحاً لثأره، ولكن دخول الجيش الجمهوري الإيرلندي والمصرفي سيدريك هاردكاسل سيجعلان من الكباش المحتدم يأخذ منحى آخر لا يتوقعه الطرفان.

في هذه الرواية، يظهر سيباستيان كشخصية يعوّل عليها عائلياً ومهنياً وعاطفياً. بتدخل شركة سوني أنترناشنل اليابانية في أحداث الرواية وتحول مصير جيسيكا بطريقة غير متوقعة لا يسعنا سوى قول شيء واحد: إنها رواية تحبس الأنفاس حتى الجملة الأخيرة منها.

جيفري أرشير

t.me/t_pdf

ISBN: 978-614-01-2475-2
9 786140 124752

نيل وفرات كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com